موسوعة الشيعة في العالم

الشيعة في قارة أفريقيا



تأليف

جاسم عثمان مرغي

مؤسسة البلاغ

دار سلوني

الشيعة في شمال أفريقيا

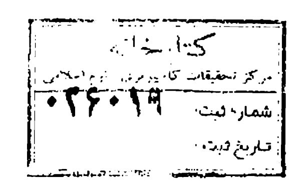
موسوعة الشيعة في العالم
الشيعة في قارة أفريقيا

الشيعة في شمال أفريقيا

جاسم عثمان مرغي





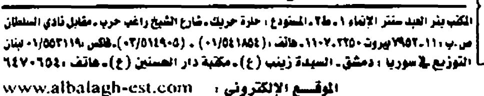


الطبعة الأولى

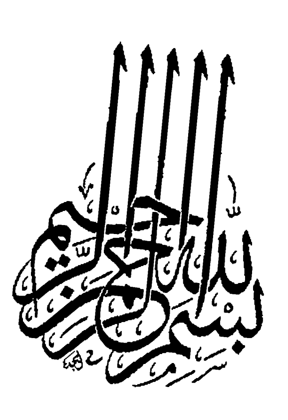
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



للطباعة والنشر والتوزيع


المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٢ - المستودع : حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب ١١٠ - ٢٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف : (٠١/٥٤١٨٥٤) . (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس ٠١/٥٥٣١١٩ - لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤

الموقــع الإلكتروني : www.albalagh-est.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمدلله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسّلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين.

خرجت إلىٰ عالم النور المئات والمئات من الدراسات والكتب باللغة العربية وباللغات الاجنبية، حول الشيعة وظل الميدان خالياً من مؤلف واحد جامع شامل، يتعرض للشيعة في العالم، وقد قوي الشعور ـ عندي ـ بالحاجة إلى هذا المؤلف الشامل، وصممت ان أُخرج الفكرة إلىٰ حيز الواقع وهكذا خطوت خطواته الأولىٰ علىٰ طريق الوجود والتحقيق؛ وأنا أؤمن بالحرية. وأؤمن بدور الكلمة على أرض الحرية ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ كانت هناك ممارسات حقيقية ضد أفكاري وقفوا بسلاح الإرهاب ـ وتحت شعار الثقافة الاسلامية والحضارة ـ امام كاتب هو انسان يحمل سلاح الكلمة يعني سلاح الوعي والالتزام، والالتزام هنا التزام طوعي مبني علىٰ الاختيار الواعي ولا يعني بالضرورة تسجيلاً في حزب أو اتجاه، الالتزام يعني ان الكاتب يلتزم بالحقيقة.

يلتزم بالحرية والعدل وعندما تتعارض أية ممارسة مع هذا فهو في صف الحقيقة. فالكاتب جزء من المجتمع وما يمنح للمجتمع يمنح له وتأتي حرية التعبير في الطليعة.

نعم في خضم الآلاف من الكتب المتعجلة على اهميتها والدراسات

والبحوث الفردية السريعة تهيأ لي ان أُخْرِجَ إلىٰ الوجود هذا العمل الضخم والذي احتاج الى جهود كبيرة وسنوات عمل طويلة ليرىٰ النور. إذ تطلّب العمل في تأليف مادته وتحريرها، ومراجعتها، وتبويبها، وتصحيحها، ثم طباعتها سنوات من العمل الدؤوب سبقتها سنوات الاعداد والتهيئة، هذا العمل هو اوّل عمل اسلامي حديث يشق دربه ويمشي قدما في طرق جديدة ما وطئتها قدم عربية ولا أجنبية من قبل، اسأل الله التوفيق.

استعرضت في الجزء الأول الشيعة في مصر وفي هذا الجزء تكلمت عن الشيعة في شمال افريقيا واوليتُ الاهمية لدولة الأدارسة وهي دولة شيعية اثنىٰ عشرية وكذلك دولة الممهدين للمهدي(عج) والتي اسسها أبو عبدالله الشيعي الاثنىٰ عشري وليس الداعية الاسماعيلي!! كما تقولوا ذلك.

أما الدولة الفاطمية فإنها كانت شيعية وليست اثنى عشرية وقامت أسسها على فلسفة اخوان الصفا، وهي في الأصل حركة دينية ـ فلسفية تكونت في البصرة ذات أهداف سياسية، نشرت سلسلة من الكتب العلمية يغلب عليها الطابع الموسوعي؛ هدفت إلىٰ إيجاد صبغة تركيبية Sinthesis توفق ما بين المعتقدات الشيعية والفلسفة الارسطوطاليسية والفلسفة الأفلاطونية الجديدة، ووضعت علم كون cosmology معقداً، مبنياً على علم التنجيم وعلى اصطناع سحري للارقام. وكان لأخوان الصفا أثر في تفكر الغزالي.

أما الدولة الموحدية فإنها ـ ايضاً ـ كانت شيعية وليست اثنىٰ عشرية وقامت اسسها على فلسفة ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨) إذ عمل في بلاد الموحدين في مراكش. وضع ثلاثة شروح علىٰ فلسفة ارسطو، وكتباً في الطب والفلسفة. هاجم

«لاعقلانية» الغزالي ؛ دافع عن فكرة الحقيقة «المزدوجة»: الدينية والعقلية. عارض فكرة خلود النفس الفردية وفكرة المعجزات. اعتمد على العقل لا على الحقيقة الثيولوجية.

اما الشيعة الاثنى عشرية فانهم يعتقدون ان الفلسفة علم دخيل جاء من اليونان، والعلم الأصيل هو علم الكلام.

وفي الختام أقدّم الجزء الثاني للقاريء الكريم تحت عنوان «الشيعة في شمال أفريقيا».

أسأل الله القبول

جاسم عثمان مرغي

«افريقيا السوداء»

اقتصادها محطم والحل بعيد

على الرغم من أن افريقيا تعتبر من القارات الغنية بالثروات المعدنية كالنفط واليورانيوم والذهب، اضافة الى الثروة الطبيعية الكائنة في الغابات التي تغطي مساحات شاسعة من القرن الافريقي، فإن معظم اقطار هذه القارة البالغ عددها ٥٢ من افقر بلدان العالم، ومستوى المعيشة فيها هو من أكثر مستويات المعيشة بين دول العالم انخفاضاً.

فباستثناء مصر والسودان ودول شمال أفريقيا ونيجيريا وجنوب افريقيا وزمبابوي، فإن الاقطار الاخرى تعاني من سوء الوضع الاقتصادي والتأخر الثقافي والصراع المستمر فيما بينها. واذا استثنينا مصر ودول شمال افريقيا (تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب) فإن الجزء المتبقي من افريقيا أي مايطلق عليه اسم أفريقيا السوداء أو جنوب الصحراء الافريقية، يضم ٤٧ قطر جميعها حديثة الاستقلال نسبياً. فباستثناء السودان الذي حصل على استقلاله عام ١٩٥٦ وغانا ١٩٥٧ وغينيا ١٩٥٨ فان ٣٥ قطراً حصلت على الاستقلال خلال الستينات وثمانية اقطار بين ١٩٧٤ـ١٩٧٧ وزمبابوي عام ١٩٨٠.(١)

---

١ ـ مجلة العالم، ص ٣٥، العدد٣، لندن، ١٤٠٤هـ.

أوضاع المسلمين بقارة إفريقيا

الدول الافريقية ذات الاغلبية الاسلامية، النشاط الاسلامي فيها متقدم والشباب المسلم فيها واع أكثر من الماضي، خصوصاً بعد انتشار المدارس الاسلامية، واحتكاكه بالمشرق العربي عن طريق الدراسة. وهو على العموم متيقظ للاخطار التنصيرية والصهيونية وواقف لها بالمرصاد.

ومع ذلك يمكن القول ان الاقليات المسلمة تعاني من مشاكل وبخاصة المجتمعات البدائية تتمثل في الغزو المكثف للحركات التنصيرية عن طريق توفير الدواء والغذاء وبناء المدارس، والمؤسف ان الدول الاسلامية الغنية لا تقوم بالواجب الكامل والكافي. الصهيونية تتغلغل في أوساط افريقيا السوداء عن طريق اتفاقات استشارية وامنية وثقافية. ومجلس الكنائس العالمي يرصد اموالاً طائلة لتنصير أبناء قبائل الفولاني الذين دمرهم الجفاف في الدول الساحلية وهاجروا جنوباً ويبني لهم المدارس ويطعمهم ويكسيهم وينتقل معهم حيثما ذهبوا والمسلمون عن ذلك غافلون، وعلماؤهم لا يتواضعون لهم كما يصنع المسيحيون.

كما انه يقيم الاذاعات في الاماكن الاستراتيجية في الحبشة وسيراليون وساحل العاج وكينيا باللغات المحلية لاستمالة هذه القبائل.

وعلى سبيل المثال نذكر احصائيات عام ١٤١١ هجـ التي تقول ان الانجيل ترجم الى ٤٤٢ لغة افريقية كما بلغ عدد القسيسين البروتسنات العاملين في ميدان التبشير ١٠٤ آلاف قسيس منصر كما تم بناء ١٦٦٧١ معهدا كنسيا لمختلف مراحل الدراسة واكثر من ٥٠٠ جامعه وكليه ومعهد تخضع للتوجيه التبشيري واضافة إلى ٤٨٩ مدرسة لاهوتية لتخريج القسيسين، وغيرها الكثير التي لامجال

لذكرها[١]. كما شرعت بعض الدول الافريقية في اعادة علاقاتها مع «اسرائيل» مما يساهم في تغلغل الفكرة اليهودية، حيث يتحالف اليهود والنصارىٰ لإخراج هذه الشعوب من الإسلام.

هذا إلىٰ جانب تشجيع النعرات القبلية المسيحية في الدول ذات الاغلبية المسلمة، لاخراج الاقلية المسيحية من حكم الدول الاسلامية. والسودان خير شاهد علىٰ ذلك.

---

١. مجلة العالم: ص ٥٦، العدد ٣٥٤، لندن، ١٤١١هـ.

تصنيف الدول

الإفريقية الإسلامية

من حيث الموقع

أولاً: دول شمال إفريقيا الإسلامية

وعددها سبع دول هي: مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وهذه الدول هي أكثر جهات إفريقيا ازدحاماً بالسكان. وهي دول عربية إسلامية.

وقد تكلمنا عن مصر في الجزء الأول من هذه الموسوعة وسنبدأ بسائر الدول الإفريقية في الجزء الثاني وعلى رأسها السودان.

معلومات تفصيلية عن السودان

يعتبر السودان أكبر دولة أفريقية من حيث مساحته التي تمتد على ٢٥٠٥٨١٣كيلو متر مربع.

وللسودان حدود مشتركة مع عدد كبير من الدول. فتحده من الشمال جمهورية مصر العربية، ومن الشرق الحبشة واريتريا ومن الغرب أفريقيا الوسطى وتشاد ومن الشمال الغربي ليبيا.

يصل عدد سكان السودان إلى ٢٧٤٠٠٠٠٠ نسمة.[١]

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب ٤٠٪، أفارقة ٣٠٪، غرب السودان ١٢٪، بجاه ١٢٪، نوبيون ٣٪

اللغة: العربية ـ الإنجليزية. وعدد قبائل السودان ٧٥٢ قبيلة يتكلمون ١١٤ لغة. والمتكلمون بالعربية أكثر من نصف السكان.

استخدام الأرض: المستزرع ٥٪، والمرعى ٢٤٪ والغابات ٢٠٪. وإمكانات السودان الزراعية ضخمة، فهناك ٢٠٠ مليون فدان لاتحتاج الماء ولا الخصب، ولكن تحتاج الأيدي العاملة ورؤوس الأموال، وهناك أيضاً ٤٠٠ مليون فدان مراعي وغابات. ويعوق التنمية الزراعية افتقار البلاد إلى شبكة من طرق

المواصلات السريعة.

أهم المحاصيل: القطن ـ الذرة ـ الدخن ـ القمح ـ السمسم ـ الصمغ العربي وينتج منه ٩٠٪ من الإنتاج العالمي.

أهم المعادن: الكروم ـ النحاس ـ البترول ـ الذهب الذي اكتشف بكميات كبيرة في الجنوب.

أهم الصناعات: حلج القطن ـ النسيج، الأسمنت ـ السكر ـ الجلود.

الثروة الحيوانية: الأبقار ٢٢ مليون ـ الأغنام ١٢ مليون ـ الماعز ١٥ مليون ـ الإبل ٥/٢ مليون.

أهم المعالم: الغابات الاستوائية التي تحوي العديد من الحيوانات البرية، وهي حدائق مفتوحة تجذب إليها السياح.(١)

ويعد السودان بلداً ذا محاصيل زراعية متنوعة. و جمهورية السودان الديمقراطية تشكلت في ١٩٩٢/٥/١ فهو نظام عسكري. سلطة متمركزة. اتجاه إسلامي واضح وحرب اهلية في الجنوب.

السلطة بيد عمر حسن احمد البشير ويعاونه مجلس الثورة.(٢)

العاصمة: الخرطوم

سنة الاستقلال: ١٩٥٦م

---

١ ـ عبدالهادي، الدكتور جمال: المجتمع الاسلامي المعاصر، (ب) أفريقيا، ص ٣٣.

٢ ـ حميده، الدكتور عبدالرحمن: الأطلس الاقتصادي للعالم الاسلامي، ص ١٧٨، ١٨١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

جمهورية السودان

التسمية:

أطلق العرب كلمة «السودان»، وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة، ويشمل هذا المصطلح جغرافيا ما عرف باسم الحزام السوداني الممتد في قلب القارة الافريقية من الشرق الى الغرب، ولكن هذا المصطلح -كما عناه العرب- يكاد ينصب على سكان غربي افريقية لأن للعرب أوصافاً أخرى لأصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء من القارة.

فالاصطخري، مثلاً، يصف بلدان السودان بأن سكانها ليسوا «بنوبه ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة، الا أنهم أشد سوادا من الجميع وأصفى»

ويصف أبو الفداء التكاررة بقوله: «أنهم أشبه الناس بالزنوج» وكذلك فعل ياقوت الحموي وغيره.

أما النوبة والحبشة، فهما تسميتان اطلقهما العرب على سكان بلاد النوبة جنوبي مصر شمالي جمهورية السودان الديمقراطية، وعلى سكان الحبشة. وأما العناصر السوداء الأخرى، المقيمة في الجهات الافريقية الأخرى، فقد ميزها العرب باسماء أخرى، مثل «الزنج» سكان جنوبي شرقي الحبشة وبعض بلاد ساحل أفريقية الجنوبي الشرقي، ونسبوا غربي المحيط الهندى اليهم، فقالوا

عنه: «بحر الزنج».[١]

وتختلف السودان عن أي قطر عربي آخر، فيوجد حوالي ربع السكان من الزنوج الوثنيين الذين لايتكلمون العربية، ويشكلون اكثرية في مساحة معينة في الجنوب.[٢]

١ ـ علي طرخان، الدكتور إبراهيم: دولة مالي الاسلامية، ص ٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢ ـ أحمد ياغي، الدكتور إسماعيل: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ٤٧/٢، مكتبة العبيكان، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

السودان ومشكلة الجنوب في ظل الاستعمار البريطاني

عمل الاستعمار البريطاني على تشجيع التنصير في جنوب السودان، لإيقاف المد الاسلامي إلى إفريقيا المسلمة، وتحويلها تدريجياً إلى قارة نصرانية. وقد اعترف بذلك اللورد «كرومر» حيث يقول: «إنني مازلت محاصراً حصاراً عنيفاً يحيط بي من كل الجهات لكي أوافق على التنصير في السودان...» راجع في ذلك كتاب قضايا العالم الإسلامي للدكتورة فتحية النبراوي ص ٢٠٨.

ولإنجاح خطة التنصير بجنوب السودان اتخذت بريطانيا الإجراءات التالية:

١ ـ أصدرت مرسوماً عام ١٩٢٢م تعتبر فيه جنوب السودان منطقة مغلقة، لا يدخلها أحد إلا بتصريح من الحاكم البريطاني وكان الهدف من ذلك هو منع التجار المسلمين من دخول جنوب السودان، حتى لا يعوقوا عمل جماعات التنصير. كما أن قانون عام ١٩٢٢م كان يستهدف أيضاً إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال، حيث نصّ على عدم تشغيلهم هناك إلا بشروط قاسية، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته السجن أو الغرامة. كما ضيق المستعمر فرص التزاوج بين الشماليين والجنوبيين، يمنع الأزواج الشماليين من اصطحاب أولادهم وأمهاتهم الجنوبيات إلى الشمال. وفوق هذا استغنت بريطانيا عن خدمات الموظفين الشماليين الذين يعملون بالجنوب. وقد تم ذلك بدهاء وخبث بدليل الخطاب الذي صدر من الحاكم البريطاني (ماكمايكل) إلى مدير بحر الغزال في ١١ مايو سنة ١٩٣٠م، ويقول فيه: «يجب ألا يفكر أحد في طرد هؤلاء الناس بالجملة، بل ينبغي أن يكون الابعاد فردياً، وأن يُتلمس له أسباب كافية في كل حالة...»

والخطاب محفوظ حالياً بدار الوثائق المركزية بالخرطوم.

٢ ـ عملت على تنمية اللغة الإنجليزية واللهجات المحلية. وأقامت العراقيل في وجه اللغة العربية.

٣ ـ غيرت الأسماء العربية إلى أسماء أوربية أو قبلية، وكل من يرفض كان يعطي رقماً ينادى به. كما وجهت النصائح إلى زعماء القبائل وأتباعهم بأن يتخلوا عن لباسهم العربي. وأصدرت أوامر إلى التجار بعدم بيع أنماط الملابس العربية.

٤ ـ مُنع المسلمون في الجنوب من ممارسة شعائر دينهم بشكل علني.

٥ ـ بدأ التبشير في جنوب السودان برياض الأطفال، ثم المدارس الخاصة، ثم الجامعات التنصيرية، التي تهيء الشباب للتنصر، بإضعاف قوة الإيمان في قلوبهم، وإغراقهم في عالم الشهوات، عن طريق وسائل الاعلام المسمومة، وضروب الرياضة المنحرفة. وهكذا عهدت الحكومت البريطانية بمسؤولية التعليم في جنوب السودان إلى الجمعيات الكنسية تحت إدارة قساوسة أوربيين، في مقابل معونات تمنحها الحكومة لهم. هذا بالإضافة إلى محطة إذاعة صوت الإنجيل، التي هي أقوى إذاعة في إفريقيا، والتي تبث إرسالها من أثيوبيا بعدة لغات إفريقية، وصل عددها إلى حوالي تسعة عشر لغة.[١]

ولعبت اسرائيل أيضاً دوراً في النشاطات الانفصالية في جنوب السودان، واستخدمت مركزها الذي كانت تتمتع به في أثيوبيا لكي تضيق الخناق على السودان بدعم حركة انيانيا الانفصالية في جنوب السودان في الستينات.[٢]

١ ـ عبدالهادي، الدكتور جمال: المجتمع الاسلامي المعاصر، ص ٣٥، دار الوفاء، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢ ـ سَريّ الدِّين، عايدة العَلي: السودان والنيل بين مطرقة الانفصال والسّندان الإسرائيلي، ص ٩٨، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

الشيعة في السودان

يصل عدد سكان السودان ـ ضمن آخر إحصاء ـ إلى ٣٥٥٣٠٢٧١ نسمة، نسبة المسلمين ٧٥٪ ونسبة الإمامية ٨٧٥ و ١٪ وقيل أن نسبة المسلمين في السودان تصل إلى ٩٠٪، ٣٥٪ منهم شيعة.(١)

جاء في تقرير كتبه احد طلابي وكان متواجداً في السودان ضمن اطروحته ـ والتي اشرفت عليها ـ تحت عنوان (المسلمون في السودان) بإن المذهب الشيعي الجعفري الاثنى عشري دخل السودان عن طريق اعضاء منظمة الجزيرة العربية والذين كانوا تحت اشراف سماحة السّيد المرجع آية الله العظمىٰ السّيد محمد الحسيني الشيرازي.(٢)

والشيعة الجعفرية الاثنى عشرية يتواجدون اليوم في منطقة **الحاج يوسف** من ضواحي الخرطوم العاصمة.

فمن الخرطوم يجب ان تذهب إلى منطقة عمر المختار، ومن ثمَّ إلى منطقة حي السفارات إلى أن تصل إلى منطقة **الحاج يوسف**.

ففي هذه المنطقة اسس الشيعة ـ ولاوّل مرة ـ مدرسة تدعى (**مدرسة الجيل الاسلامي**) حيث تخرجت الدفعة الاولى ـ ضمن احتفال بهيج في ساحة المدرسة ـ بتاريخ ٢٦/٤/١٩٩٥م.

---

١ ـ الكرباسي، محمدصادق: دائرة المعارف الحسينية، ص ١٠٣، الجزء الثاني.

٢ ـ حيدري، علي: مسلمانان سودان، ص ٤٤، پاياننامه، مركز آموزش عالي، تهران، سال تحصيلي ٧٧ـ١٣٧٨ش.

وبعدها اسس الشيعة اكبر مدرسة في المنطقة ذات صفوف متعددة وساحة كبيرة واسموها (**مدرسة الامام علي بن أبي طالب الثانوية النموذجية للبنين**) وقد تخرجت الدفعة الاولى بتاريخ ١٩٩٥/٧/٦ ضمن احتفال كبير ضمَّ وزير التربية والتعليم السوداني ولهذه المدرسة مجلة شهرية تدعى «الرسالة».

وكذلك اسس الشيعة مستوصف (مركز صحي خاتم الانبياء)

أهل البيت (عليهم السّلام) في الوجدان الشعبي السوداني

انتشر حب آل البيت (عليهم السّلام) في الأوساط الأفريقية منذ ظهور الاسلام فيها، وزاده الحكم الفاطمي الذي امتد الى أمكنه واسعة من افريقيا والمغرب العربي صلابة وقوة مايزال أثرها حتى الوقت الحاضر، وبالاضافة الى ذلك فقد عاشت وما برحت حتى الآن طرق صوفية متعددة، ينظرون إلى علي وأهل بينه (عليهم السلام) نظرة خاصة من التقديس والولاء بل تنتهي طرقهم كلها بعلي من خلال سلسلة معروفة من المراسم التي وضعها الصوفيون عبر قرون متعددة من تاريخهم الطويل.

وعرف السودان ألوان من أدب التصوف الإسلامي لاسيما قبل ظهور الثورة المهدية فقد انتشرت الطرق الصوفية في جميع أنحاء السودان، وشاعت فنون المدائح النبوية الشعبية والمدائح التي كانت تمجد آل البيت ومن ينتسب اليهم من مشائخ الطرق، ولهؤلاء المشائخ أنفسهم قصائد يسمونها «لسان الحضرة» وفي اصطلاح الصوفية يسمونها (بالشطحات) وهم فيها يمجدون أنفسهم ويذكرون الهبات التي أكرمهم الله بها، ولهذه القصائد ألحان راقصة توقع على حركات الذكر، كما رافقت بعض آلات الطرب مثل (الطار) والطبل والصنج والرق.

وكان شعراء المدائح الشعبية من المتصوفين ينظمون قصائدهم باللغة العامية وقليل من مشائخ الطرق الصوفية من كان ينظم مدائحه باللغة العربية الفصحى ولكل قبيلة من قبائل السودان لغتها ولهجتها الخاصة، ففي شمال السودان تكاد تكون اللغة العامية متحدة إذا تجاوزنا بعض القبائل، وفي شرقه تتحد اللغة وهي البجاوية، وفي الغرب تكاد تكون متقاربة ماعدا بعض قبائل دارفور وجبال

النوبة ولكثير ما تختلف اللهجات في الجنوب، وهذه شواهد من الشعر الشعبي السوداني في الامام علي(ع)، فمنه قول محمد الحاج العاقب(١٧٠٤_١٧٧٩):

يـــا جـــليل البــتول　　أم الحســـين وحســنْ
مـــحتسب الجـــميع　　فــيكم بــدور عشــمان

وقول حاج الماحي (١٧٩٤_١٨٦٩م):

(الكـــرار عـــلي) المــا بــيلفا　　قَــزْ فــي الريشــة حــالِف حَـلْفَا
الطـــــير فـــي وِلاَدْ القَّــلْفَه　　إلاّ مـــــن الكـــبود يـــتكفا
اسـمع يـا خـوي قـول ابـن طـالب　　رابــع الخـلافة الكـان امـره غـالب
تـــابع نـــبيه دايـــماً مـراقبْ　　بـــالنسبه ليــه ودْعَــم أقــارب
قـلبو بـيريد وحـابو وبـيه عـاجب　　فـــارس المشــارق والمــغارب
حين شدَّ قارَحُوُ فـي ايـد وضـارب　　على شال محارب لينحو تو كـارب
قَــبَّل (مــخارق) فَـزْ مِنُو هـارب　　كم جاب عزيزاً بـي حـيلتو سـارب
قـتـلـو وعـقا بـوخـلاه سـارب

انـــصتو قـــولي يــا مسـلمينا　　بـــردف كــلامو الكــرار عــلينا
بـــاب المــدينة اليــعجب نــبينا　　ابـــوالحســين فــارس حــنينا
اسـدَ الكــمينا الكــر فـي اليـمينا　　شـــايل الســنينا للــروس يــهينا
الكـــافرين دقـــق طـــحينا　　كــم جــاب لعــيناً مـقبوض مـهينا
الروم تـــهاها وطشش جـــنينا　　دمـــر بـــناهم طـوال السـنينا

وقال المرحوم احمد ود سعد (١٨٣٠_١٩١٩م):

هـــاك يـــا مـــادحو غَـــنْ　　فـــــوق أبـــي الحســـن
فـــوق أبـــو الحســـينْ　　فـــــوق أبـــو الحســـين

ذو القـــــرض الحســـــن   ســـــيدي أبـــي الحســـن
قـــــوي النسب   ســـــيدي أبـــو الحســـن
قـــــلب أبـــو الحســـن   مـــــاغابْ فـــي الوســـن
شـــــدُّو لُـــــو وركِب   خـــيلو غَـــسرْ كســـن
شـــــامل الســـنين   مـــــا بـــــدور لوِسَـــنْ
السَـــــنَ الأعـــــدا   مِـــــنّو كسكســـــن
خـــــافَنْ مـــــنه   قـــــلو بُـــــمْ سَـــوّسن
لي خـــــيبر فَـــــتح   كَتَـــــر الوثـــــن
جـــــابُن بـــــالشعب   جـــــابُنْ بـــــالرَّسَن

وله أيضاً:

يـــــا ســـــادة الســـبطين   الحســـــن والحســـــين
يـــــا بـــــدور الديـــــن   يـــــا الاتـــــقيا الكِيـــــين
يـــــا ســـــليل هـــــذين   يـــــا زيـــــن العـــــابدين
يـــــا ســـــتي (فـــــاطمة)   يـــــا بـــــضعة الامـــــين
يـــــا ســـــتي (زيـــــنب)   يـــــا نـــــضرة المسكـــــين[1]

ومن الأدباء المعاصرين من جمهورية السودان الدكتور عبدالله الطيب، عمل مدرساً في كلية الآداب جامعة بغداد، ونظم هذه القصيدة بمناسبة زيارته لكربلاء عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م. عنوان القصيدة «وقفة عند الحسين».

---

١ ـ قرشي، محمد حسن: علي في الوجدان الشعبي السوداني، ص ٦٢٨، مجلة الموسم، العدد (٢ـ٣)، هولندا، ١٩٨٩م.

وقفة عند الحسين[١]

وقـفت بكـربلاء فسـال دمـعي | على السبط المُحَلأ فـي السـموم[٢]
وقـد دلفت قـنا مُـضرٍ إليـه | صـوادي وهـو كـالنُّسُك العـظيم[٣]
حـرار شـفارهنَّ مُـرنقات | إلىٰ حـرّان مـن دمـه العـصيم[٤]
إذا جسـد الإله دنـا فـويلٌ | له مـن مـنطق البشـر السـئوم
فـمن خـلق البـريَّة إن تشـهى | إحـالة ذي الجـمال إلى دمـيم
وأكـثر حبٍّ هـذا النـاس ثـوبٌ | مـن الشـهوات والشـره البـهيم
ومـن يُـظلمْ يُـضمُّ الصـدر منه | عـلى غـيظ كألسـنة الجـحيم
وكـان الزهـد أفـضل ما حـواه | كـتاب أُولي التـجارب مـن عـلوم
وبـالنجف النـبيل أبـو تـراب | أخـو الجـلّى أبـو الزهـر النـجوم
عزاء النـفس فـي حـلك المساعي | وضـير المسـتجير إلىٰ ظـلوم

وورد في كتب الشريف يوسف الهندي ـ من شعراء السودان ضمن مؤلفاته النثرية: مجموعة من قصائده نذكر قصيدة (جاء منها:

الحسنين والإمام والزهراء في القتام | زين العابدين تمام القـادات الهـمام
الكـاظم للكـلام والراضـي بـالقسام | الهـادي للأنـام والبـاقر للـظلام
آل البيت يا غلام اصل الدين والنظام | في المبدأ والختام على نـيل المـرام

---

١ ـ الطريحي، محمد سعيد: أجراس كربلاء، ص ٥٤، المجموعة الأولى، مؤسسة البلاغ، بيروت.

٢ ـ المحلأ عن الورد، الذي مُنع عنه، والسموم: الريح الحارّة.

٣ ـ دلفت: تقدمت، والنُسك: بضمتين، من النسيكة وهي الذبيحة المتقرب بها إلى الله تعالى ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة.

٤ ـ مرنقات: مكدرات.

وفي قصيدة ثانية له جاء:

هـــذا طـــريقي وذا ســـبيلي وذاي هـــداي وهـــذا مشـــربي
هـــذه سكـــتي قـــديمة بـــها جـــدودي مـــضوا لربـــي
مـــنهم عـــلي كـــذا حسـين كـــذا عـــلي وأهـــل سـرب
كـــذاك بـــاقر وثـــم صـــادق وكـــاظم الغـــيظ يـــا عـرب
كـــذا تـــقي كـــذا نـــقي كـــذا جـــواد وهـــاء لن لب
كـــذا الرضـــي ابـــنهم عـــلي ومـــن له البـــشر دان شـــرب

وفي قصيدة له ثالثة جاء عن أهل البيت (عليهم السلام):

ســـفن النـــجاة للـــملأ بشـــهادة النـــص الأتـــم
هـــم النـــهى هـــم البـــهى هـــم التـــقى أهـــل الشـيم
هـــم الشـــفاعة فـــي غـــد هـــم السقاية فـــي الملـم
هـــم الهـــدايـــة حـــاضرة والنـــور والقـــصد الأعـــم
الطـــيبون الطـــاهرون مـــن ســـوء أرجـــاس اللّـــمَمْ

ولا يخفى على ذوي الألباب من اشارات بليغة من حذف الشاعر للصفات وأسماء الفاعل وإثبات المصادر والاسماء بدلا عنها.

كما لا يخفى اعتقاد الشاعر الكامل بعصمة أهل البيت (عليهم السّلام) عن اللمم فضلا عن غيرها من الذنوب والكبائر وذلك واضح في قوله:

الطاهرون من سوء ارجاس اللمم

وغير هذه الأبيات عند الشاعر الكبير في مدح أهل البيت (عليهم السّلام) وشـعر المـداح السـوداني غـني بـمدح أهـل البـيت وإبـراز مـقامهم الرفـيع عليهم السلام.[١]

---

١ ـ أحمد حسن، الطيب: أهل البيت (عليهم السلام): تراث المسلمين في السودان، ص٨٨.

وهنالك الكثير من شعراء الصوفية الذين تخصصوا في مدح آل البيت (عليهم السّلام) وهذا أحدهم يسمىٰ البرعي ومعروف في السودان يقول:

هم أهل البيت الواضح سرهم

زرهم بمحبة لتنال من برهم

سيدي الحسين الثائر دُرّهم

وعلي زين العابدين حبرهم

جعفرنا الصادق مع موسى صدرهم

أستاذنا الباقر في العلم بحرهم

في البر وبحرهم لله درّهم[1]

←

مستل من مجلة أهل البيت، العدد(١)، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١ ـ حسن، عبدالمنعم: بنور فاطمه اهتديت، ص ٥٠، دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

أهل البيت (ع): تراث المسلمين في السودان

ان لأهل بيت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم مكانة رفيعة وقدراً عالياً عند المسلمين جمعياً موالاة وحبا ومودة في قلوب المؤمنين. ذلك الاجلال والحب نابع من سببين رئيسيين:

اولهما: ـ شهادة الله. ومن أكبر من الله شهادة. في كتابه العزيز لهم بذلك القدر والمقام الرفيع وأمر بمودتهم حيث قال: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» آية ٣٣ سورة الاحزاب، ويقول تعالى أيضاً: «قل ما اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى» آية ٢٠ الشورى.

ثانيهما: ـ شهادة الرسول بأن الحق فيهم ومعهم وان التمسك بهم مؤد الى النجاة. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهلَ بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهم).

وهذا الحديث المعروف «بحديث الثقلين» قد ورد بلفظه المار ذكره أو بالفاظ أخرىٰ وبذات المضمون في خمسة من الصحاح الستة مسنداً إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبطرق كثيرة في غيرها وهو يعتبر في الواقع حجة بالغة على العالمين[1]. وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ان لحديث الثقلين

---

١ ـ راجع تفسير ابن كثير ج ٣١١/٤ ط دار احياء الكتب العربية بمصر، كنز العمال ج ١٥٣/١، ١٥٤، نظم درر السمطين للدربندي الحنفي ص ٤٣٢ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ←

طرق تزيد على العشرين وبالتتبع بلغ رواة هذا الحديث الشريف من الصحابة ٣٥ صحابياً.

بينما نجد ان الحديث الآخر (كتاب الله وسنتي) لم يرد إلا في سنن أبي داود وانما أول ما ورد في موطأ مالك مرسلاً من غير سند إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي صورة غاية في الوهن ونقله الآخرون عن موطا مالك أيضاً مرسلاً.

المسلمون في السودان ليسوا بدعا من الأمة المسلمة لذلك يعرف الكثيرون منهم اهل البيت (عليهم السّلام)، لأن ائمة أهل البيت عليهم السّلام كانوا يطرحون أنفسهم قادة لكل الأمة الاسلامية لا لطائفة بعينها من المسلمين. وربما لبعض الظروف نسي البعض أو تناسى معرفتهم لأهل البيت أو ضعف ارتباطهم وصلتهم بهم.هذا مع احتفاظ قطاع كبير بتلك المعرفة وتلك الصلة.

ان معرفة وصلة الشعب السوداني بأهل البيت (عليهم السّلام) تتجلى في عدة مظاهر منها:

١) الولاء الديني والسياسي:

ان ارتباط قطاع كبير من الشعب السوداني سياسياً ودينياً بالطوائف الثلاثة الكبرى المتمثلة في الختمية والانصار والطريقة الهندية يرجع اساساً إلى اعتبار

←

ص٣٠/٤١ و ٣٨ جامع الاصول لابن كثير ج١/١٨٧ ط مصر. المعجم الكبير للطبراني ص١٣٧. احياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف ص ١١٤. الدر المنثور ج٦ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ الصواعق المحرقة ١٤٧ و ١٤٨ و ٢٢ المعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ١٣٥ وتاريخ الشام لابن عساكر ج ٤٣٦/٥، الجامع الصغير للسيوطي ج١/٣٥٣ طبقات ابن سعد ج٢/١٩٤. خصائص الامام علي للنسائي ص ٢١ مسند احمد ج ٣ ص ٢١٧ و ٢٢٦، ٥٩، ١٤ ج ٤/٣٦٦/ الحاكم للنسائي ص ٢١. في المستدرك على الصحيحين ج/١٤٨ والذهبي في التلخيص ج٣/١٠٩ وغيرها.

أنهم ينتمون إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه حقيقة لا يمكن انكارها لمن له ادنىٰ المام بشئون السودان.

٢) بعض الأسماء المنتشرة في السودان:

ان هناك بعض الأسماء التي اختص بها أهل البيت (عليهم السّلام) دون غيرهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً

وتناقلها اتباعهم ومحبيهم خلفاً عن سلف. وهذه الاسماء هي علي (المرتضى)، فاطمة (الزهراء) (البتول)، حسن، حسين، زين العابدين، (السجاد)، الباقر، الصادق، الكاظم، رضا. كل هذه الأسماء هي من الأسماء المنتشرة في السودان بكثرة مقارنة مع غيره من الدول العربية والاسلامية الأخرىٰ وفي ذلك دلالة عميقة على الارتباط بأهل البيت (عليهم السّلام).

٣) الطرق الصوفية:

لا توجد طريقة صوفية في السودان يجهل منتسبوها أهل البيت (عليهم السّلام) بل ويكنون لهم حباً واحتراماً جماً وللدلالة على ذلك نشير إلى بعض ما ورد في كتب الشريف يوسف الهندي كنموذج حي لما اسلفنا:

(أ) اللهم إنما نحمدك بجميع محامدك السنية ونسألك بذاتك وصفاتك والكتب القديمة والأديان، ان تصلي وتسلم على محمد وآله وصحبه في كل طرفة عين، وعلى صالح آبائه وأزواجه وأبنائه والاخوان، وعلى إمام الائمة علي وسيدتنا فاطمة الذين تخيرت لنبيك منهما الذرية، وابنيهما سيدى شباب أهل الجنة وريحانتي نبي هذه الامة الحنان، وعلى ائمتنا علي زين العابدين ومحمد الباقر العلوم الدينية، وجعفر الصادق و موسى الكاظم قادة الانس والجان وعلي الرضا ومحمد الجواد الهداة الهادية المهدية، وعلي الهادي والحسن العسكري الخالص وارثي اسرار

النبوة وعلوم القرآن وامامنا المهدي صاحب البشار. الفاطمية، الذي لا خير في العيش ولا من الحياة بعده لأهل الايمان.

(ب) جاء في كتاب له آخر مايلي: «الحمد لله الذي جعل ذرية نبيه من ظهر علي وفاطمة بنيه وهم الحسنيه والحسينية، حتى قال عليه الصلاة والسلام:

(كل نبي ذريته من صلبه وانما جعلت ذريتي من صلب علي وفاطمة) وهما السبطان. وهنا ننثر درر انساب اهل بيته المطهرين من الارجاس الدنيوية ونجعلها في سلك ننظم فيه انجمن الهداية لاأنجم العيوق وكيوان. فأُم الامامين الحسنين السبطين ولدي علي امام الائمة وصاحب الوصية.

فاطمة الزهراء سيدة نساء الآخرة والأولى وبضعة تاج الأصفياء محمد إمام أهل الإيمان، وهي التي اورثها الله من أبيها القطبانية وورثها منها ابنها الحسن وورثها منه أخوه الامام الحسين الشهيد بكربلاء بواسطة أهل العدوان، والامامة في بني الحسين ولم يدعها أحد من بني الحسن ولا ادعاها لهم مدع من الامة الاسلامية والإمامية يعتمون في الامامة النصوص الصحيحة.... وهي معدومة في بني الحسن باتفاق أهل هذا الشأن.

ويمضي الكتاب على هذا النسق فيذكر اسماء الائمة(عليهم السّلام) وأسماء امهاتهم واحداً بعد الآخر ويذكر مآثرهم وكراماتهم حتى يصل إلى المهدي ويذكر انه هو الذي دخل السرداب وعمره بضعة أعوام...

(ج) ولم يكتف المؤلف بذكر أهل البيت (عليهم السّلام) ضمن مؤلفاته النثرية بل ضمنهم مجموعة من قصائده ذكرناها في باب «أهل البيت (عليهم السلام) في الوجدان الشعبي السوداني».

٤) انتساب بعض القبائل لأئمة أهل البيت (عليهم السلام):

ونحن اذ نورد انساب بعض هذه القبائل لايعنينا مناقشة صحة ذلك الانتساب أو عدمه في هذا المقام وإنما نورده للتدليل على صدق مدعانا حول معرفة الكثيرين من ابناء الشعب السوداني لأهل البيت (عليهم السّلام). وكأمثلة على انتسابهم للائمة الذي ذكروه وهو مثبت في بعض الكتب وننقله هنا بحرفيته:

(أ) العبدلاب: وهم الذين اقاموا اول دولة للمسلمين في السودان بالاشتراك مع الفونج بعد قضائهم على دولة علوه للمسيحية من عام ٩١٠هـ (١٥٠٤م) يذكرون ان نسبهم يرجع إلى السّيد محمد التقي بن الحسن العسكري (هكذا في الأصل) بن السيد علي الهادي بن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سبط سيد الكونين مولانا وسيدنا أبي عبدالله الحسين بن بضعة خير البرية صلّى الله عليه وسلم السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من الامام علي كرّم الله وجهه.(١)

(ب) الركابية: وهم يذكرون ان نسبهم يرجع إلى الامام موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن سيدي الحسين بن سيدتي فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

تنتمي قبيلة الرِّكابيّة بالسودان إلى غلام الله بن عائذ الركابي، الوافد من اليمن إلى السودان في مرحلة متقدمة من التاريخ، وهو في الأصل ـ وكما تحدد شجرة النسب الموجودة بأيدي مشايخ الركابيّة ـ لا ينتمي إلى القبائل القحطانية اليمنية وإنما ينحدر في نسبه من الأسرة الهاشمية الشريفة حيث ينتهي نسبه إلى

---

١ ـ الشريف، عون: حلفاية الملوك: التاريخ والبشر ص ٣٠٦.

سيدنا الحسين بن علي (عليهما السّلام).

ومن غلام الله بن عائذ هذا انحدر جابر الذي تذكر شجرة النسب أنه أنجب أربعة أبناء ذهب أكبرهم ـ وهو إبراهيم ـ إلى الأزهر الشريف فأخذ من علمائه الفقه المالكي وعلوم العربيّة ثم عاد إلى السودان وأعطى علمه في الفقه إلى أخوته الثلاثة الباقين فانتشروا في السودان يعلمونه للناس، فكانوا بذلك السبب الأوّل في ذيوع المذهب المالكي في السودان.

وقبيلة الركابيّة بالسودان بطون متعددة. ووطنهم الأصلي في شمال السودان على النيل في مدينة «دبّة الفقراء» وما تاخمها من قرى مثل كَرْ مَكّول وقوشابي والقُفَّاض. غير أن غالبيتهم تفرقت في أنحاء مختلفة بالسودان في غرب السودان فاستقر بعضهم في مدينة أم درمان وبعضهم في غرب السودان في منطقة بابّرة والأبيض من أقليم كردفان.[١]

ج) الجباراب:

وهم يذكرون ان نسبهم يرجع إلى الامام الرضا بن سيدي موسى الكاظم بن سيدي جعفر الصادق بن سيدي محمد الباقر بن سيدي علي زين العابدين بن مولانا الحسين بن الامام علي كرم الله وجهه بن أبي طالب سيف الله الضارب، اسد الله الغالب، فارس المشارق والمغارب، زوج البتول، بن عم الرسول، الصادق فيما يقول، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، فارس بدر و حنين.

د) المغاربة الجديان:

وهم يسلسلون نسبهم إلى الامام الرضا بن السيد موسى الكاظم بن السيد

---

١ ـ عثمان علي، الدكتور محمد: قبيلة الركابية بالسودان، ص ٤٠٤، مجلة الموسم، العدد الخامس عشر، هولندا، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

جعفر الصادق بن السيد محمد الباقربن السيد زين العابدين بن الحسين بن الامام علي بن أبي طالب.

هـ) **الشايقية**: وهم يسلسلون نسبهم إلى السّيد اسماعيل بن السيد موسىٰ الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقربن السيد الامام علي زين العابدين الاصغربن الامام الحسين شهيد كربلاء بن سيدن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه زوج السيدة فاطمة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

و) **الارتقية**:

يرجع نسبهم للإمام علي عن طريق محمدبن الحنفية وفي هذا الصدد يقول عنهم الاستاذ محمد صالح ضرار في كتابه (تاريخ سواكن والبحر الأحمر) هم فرع من آل أبي قشير، ويسكنون أسفل حضرموت من ذرية شمس الظهيرة الضاحية المنيرة سيدنا الامام العلوي محمدبن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد ولد في سنة ١٠ هـ و توفي سنة ٨١هـ بالمدينة... ومحمدبن الحنفية هو أحد الابطال الاثراء في صدر الاسلام وأمه خولة بنت جعفر الحنفية فهو ينسب إليها تمييزاً له من أخويه الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء ابنة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

ز) **الكميلاب**:

وهم احدىٰ قبائل اقليم البجه المشهورة بالشجاعة وكان الاستاذ محمد صالح ضرار يظن أنهم من ذرية مصعب بن الزبير إلى أن اقتنى كتاب (بحر الانساب) أو (المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف) للعلامة السيد محمدبن أحمدبن عمير الدين علي الحسيني النجفي النسابة. وارتاىٰ أن ينقل النسبه التي

وجدها في كتاب (نور الانوار) من تأليف السيد حسين محمد الرفاعي الذي كان من كبار علماء الأزهر الشريف ورئيس رابطة الأشراف الكبرى العالمية بـمصر. وهو يرجع نسبه إلى الامام محمد المهدي بن السيد حسن العسكري بـن السـيد علي الهادي بن السيد محمد الجوادبن السيد علي الرضي بن الامام موسىٰ الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن السبط الامام الحسين بن الامام علي(ع).

ح) الاشراف من قبائل شرق السودان:

روى السـيد محمد عثمان شنقراي ان اول من نزح من مكـة المكـرمة إلى سواكن هو جدهم المدعو الشريف محمدبن الحسـين بـن عـلي‌بن الحسـين‌بن محمودبن علي بن منيف‌بن مالك‌بن منيف‌بن شيخه‌بن حسين‌بن علي‌بن حسين‌بن محمدبن عبدالرحمن‌بن حسين‌بن عـلي‌بن احـمدبن مـوسى الكـاظم‌بن جـعفر الصادق‌بن محمد الباقربن علي بن‌الحسين بن علي‌بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ونحن في هذا المقام لايهمنا ما يثيره البعض من التحقيق في صـحة هـذه الانساب أو ذاك، وإنما اردنا فقط ان نلفت الأنظار إلى مدى المكانة السـامية لأئمة أهل البيت لدى المسلمين في السـودان.

٥ ـ الثقافة الشعبية:

نذكر على سبيل المثال انه اذا أراد أحد في السودان ان يعبر عـلى مـدى مظلوميته و بالغ الحيف الذي وقع به فإنه يقول **(مظلوم ظـلم الحسـن والحسـين)** وربما لا يدرك البعض رغم ترداده لهذه المقولة من الذي ظلم الحسن؟! ومن الذي ظلم الحسين؟! وكيف انهما ظلما؟! وانما هو يردد جزء مـن المـوروث الثـقافي الشعبي في السودان. ومن ناحيه أخرى لايكاد أحد منا في صغره لم يسمع شيئاً

من أبويه أو جديه عن سيف الكرار وشجاعة الكرار. وشعر المدائح السوداني يفيض بهذه المعاني.

وعلى كل حال فان معرفة الشعب المسلم في السودان لأهل البيت أيا كانت تلك المعرفة وارتباط البعض بهم أيا كان نوع الارتباط هو أمر فوق كل الشبهات.[١]

٦ ـ الشيعة نواة التصوف السوداني:

واجه التدين التقليدي السوداني ممثلا في الطرق الصوفية في الحقبتين الأخيرتين خاصة منذ منتصف السبعينات هجوماً مكثفاً من الاتجاه السلفي ممثلا في «**جماعة أنصار السنّة**» بقيادة رموزه البارزة كالشيخ أبو زيد والشيخ الهدية.

ومن ابرز القيادات الصوفية الواعية التي تصدت لهذا التيار **الشيخ علي زين العابدين**[٢] الذي فتح قلبه لـ«العالم» في منزله الكائن بحلفاية الملوك بالخرطوم بحري فكان هذا الحوار:

● **هنالك شبهات كثيرة تثار حول التصوف الاسلامي فما هو ردكم**

---

١ . أحمد حسن، الطيب: تراث المسلمين في السودان، ص ٨٥، مجلة أهل البيت، العدد(١)، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢ . ولد الشيخ علي زين العابدين في حوالي عام ١٩٢٤ في المديرية الشمالية (السودان) في منطقة تقع جنوب شرق القولد وهو ينتمي إلى اسرة عريقة في العلم والصلاح من السادة الركابية.

اكمل دراسته في الأزهر الشريف. وانهى سنوات التخصص في ١٩٤٣ ثم عمل في الخدمة المدنية في مصر.

ساهم في العديد من المؤتمرات.

صدر له من الكتب «تابع الاولياء والاولياء» و«البراءة من الاختلاق في الرد على أهل الشقاق والنفاق».

عليها؟

ان التصوف بمفهومه الحقيقي هو دين الله الاسلامي الذي شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده وارتضاه لهم دينا إلى قيام الساعة ولكن بعد ان وقعت الفتنة بين المسلمين في العصور الاولى وكثرت فرق الضلال والزندقة وتفرقت الأمة إلى ثلاث وسبعين امة كما اخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بدأ المسلمون يتلمسون الطريق الصحيح الذي كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يجدوا ملجأ عند فرقة من كل هذه الفرق الا الفرقة الناجية التي كانت على ما كان عليه الرسول وأصحابه وهذه الفرقة هي فرقة **أهل البيت**.

● **اذن هنالك علاقة متينة بين التصوف والتشيع؟**

نعم لم يجد الذين يتلمسون الحقيقة ملجاً الا عند أهل بيت رسول الله(ص) وهؤلاء وجدوا الحقيقة وهم الذين سموا فيما بعد بالمتصوفة وهم أنفسهم الشيعة لأنهم وقفوا إلى جانب اهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم). والشيعة كانوا نواة التصوف. وتفرقت بعد ذلك الطرق الصوفية، وجميع مسالك واسانيد ودلائل الطرق الصوفية ترجع إلى أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ولابد هنا ان أذكر امراً يجهله الكثير من الناس وهو معنى كلمة «**الشيعة**» وسبب «**التشيع**». كلمة الشيعة في اللغة العربية معناها الحزب أو الجهة المناصرة. وقد سموا شيعة لأنهم وقفوا الى جانب آل البيت حين فرّ الناس عنهم وناصروهم حين حاربهم الناس والتفوا حولهم حين اعتزلهم الناس ولذلك سموهم بالشيعة وعلى مرور الزمن صار هذا الوصف علما عليهم بالغلبة.

اما سبب تشيعهم فقد ورد في كتاب الله أكثر من ثلاثمائة آية في حق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحا لهم حتى سمي حزبهم بحزب الله.

أهل السنّة حقيقة هم الشيعة وأن انتزع غيرهم هذا الأسم. ومعلوم أن الامام الشافعي من شدة حبه لآل البيت اتهم بالرفض ومما قاله في ذلك:

ان كـــان حب مـــحمد وآله رفـــض

فـــليشهد الثـــقلان انـــي رافـــض

ومعلوم أيضاً ان مالك بن انس من تلاميذ الامام جعفر الصادق وابو حنيفة من تلاميذ الامام زيد وكان زيديا ومن أجل هذا نكل به. كما أخذ عن الامام جعفر الصادق أيضاً فهو من تلاميذ أهل البيت. وما نكل به الا لاتهامه بالتشيع الخفي. اما أحمدبن حنبل فقد دلّ على تشيعه ما أورده من مناقب آل البيت في مسنده. و ما افرد في المناقب العلوية كتابا مستقلاً. وقد قال الشيخ احمد بن حنبل: «ما ورد في حق أحد من أصحاب رسول الله (ص) مثل ما ورد في حق علي كرم الله وجهه من المناقب بالاسانيد الحسان».[١]

٧) تضامن الشعب السوداني واستنكارهم ورفضهم لاغتيال عالم أهل البيت(ع) السّيد مهدى الحكيم.

امتدت في الخرطوم يد السوء والجريمة لتغتال السّيد **مهدي الحكيم** أحد أبرز شخصيات المعارضة العراقية في الخارج وابن المجتهد الأكبر السّيد محسن **الحكيم** الذي توفي في العام ١٩٧٠.

ببرودة دم تم اغتيال السّيد الحكيم الذي كان في زيارة للعاصمة السودانية بناء على دعوة من الجبهة الاسلامية القومية لحضور المؤتمر العام للجبهة. سيارتان عاديتان تحملان لوحتين دبلوماسيتين توقفتا بهدوء امام الفندق الذي

---

١ . محمد كاني، احمد: الشيعة نواة التصوف، ص ٣٦، مجلة العالم، العدد ٢٠٩، لندن، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ينزل فيه الحكيم وتوجه القاتل إلى السيد الحكيم الذي كان خرج لتوه من صلاة العشاء وأطلق عليه الرصاص من الخلف ثم اطلق رصاصة على قدم ابن شقيقته ومرافقه عبدالوهاب الحكيم ثم رصاصة في بهو الفندق لدب الذعر والفوضى في الحاضرين، الذين في معظمهم وزراء الزراعة العرب الذين تستضيفهم الخرطوم بمناسبة انعقاد مؤتمر اللجنة الزراعية العربية، وبعدها فر القاتل بسيارته الدبلوماسية إلى مقر سفارته.

وقد ذكر شهود عيان ان السيد الحكيم كان عائداً لتوه من اجتماع عقده مع الدكتور حسن الترابي الذي كان قد انهى ثلاثة أيام من المناقشات والمداولات التي حضرها ثلاثة آلاف مندوب و مشارك و مراقب من عدة دول و منظمات وأطراف اسلامية. وعاد السيد الحكيم إلى فندقه وتناول العشاء ثم ذهب لمركز الصلاة وعندما انتهى هم إلى منطقة استقبال الفندق لأخذ مفاتيح غرفته فأطلقت عليه رصاصات الغدر.

وأكد الشهود أن جثة المرحوم بقية ممدة على الأرض لمدة نصف ساعة حتى وصل إلى مكان الحادث نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية السوداني سيد احمد الحسيني الذي أشرف على معاينة الجثة قبل نقلها، وبعدها صرح الوزير للصحفيين بأن السودان «لن يسمح بان تتحول ساحته إلى مكانة لتصفية الحسابات». ولاحظ المراقبون ان وزير الزراعة السوداني عمر نور الدايم كان حاضراً وقت حصول الحادث اضافة إلى عدد من وزراء الزراعة العرب. ولوحظ أيضاً ان الفندق وأمكنة الاجتماعات لم تكن محاطة باجراءات امنية غيرعادية التي تحصل عادة في مثل هذه المناسبات واللقاءات.

وذكر الشهود انه بعد حصول الجريمة اتخذت الحكومة سلسلة اجراءات

امنية متشددة تمثلت في اتخاذ احترازات أمنية على الطرقات العامة والمراكز الرسمية والفنادق وكذلك اقامة نقاط تفتيش للسيارات والجسور لالقاء القبض على المجرمين. وكذلك أقدمت الحكومة على تعطيل الملاحة الجوية لفترة قصيرة ثم فرضت رقابة على الاقلاع والهبوط منذ مساء الأحد الماضي ومنعت مغادرة الطائرات المطار الدولي الا بعد تفتيشها وتدقيق هويات المسافرين بها. ولوحظ في اليوم التالي ان معظم الصحف السودانية اليومية قدر ابرزت الخبر في صدر صفحاتها الأولى دون ان ترد اتهامات محددة لجهات معينة. وكذلك لوحظ ان ابن شقيقة المرحوم عبدالوهاب رفض الذهاب إلى المستشفى وفضل العلاج في الفندق.

وأكدت مصادر مطلعة في هذا الصدد ان الحكومة السودانية كانت منزعجة جداً من حادث الاغتيال واعتبرته موجها ضدها وضد الشعب السوداني الذي يمر في مرحلة صعبة للغاية.

ونقلت مصادر مطلعة ان حكومة السودان تشعر ان العملية محاولة لضرب الاستقرار الداخلي و تحويل أرضه إلى صراعات بين الخصوم ومنطقة خصبة لتصفية الحسابات. وذهبت بعض المصادر إلى القول ان حكومة السودان منزعجة لان هناك بعض الأطراف تحاول الاساءة للتجربة الديمقراطية وسياسة التعايش التعددي في أطار وحدة السودان، كما انها رأت في الجريمة خطوة مدروسة لزعزعة الاستقرار الأمني الداخلي وتشويه صورة السودان الخارجية ومحاولة للتشويش على العلاقات الطيبة التي تربط الخرطوم بأكثر من جهة عربية.

والمعروف ان السيد الحكيم قد أجبر على الخروج من العراق في العام ١٩٦٩ بتهمة تدبير محاولة انقلاب وبعد توجيه التهمة اليه حول الاشتراك في

تخطيط لقلب نظام الحكم نجح في الهرب إلى الخارج واستقر في دبي وبقي فيها إلى العام ١٩٧٩ حيث توجه إلى لندن ليمارس نشاطه الثقافي والسياسي والديني من العاصمة البريطانية. وفي العام ١٩٨٣ أسس السيد الحكيم مركز «**أهل البيت الاسلامي**» في لندن واتخذ منه نقطة اتصال وتواصل في علاقاته السياسية وانشطته الاسلامية والثقافية. وقد كتب السيد الحكيم خلال هذه الفترة العديد من المقالات والابحاث والدراسات التي نشرها في مجلات ومطبوعات اسلامية عربية وكذلك شارع في عشرات الندوات والمؤتمرات والاجتماعات التي اتصفت بلونها الاسلامي.[١]

---

١. ....: اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم في الخرطوم، ص٢٠، مجلة العالم، العدد ٢٠٦، لندن، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

المؤسسات الشيعية

١ـ جمعية آل البيت الخيرية:[1]

تعتبر هذه الجمعية السودانية جمعية فكرية تصطبغ بمسحة وطابع روحي وتضمّ في عضويتها عدداً من المثقفين وأساتذة الجامعات، وهم ذوو مسالك صوفية.

وجاء في تعريف الجمعية: إن الجمعية حركة إسلاميّة تستلهم أفكارها من الكتاب والسّنة، وقد اختارت الجمعية اسم آل البيت بهدف توحيد الكلمة حول محور واحد هو حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السّلام.

أثمرت نشاطات الجمعية الاجتماعية: إصدار مجلة **(الهدى المحمدي)**.

وفي مناسبة ذكرى مولد الصّديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها أقامت الجمعية احتفالاً رائعاً في صالة الشارقة بجامعة الخرطوم شارك فيها محبّو الزهراء عليها السّلام، وقد تحدّث رئيس الجمعية الشيخ نيل أبو قرون عن مناقب سيدة نساء العالمين وتطرّق إلى حقد أعداء الاسلام على أهل البيت ومحاولاتهم الاساءة للتاريخ الإسلامي.[2]

وكذلك أقامت الجمعية مجلس عزاء بمناسبة شهادة امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام يوم الخميس المصادف ١٢/١٢/١٩٧٢م في نادي

---

١ . حسب قوانين دولة السودان: أي نشاط أو تجمع شعبي أو ثقافي يجب ان يكون في اطار مؤسسة خيرية تلتزم بمنشورها.

٢ . مجلة رسالة الثقلين /السنة الأولى / العدد الرابع /ص٢٢٨.

الضباط في الخرطوم حيث حضره العلماء من السودان واساتذة الجامعات من أمثال الدكتور حسين النور والدكتور عبدالوهاب سر الختم من جامعة الخرطوم تحدثا باسهاب حول شخصية علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

أشار الدكتور سر الختم في معرض حديثه قائلاً: «إن أكثر علماء الشيعة والسنة متفقون على ان عدداً من الآيات القرآنية نزلت في شأن علي(ع) وأضاف ان الآية: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...» والذين آمنوا اشارة إلى سيدنا علي وفاطمة الزهراء. وبعدها تحدّث الشيخ نيل قائلاً: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه. يجب ان يكون حياة علي(ع) منهاجنا في الحياة».

وضمن المحاضرات كانت بعض الفرق الصوفية تنشد المدائح في رثاء أميرالمؤمنين (عليه السلام).

استطاعت جمعية آل البيت ان تعقد ندوات اسبوعية لنشر الإسلام وفق مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) في الخرطوم وبعض الولايات الشمالية في السودان، وقد طبعت كتباً في هذا المضمار واجرت ندوات من الشاشة المتحركة السودانية. هذا وقد اقدمت الجمعية في الآونة الأُخيرة ببناء مسجدآل البيت في مدينة الخرطوم وقد افتتح في شهر ربيع الأوّل عام ١٤١٥هجرية.

مؤسس جمعية آل البيت هو الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون شيخ الطريقة في السودان، من مواليد الخرطوم عام ١٩٤٧م. اتم دراسته الجامعية في جامعة الخرطوم وعمل قاضياً في المحكمة العليا بالعاصمة السودانية، ثم وزيراً للشؤون القانونية لعدة سنوات. ونظراً لدراساته العميقة حول مذهب أهل البيت (عليهم السّلام)؛ اصبح من دعاة مذهب أهل البيت (ع) في السودان.[١]

---

١ ... : أساس الدعوة في الإسلام، ص ٣٢، مجلة العالم، العدد ٣٢٥، لندن، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

هذا هو نص الكلمة التي القاها الشيخ النيل عبدالقادر أبو قرون، رئيس الجمعية في الإحتفال الثالث الذي أقامته جمعية آل البيت الخيرية بذكرى مولد سيدة نساء العالمين السيدة فاطمةالزهراء على أبيها وعليها السلام.

الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٩٣م دار الشرطة ببرى

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

يا أحباب آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا أقول لكم الشكر الجزيل على حضوركم لاحتفالنا الثالث بمولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء التي يرضى الله لرضائها ويغضب لغضبها ولكني أقول لكم البشرى بحضوركم هذا الذي هو إظهار المودة لآل بيت رسول الله. المودة التي فرضها الله علينا.

فهذا الحفل هو إظهار لقيامنا بهذه الفريضة التي يجب أن ترى في حياة المسلمين وتُحس في سلوكهم. وقد فرض الله علينا مودة آل البيت في قوله جل وعلا «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» وحينما سئل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هم قرابتك هؤلاء الذين فرض الله علينا مودتهم قال: «فاطمة وعلي وأبناهما» والأمر ليس كما يقول بعض الذين يجهلون أمر دينهم وعقيدتهم أو أولئك الذين ملئت قلوبهم بجفاء رسول الله وآله فهؤلاء

يتحدثون عن احتفالنا بمولد سيدة نساء أهل الجنة بأنه بدعة وذلك إما لجهلهم أو لفساد عقيدتهم الخالية من محبة النبي وآل بيته الأطهار إنما الأمر هو وجوب إظهار فريضة محبة آل البيت حتى ينتبه الغافلون عنها ويستبصر السالكون بها وينجو المعتصمون بها ويستيقين المستمسكون بها.

فقد عشنا زمناً طويلاً لا نعرف متى ولدت السيدة فاطمة الزهراء بضعة رسول الله التي يغضبه ما يغضبها ويؤذيه ما يؤذيها بل نجد البعض يتحرجون من ذكر السيدة فاطمة والاحتفال بمولد السيدة فاطمة كاننا نعيش في عهد اليزيد في حكم بني أمية الذين اعتبروا آل البيت معارضة لحكمهم فقتلوهم وقتلوا من يعاضدهم وتتبعوا محو سيرتهم بل جعلوا شتمهم من ملذاتهم ولعن علي (عليه السّلام) على منابر المساجد أعواماً طويلة كان سنة ما أقبحها من سنة بني أمية وأصبح الناس يخافون صحبة من يمجد آل البيت لألا يتهم الرجل بمعارضة النظام فيقوده ذلك إلىٰ الهلاك وبالتالي ابتعد الناس خوف السلطان من إظهار مودة آل بيت نبيهم المفروضة عليهم وصار الأمن الأموي بالمرصاد لكل من يقول عليه السّلام للإمام علي أو يقول الصلاة علىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقال أنه من شيعة آل البيت ويحكم عليه بما يرى السلطان واستمر الحال كذلك في العهد الأموي والعهد العباسي وما بعد ذلك واقتصر الناس في الصلاة على النبي بقولهم (صلى الله عليه وسلم) بدلاً من قولهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذها الناس بتراء بهذه الصيغة إلى يومنا هذا كأنهم لا يزالون في عهد بني أمية. وقد آن لنا أن ننتبه ونتبع الهدىٰ المحمدي فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء» وهي التي لا يذكر فيها الآل. وآن لنا أن نقيم من الشعائر ما يظهر صحة العقيدة فإن من خلا جوفه من محبة آل البيت فقد فسدت عقيدته والنار

مثواه لقول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) «والذي نفس محمد بيده لو أن أحداً صفن بين الركن والمقام وصلىٰ وصام ومات وهو مبغض لنا أهل البيت دخل النار» والمحبة تترجم بأفعال تناسبها وهي إظهار تعظيم المحبوب وآثاره وإحياء ذكراه كلما سنحت سانحة.

وإننا لا نكتفي بأن نحيي في العشرين من جمادى الآخرة في كل سنة ذكرى مولد سيدة نساء العالمين التي يرضى الله برضاها ويغضب لغضبها بل نطالب الدولة الإسلامية أن تصحح يوم المرأة العالمي ليكون هو يوم ولادة السيدة فاطمة الزهراء وتنشر فيه سيرتها وحياتها لتكون المثل الأعلى للمرأة المسلمة لمجتمع مسلم يبتغي وجه الله في كل توجهاته وسلوكه.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر وأكرر شكري للّجنة الثقافية بدار الشرطة ببرى لتعاونهم الكريم معنا هذا لإحياء ذكرى مولد السيدة فاطمة الزهراء وهذا مما يدل علىٰ حسن توجههم وتمسكهم بمحبة نبيهم وآله بيته فداموا سنداً للتوجه الإسلامي وذخراً لحماية شرع الله.

وأشكر كذلك كل المشائخ والأحباب الذين حباهم الله بمحبة آل بيت رسول الله فتكبدوا مشاق المجيء لهذا الحفل المبارك فزادوا نوراً علىٰ نورهم وبركة علىٰ بركاتهم بفضل من تطمع أن نفوز برضائها فننيل رضا الله لأن الله يرضىٰ لرضائها. عليها وعلى أبيها وبعلها وأبنائها السّلام. وعلينا وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته.

٢ ـ جمعية الثقلين الخيرية:

استمدت شعارها من الحديث النبوي الشريف «**اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي**».

ويرأس الجمعية الشيخ محمد[١] الشيخ الريح الشيخ حمد النيل من كبار الطريقة القادرية في ولاية الخرطوم والذي هداه الله واستبصر بجهود المخلصين من اتباع أهل البيت (عليهم السّلام). لهذا نراه يُعلن إخلاصه بجهوده المكثفة في نشر تعاليم أهل البيت (عليهم السّلام) إذ إنه يشرف حالياً على ثلاثين مسجداً في مدينة الخرطوم.

من جهوده في الجمعية إقامة مجالس العزاء لسيد الشهداء الحسين بن علي

١ . في عام ١٩٩١م تعرّف الأخوة الشيعة في الخرطوم على الشيخ محمد الريح وهو من العائلات السودانية المعروفة وممثل إحدى اكبر الفرق الصوفية هناك يحمل افكاراً في ضمنها اسئلة كثيرة استوحاها من اعداء أهل البيت (عليهم السّلام)، وكان يريد لها اجوبة مقنعة.
استقبله الأخوة برحابة صدر واستمرت المناظرات ودامت المباحثات طيلة ستة أشهر خرج منها الشيخ وهو مؤمن بواقع القضية وأصبح من الموالين المخلصين لأهل البيت (عليهم السّلام).
وبمساعدة الأخوة الشيعة في الخرطوم وما قدّموه من مساعدات معنويه وماديه قام الشيخ محمد الريح بتاسيس جمعية الثقلين الخيرية استوحى اسمها من الحديث النبوي الشريف: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي».
وما إن تأسست الجمعية حتى انخرط أقرباء وأصدقاء والموالين للشيخ في سلك الشيعة الجعفرية الأثنى عشرية.
وبعد برهه وجيزة من الزمن قام الشيخ بإقامة أوّل مجلس عزاء في السودان لسبط النبي الأكبر سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السّلام) في العشرة الأولى من محرم عام ١٤١٥ هجرية وكان لها أكبر الأثر في نفوس الحاضرين والمشاركين؛ حيث القيت فيه مختلف المحاضرات التي تكشف عن المصائب التي جرت على أهل البيت (عليهم السّلام).

(عليهما السّلام) في العشرة الأولى من شهر محرم والذي بدأه من سنة ١٤١٥ هجرية.

إصدار كتاب تحت عنوان: **أهل البيت (عليهم السّلام) في آية التطهير**. ضمن مجلة **«الثقلين»**.

نبذة موجزة عن حياة الشيخ محمد الريح حمد النيل

المولد والنشأة:

ولد الشيخ محمد الريح حمد النيل بمدينة أم درمان (عام ـ ١٩٥٩م) في السودان.

وقبل دخوله إلى المدارس الأكاديمية، أرسله أهله إلى إحدى جلسات القرآن الكريم لتعلم وحفظ كتاب الله العزيز.

بعد ذلك تدرج في المدارس الأكاديمية حتىٰ تخرج من معهد أم درمان العلمي العالي.

وأما في المجال الديني فهو رئيس الطريقة العركية القادرية في ولاية الخرطوم، كما أنه المؤسس والأمين العام لجمعية الثقلين الخيرية، بالإضافة إلى كونه إمام وخطيب مسجد الشيخ إسحاق في مدينة أم درمان.

مع مؤلفاته:

للشيخ محمد الريح عدة مؤلفات منها:

أبو طالب مؤمن قريش.

المهدي (عليه السّلام).

الحجج الباهرة في العترة الطاهرة.

الفرق بين / الجزء الأول.

الفرق بين / الجزء الثاني.

الزهراء (عليها السّلام).

الخطب المنبرية.

بنو هاشم و بنو أمية.

وكنموذج من مؤلفاته نتصفح الجزء الأول من كتابه الفرق بين الفرق والذي يبحث فيه مميزات الشيعة الأمامية والزيدية من جهة ومميزات أهل السنة من جهة أخرى، والفوارق بين الفريقين، ويقول في هذا الصدد:

«لانتكلف الأمر، فنحن نعتمد أولاً على العقل السليم والفهم القويم الذي ميز به الإنسان دون غيره من المخلوقات... لابد من إعمال العقل السليم وتمحيص الحق لنعرفه من بين ركام الباطل، ونزن الأمر بميزان العدل، فنرجح كفة المعقول...» عن كتابه الفرق بين: ج ١ ص ١.

ثم يشرع بعد ذلك بشرح معنى كلمة «الشيعة» وكيفية نشوء التشيع والآراء المطروحة حوله... ثم يعطي ابرز الفروق والتشابهات بين الشيعة والمعتزلة، وبين الشيعة والاشاعرة. ثم يرجع إلى التعريف بالشيعة الأمامية وإعطاء الفرق المائز بينهم وبين الزيدية.

المتعة بين التحريم والتحليل:

يتناول الشيخ محمد الريح في الجزء الأول من كتاب الفرق بين الفرق إحدى المسائل الخلافية بين الشيعة والسنة، ألا وهي مسالة زواج المتعة، فالشيعة يرون حليته بينما السنة حرمته!

يعتمد السنة في تحريم زواج المتعة على تحريم عمربن الخطاب الذي

تواتر عنه القول: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء».

وأدنى تدبر في هذه العبارة نجد أن هذا التحريم اجتهاد من قبل عمر مقابل النصوص القرآنية والنبوية الشريفة، وهو يضاف لاجتهاداته وابتداعاته العديدة كـ(صلاة التراويح)، حذف حي على خير العمل من الأذان إضافة التثويب في أذان الفجر،...).

ويذكر الشيخ محمد الريح بعض المصادر التي تؤكد وجود المتعة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم حرمها عمربن الخطاب فيما بعد، مثل: تفسير السيوطي: ج ٣ص ١٤١. كنز العمال: ج٨ ص ٢٩٢. بداية المجتهد: ج ١ ص ٢٤٦. زاد المعاد: ج ٢ ص ٢٠٥. المغني لابن قدامة: ج ٧ ص ٥٢٧. المحلى لابن حزم: ج ٧ ص ١٠٧. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ٢ ص ١٦٧. أحكام القرآن: ج ١ ص ٢٧٩. تفسير النيشابوري: ج ٥ ص ١٧. تفسير الفخر الرازي: ج ٢ ص ٢٠٠ تفسير القرطبي: ج ٥ ص ١٢٠ صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٤.

وأما شيعة أهل البيت (عليهم السّلام) فيستندون في تحليل زواج المتعة الى مصادر التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى:

(فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهم فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة أن الله كان عليماً حكيماً) النساء: الآية ٢٤.

وهذه لآية صريحة في جواز هذا النكاح، ولم يثبت نسخ هذه الآية لأنه لو كان ثابت لاستدل به عمر ومن نهج نهجه، ولما اعتمد هو وغيره على القوة والعنف في التحريم! وكذلك يستند الشيعة إلى السنة النبوية، يقول عبدالله بن مسعود:

«كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس لنا نساء. فقلنا: ألا

نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبدالله:

«يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

(صحيح مسلم. كتاب النكاح: ج ٤ ص١٠٢٢ بأساليب متعددة. صحيح البخاري: ج ٣ ص ٨٥ و ١٥٩. مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٤٢٠ باختصار. سنن البيهقي: ج ٧ ص ٢٠٠ـ ٢٠٢ تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٨٧).

الخلاصة:[١]

يسجل الشيخ محمد الريح في كتابه خلاصة القول، بأن حكم المتعة باق و جار و ان الذين يحرمونه، فهم على غير هدى، بل يغضون النظر عن كثير من المحظورات تحت ستار المدنية في صور شتى! ولذا يجب الأخذ بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ونبذ ما سواهما، يقول تعالى:

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر: الآية ٧.

كانت للجمعيات الشيعية السودانية الأثر البالغ في توعية المثقفين من الجامعيين وغيرهم من المتعلمين وعلى سبيل المثال نرى السيدة الدكتورة خديجة كرار الاستاذة في جامعة أم درمان الاسلامية تقف بصمود وتخطب في يوم المرأة العالمي وبتاريخ ١٩٩٣/١٢/٥م امام الجماهير المحتشدة لتقول: «هذه اللحظة الآن تعطره ذكر فاطمة الزهراء بنت المصطفى(ص) التي قال عنها آنها

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحولون (حقائق و وثائق)، ص ١١٦، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

سيدة نساء العالمين وانها سيدة نساء الجنة فلماذا نحتفل نحن اليوم بذكرى هذه السّيدة هل ميزها كونها بنت المصطفى(ص)؟ هل اعطاها ذلك فضلاً مادياً على نساء العالمين كلا اننا اذا ما وقفنا على حياة هذه السيدة الجليلة فاننا سنستشف منها مواقف هي رمز وتجسيد لمعان الدين الحنيف. لنرى ماذا قال عنها المصطفى(ص) نحن نعلم انها كانت الخليفة له في العناية والرعاية بعد وفاة السّيدة خديجة (عليها السّلام) وإذا كنا نريد ان نصف السّيدة فلن نستطيع ان نصفها ابلغ من ما وصفها به المصطفى(ص) حينما كان يناديها بأم أبيها فالامومة تجسيد للحنان والعطف وتجسيد للتمازج بين روح الأم والابن فكانت هذه الزهراء نعم الخلق لخير سلف للسيدة خديجة (عليها السّلام).

كان الرسول (ص) إذا كان مسافراً كان آخر من يرى السيدة فاطمة وكان اذا عاد من سفره أول من يرى السيدة فاطمة هل كان هذا تكريما لامرأة عادية كلا تعالوا نقف عند موقف من حياتها يختص بهذه العادة التي اعتادها الرسول (ص)...

السيدة فاطمة كانت كثيرة الدعاء لا لنفسها في عبادتها ولكن للمسلمين من حولها حتى ان ابنها مرة قال لها لماذا لا تدعين لنفسك قالت: يا بني الجار ثم الدار. هذه الروح المؤثرة تحمل همّ الامة وهمّ الرسالة في روحها وهذا يعكس جانباً انسانياً في شخصية هذه المرأة العظيمة».

١ ـ الشيخ النيل عبدالقادر ابو قرون

مؤسس جمعية آل البيت

٢ ـ الشيخ محمد الريح حمد النيل

مؤسس جمعية الثقلين الخيرية

٣ ـ الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني

مؤلف كتاب: الحقيقة الضائعة

٤ ـ المحامي عبدالمنعم حسن

مؤلف كتاب: بنور فاطمة اهتديت

٥ ـ المحامي محمد علي المتوكل

مؤلف كتاب: ودخلنا التشيع سجداً

٦ ـ الاستاذ محمد الفاتح

وبما أننا تكلمنا ـ فيما مضى ـ عن الشيخ النيل عبدالقادر ابوقرون والشيخ محمد الريح حمد النيل؛ سنبدأ بالشيخ معتصم سيد أحمد السوداني.

٣ ـ الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني

مؤلف كتاب:

١ ـ الحقيقة الضائعة

٢ ـ رحلتي نحو مذهب آل البيت(ع)

٤ ـ مقتطفات من حياتي

أيام صباي:

كانت تنتابني الرغبة منذ صغري.. وتشدني الفطرة نحو الالتزام بالدين، وكانت الصورة التي تراود ذهني وأستشف منها مستقبلي، لا تخرج عن اطار التدين فكنت ارى نفسي عبر أحلام اليقظة بطلاً وفارساً إسلامياً مجاهداً، ردّ للدين حرمته وللاسلام عزته لم أكن قد تجاوزت المراحل الأولى في المدارس الأكاديمية، ولذلك كانت أفكاري قاصرة، والمامي بتاريخ المسلمين وحضارتهم محدوداً، ولم أكن أعرف الا بعض القصص عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وحروبه مع الكفار، وبطولات الامام علي (عليه السلام) وشجاعته.. وبعد دراستنا لتاريخ الدولة المهدية في السودان، أعجبت بشخصية (عثمان دقنة) وهو أحد قواد جيش المهدي الثائر في شرق السودان، وكان يشدني جهاده عندما كان استاذنا في التاريخ يصور لنا استبساله وعظمة شخصيته، وهو مجاهد بين الجبال والوديان.. وهكذا تعلق قلبي به، وبنيت آمالي على أن اكون مثله، وبدأت أفكر بعقلي الصغير للوصول لهذا الهدف فكان طريقي الوحيد الذي كنت أتصوره أن أكون خريجاً في المستقبل من الكلية الحربية العسكرية حتى أتدرب على فنون القتال واستعمال السلاح، وعشت على هذا الهوس سنين من عمري.. حتى انتقلت

إلى المرحلة الثانوية، وفيها تفتحت مداركي وازدادت معرفتي.

كيف كانت البداية:

كان البحث عن المنهج والفكر الناضج والثقافة المسؤولة صعباً وكانت المرحلة مريرة رغم أن بحثي كان بصورة عفوية وفطرية ففي أثناء حياتي الطبيعية كنت أسأل وأناقش وغير ذلك ولم يكن هناك تفرغ للبحث والمثابرة.

وبعد الغزو الوهابي العنيف على السودان واشتداد المناظرات والمناقشات وازدياد الاسئلة الواقعية تلك الاسئلة العفوية التي كانت تراود ذهني.

فكثر اهتمامي بالوهابية متابعاً لمناظراتهم وندواتهم التي كانت تشدني وأهم ما تعلمته منهم في تلك المرحلة هي الجرأة وتحدي الواقع ومخالفته فلقد كنت أعتقد أن الواقع مقدس لا يمكن التهجم عليه أو التعرض له رغم ملاحظاتي الكثيرة عليه التي غالباً ما كنت أستشفها من وجداني وفطرتي فكنت أتحفظ على كثير من أفعال وممارسات المجتمع الديني.

فواصلت معهم المسير ودار بيني وبينهم كثير من المناقشات التي كانت في الواقع عبارة عن تلك الاسئلة التي كانت حائرة في ذهني فوجدت لبعضها أجوبة أرضتني في تلك المرحلة وأسئلة لم أجدلها أجوبة عندهم فكان هذا كفيلاً بالنسبة لي أن أتعاطف معهم وأشد أزرهم مع بقاء بعض الملاحظات التي كانت حائلاً بيني وبين أن ألتزم تماماً بالمنهج الوهابي أولها وأهمها أنني لم أجد عندهم ما يكفيني ويلبي طموحاتي الرسالية وكان الوسواس يأخذني أحياناً بقوله: إن الذي تفكر فيه وتبحث عنه شيء مثالي لا واقع له وأن الوهابية أقرب نموذج للإسلام ولا بديل غيرها.

الأخرى ولكن سرعان ما أنتبه إلى أن الذي صنع العظماء في الاسلام لا يمكن أن يكون هذا الفكر الوهابي فكنت أصرخ إن الوهابية هي أقرب الطرق إلى الاسلام لما يقيمونه من أدلة ونصوص على صدق مذهبهم لم أشهدها في الطوائف الأخرى في السودان ـ ولكن مشكلتهم أن هذا المذهب الذي يتبنوه أشبه بقوانين الرياضيات فهو عبارة عن قواعد و قوانين جامدة تطبق من غير أن تكون لها انعكاسات حضارية واضحة في حياة الإنسان وفي فن تعامله مع هذه الدنيافي شتى الأصعدة الفردية منها أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وحتى في كيفية العلاقة مع الله تعالى بل العكس تماماً فكثيراً ما تجعل الإنسان متوحشاً في عزلة عن المجتمع بما يحمله من صكوك التفكير لكل قطاعاته فلا يستطيع الواحد منهم أن يتعايش مع المجتمع فيتميز عنهم بلباسه وتصرفاته وفي كل جزئية من حياته لا يتآلف إلا مع أقرانه فكنت أحس منهم الغرور والكبر والأنفة لأنهم ينظرون إلى الناس من شاهق عال لا يتفاعلون معهم ولا يشاركونهم في حياتهم وكيف يشاركونهم؟! وكل ما يفعله المجتمع بدعة وضلال وأنا أذكر جيداً عندما دخل المد الوهابي إلى قريتنا في مدة قليلة ومن غير دراسة ووعي انضمت مجموعة كبيرة من الشباب إلى الخط الوهابي ثم لم يستمر الزمن كثيراً حتى تخلوا عنه جميعاً وكان هذا توقعي لأن المذهب الجديد منعهم من مخالطة المجتمع وحرم عليهم كثيراً من العادات التي تربوا عليها وهي في الواقع لا تخالف الدين.

ومن الطريف أن أذكر أن الأشياء التي كان يعاني منها الشباب المنضمون إلى الوهابية أنه كان من العادة في قريتنا أن الشباب ليالي القمر يجلسون على الرمال الصافية ويتسامرون ويقضون أوقاتهم وهي ساعة اللقاء الوحيد لشباب القرية الذين يعملون طوال النهار في مزارعهم وأشغالهم المتعددة فكان شيخهم

يمنعهم من ذلك ويحرمه عليهم بحجة أن رسول الله(ص) حرم الجلوس في الطرقات رغم أن هذه الأماكن لا تعتبر طرقات ثانياً وهي مشكلة كل الوهابية أن الواحد منهم بزمن قليل من تدينه وبقليل من العلم يصبح مجتهداً يحق له أن يفتي في أي مسألة وأذكر يوماً أن أحدهم كان جالساً معي أناقشه في كثير من الأمور وفي أثناء النقاش انتفض قائماً بعدما سمع صوت أذان المغرب في مسجدهم قلت له: مهلاً نكمل حديثنا قال: لا حديث قد حان وقت الصلاة هيا لنصلي في المسجد قلت له: أنا أصلي في بيتي ـ رغم التزامي بالصلاة معهم قال صارخاً: باطلة صلاتك. ذهلت من هذا القول وقبل أن أستفسر أدار ظهره ليذهب قلت له مكانك ما هو سبب بطلان صلاتي في البيت؟.

قال (بكل افتخار وعجب) قال رسول الله(ص) لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قلت له لا خلاف في أفضلية صلاة الجماعة في المسجد ولكن هذا لا يعني سلب صحة الصلاة في غير هذا الموضع والحديث ناظر لتأكيد هذه الأفضلية لا لتبيين حكم الصلاة في البيت والدليل على ذلك أننا لم نر في الفقه أن من مبطلات الصلاة الصلاة في البيت ولم يفت أحد من الفقهاء في هذه المسألة ثم ثانياً بأي حق تصدر هذه الأحكام؟! هل أنت فقيه؟! ومن الصعب جداً أن يفتي الإنسان ويبين حكماً لموضوع معين فالفقيه يقوم بدراسة كل النصوص في مثل هذا المورد ويتعرف على دلالة الأمر والنهي في النص هل يدل الأمر على الوجوب أم على الاستحباب والنهي هل يدل على الحرمة أم الكراهة فهذا الدين عميق فاوغل فيه برفق.

بدا الانكسار في وجهه وعبس وبسر ثم قال: أنت تؤول الحديث والتأويل حرام.. وذهب..

فاحتسبت أمري لله من هذا الأحمق الذي لا يفهم شيئاً.

هذه العقلية المتحجرة كانت هي السبب الثاني الذي حال بيني وبين أكون وهابياً رغم أنني تأثرت بكثير من أفكارهم فكنت أتبناها وأدافع عنها.

وبقيت على هذه الحال مدة من الزمن تائهاً لاقرار لي ولا اتجاه أقترب من الوهابية حيناً وأبتعد عنها حيناً آخر ورأيت أن الحل الوحيد أمامي بدلاً من الكلية العسكرية أن أدرس في كلية أو جامعة إسلامية حتى أواصل بحثي بطريقة أكثر دقة وإمعاناً وبعد إمتحاني للجامعة وكانت هناك سنة رغبات من الجامعات والمعاهد التي يرغب الطالب في دراستها فلم أختر غير الجامعات والكليات الإسلامية وبالفعل تم قبولي في أحد الكليات الإسلامية (وهي كلية الدراسات الاسلامية والعربية في جامعة وادي النيل في السودان) فطرت فرحاً وأعددت العدة لهذه المرحلة الجديدة في حياتي وبعد أداء التدريب العسكري (الدفاع الشعبي) الذي لا يمكن دخول الجامعة إلا بعد الفراغ منه بدأت الوفود من مختلف أنحاء السودان بالمجيء إلى الجامعة وكنت أنا من أولهم. وبعدها انطلقت إلى المكتبة التي حوت كثيراً من الكتب والموسوعات الضخمة فأصبحت ملازماً لها ولكن المشكلة التي واجهتني هي من أين أبدا وأي شيء أقرا؟

وبقيت على هذا الحال انتقل من كتاب إلى آخر وقبل أن أضع لنفسي برنامجاً فتح لي أحد أقاربنا باباً واسعاً ومهماً في البحث والتنقيب وهو دراسة التاريخ وتتبع المذاهب الإسلامية لمعرفة الحق من بينها وكان الفتح توفيقاً إلهياً لم يكن في حسباني عندما التقيت بقريبي عبدالمنعم وهو خريج كلية القانون ـ في منزل ابن عمي في مدينة عطيرة وقبل غروب الشمس رأيته في ساحة المنزل يتحاور مع احد (من الأخوان المسلمين) الذي كان ضيفاً في البيت فأرهفت السمع

لأرىٰ فيم يتحادثان وأسرعت إليهم عندما علمت بطبيعة النقاش وهو في الأمور الدينية فجلست بالقرب منهم أراقب تطورات المحاورة التي امتاز فيها عبدالمنعم بالهدوء التام رغم استفزازات الطرف الآخر وتهجمه ولم أعرف طبيعة النقاش بتمامه إلى أن قال الأخ المسلم: الشيعة كفار زنادقة(١)...!!

هنا انتهت وأمعنت النظر ودار في ذهني استفهام حائر..

من هم الشيعة؟ ولماذا هم كفار؟

وهل عبدالمنعم شيعي؟

وللإنصاف إن عبدالمنعم أفحم خصمه في كل مسألة طرحت في النقاش بالاضافة إلى لباقة منطقه وقوة حجته.

وبعد الانتهاء من الحوار وأداء صلاة المغرب انفردت بقريبي عبدالمنعم، وسألته بكل احترام هل أنت شيعي؟ ومن هم الشيعة؟ ومن أين تعرفت عليهم؟ قال: مهلاً.. مهلاً سؤال بعد سؤال.

---

١ . بإجماع المفسرين ـ ماعدا القرطبي ـ نزلت آية الفسق في حق الوليد، ولكن مرشد الإخوان ينسبها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ يقول في تفسيره: «وفي سبب نزول هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» ترد روايتان يشترك في أحداثهما علي وعبدالرحمن بن عوف من المهاجرين. و سعدبن معاذ من الأنصار...

وروى ابن أبي حاتم: حدثنا محمدبن عمار. حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله الدشتكي أبو جعفر. عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: «صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر. فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموا فلاناً قال: فقرأ: قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون! فأنزل الله: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتى تعلموا ما تقولون».(*)

* سيّد قطب: في ظلال القرآن، ص ٦٦٤، ص ٦٦٥، المجلد الثاني، الجزء الخامس، من سورة النساء، دار الشروق، بيروت / القاهرة، الطبعة الشرعيّة العاشرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

قلت له عفواً، أنا مازلت مذهولاً مما سمعته منك.

قال: هذا بحث طويل ومجهود أربع سنوات من العناء والتعب مع الأسف لم تكن النتيجة متوقعة.

فقاطعته: أي نتيجه هذه؟

قال: ركام من الجهل والتجهيل عشناه طوال حياتنا نركض خلف مجتمعاتنا من غير أن نسأل هل ما عندنا من دين هو مراد الله تعالي وهو الاسلام؟ و بعد البحث اتضح أن الحق كان مع أبعد الطرق تصوراً في نظري وهم الشيعة. قلت له لعلك تعجلت.. أو اشتبهت...!

فابتسم في وجهي قائلاً: لماذا لا تبحث أنت بتأمل وصبر؟ وخاصة أن لكم مكتبة في الجامعة تفيدك في هذا الأمر كثيراً.

قلت (متعجباً) مكتبتنا سنية فكيف أبحث فيها عن الشيعة؟!

قال: من دلائل صدق التشيع أنه يستدل على صحته من كتب وروايات علماء السنة فإن فيها ما يظهر حقهم بأجلى الصور.

قلت: إذن مصادر الشيعة هي نفس مصادر أهل السنة؟!

قال: لا فإن للشيعة مصادر خاصة تفوق أضعافاً مضاعفة مصادر السنة كلها مروية عن أهل البيت(ع) عن رسول الله(ص) ولكنهم لا يحتجون على أهل السنة بروايات مصادرهم لأنها غير ملزمة لهم فلابد أن يحتجوا عليهم بما يثقون به أي ألزموهم بما الزموا به أنفسهم.

سرني كلامه وزاد تفاعلي للبحث قلت له إذن كيف أبدأ؟

قال: هل يوجد في مكتبتكم ـ صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد والترمذي والنسائي؟

قلت: نعم عندنا قسم ضخم لمصادر الحديث.

قال من هذه ابدأ ثم تأتي بعد ذلك التفاسير وكتب التاريخ فإن في هذه الكتب أحاديث دالة على وجوب اتباع مدرسة أهل البيت.

بعد مراجعة تلك الأحاديث في البخاري ومسلم والترمذي في مكتبة جامعتنا تأكد لي صدق مقالته وفوجئت بأحاديث أخرىٰ أكثر دلالة على وجوب اتباع أهل البيت مما جعلني أعيش في حالة من الصدمة لم نسمع بهذه الأحاديث من قبل؟!

وبعد قراءتي لكتاب المراجعات والنص والاجتهاد وبعض الكتب الأخرىٰ، اتضح لي الحق وانكشف الباطل، لما في هذين السفرين من أدلة واضحة وبراهين ساطعة بأحقية مذهب أهل البيت.

وازدادت قوتي في النقاش والبحث، حتى كشف الله نور الحق في قلبي، وأعلنت تشيعي[1]...

٤ ـ المحامي عبدالمنعم حسن

مؤلف كتاب:

(بنور فاطمة اهتديت)

ظلال التشيع في السودان

يقول المحامي الأستاذ عبدالمنعم حسن وتحت عنوان ظلال التشيع في السودان: بعد أن انتبهت من الغفلة وبدأ نور الحقيقة يكشف عن الواقع التفت إلى مجتمعي في السودان الذي يتميز بالبساطة والفطرية والأخلاق الدينية، فوجدت أن هنالك أشياء أخرى بدأت تظهر لي بعد استبصاري وهو أن الخلفية الثقافية التي بنى عليها الشعب السوداني نمط سلوكه وطريقة تفكيره خلفية شيعية بلا أدنى شك، لاحظت ذلك في كل مفردة من مفردات الحياة العامة في الشارع السوداني بل أن معظم معتقداتهم تهتف بأن للتشيع جذوراً عميقة في السودان وأذكر أن أحد الإخوة قال لي: إن الصوفية ثمرة التشيع أو هم فرعان لأصل واحد بل الصوفية هم الشيعة في ثوب سني فقلت له: إذاً السودان بلد شيعي إنحرف به التيار.

وباطلاعي على التاريخ وجدت إشارات تبين هذه الحقيقة، وأعتقد أن الدولة الفاطمية التي قامت في مصر لها الأثر في ذلك، إذ أن حوض النيل الذي يربط بين مصر والسودان كان من العوامل المساعدة لانتقال التشيع إلى السودان في عهد الدولة الفاطمية وهي دولة شيعية.. وحب أهل البيت(ع) وما يرتبط بهم من عقائد بصورة مجملة من الثوابت الفكرية المشتركة بين مصر والسودان ومقامات أهل البيت(ع) في مصر وتسيير القوافل من السودان لزيارتها شاهد على ذلك حتى قال أحد المشايخ في السودان ويدعى محمودالبرعي وله قصائد كثيرة في مدح أهل البيت(ع) في إحدى قصائده «مصر المؤمنة بأهل الله» ويقصد أنها مؤمنه بأهل البيت(ع).

ولا أحد ينكر عمق المحبة لأهل البيت(ع) في مصر والسودان، وأنا لا أستطيع أن أحصر كل تلك المظاهر ذات الجذور الشيعية ولكن ما وجدناه من آثار يدل على أن الشيعة انتقلوا إلى السودان يوماً ما وكرسوا في نفوس الأجيال محبة أهل البيت(ع) دون أن يعلنوا عن عمق معتقدهم وربما يكون ذلك تخوفاً بعد أن تذوق الشيعة الأمرين على طول التاريخ.

ومما نستظره من كتب التاريخ أن أعتماد الدولة الفاطمية في جيشها كان على السودانيين وكان الحرس الخاص لخلفائها منهم، يقول ابن الأثير في تاريخه الكامل ١١/ص٣٤٦ وهو يصف ما فعله صلاح الدين الأيوبي في أعوان الفاطميين إن مؤتمن الخلافة ـ كان من السودانيين ـ حاول أن يقضي على صلاح الدين الأيوبي قبل أن يسيطر تماماً على البلاد ويهلك الحرث والنسل فعلم صلاح الدين بما دبر له فتربص بمؤتمن الخلاقة واسمه جوهر حتى قتله ثم يقول ابن الأثير فغضب السودان الذين بمصر لقتل مؤتمن الخلافة، فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفاً وقصدوا حرب الأجناد».

وقع القتال «وكثر القتل في الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأُخذت عليهم أفواه السكك... (إلى أن يقول) فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد».

إذا لقد كان للسودانيين حظوة في عهد الفاطميين ولم يكن ما حدث لهم إلا لأنهم تبنوا مشروع الدولة الفاطمية وهو الدعوة لأهل البيت(ع) ومقاومتهم لصلاح الدين الأيوبي المناويء للشيعة أكبر دليل على ذلك «وقد كانت الثورة ضد صلاح الدين من قبل الجند الفاطمي وأكثرهم من السودانيين»[١].

---

١ . حسن، عبدالمنعم: بنور فاطمة اهتديت، ص ٤٧، دار المعروف، قم المقدسة، الطبعة الأولى،

٥ ـ المحامي محمد علي المتوكل

مؤلف كتاب:

(ودخلنا التشيع سجدا)

يقول المحامي محمد علي المتوكل:... في هذه المرة كان عليّ أن أواجه أسرتي بقرار تهون إلى جانبه كل القرارات السابقة إذ يتعلق الأمر هذه المرة بالعقيدة والمذهب وقد كفاني الناس عناء إبلاغ أبي وأمي باختياري الجديد و ماترتب عليه من تحول جذري في حياتي الدينية فقد تبرع بعض الاصدقاء بإبلاغهم ذلك كل بالصورة التي ارتضاها وربما أراد بعضهم الإيقاع بيني وبين أهلي بينما كان دافع آخرين هو الحرص على ديني والإشفاق علي.

أيا كانت الدوافع فقد تلقى والدي النبأ بحكمته التي أعرفها جيداً واعتماداً على ثقته بابنه وكنت حينئذ بالخرطوم وتقيم اسرتي في الشمال وعند أول لقاء بيني وبين أبي لم يحدثني مباشرة عما بلغه عني من أنباء ولكن بدلا عن ذلك أخذ يسدي إليّ مجموعة من النصائح القيمة ويدعوني إلى التريث والتثبت قبل أن أخطو أي خطوة مصيرية في حياتي فهمت مراده وطمأنته على نفسي وعلى سلامة مسيرتي وقدمت له بعض كتل الدعاء المأثور عن أهل البيت(ع) فأقبل على قراءتها بشغف شديد ثم انتقى من مكتبتي مجموعة من الكتب ظلت تلازمه على الدوام منها «نهج البلاغة» للإمام علي(ع) و «كلمة الرسول الأعظم» للشهيد حسن الشيرازي وغيرها وكان كتاب «النص والاجتهاد» للسيد شرف الدين هو أخطر الكتب التي قام بمطالعتها باهتمام شديد وبعد أن فرغ من القراءة في زمن قياسي

←

١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

فأجاني بسؤال محدج قال: أترى أن أبا بكر وعمر ـ هكذا ـ كانا محقين في تعاملهما مع الزهراء(ع) بتلك القسوة كان سؤاله مباغتاً وكنت أفضل أن يتوصل إلى الحقيقة تدريجياً وبنفسه لذلك أجبته قائلاً ذلك أمر يصعب البت فيه ولابد من البحث والتحقيق.

أما والدتي ـ ذلك الإنسان البسيط ذو التدين الفطري والمعرفة المحدودة بالتاريخ والفقه وغيره من قضايا الدين ـ فقد بدت منزعجة جداً بعد أن سمعت بعض ما تناقلته النسوة من حديث حول ابنها وكان أكثرهن لا يميز بين شيعي وشيوعي لذلك كن يستغربن كيف تحول ذلك الشاب المتدين من واعظ يدعو الناس إلى الإيمان إلى شيوعي لا دين له؟!

ومع ذلك فإن أمي انتظرت ريثما تفهم الحقيقة مني ولم ترتب على كلام الناس شيئاً وما أن التقينا بعد طول افتراق بادرت باستيضاح الأمر مني فحرت في أمري إذ كيف أبين لها حقيقة التشيع وهي لا تعرف عن «التسنن»: شيئاً شأنها في ذلك شأن أكثر الناس ـ رجالاً ونساء ـ قلت لها دعيني اسألك يا أمي من تعرفين من الصحابة أجابت أعرف علياً وفاطمة بنت محمد والحسن والحسين وحمزة والعباس قلت لها ذلك يكفي وكل ما في الأمر أن الناس بعد وفاة النبي(ص) انقسموا إلى قسمين قسم صار مع علي وفاطمة والحسن والحسين وأبنائهم إلى اليوم وهم الشيعة وقسم خالفهم واتبع غيرهم وهم الذين عرفوا بأهل السنة ونحن بعد أن عرفنا هذه الحقيقة رأينا الحق في إتباع أهل البيت(ع) فصرنا شيعة لهم في ذلك شيء قالت لا شيء في ذلك ونحن نحب أهل البيت ونحب من يحبهم وهكذا اطمأنت الوالدة وحمدت الله أن ولدها لازال متمسكاً بدينه كأقوى ما يكون.[1]

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحولون حقائق ووثائق، ص ٦٧٠. دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٢هـ.

٦ ـ الأستاذ محمد الفاتح

رحلة الأستاذ محمد الفاتح ضياء الدين العابد المالكي نحو مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

... السبب في انتمائه لمذهب أهل البيت(ع) ما كتب في مقالة مطوله نقتبس منها الأمور التالية:

ان جدته لأمه كانت تأمره بالصلاة الكاملة على محمد وآل محمد وكانت تحب آل البيت خصوصاً السيدة فاطمة والامام الحسن والأمام الحسين.

استاذه في المدرسة في حصة التربية الدينية قال في الدرس بينما كان الأمام علي يغسل جثمان النبي الطاهر(ص) لم ينتظر الصحابة عودته فعقدوا الخلافة في سقيفة بني ساعدة ولم يعطوه حقه في الأنتخاب وتمت البيعة والخلافة بدونه وقد اثار هذا الأمر في نفسي الشعور بمظلومية الأمام علي(ع) فتعاطفت مع الأمام علي(ع)[1]...

---

١ ـ آل قطيط، هشام: المتحولون حقائق ووثائق، ص ٢٥٧، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

الطائفة الختمية وآل البيت (عليهم السلام)

أ ـ نشأة الختمية:

يرجع الفضل في تأسيس طائفة الختمية إلى السيد محمد عثمان «الختم» وهو ينحدر من أسرة عريقة في نسبها وعظيمة في مكانتها تصل في نهايتها إلى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

يظن الدكتور احمد محمد احمد جلي في كتابه «طائفة الختمية»: ان سلسلة المراغنة تعتريها بعض الأشكالات: ان سلسلة هذا النسب تثبت ان الحسن الخالص أو الحسن العسكري الامام الحادي عشر عند الشيعة له ابن هو (علي النقي) ومنه انحدر المراغنة وهذا ما لا يقول به الشيعة، لأنهم يعتقدون ان ابن الحسن العسكري هو (محمد المهدي) الذي اختفى وهو غلام في الخامسة أو الثالثة من عمره فضلاً عن ان بعض المؤرخين ينكرون وجود ابن للحسن العسكري الأمر الذي يقود الى الشك في تسلسل نسب المراغنة بهذه الصورة.

ان هذا النسب لو صح في بدايته فلا شك أنه في وقت متأخر قد اختلط ببعض الدماء الاعجمية، وما اسم «ميرخورد» الذي ورد أكثر من مره واسم «ميرغني» الذي يقول المراغنة انه أسم فارسي الّا اوضح دليل على ذلك.[1]

وفيما يتعلق بنسبة المراغنة الى الجد الحسن العسكري يرى السيد أحمد ابن السّيد محمد عثمان الميرغني أنهم ليست الاسرة الوحيدة في العالم الاسلامي

---

١ . احمد جلي، الدكتور احمد محمد: طائفة الختمبة أصولها التأريخية وأهم تعاليمها، ص ١٤٣، ص ١٤٤....

أو في السودان التي تنسب نفسها إلى الحسن العسكري على سبيل المثال في مصر توجد اسرة السّيد أحمد البدوي والتي تمت بصلة قربى لبيت السادة الخفاب في بربر في شمال السودان مما يجعل هذه الاسرة أيضاً تنتسب إلى السّيد الحسن العسكري ويعتقد السّيد احمد ان البواعث السياسية وحدها هي التي دفعت بعض الجهات إلى إنكار شريفية البيت الميرغني.

ولقد جاء في اكثر من مصدر الاشارة إلى انتساب المراغنة إلى البيت النبوي فبالاضافة إلى ما ذكره المرتضى الزبيدي والجبرتي ويبدو ان احدهما قد نقل عن الآخر. هناك الشيخ عبدالله مراد ابوالخير من علماء مكه توفي عام ١٣٣٥هـ أكد هذا الأمر في كتابه «نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكه من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» وقد ألمح إلى هذا السفر ونبه عليه السّيد محمد الخليفة طه الريفي في كتابه «**السادة المراغنه**».

إن محاولات الميرغني في سواحل البحر الأحمر قد كتب لها الفشل نتيجة لمعارضة امبراطور الحبشة للتبشير الاسلامي وكذلك نجاح الميرغني في مصر لم يكن كبيراً وذلك لرسوخ الطرق هناك ولكن جولاته في السودان وجدت رواجاً وقبولاً منقطع النظير خاصة في شمال وشرق السودان.[١]

ب ـ الاصول الفكرية لطائفة الختمية وأهم تعاليمها ولاية آل البيت:

ان مبدأ ولاية أهل البيت هو الركن الأوّل الذي يقوم عليه اعتقاد الختمية حيث يظنون ان سلالة بيت النبي(ص) هي صاحبة الحق الأول في القيام بامر

---

١ ـ أحمد عثمان، طارق: الطريقة الختمية في السودان ١٨٨١ ـ ١٩٥٥، ص٣٢، الطبعة الأولى، دار مطبعة جامعة افريقيا العالمية للطباعة، ١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـ.

المسلمين وفي انقياد المسلمين واتباعهم لهذا النسل من بيت الرسول(ص). ان الختمية والشيعة يتفقون على هذا المبدأ ويجعلونه الأصل الأول في معتقدهم.

يرى الختمية ان الائمة من بيت النبي(ص) لا يضلون اذا ضل الناس وسيبقون على الحق إلى يوم القيامة. ويذهب اتباع الطريقة إلى تأويل الآيات القرآنية تأويلاً يتفق مع هذا المبدأ فتفسير الآية الكريمة (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ان حبل الله مقصود به آل البيت[١] ويسوق بعضهم الادلة من الأحاديث النبوية لتعضيد موقفهم وتأييد اعتقادهم ومن أبرز هذه الأحاديث حديث غديرخم والذي يعدونه أوضح دليل على ان الولاية اعطيت لعلي بن أبي طالب من عند الرسول(ص) فيكون هو الوصي على المسلمين بعد وفاة النبي(ص) ولقد تعلل الشيعة بنفس هذا الحديث في مسألة الولاية وقووه واعتبروه اصلاً من الاصول الدينية التي يجب العمل بها ولايتم ايمان المرء إلا على اساسها. وكذا يرى اتباع الطريقة الختمية يقول أحد كبار علمائهم: (كان لابد من الاخبار بولاية أمير المؤمنين وأهل البيت لان ذلك من أصول الدين لا من فروعه).[٢] ويقول أيضاً (يوم الغدير، وكانت الفرائض مفروضه والسنن مسننه والحدود قائمه والحلال بيِّن والحرام بيِّن اذاً ما الذي كان ينقص الدين حتى نزلت هذه الآية؟ ما كان ينقص الدين إلا اعلان ولاية أميرالمؤمنين وخلافته في ذلك الجمع حتى يتواتر الخبر عنه(ص) وحتى لا يطمع ذو مطمع في الخلافة عنده بعده(ص) غير الذي أعلن حقه بأمر من الله في ذلك الجمع والعترة من بعده (عليهم

---

١ ـ حامد محمد خير، محمد أحمد: براءة الشيعة من مفتريات الوهابية، ص ٢٥، بدون تاريخ.

٢ ـ زين العابدين، الشيخ علي: تاج الاوليا والاولياء، ص ١٢٧، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٤م.

السلام).

وترد في كتابات الختمية أيضاً، مجموعة احاديث أخرى يتخذونها دليلاً على ما ذهبوا اليه من وجوب طاعة والتزام آل بيت النبي(ص) وعترته من بعده، من ذلك حديث: (الا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).[١]

---

١ . أحمد عثمان، طارق: الطريقة الختمية في السودان، ص ٥٦.

جدل حول مصحف فاطمة (ع)
أثير في جريدة «آخر خبر» السودانية

مصحف فاطمة (عليها السّلام) كتاب تثار حوله كثير من علامات الاستفهام يتخللها عديد من علامات التعجب وتبدأ علامات التساؤل من العنوان، فهل هو يعني قرآناً اختصت به السيدة الزهراء (عليها السّلام) يسمّى باسمها كمصحف عائشة ونحوه؟ أم هو ليس كذلك بل كتاب آخر نسب إليها؟ ففي السودان حصل جدل في موضوع هذا المصحف في جريدة يومية اسمها «آخر خبر» وعلى مدار حلقات متتالية اتهم فيها بعض المسلمين الشيعة بأنهم يعتقدون بقرآن خاص غير القرآن المعروف اسمه مصحف فاطمة (عليه السّلام)، قد سمحت الجريدة المذكورة لبعض شيعة السودان بالرد على هذه التهمة.[١]

محتوى مصحف فاطمة (عليها السّلام):

نفت روايات أهل البيت (عليهم السّلام) اشتمال مصحف فاطمة (عليها السّلام) على أمرين هما:

الأول: القرآن

فقد اقترن اسم مصحف فاطمة في أغلب الروايات مع نفي كونه قرآناً أو احتوائه على آيات قرآنية، ومن الملفت أن نفي القرآنية عن مصحف فاطمة ورد

---

١. بركات العاملي، أكرم: حقيقة مصحف فاطمة (ع) عند الشيعة، ص ١٠، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

بتعابير مختلفة، وما ذلك إلا لدفع ما قد يتوهم من لفظ مصحف بأنه قرآن.

١ ـ عن عبدالله بن جعفر عن موسى بن جعفر عن الوشّا عن أبي حمزة عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: «مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله».[١]

٢ ـ عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبي بكير وأحمد بن محمّد عن محمّدبن عبدالملك قال: كنّا عند أبي عبدالله (عليه السّلام) نحوا من ستّين رجلا وهو وسطنا فقال: «وعندنا مصحف اما والله ما هو بالقرآن».[٢]

الثاني: الأحكام الشرعية

وليس مصحف فاطمة خالياً عن القرآن فقط بل ورد أنه خالٍ عن أحكام الحلال والحرام وهذا ما يؤكد أيضاً أنه ليس قرآناً لأن القرآن مشتمل على المئات من الأحكام الشرعية.

٣ ـ عن أحمدبن محمّد عن عمربن عبدالعزيز عن حمّادبن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السّلام) يقول: تظهر الزّنادقة في سنة ثمانية وعشرين ومائة وذلك لأنيّ نظرت في مصحف فاطمة قال فقلت وما مصحف فاطمة(ع) فقال انّ الله تبارك وتعالى لما قبض نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه الاّ الله عزّوجل فارسل اليها ملكا يسلّي عنها غمّها ويحدثها فشكت ذلك إلى اميرالمؤمنين (عليه السّلام) فقال لها اذا احسست بذلك فسمعت الصوت فقولي لي فاعلمته فجعل يكتب كلّما سمع حتّى اثبت من ذلك مصحفاً قال ثمّ قال امّا

---

١ و ٢. الصفار، محمدبن الحسن: بصائر الدرجات الكبرى ص ١٧٩، ١٧١، منشورات الأعلمي، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤.

انّه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون.[١]

ذكرت الروايات احتواء المصحف على مايلي:

١ ـ مقام النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

٤ ـ فقد ورد عن احمد بن محمّد و محمّد بن الحسين عن الحسن بن محبوب عن عليّ بن رئاب عن ابي عبيده قال: سأل ابا عبدالله (عليه السّلام) بعض أصحابنا... عن مصحف فاطمة. قال (عليه السّلام): «انّ فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها وكان عليّ يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة».[٢]

٢ ـ مستقبل ذرية الزهرا (عليها السّلام):

فقد ورد في الرواية السابقة: «... ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتّها».

٣ ـ علم الحوادث:

فقد ورد عن الصادق (عليه السّلام): «... أما انه ليس فيه الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون».

٤ ـ أسماء الأنبياء والأوصياء

٥ ـ أسماء الملوك وآبائهم

٦ ـ وصية فاطمة عليها السلام.

يحتوى كتاب وصيّة فاطمة (عليها السّلام) على مطلبين:

---

١. الصفار، محمدبن الحسن: بصائر الدرجات الكبرى، ص ١٧٧.

٢. الصفار، محمدبن الحسن: بصائر الدرجات الكبرىٰ، ص ١٧٣.

أ ـ الوصية الشرعية

وهي تتحدث عن بساتين سبعة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوقفهما على ابنته فاطمة (عليها السّلام)، فأرادت السيدة الزهراء (عليها السّلام) في هذه الوصية جعل ولاية الوقف إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبعده الحسن (عليه السلام) ثم الحسين (عليه السلام) ثم الأكبر من ولد الحسين (عليه السلام).

ب ـ الوصية السياسية

وقد نقل مضمون هذه الوصية صاحب بحار الانوار نقلاً عن زيدبن علي بعد ذكر المضمون السابق للوصية الشرعية وهذا نصُّها: «... ثم إني أوصيك في نفسي وهي أحبّ الأنفس إليّ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أنا متّ فغسّلني بيدك، وحنّطني وكفّني وادفنّي ليلاً، ولا يشهدني فلان وفلان، ولا زيادة عندك في وصيتي إليك، واستودعك الله تعالى حتى ألقاك، جمع الله بيني وبينك في داره، قرب جواره، وكتب ذلك علي عليه السّلام بيده».(١)

قال صاحب الذريعة: «مصحف فاطمة من ودايع الإمامة عند مولانا وإمامنا صاحب الزمان، كما روي في عدة أحاديث من طرق الائمة (عليه السّلام)».(٢)

---

١ . بركات العاملي، اكرم: حقيقة مصحف فاطمة(ع) عند الشيعة، ص ٦٣.

٢ . الطهراني، آغابزرگ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٢٦/٢١، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية.

المهدي والمهدية في قارة افريقيا

إن كلمة المهدي التي يرددها الكثير من المسلمين إذا رجعنا إليها من حيث تفسيرها اللغوي العام نجدها تعبر عن كل رجل عرف بالهداية والصلاح. اما من حيث مفهومها الخاص فانها ذلك الأمل المنشود والامنية المحببة لدى المتطلعين إلى الاصلاح والرشاد على يد رجل يؤمل فيه الناس أن يكون هو ذلك المصلح المنتظر، ولهذه الفكرة على نحو هذا التفسير واقعها التاريخي اذ أنها لم تكن وليدة عصر ما، ولا جديدة على المسلمين، بل إنما يرجع تاريخها إلى ماقبل الاسلام وقد اشارت اليها الأديان السماوية مبشرة بظهور رجل الاصلاح المنتظر سواءً كان نبياً أو شخصاً آخر ينهض فيهم عندما يعم الفساد ليسلك بالناس الطريق القويم وينقذهم من براثن الظلم والجور لئلا يتولد عندهم القنوط أو تصيبهم خيبة أمل من المصلحين.

ففي هذا الصدد يقول الأمير شكيب ارسلان: «اتفقت الأديان السماوية الثلاثة على ظهور واحد في آخر الزمان. فاليهود لا يزالون منتظرين المسيح الذي يجدد ملكهم قبل انقراض الدنيا. والنصارى يرون في عيسى (عليه السّلام) المسيح الذي بشرت به الأنبياء ويقولون برجوعه في آخر الوقت لإبادة الدجال الذي ينبيء به يوحنا. المسلمون أيضاً عندهم المهدي الذي يظهر قبل قيام الساعة ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ويروون عن النبي(ص) أنه قال ما معناه لا تقوم الساعة حتى يخرج من ذريتي رجل اسمه كاسمي يملأ

الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويظهر الاسلام على الدين كله. والشيعة الامامية يقولون انه محمد الحجة ابن الحسن العسكري، بن علي النقي، بن محمد التقي، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي السجاد زين العابدين، بن الامام الحسين السبط، ابن سيدنا الامام علي (رضى الله عنه وعنهم جميعاً»[١]

والفرقة الكيسانية يجعلون المهدي محمداً بن الحنفية وينتظرونه ويقولون انه لم يمت وانه مختف في جبل رضوى، بين المدينة وينبع.

والكاتب المسيحي ميشال الحايك يقول: «رفع الله عيسى اليه فاسكنه السماء الثانية وحكّمه فيها، فهو صحبة الملائكة حتى الأجل الذي قطعه الله سرّا على البشر لا يعلمونه. ومتى ازفت الساعة، ساعة نهاية الزمن، سينزله على الأرض، على ذروة جبل افيق في اورشليم، على المنارة البيضاء، شرقي دمشق. وإن للساعة اشراطاً، وان اشدها خروج الدجال، عدو الله الكافر الذي سوف يفسد الدين ويطغي الناس ولطالما تكلم عنه التقليد الاسرائيلي والمسيحي منذراً به الناس في انتهاء الزمان.

وإذ ينزل عيسى تكون الأرض قد ملئت جوراً فيملأها عدلاً، ويقيم شرع التوحيد ويحكم بسنة الاسلام.

وقد تنازع المسلمون في امر عيسى عند نزوله. فساد الاعتقاد عند الشيعة بان الموعود به لإحلال العدل النهائي هو المهدي، سليل أهل البيت من ولد فاطمة.

---

١ . نويهض، عجاج: المهدي المنتظر (مقالة في كتاب) حاضر العالم الاسلامي، ص ١٩٤، القسم الثاني من المجلد الأول، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

وهم مجمعون على الاعتقاد برجعة هذا الامام الغائب، وإن اختلفوا على اسمه. وقد شاركهم في ذلك بعض المتأخرين من المتصوفة كابن العربي وابن قسيّ وابن سبعين وابن أبي واصل فتوغلوا في تعيين الوقت والمكان لرجعة الامام المعصوم مستندين إلى الجَفْر.

اما عند السّنة فكتب الحديث التي جمعها الترمذي وابو داود وابن ماجه وغيرهم فقد روت أحاديث المهدي ومهما يكن من امر فان عيسى سينزل قبيل انتهاء العالم، عِلْماً لساعة الحساب الأخير».[١]

ويتحدث الأمير شكيب ارسلان عن مسألة الانتظار عند المسيحيين قائلاً: «كان عند ملوك الصفوية في العجم عادة، وهي اسراج رأسين من الخيل معدين دائماً في القصر لاستقبال المهدي وعيسى المنتظر مجيئهما كل ساعة. وهذا يشبه عمل بعض المتهوسين من الافرنج الذين يقيمون بالقدس منتظرين مجيء السّيد المسيح ويوم الدينونة. روى هوارت Huart الفرنساوي صاحب تاريخ العرب المطبوع سنة ١٩١٣م أن انكليزياً ورد بيت المقدس وأقام بالوادي الذي يقال انه ستكون به الدينونة، وشرع كل صباح يقرع الطبل منتظراً الحشر وسمعت أن امرأة «انكليزية فيما أظن» جاءت القدس وكانت تغلي الشاي كل يوم لأجل أن تقدمه للسيد المسيح ساعة وصوله وحدّث لامرتين الشاعر الفرنسي العظيم في في رحلته بجبل لبنان أنه زار في قرية جون السيدة استيرستانهوب ابنة أخي بيت pitt الوزير الانجليزي الشهير فرأى عندها فرساً مسرجاً دائماً ليكون ركوبة للسيد

---

١ . الحايك، ميشال: المسيح في الاسلام، ص ٢٤١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

المسيح المنتظر وصوله.»(١)

اما الاستاذ فتح الله الحيفاوي السائر بين الحقيقة والخيال يبدي رأيه قائلاً: «قيل الكثير في المهدي. والقائلون كُثر، فمنهم الغث ومنهم السمين، والمهدى حسب ما جاء في السنة عن النبي(ص) هو السمين وهو ما ينفع الناس، ولقد نقل عن النبي(ص) أن المهدي حقيقة لا خيال، وأنه من أهل بيته الطاهر، وان له أوصافاً جميلة في الخلق والخُلق، وان لظهوره مقدمات منها: كثرة الفتن وكثرة الزلازل، ومنها علامات في السماء ككسوف الشمس في وقت غير وقت الكسوف وكذا القمر. وأنه لا يظهر بين الناس إلاّ بأمر من الله يقدره، وانه يأتي قبل نزول نبي الله عيسى بن مريم لينهي كذب الصليبية ونفاقها ويقتل المسيح الدجال بباب لُدٍّ قبل القدس بساعات. واليهود اليوم يباشرون بناء قصر المسيح الدجال قرب مدينة اللد التي تبعد عن القدس بضع ساعات والمهدي يظهر في النصف الثاني من رمضان، وله صفات مأخوذة من صفات النبي محمد(ص) حيث يحبه الناس ويكون ظهوره بين الفرات والنيل ـ بلاد الشام ـ ويقود الحق والعدل في الأرض ضد الظلم والجور. وينادي به منادي من السماء فيسمع الناس به ويخبره بسرعة حيث يبايعه المؤمنون بالله واليوم الآخر، ويبتعد عنه الكفار».(٢)

وعلى ضوء هذا الأمل فقد اطلق المسلمون هذه اللفظة على جماعة من

---

١ ـ نويهض، عجاج: حاضر العالم الاسلامي، ص ١٩٥، القسم الثاني من المجلد الأول، الطبعة الرابعة.

٢ الحيفاوي، فتح الله: هل آن الأوان لظهور المهدي (عليه السّلام)، ص ٩٢، مجلة الجذور، العدد التاسع عشر، شركت الجذور لنشر الصوتيات والمرئيات، نيقوسيا ـ قبرص، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

الناس الذين شموا منهم روح العدالة الاجتماعية، والسير بهم حسب ما يقتضيه منطق الدين. إنتظاراً منهم أن يكون صاحبهم الذي وجدوا فيه هذه الخصال المحببة هو ذلك المصلح المنتظر والذي اسماه النبي(ص) بالمهدي وبشر المسلمين بظهوره.

فمن ذلك ما اطلقه البعض على عمر بن عبدالعزيز لما رأوه فيه من المشاركة الوجدانية والتنسك فنرى مثلاً وهب بن منبه يقول: إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبدالعزيز. والحسن البصري يقول: إن كان مهدي فعمر بن عبدالعزيز وإلا فلا مهدي. وقال ابراهيم بن ميسرة. قلت لطاووس: هو المهدي؟ يعني عمر بن عبدالعزيز ـ قال: هو مهدي، وليس به. إنه لم يستكمل العدل.

إذا فامارة مهدية من يتسمى بهذا الاسم أن يستكمل العدل في حكمه للحديث الوارد عن النبي(ص): «أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا».

وإمارة أخرىٰ وهي أضيق نطاقاً من سابقتها كما حددها النبي(ص) في حديث لمزيد التعريف بالمهدي «أنه من ولد ابنتي فاطمة» وإمارات أخرى لم تكن متوفرة لكن من قام باستخدام هذه الفكرة سواء كان من الهاشميين أو من غيرهم.

ولسنا الآن بحاجة إلى التدليل على صحة هذه الفكرة فإنه قد كفتنا الموسوعات القديمة والمؤلفات الحديثة ومن رجع إليها وجد أن الأخبار الواردة في تاييد هذه الفكرة تبلغ حد التواتر فنرى ابن حجر يذكر في صواعقه مايزيد على الخمسين طريق في صحة حديث المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

وسنتحدث عنه بالتفصيل ـ في المستقبل ـ إنشاء الله.

والباعث الذي دعانا إلى هذا الحديث هو ان الكثير من الدوّل الاسلامية في قارة افريقيا استخدمت قضية المهدي لترويج دعواتها فالدولة الفاطمية عندما ظهرت بتونس ادعت أن عبيد الله مؤسسها هو المهدي. ومحمدبن تومرت لما قام بمصمودة في المغرب قام بالدعوة إلى المهدي، وبها تأسست دولة الموحدين بني عبدالمؤمن. وقام في أيام الدولة المرينية بفاس رجل اسمه التويزري أصله من توزر من تونس وادعى أنه المهدي و اعتصم برباط حصين اسمه (ماسا) بالسوس الأقصى. واعصوصب حوله رؤساء صنهاجة فقتله المصامدة. وكذلك ظهر رجل آخر اسمه العباس بين سنتى ٦٩٠ و ٧٠٠ للهجرة في نواحي الريف من المغرب وقال انه المهدي وثار معه جماعة فقتل و انتهى أمره. وظهر في السنيغال سنة ١٨٢٨ ميلادية رجل ادعى أنه المهدي وأحدث ثورة ثم انكسر وذهبت ريحه ولما احتلت فرنسا مصراً في زمن بونابرت قاتلهم بين دمنهور و رشيد رجل مغربي من طرابلس ادعى أنه المهدي ومازال يقاتلهم حتى قتل.

وبعد ثورة أحمد عرابي بمصر ظهر في السودان رجل اسمه محمد أحمد ادعى أنه المهدى ويقال ان والده كان يسمى عبدالله وأمه كانت تسمى آمنة.

وفي هذا المجال يقول الدكتور محمد سعيد القدّال: «احتلت فكرة المهدي المنتظر حيزاً واسعاً في التراث الإسلامي والفكرة أساساً شيعية، ولكنها انتشرت على امتداد التاريخ الإسلامي»، ويضيف قائلاً: «وتنتعش فكرة المهدي المنتظر أيضاً عندما يكون المجتمع في حاجة إلى حركة تلم أشتاته المتنافرة، فتبرز فكرة المهدي كأوسع إطار وأشمل إطار. ففي المغرب وجدت الفكرة المناخ الديني

والسياسي الذي يتلاءم مع البيئة المغربية التي تعيش بين الصحراء والأراضي الخصبة، والجمع بين المستقرين والرحل، وبين الأغنياء والفقراء، وبين أقاليم الشمال والجنوب.

لقد وجدت فكرة المهدي المنتظر طريقها إلى كل تيارات الفكر الإسلامي الكبرى. فهي لدى الصوفية الأمل الآتي والإنقاذ. فغدت فكرة المهدي المنتظر بالنسبة للصوفية ذراعاً دنيوياً ترفع به راية العدالة الاجتماعية، كما أنها انتشرت بين أهل السنة. ولكنها عند الصوفية اتخذت طابعاً محدداً، وانتهت عند محيي الدين بن عربي إلى مؤسسة لها شروطها ومهامها».[1]

---

١. القدّال، الدكتور محمد سعيد: الامام المهدي، ص ٣٢، ص٣٣، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

المهدي

المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

في الكتاب والسنّة

المهدي المنتظر (عج)

في الكتاب

كان الحجاج بن يوسف الثقفي، يدّعي، أنه ضليع في علوم القرآن، وكان في مجالسه كثير التبجح بذلك، ولكنه كان يقول، لازلت لم أفهم معنى قوله تعالى:

«وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عـليهم شهيداً».(١)

فرد عليه أحد الجالسين قائلاً، أتعطيني الأمان وأهديك مـعناها؟ قـال له الحجاج لك الأمان فهات ما عندك.

قال: إن أهل الكتاب (النصارى) سيؤمنون بالمسيح (عليه السّلام) عـند عودته للخروج مع المهدي (عليه السّلام)، فإن الله سبحانه وتعالى يقول فيما تقدم هذه الآية:

«وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صـلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ۞ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما».(٢)

وإنه (عليه السّلام) بعد ظهوره يتلحق بالإمام المـهدي (عـجل الله تـعالى فرجه الشريف) ويدعو النصارى للإيمان به فيؤمنون به على دين الله والإسلام.

---

١ . النساء، الآية ١٥٩.

٢ . النساء، الآية ١٥٧، ١٥٨.

وقد قال الحجاج ـ وكأنه الفت إلى علم جم ـ أصبت حقاً ولكن من أين لك هذا.. قال اني علمته من محمد بن علي بن الحسين (عليهم السّلام)، قال لقد أخذته من عينه.

وقد اعترض الغافلون على القول بتبعية عيسى النبي عليه السّلام وهو من اولي العزم للإمام المهدي عليه السّلام وهو ليس بنبي، ذلك لانهم لم يلتفتوا إلى آيات من سورة الكهف تقص اتباع موسى النبي عليه السّلام وهو من اولي العزم كذلك إلى الخضر عليه السلام لأمر الله تعالى ومشيئته، فليلتفت الغافلون.(١)

البشائر في القرآن والسنة النبوية:

القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفيه تبيان لكل شيء، وهو آخر الكتب السماوية، كما أن الإسلام هو آخر الأديان، والرسول المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم النبيين، أترى القرآن لا يذكر هذا الأمر العظيم والحادث الجلل، والشأن الذي يتوقف عليه مصير العالمين، على حين يخبر عن غلبة الروم على الفرس وعن قيام دولة اليهود بالتعاون مع الدول الكبرى: «ضربت عليهم الذّلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبلٍ من الناس».(٢)

أترى القرآن لا يخبر عن ظهور الإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ كلا إن القرآن قد أخبر عن الظهور الشريف، عبر

---

١ ـ العيد، محمد محسن: المهدي المنتظر كونية العدالة وعدالة التكوين، ص ١٨٢، مجلة النبأ، العدد (٥١) السنة (٦) شعبان ١٤٢١هـ .

٢ ـ آل عمران، الآية ١١٢.

هذه الآيات المباركات المأوّلة بالإمام المهدي (عليه السّلام) وظهوره، كما صرح بذلك أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أنزل القرآن في بيوتهم، وأهل البيت أدرى بالذي فيه، واليك بعض هذه الآيات:

الآية الأولى: «ونريد أنْ نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين».[1]

المقصود من المستضعفين: هم آل محمد (عليهم السّلام) فقد استضعفهم الناس وظلموهم وقتلوهم وشردوهم وصنعوا بهم ما صنعوا، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنتم المستضعفون بعدي).

وكذا بالنسبة للآية الثانية: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم».[2]

إذ يرىٰ بأنّ هذا الوعد الالهي المؤكد بلام القسم ثلاث مرات وبنون التوكيد ثلاث مرات أيضاً لم يتحقق إلى يومنا هذا، ومتى كان المؤمنون يتمكنون من الحكم على الناس وتطبيق الإسلام بكل حرية، وبلا خوف من أحد، ثم إن الدين كان ولايزال مهجوراً ضعيفاً يحاربه كل من يستطيع محاربته، كما يحدث مثل ذلك في الصين والاتحاد السوفياتي (السابق) وبعض البلاد الافريقية والاوربية، وواضح ما يقع في هذه البلاد من الخوف والاضطهاد على المسلمين، إذاً لابد وأن يكون معنى هذا الوعد الالهي أن الإسلام سيحكم على الأرض أي جميع الكرة الأرضية، وأن جميع المناطق المعمورة سيسودها الإسلام فقط ولا غير، وهذا لن

١. القصص، الآية ٥.

٢. النور، الآية ٥٥.

يتم إلا على يد الإمام الحجة المنتظر، باذن الله تعالى.

وبنفس الجهة تأوّل الآية الشريفة «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يَرِثُها عبادي الصالحون».. إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي تعاضدت على معنى الظهور الشريف للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي به يكون صلاح المعاد والمعاش.

المهدي المنتظر (عج)

في السّنة

بعض ما جاء عن المهدي (عج) في كتب أهل السّنة:

١ ـ كتاب «المصنف» للحافظ الكبير أبي بكرٍ عبدالرزاق بن همّام الصّنعاني (ولد سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١).

٢٠٧٦٩ ـ أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: يكون إختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فيأتيه عصائب العراق وأبدال الشام فيبايعونه، فيستخرج الكنوز ويقسم المال، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض. يعيش في ذلك سبع سنين ـ أو قال: تسع سنين.[١]

٢٠٧٧٠ ـ أخبرنا عبدالرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي هارون عن معاوية بن قرة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاءً يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماءُ من قطرها

شيئاً إلا صبّته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلا أخرجته، حتى تتمنى الأحياءُ الأموات. يعيش في ذلك سبع سنين، أو ثمان، أو تسع سنين.[١]

٢٠٧٧٢ ـ أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن مطر قال كعب: إنما سمي المهدي لأنه لا يهدي لأمر قد خفي، قال: ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية.[٢]

---

١ . الصّنعاني، عبدالرزاق: المصنف، ص ٢٦.

٢ . الصّنعاني، عبدالرزاق: المصنف، ص ٢٧.

٢ ـ كتاب «سنن ابن ماجة» للحافظ أبي عبدالله محمدبن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ)

٤٠٨٢ ـ حدّثنا عُثمان بن أبي شيبة. ثنا معاويةبن هشام. ثنا عليُّ بن صالحبن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: بينما نحنُ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذْ أقبل فتيةٌ من بني هاشمٍ. فلمّا رآهم النّبيُّ صلى الله عليه وسلم، اغرورقت عيناه و تغيّر لَونُهُ. قال، فقلتُ: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرَهُهُ. فقال «إنّا أهل بيتٍ أختار الله لنا الآخرة على الدنيا. وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً. حتى يأتي قومٌ من قبل المشرق معهم راياتٌ سودٌ. فيسألون الخير، فلا يُعطونهُ فيُقاتلون فُينصرون.

فيُعطون ما سألوا. فلا يقبلونَهُ. حتّى يدفعوها إلى رجلٍ من أهل بيتي فيملؤها قسطاً، كما ملؤوها جوراً. فمن أدرك ذلك منكم، فليأتِهم وَلَوْ حَبْواً على الثلج». [١]

٤٠٨٦ ـ حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة. ثنا أحمدُبن عبدالملك. ثنا أبو المَليح الرَّقيُّ عن زيادبن بيان، عن عليِّ بن نُفيل، عن سعيد بن المُسيّب؛ قال: كُنّا عِنْدَ أمِّ سلمة. فتذاكرنا المهديَّ. فقالتْ: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ «المهديُّ مِنْ وَلَدِ فاطمة». [٢]

٤٠٨٧ ـ حدثنا هديّةُ بن عبدالوهاب. ثنا سعد بنُ عبدالحميد بن جعفر، عن علي بن زياد اليماميِّ، عن عكرمة بن عمّار، عن إسحاقبن عبداللهبن أبي طلحة،

---

١ . القزويني، محمدبن يزيد: سُنن، ص ٣٤، الجزء الثاني، حقق نصوصه محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاهُ، القاهرة.

٢ . ابن ماجة: سنن، ص ٣٦، الجزء الثاني.

عن أنس بن مالك؛ قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن، ولد عبدالمُطّلب، سادةُ أهل الجنّة. أنا وحمزةُ وعليٌّ وجعفرٌ والحسن والحسين والمهديُّ».[1]

١ . ابن ماجة: سنن، ص ٣٦، الجزء الثاني .

٣ ـ كتاب «سُنن أبي داوُد» للحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المولود في سنة ٢٠٢، والمتوفى بالبصرة في شوال من سنة ٢٧٥ من الهجرة.

٤٢٨٣ ـ حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الفضل بن دكين، ثنا فطر، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن أبي الطفيل عن علي رضى الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَوْ لَمْ يبق من الدهر إلّا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا».[١]

٤٢٨٤ ـ حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبدالله بن جعفر الرقي، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المَهْدِيُّ من عترتي من ولد فاطمة».[٢]

---

١ . السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث: سُنن أبي داود، ص ٤١، الجزء الرابع، راجعه محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء السُّنة النبوية، القاهرة.

٢ . السجستاني الأزدي، سليمان بن الأشعث: سُنن أبي داود، ص ٤١، الجزء الرابع.

٤ ـ كتاب «الجامع الصحيح وهو سُنن الترمذي» لأبي عيسى محمدبن عيسى بن سَوْرَة (٢٠٩ـ٢٩٧هـ).

٢٢٣٠ ـ حدّثنا عبيدبن أسباط بن محمد القرشيّ الكوفيّ قال: حدثني أبي. حدثنا سفيان الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زرّ عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهلِ بيتي يُواطيء اسمُهُ اسمي.(١)

٢٢٣٢ ـ حدثنا محمدبن بشار. حدثنا محمدبن جعفر. حدثنا شُعبة: سمعتُ زيداً العَمّيَّ قال: سمعتُ أبا الصّديق الناجي يُحدِّثُ عن أبي سعيد الخدريّ قال: خشينا أن يكون بعد نبيِّنا حَدَثٌ فسألنا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ في أمتي المهديَّ يخرُجُ يعيش خَمْساً... فيجيء إليه رَجلٌ فيقول: يا مهديّ: اعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمِلَهُ.(٢)

٥ ـ كتاب «البَدْءُ والتأريخ» لأبي زيد أحمدبن سهل البلخي.

ـ حدثنا يعقوب‌بن يوسف السجزيّ حدّثنا أبو موسى البغوي حدّثنا الحسن‌بن ابراهيم البياضيّ بمكة حدّثنا حمّاد الثقفي حدّثنا عبدالوهاب‌بن عطاء الخفاف حدّثنا خالد الحَذّاء عن أبي قلابة عن أبي اسماء الرحبى عن ثوبان عن رسول الله صلعم أنّه قال: «إذا رأيتم الرايات السُود من قِبَل خراسان فاستقبلوها مشيّاً علىٰ أقدامكم». وإن أوّل انبعاث ذلك من قبل الصين من ناحية يقال لها ختن بها طائفة من ولد فاطمة عليها السلام من ظهر الحسين‌بن علي ويكون على مقدّمته رجل كوسج من تميم يقال له شعيب بن صالح مولده بالطالقان والله أعلم.[١]

١. البلخي، أحمدبن سهل: كتاب البدء والتأريخ، ص ٥٥، ٥٦، الجزء الأول، مع تعليقات بالفرنسية باهتمام المستشرق كلمان هوار، باريس، ١٨٩٩ـ١٩١٩م ـ طبع بالاوفست في بغداد ـ مكتبة المثنى.

٦ـ كتاب «المعجم الكبير» للحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (٢٦٠هـ ـ ٣٦٠هـ)

١٠٢١٤ ـ حدثنا موسى بن هارون ثنا عبدالله بن داهر الرازي ثنا عبدالله بن عبدالقدوس عن الاعمش عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطيء[١] اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجورا».[٢]

---

١. يواطيء: يوافق.

٢. الطبراني، سليمان بن احمد: المعجم الكبير، ص ٧٨، الجزء العاشر، حققه حمدي عبدالمجيد السّلفي، وزارة الأوقاف، مطبعة الوطن العربي، الجمهورية العراقية.

٧ ـ كتاب «**معالم السنن**» لأبي سليمان حـمدبن مـحمدبن ابـراهـيم بـن الخطاب البُستي (المتوفى سنة ٣٨٨).

وهو شرح سنن أبي داود (المتوفى سنة ٢٧٥).

ـ قال ابو داود: حدثنا أحمدبن ابراهيم حدثنا عبداللهبن جعفر الرقي حدثنا ابوالمليح الحسنبن عمر عن زيادبن بيان عن عليبن نفيل عن سعيدبن المسيب عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يـقول المـهدي مـن عترتيمن ولد فاطمة.(١)

ـ قال أبو داود: حدثنا سهل بن تمامبن بزيع حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف.(٢)

٨ ـ كتاب «مصابيح السُّنة»، أبو محمد الملقب بمحيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (٤٣٦ـ ٥١٠ أو ٥١٦)

باب أشراط الساعة

(من الصحاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتىٰ يكون لخمسين امرأة القيم الواحد.

وقال (عليه السلام) لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو. وقال (عليه السلام) والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول ياليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء. ❊ عن أنس أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً و مسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع ❊ عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة.[١]

---

١ . البغوي الشافعي، الحسين بن مسعود: كتاب مصابيح السُّنة، ص ٩٢، الجزء الأوّل، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣١٨هـ.

٩ ـ كتاب **«جامع الأصول في أحاديث الرسول»** لمجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الشافعي المشتهر بابن الأثير الجـزري. (٥٤٤ـ٦٠٦).

٧٨١١ (د ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو لم يَبْق من الدهر إلا يومٌ لَبَعَثَ الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عَدْلاً، كما ملئت جوراً» أخرجه أبو داود.[١]

٧٨١٤ ـ (د ـ أبو اسحاق، عمرو بن عبدالله السبيعي) قال: قال عليّ ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ فقال «إن ابني هذا سيّد، كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صُلْبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهُهُ في الخلُقُ، لا يشبهه في الخَلْقِ يملأ الأرض عَدْلاً» أخرجه أبو داود.[٢]

٧٨١٢ (د ـ أم سلمة رضي الله عنها) قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المهديُّ من عترتي من ولد فاطمة».[٣]

١٠ ـ مختصر سنن أبي داود للحافظ عبدالعظيم المنذري الشافعي (٥٨١ـ٦٥٦)

٤١١٤ ـ وعن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِن الدَّهْرِ إلّا يومٌ، لَبَعثَ الله رَجُلاً من أهل بيتي يملؤها عدلا كما مُلئت جوراً»[١].

٤١١٥ ـ وعن سعيدبن المسيب، عن أم سلمة، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المَهديُّ من عِتْرتي، من ولد فاطمة» وأخرجه ابن ماجة. ولفظه «المهدي من ولد فاطمة»[٢].

٤١١٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهديُّ مِنّي، أجْلى الجبهة، أقْنىَ الأنف، يملأ الأرض قِسْطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلما. يملك سَبْع سنين»[٣].

٤١١٧ ـ وعن صالح أبي الخليل، عن صاحبٍ له، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون اختلاف عند موت خليفة. فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة. فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه، وهو كاره، فيبايعونه بين الرُّكن والمقام، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة. فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال الشام، وعصائبُ أهل العراق فيبايعونه....»[٤]

---

١ و ٢ و٣ و ٤. المنذري الشافعي، عبدالعظيم، مختصر سنن أبي داود ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي، ٦/ص ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي.

من علائم

الظّهور

١ ـ إختبار البشر بالفتن والكوارث

يقول المتنبي:

لا يَسـلَمُ الشـرفُ الرفـيعُ مـن الأذى

حـتى يُـراقَ عـلى جـوانـبِهِ الدمُ

قانونُ الفتنةِ لابُدّ أنْ يجريَ بكلِّ فصولِهِ وأبعادِهِ في حياةِ البشرية بنحو عام، وفي المجتمع المؤمن على اختلاف مراتبه الإيمانية بنحوٍ خاص. وهـذا قُـرآنُـنا العزيز يصدعُ في آذانِنا:

«أَحَسِبَ الناسُ ان يُتركوا أنْ يَقولُوا آمنّا وهُم لا يُفْتنونَ * ولَقَدْ فَتَنّا الذينَ مِن قبلِهِم فلَيعلمنّ اللهُ الذينَ صَدقُوا ولَيعلَمنّ الكاذِبينَ»[١].

فالفتنة والإختبار سُنّةٌ إلهيةٌ جارية. والتمحيص لابُدّ منه:

«وليُمحّصَ اللهُ الذينَ آمَنوا ويَمْحقَ[٢] الكافرينَ * أمْ حَسِبتُم أنْ تَدخُلوا الجنّةَ ولمّا يَعلمَ اللهُ الذينَ جاهَدوا مِنكُم ويَعلمَ الصابرينَ».[٣]

والحقيقةُ: أنّ الفتنةَ والإختبارَ والتمحيصَ والإبتلاءَ إنّـما هـي فـي عـالم القلوب ومكنون الضمائر لتنقيةِ تلك القلوب من شوائِبها أولاً؛ ليعودَ ذلك بتنقيةِ المجتمع المؤمن المخلص ثانياً.[٤]

---

١ . سورة العنكبوت، الآية ٢، ٣.

٢ . يمحق: يُهلِكُ، ويُفني.

٣ . سورة آل عمران، الآية ١٤١ و ١٤٢.

٤ . القِزّي، عبدالحليم: فِتنٌ في عصر الظُّهور الشريف، ص ٣٥، الناشر: المؤلف، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

فالدنيا كبيرة وواسعة وبعيدة وشاسعة وهي كماء البحر من ازداد منها شرباً ازداد عطشاً.

فحب الدنيا هو الذي يُفرغ القلوب من حبّ الله، ويفرغ كلّ عبادة وعمل صالح من معناهما.

فماذا يبقىٰ من حب الله إذا استولىٰ حب الدنيا على القلب والضمير؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أصبح همّه الدنيا فليس له من الله شيء».[1]

١ . المندلاوي، محمد محمود: نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان، ص ١٨، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ـ٢٠٠١م.

٢ـ تقسيم الكوارث

حسب المناطق التي تتأثر بكل كارثة

١ ـ كوارث الدرجة الأولى: الكارثة الأولى ـ يوم القيامة تؤدي إلى زعزعة نظام الكون بأسره؛ بكل النجوم، والمجرات، وعناقيد المجرات. سوف تصيب محتويات الكون كله.

٢ ـ كوارث الدرجة الثانية: الكارثة الأولى ـ موت الشمس.

تؤدي إلى دمار المجموعة الشمسية فقط، بما فيها الكرة الأرضية.

٣ ـ كوارث الدرجة الثالثة: الكارثة الأولى ـ تباطؤ سرعة الأرض.

كوارث تصيب الكرة الأرضية فقط، وليس كامل المجموعة الشمسية.

٤ ـ كوارث الدرجة الرابعة: الكارثة الأولى ـ صراع الذكاء من البارود إلى القنابل الذرية.

تهدّد وجود البشر على الأرض، حتى لو استمرت حياة الكواكب نفسها.

٥ ـ كوارث الدرجة الخامسة: الكارثة الأولى ـ نضوب الثروات والموارد.

لا تدمر حياة الانسان نفسه، ولكنها تدمر ثمرات الحضارة على الأرض.

هل سمعتم بالأسطورة التي تتكلم عن قارة (أتلانتيس) بعد ما غرقت في قاع المحيط. تقول الأسطورة أنّ السبب هو أهل القارة بالذات. ولشدّة ما تقدموا علمياً إختل الميزان الطبيعي وحلّت النهاية عن طريق كارثة. الشيء نفسه قد يحدث لحضارة البشر اليوم. هل سمعت بكارثة الأوزون؟

هذه الكارثة ليس مجرد احتمال بل بدأت بالحدوث فعلاً، فالإنسان يفسد

بيئته، والشواطيء تتلوث والغابات تتناقص والبساتين تصبح صحارى، ومناخ الأرض يتغير، إن التمادي في التطاول على البيئة باسم الحضارة والتقدم يؤدي إلى تغيير سلبي في معالم كوكبنا.

ما هو الأوزون؟

يتألف الغلاف الجوي المحيط بالأرض من طبقات فالعليا منها اسمها: ستراتو سفير، والسفلى تروبوسفير. ويتواجد غاز الأوزون في الطبقة العليا، وهو هناك بنسبة محددة لايجوز أن تقل أبداً.

الأوزون للكرة الأرضية مثل الجلد لجسم الإنسان، إنه درع واق يحمي الأرض من وصول أشعة فوق البنفسجية القادمة من أشعة الشمس. إذا خفت نسبة الأوزون و صارت طبقته رقيقة، ضعف درع الوقاية وكان ذلك دماراً للأرض.

وإذا حدث ثقب في جلد الإنسان تسربت الجراثيم من ذلك الثقب، وإذا حدث ثقب في طبقة الأوزون، تسربت الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض وتم القضاء على الحياة.

ما هي الأشعة فوق البنفسجية:

قليل من الملح ضروري للحياة، وكثيره يحمل ضرراً كبيراً، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية، قليل منها ضروري للحياة، وكثيرها يؤذي الحياة. هذه هي أخطار تلك الأشعة: تسبّب سرطان الجلد و انفصال شبكية العين و تقضي على المضادات الحيوية التي ينتجها جسم الإنسان.

ثقب في الهواء:

في دول الشمال الأوروبي: حدث ثقب في غشاء الأوزون، وبدأت أشعة فوق البنفسجية تتسرب من ذلك المكان. هذه المرة نجد كارثة حقيقية وليس مجرد احتمال.

وهكـذا عـقدت وكـالة بـرامـج حـماية البيئة مـؤتمراً فـي مـونتريال ١٦/أيلول/١٩٨٧ حضره مندوبوا /٤٠/دولة لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة.

السبب في هذا الثقب غاز من صنع الإنسان يدعىٰ (كلورو فلورو كربون) ويستعمل في صناعة البلاستيك والمبردات والمكيفات. قـرر مـؤتمر مـونتريال معاهدة لتخفيض إنتاج الغازات الضرورية في صناعة الثلاجات والمكيفات لأن استخدامها يُنتج غازات تفسد الجوّ. هل ترون كيف أن التقدم الإنساني سلاح ذو حدين، وأنّ الطاقة أيضاً سلاح ذو حدّين.

التكنولوجيا تسبّب ازدياد نسبة ثاني اكسيد الكربون في جوّ الأرض، وهذا يزيد الحرارة ٤ درجات كل ٤٠ سنة، وهذا يفسد الغلاف الجوي، وهذه الحرارة أيضاً تدمر طبقة الأوزون، فإما أن تصبح رقيقة، أو يحدث ثقب كما هي الكارثة اليوم في الشمال الأوروبي.

الإنسان يعبث منذ مدة طـويلة بسـطح الأرض، والنـتيجة السـيئة بـدأت بالظهور الآن. إنها بداية الكارثة.[١]

السؤال: إذا كبر الثقبُ وتمزّقَ مُعظم ثوب الإرض، فماذا يحدث؟

إنّ أقلّ ما يُمكن قوله في هذه الحال هو أنّ حياة الإنسان تصبح علىٰ خطرٍ مرعب، إذ إنّ الأشعة فوق البنفسجية تعمّ في أنحاء الكرة الأرضيّة فتصيب مباشرةً أجساد البشر فتخلق لديهم أمراضاً وأوراماً خبيثةً سرطانيّة تُـعدّل فـي وظـائف الخلايا العضويّة الحيويّة فيها وتصبح على اضمحلال.[٢]

---

١. قسم التأليف والترجمة: احتمالات نهاية الكون، ص ٥، ١٩٥، مؤسـسة الإيمان ودار الرشيد، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢. مراد، ميشال: نهاية العالم متى وكيف؟ ص ١٣٢، دار المجاني، بيروت.

٣ـ الرغبة في معرفة الكوارث و ماذا ينجم عنها

الرغبة في معرفة المستقبل هاجس شغل الفكر الإنساني منذ حداثة تفكيره، وجعلته يبحث ويغالي في البحث لرؤيةٍ من المستقبل حتى ولو كانت قبساً ضئيلاً.

وقد استعان الإنسان العادي بالكاهن أو العَرّافة لقراءة مستقبله، واستشارهما في القرارات الهامة في حياته، وبنىٰ على هذه الرؤىٰ قراراته وتطلعاته، وكان (ولا يزال) البعض لا يبت أمراً ولا يقضي صفقة إلا بعد استشارة عرافي المستقبل. وقد استعان الكهان والعرافون بأساليب مختلفة في قراءة المستقبل لخدمة زبائنهم وطلابهم، ومن أشهر هذه الأساليب عند عرب الجاهلية الاستقسام، وقراءة الطالع (التنجيم). والاستقسام يتم بأن يخبر المستشيرُ الكاهنَ في رغبته في التجارة أو في الزواج أو غير ذلك من الأمور المهمة، طالباً معرفة حظه من التوفيق في هذا الأمر، فيضع الكاهن مجموعة من سهام بدون ريش في كنانة، بعد أن يكتب على هذه السهام جميع الاحتمالات الممكنة مثل: لا، ونعم، وتمهل. ثم يسحب طالب الحل أحد السهام ويقرأ ما كُتب عليه، فإن كان «نعم» ذهب في أمره، وإن كان «لا» توقف عنه وهكذا.

كما كان كهان العرب يزعمون أنهم يأخذون أخبار المستقبل عن الجن، الذين كانوا يأخذونها بدورهم عن الملأ الأعلىٰ، وذلك بالصعود إلى السماء والتجسس على الملائكة. وقد أبطل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا النوع من التنبؤ وأحال كهنته إلى التقاعد.

إلا أن أشهر طرق التنبؤ كانت ولا تزال قراءة النجوم، وقد ابتدع هذا الفن

السومريون القدماء إلا أنه انتشر في جميع أرجاء العالم القديم، ومارسته الأمم على اختلاف حضاراتها، وكان معروفاً عند العرب قبل الإسلام بدليل استعمال تعبير (نظر في النجوم) بمعنى فكرّ، وقد ورد هذا التعبير في القرآن الكريم، وكان ابن صياد من الذين يقرؤون الطالع في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولابد أنه توقف عن هذا بعد إعلان إسلامه ولم يمارس نشاطهم من بعد ذلك، فنقرأ أنه في عام ٣٧ من الهجرة أجمع حذاق التنجيم علىٰ أن خروج الإمام علي (عليه السّلام) إلى صفين لقتال معاوية سيكون وبالاً على الإمام، ولكن الإمام انتصر على جيش معاوية ولم يخلصوا منه إلا بالحيلة. وعندما خرج الإمام لقتال الخوارج قالوا بأن القمر كان في العقرب، وهذا يعني أن الإمام سيخسر الحرب، ولكن الإمام (عليه السّلام) قال: نخرج ثقة بالله تعالى، وتوكلاً عليه سبحانه، وتكذيباً لقول المنجم، وانتصر الإمام في تلك الحرب.

وفي أيام الأمويين أجمع المنجمون على غلبة جيش عبيداللهبن زياد في حربه مع جيش المختار الذي قاده إبراهيم بن الأشتر، وبالرغم من أن جيش بن زياد كان أضعاف جيش بن الاشتر إلا أن ابن الأشتر انتصر انتصاراً ساحقاً وقتل ابن زياد في تلك المعركة.

واستعان العباسيون بالمنجمين حتىٰ أن بعضهم حاز على مرتبة عالية في بلاطهم، ويقال أن المنصور عندما فرغ من بناء بغداد طلب من أحد المنجمين أن يأخذ له طالعها. فقال المنجم: أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً، وشاع ذلك حتى قال بعض شعراء المنصور مهنئاً له:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ... أن الممات بها عليك حرام
لما قضت أحكام طالع وقتها ... أن لا يرى فيها يموت إمام

ولكن أول ما ظهر كذب هذه النبوءة عندما قتل الأمين بشارع باب الأنبار، فقال بعض الشعراء:

كذب المنجم في مقالته التي كان ادعاها في بنا بغدان
قتل الأمين بها لعمري يقتضي تكذيبهم في سائر الحسبان

ثم مات فيها جماعة من الخلفاء منهم الواثق والمتوكل والمعتضد والناصر وغيرهم.

اما في مصر فقد رأى أحد الملوك رؤيا افزعته فاحضر المنجمين. فقالوا له: إن النجوم التي رأيتها في منامك وهي تتهاوى هي انقضاء ملكك فأخذه الهم والغم وفي تلك الأثناء قال أحد الشعراء:

قالوا تساقطت النجوم لحادث فظٍّ عسير
فأجبت عند مقالهم بجواب محتنكٍ خبير
هذي النجوم الساقطات نجوم أعداء الأمير

أما في اليونان ومن بعدها روما فقد اعتمد المتسائلون على العرافات في هذا الشأن، وكان من أشهر مراكز العرافات هذه عرافة دلفي في سفح جبل برناسوسن في وسط اليونان، وقد استمر هذا المركز التنبيء من عام ٧٠٠ق.م. وحتى عام ٢٠٠ من الميلاد. وكانت تلك العرافات يتنبأن بعد تناول أنواع مختلفة من الأعشاب المخدرة والمسببة للهذيان. وقد استخدم هذا المركز الاستعلامي الكثير من الملوك قبل شن الحروب أو عقد الأحلاف، وكان لأقوالهن الكثير من الاحترام الذي بقي في العهود المسيحية، بدليل أن الكثير من الأفكار المسيحية واليهودية قد نسبت إلى تلك العرافات فيما بعد.[١]

---

١ . صناديقي، الدكتور خالد: اليوم الآخر ونهاية الزمان، ص ٧، منشورات دار علاء الدين،

إذن احتلّت الرؤى الخارقة والتنجيم مكاناً مرموقاً في حياة الشعوب على مدار الأجيال، وكانت الناس ترسم من خلال علاماتها ملامح المستقبل ومصيره وقد برز العديد من المتنبّئين والعرّافين الذين تطرّقوا إلى موضوع نهاية العالم سرّاً أو جهاراً، ومن بين هؤلاء كان نوسترادادموس وادغار كايس والقديسة فاطمة وايمانويل فليكوفسكي.

نوسترادادموس

ولد نوستر اداموس (١٥٠٣ـ ١٥٦٦م) في مدينة سان ريمي في فرنسا. كان جده يهوديّاً، وفي التاسعة من عمره اعتنق أهله الديانة المسيحية، وتلقى في صباه التعليم العبراني واللاتيني واليوناني، ثمّ برع في الرياضيات والطبّ وعلم الفلك والتنجيم.

أكبّ نوستر اداموس بعد أن أصبح طبيباً على الكتابة، فجمع رؤاه الفلكية في كتاب دُعي «نبوءات السيد ميشال نوستر اداموس». وأكمل عمله بوضع مجموعة شهيرة سمّاها «القرون» تتألف من ١١ جزءاً، ويحتوي كلّ جزء منها على ١٠٠ نبوءة.

كانت السلطة الكنسية آنذاك تحرّم تعاطي الشعوذة والسحر والتنبؤات، فاضطرّ إلى ان يدوّن نصوصه بتقسيمها إلى رباعيات شعرية غامضة. ومن تلك التنبؤات ما تحقق مثل مقتل الملك شارل الأول، وظهور نابليون وهتلر، واشتعال

←

دمشق، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

الحرب العالمية الأولى والثانية، وإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي، ومقتل جون كنيدي، ولمح إلى ان الحرب العالمية الثالثة قد تندلع من الصين.[١]

والمثير في تنبؤات نوستر اداموس أنّ حروباً عالمية ومجاعات وكوارث طبيعية سوف تحصل حوالي سنة ٢٠٠٠ فتكون نهاية العالم، لكنه يشير إلى أنّ بعد هذا الغضب العظيم سيبدأ العصر الذهبيّ للأرض، ولم يقل لنا مع أيّ إنسان!!

ادغار كايس

يُعرَف ادغاركايس (١٨٧٧ـ١٩٤٥م) بالنبيّ النائم. ولد في كنتكي، الولايات المتحدة، وترك المدرسة وهو مايزال في الصفوف الابتدائية.

كان ادغار متديّناً، ولم تكن عنده أيّة معرفة طبية، ومع ذلك فإنّه كان يستطيع تحديد المرض عند المصاب به، حتى لو كان بعيداً عنه، ويكفيه معرفة اسمه وعنوانه، فكان يروح في غيبوبةٍ عميقة ثم يصف العلاج، وكان العلاج أحياناً أدوية قديمة غير متوفرة، أو نباتات وأعشاب نادرة، وقد جاء في السّجلات أنه شفى أكثر من ٣٠ حالة مرضية صعبة.

وانتقل ادغار إلى التنبؤات فأشار إلى الانهيار المالي الذي حصل سنة ١٩٢٩م في أميركا، وتنبّأ بزلازل وأعاصير ضربت كاليفورنيا واليابان والفيلبين، وقال باختراع أشعة الليزر. أمّا التنبؤ الأهم الذي ذكره فهو حدوث حرب هائلة في العام ٢٠٠٠ سوف تغيّر وجه الأرض بكامله.

---

١ ـ اداموس، نوستر: تنبؤات نوستر اداموس، ص ٦٨، ترجمة: جميل حمادة، وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان.

فاطمة

تجلّت في إحدى قرى البرتغال ظاهرة ظهور مريم على أولاد ثلاثة هم لوسيا وعمرها ١٠ سنوات، جنسيكا عمرها ٧ سنوات، و فرنسيسكو وعمره ٩ سنوات. حلّ الظهور الأوّل في ١٣ أيار من عام ١٩١٣م و تجلّى بانبعاث أنوار مذهلة من قرب شجرة سنديان بدا في وسطها صورة امرأة جميلة، فخاف الأولاد لكنّها هدأت روعهم ثم اختفت بعد أن وعدتهم بالظهور في ١٣ من كل شهر حتى تشرين الأول، ووعدتهم آنهاستكشف لهم خلال هذه المدّة عن السرّ العظيم.

لم يصدّق أحد ما جرى للأولاد الذي تعرّضوا للتحقيق على فترات متواصلة. وفي ١٣ حزيران قام الأولاد بزيارة المكان فركعوا وصلّوا، فظهرت مريم من جهة الشرق وأبلغت الأخوين جنسيكا وفرنسيسكو بأنّهما لن يعيشا طويلاً وسيكونان معها في السماء قريباً، أما لوسيا فستبقى لتنقل الخبر.

وفي ١٣ تموز تجمّع أكثر من ٥٠٠٠ شخص، ولم يرَ مريم سوى الأولاد الثلاثة وقد نبّهت يومها بكارثة عظيمة أقوى من الحرب سوف تحلّ. وفي ١٣ تشرين الأول احتشد حوالي ٨٠٠٠٠ شخص، فتكلّمت مريم عن دمار كبير سيضرب الأرض احتجاجاً على الشرّ الذي يصنعه الإنسان، ثم لمعت السماء وانطلقت منها ألوان رائعة شاهدها المتفرّجون فركعوا وأخذوا بالصلاة بينما بقي الأولاد صامتين.

بعد وقت قصير مات الصغيران بمرض الانفلونزا، ودخلت لوسيا الدير وأصبحت راهبة باسم «ماري الأحزان». وفي سنة ١٩٦٧م قابلت البابا بولس السادس وأخبرته بالسرّ. ولم يُعرف ماذا همست لوسيا في أذن راعي الكنيسة، لكن يُقال انّ البابا لمّا تلقى السرّ تحوّل لون وجهه إلى الأبيض لهول ما سمع!

فهل يحتوي هذا السرّ على إشارة أو تاريخ لنهاية العالم كما يُشاع!؟

ايمانويل فليكوفسكي

ايمانويل فليكوفسكي عالم روسي تلقى علومه في فرنسا واسكتلندا وموسكو. قام بأبحاث حول دمار العالم منذ بداية تكوينه، وتبيّن له انّ الكرة الأرضية تعرّضت لكوارث طبيعية أدّت إلى دمارها جزئياً عدّة مرات في التاريخ. ويبرّر هذه الأحداث بأنها نتيجة تأثيرات كونية قد ذكرت في بعض القصائد اليونانية القديمة، وفي بعض الوثائق المصرية التي حُفرت على جلود الحيوانات.[١]

---

١ . مراد، ميشال: نهاية العالم مَتىٰ وكيف؟، ص ٤٢، دار المجاني، بيروت.

٤ ـ اخبار الغيب

معظم أخبار الغيب عند المسلمين نزلت وحياً على رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقرآن حافل بأخبار البعث والنشور والحساب والجزاء الابدي، والوحي ـ بخلاف الرؤى ـ وأصح الأفكار لا يحتاج إلى تأويل. وأخبار الغيب في التنزيل تعتبر من أسس العقيدة الإسلامية، وقد جمعت مع الإيمان بالله والرسل والملائكة والكتب في هذا المجال.

«ألم * ذلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هدىً للمتقينَ * الّذينَ يؤمنونَ بالغيبِ...».[١]

«إنّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السّاعَةِ وُينزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرحامِ وما تدري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً وما تدري نَفْسٌ بأيِّ أرْضٍ تموتُ إنّ اللهَ عليمٌ خَبيرٌ».[٢]

---

١ . سورة البقرة، الآية ١، ٢، ٣.

٢ . سورة لقمان، الآية ٣٤.

٥ ـ من أخبار الغيب: افتراق الأمم

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إفْترقَ اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى علىٰ اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنّة، والذي نفسي بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار».(١)

رحمة من النبي بالأمة، ورغبة منه بتبصيرها معالم الطريق، وإقامة للحجة بيّن الرسول للأمة كل ما كان في الامم السابقة، وما كان أثناء مرحلة بناء الدعوة والدولة، وماذا سيكون بعد موته وأن ما سيكون يمكن تجنبه تماماً إذا التزمت الأمة بتوجيهات نبيها، لأن النبي لاينطق عن الهوى، بل يتبع ما يوحى إليه ويتكلم بالعلم الإلهي اليقيني وبيان ما كان وما سيكون هو جزء من رسالته، وهو فيض الرحمتين الإلهية والنبوية، وأكد لهم النبي أن الفتن ستزحف عليهم بعد موته وهي مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أياً من أي.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر لا تدرون أيها من أي».

---

١ . الدمشقي، ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، ص ١٥، ضبطه وصحّحه: الاستاذ أحمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

عن مجاهد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل».[1]

---

١ . الخُزاعي المَروزي، نُعيم بن حَمّاد: الفتن، ص ١٢، ١٤، ضبطه وصححه وعلّق عليه: مجدي الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦ ـ نقض عرى الإسلام كلها والناقضون

لقد حذر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنين بأنهم إن لم يتبعوا ما أمرهم به فإن عرى الإسلام كلها ستنقض عروة بعد عروة، فطالما أعلن أمام أصحابه قائلاً: «لينقض الإسلام عروة عروة، فلكما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهنّ نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة». [رواه أحمد و ابن حبان والحاكم، راجع كنز العمال ج ١ ص ٢٣٨]. وعملية نقض العرى لن تتم من تلقاء نفسها بل سيتولاها وينفذها فريق من المسلمين المحسوبين على الأمة، لذلك كشف رسول لله حقيقة هذا الفريق ليحذر الناس من شرورهم قبل وقوعها. قال حذيفة: «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا بلغ من معه ثلاثمائة فأكثر، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته». [رواه أبو داود في عون المعبود حديث ٤٢٤٣ و ٤٢٢٢]. ووضع رسول الله النقاط على الحروف، قال حذيفة: قال رسول الله: «إن في أصحابي اثني عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، [رواه الإمام أحمد والإمام مسلم، راجع كنز العمال ج ١ ص ١٦٩ ومعالم الفتن ج ١ ص ٦٧]، وقال حذيفة: أشهد أن الاثني عشر حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد [راجع صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٢٥]، وروي عن عماربن ياسر مثل ذلك. [رواه الإمام أحمد، راجع الفتح الرباني ج ٢١ ص ٢٠٢.] إن اثني عشر مجموعة تخريبية كذبت بآيات الله واستكبرت عنها كما يستفاد ذلك من الآية ٤٠ من سورة الأعراف. واقترب الرسول من نقطة الخطر

فأعلن أمام أصحابه قائلاً: «إن هلاك أمتي على يد غلمة من قريش». [رواهُ البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوة من صحيحه ج ٢ ص ٢٨٠] ثم قال: «يهلك أمتي هذا الحي من قريش» [رواه البخاري أيضاً في كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوّة من صحيحه ج ٢، ص ٢٨٠ ومسلم في صحيحه كتاب الفتن ج ١٨ ص ٤١]، وعن ابن عباس أنه قال: قال الرسول: «ولتحملنكم قريش على سُنّة فارس والروم ولتؤمنن عليكم اليهود والنصارى والمجوس». [رواه الطبراني، راجع مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٦]، وقال الرسول مرة لأصحابه: «إن هذا الحي من مضر لا تدع لله في الأرض عبداً صالحاً إلا فتنته وأهلكته». [رواه الإمام أحمد، وقال الهيثمي، رواه أحمد و البزار ورجاله رجال الصحيح الفتح الرباني ج ٢٣ ص ٢٤٠].

وعندما ذكر رسول الله الغلمة من قريش، والحي من قريش طالب الناس باعتزالهم قائلاً: «لو أن الناس اعتزلوهم». [راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٨٠ و صحيح مسلم ج ١٨ ص ٤١ والفتح الرباني ج ٢٣ ص ٣٩ ومعالم الفتن ج ١ ص ٣٠٣].

ثم وقف النبي طويلاً عند بني أمية، وحذر الأمة منهم، فبيّن أن أكثر بطون قريش بغضاً لمحمد ولآل محمد هم بنو أمية، وبنو مخزوم... [راجع المستدرك على الصحيحين للحاكم وحلية الأولياء لأبي نعيم، وكنز العمال ج ١١ ص ١٦٩ حديث ٣١٠٧٤]، وتحدث عن الشجرة الملعونة وعن رؤى نزو الأمويين على منبره نزو القردة، وتيقن المسلمون من استياء النبي البالغ من تلك الرؤيا، [رواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص ١٧١، وأقره الذهبي وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٣، ورواه الترمذي وابن جرير والحاكم والبيهقي]

عن هشام عن جويبر عن الضحاك قال: قال لي النزال بن سبرة: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي حسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال: قلت: بلى، قال: سمعته يقول: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية.

عن علي بن علقمة الأنماري قال: سمعت عبدالله‌بن مسعود رضي الله عنه يقول: إن لكل شيء آفة تفسده، وآفة الدين بنو أمية.(١)

وتحدث النبي عن أصحاب الخطر من بني أمية، وركز عليهم واحداً واحداً، وحذّر الأمة منهم. ثم وقف النبي وقفة طويلة وخاصة عند الحكم‌بن العاص والد وجد الخلفاء الأمويين، فقال أمام أصحابه: «ويل لأمتي مما في صلب هذا» [رواه ابن عساكر راجع الكنز ج ١١ ص ١٦٧]، وقال أيضاً: «ويل لأمتي من هذا وولد هذا»، [الكنز ج ١١ ص ١٦٧ والإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٩]، وقال النبي لأصحابه عن الحكم: «إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صُلبه فتن يبلغ دخانها السماء، وبعضكم يومئذٍ شيعته [رواه الدارقطني الكنز ج ١١ ص ١٦٦ وابن عساكر ج ١١ ص ٣٦٠ والطبراني ج ١١ ص ٦٦٧].

وبعد أن كشف الرسول حقيقة هذا الخطر لعنه رسول الله، ولعن ولده. [قال الهيثمي، رواه أحمد و البزار والطبراني راجع الزوائد ج ٥ ص ٢٤١]. قال عبدالرحمن بن أبي بكر لمروان بن الحكم: «إن رسول الله لعن أباك» [رواه البزار ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١]، وقال الحسن‌بن علي لمروان: لقد لعنك الله على لسان رسوله، وأنت في صلب أبيك [رواه أبو يعلى مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٤٠، وابن سعد وابن عساكر ج ١١ ص ٣٥٧ وابن كثير في البداية ج ٨ ص ٢٨٠]. و حتى يكون الأمر معلوماً للجميع، والخطر واضحاً أمام الجميع أمر رسول الله بنفي

---

١ . الخُزاعي المروزي، نُعيم بن حمّاد: الفتن، ص ٨١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

الحكم بن العاص، فنفاه الرسول من المدينة وأعلن أن الحكم بن العاص عدو الله ولرسوله، وبقي الحكم منفياً طوال عهد النبي المبارك، وبعد وفاة النبي راجع عثمان أبا بكر لإعادة الحكم فرفض ذلك أبو بكر، وبعد وفاة أبي بكر راجع عثمان عمر فرفض عمر ذلك، ولما آلت الخلافة لعثمان أدخله معززاً مكرماً، واتخذ ابنه مروان رئيسا لوزرائه، ولما مات الحكم أقام عثمان على قبره فسطاطاً تعبيراً عن حزنه وعميق مصابه بموت الحكم [راجع الإصابة ج ٢ ص ٢٩].

استمع المسلمون إلى كافة تحذيرات الرسول مما سيكون!! وتعجبوا كيف يكون ذلك!! وهل يعقل أن تنقض عرى الإسلام كلها!! فأراد الرسول أن يحذر أصحابه أنفسهم، وأن يضعهم أمام مسؤولياتهم فذكرهم أنه سينتظرهم على الحوض وفاجأهم قائلاً: «... وليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم. [راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤١ كتاب الدعوات وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ كتاب الفضائل والفتح الرباني ج ١ ص ١٩٢]، وفي رواية عن عبدالله: «فأقول يارب أصحابي!! فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». [صحيح البخاري كتاب الدعوات ج ١ ص ١٤١ وصحيح مسلم كتاب الفضائل ج ١٥ ص ١٥٩، ورواه أحمد والبيهقي، راجع كنز العمال ج ١٤ ص ٤١٨]، وفي روابة عن أبي هريرة: «فيقال إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى». [راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٤٢ باب الصراط]، وفي رواية عن ابن عباس: «فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». [راجع صحيح البخاري تفسير سورة الأنبياء ج ٣ ص ١٦٠، وصحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩٤].(١)

---

١ . يعقوب، المحامي أحمد حسين: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، ص ١٤، ص ١٥، دار الملاك، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٧ ـ المهمة الكبرى للمهدي المنتظر (عج)

بعد انتقال النبي الأعظم إلى جوار ربه، واستيلاء بطون قريش على منصب الخلافة بالقوة والتغلب؛ حُلت عرى الإسلام كلها سريعاً عروة بعد عروة، ورفعت مضامينه ومفاهيمه الجوهرية من واقع الحياة تماماً! ولم يبق من الإسلام إلا اسمه والإطار العام أو الشكل اللازم لبقاء الملك، وتوسيع رقعة المملكة أو الأمبراطورية ولكن باسمه. أما الإسلام الحقيقي بجوهره ومضمونه فقد صار غريباً، لا يعرفه المجتمع أبداً!! ولا شيء يدل عليه أو يرمز إليه إلا الفئة المؤمنة القليلة والمتكوّنة من آل محمد وأهل بيته وقدامى المحاربين المؤمنين الذين قامت دولة النبوة على أكتافهم، وانتشرت دعوة الإسلام بسيوفهم وألسنتهم، وصحبوا النبي فأحسنوا الصحبة ووالوه فأخلصوا بالولاء، واستوعبوا ووعوا علوم الإسلام، فلما مات النبي تمسّكوا بالقرآن وبأهل بيت النبوة كما أُمروا فنقمت عليهم دولة الخلافة، وصبت جام غضبها عليهم فعزلتهم مع أهل بيت النبوة، وحرّمت عليهم تولي الوظائف العامة وكممت أفواههم، وضيقت عليهم معيشتهم، ونفرّت الناس منهم، فأُذلوا وعُزلوا تماماً وصاروا غرباء كغربة الإسلام والإيمان!!

وإذا رغب المسلمون بمعرفة من الذي فعل بهذه الأمة هذه الأفاعيل، وتسبب بدمار الإسلام والمسلمين فإن رغبتهم تصطدم مع فقه الهوى الذي أُشربته قلوبهم، وحسب قواعد هذا الفقه، فإن طاعة ومحبة الذين حلّوا عرى الإسلام وجعلوه غريباً واجبة، ومعصيتهم، أو كراهيتهم، أو الخروج عليهم حرام

بالإجماع!!!! فمحبتهم واجبة وهم أموات، والاقتداء بهم دين حتى وإن كانوا مخطئين!!

فنكون أمام مشكلة حقيقية مستعصية الحل، فلو عاش الناس مليون قرن فلن يخرجوا من هذه الدائرة التي سجنوا أنفسهم فيها، ولن تفارقهم أشباح الرعب التي تتحكم بلا شعورهم!! فنحن أمام عقبة كبرى لا يمكن أن يقتحمها إلا نبي أو ولي مجرب ومدعوم إلهياً، وبما أن محمداً هو رسول الله وخاتم النبيين ولا نبي بعده، فيكون الولي العارف المجرب المطلّع هو القادر على حل مشكلة المسلمين واجتياز هذه العقبة الكؤود، وإخراجهم من الدائرة التي سجنوا أنفسهم فيها.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى عبده محمدبن الحسن ليكون هو المهدي المنتظر، لحل المشكلة العالمية من عقالها وتجاوز العقبة، وإخراج الناس من دائرة التقليد الأعمى «إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ» إلى دائرة الإبداع الملتزم! وقد وهب الله تعالى للمهدي المنتظر عمراً طويلاً، وقدرةً هائلة على التنقل والاستيعاب، والتخفي، فهو يعيش بين الناس، ويفهم كليات وتفاصيل ما يجري في العالم وهو ينتظر اكتمال الأسباب وأمر الله له بالظهور والخروج فعندما يخرج المهدي المنتظر تكون أسباب النجاح قد هيئت تماماً، فيقوم المهدي المنتظر بإعادة الأمور إلى نصابها الشرعي تماماً، ويدوس على الخلط بقدمه، ويفرز الأوراق عن بعضها البعض، ويضع النقاط على الحروف ويسمي الأشياء بأسمائها، ويقدم الإسلام على حقيقته للعالم، فتزول الغشاوات عن العيون، والريب عن القلوب، ويشكل المهدي حكومته العالمية من المؤمنين الصادقين أصحاب القوة والأمانة من رجال العالم ونسائه، ويصبح كل أبناء الجنس البشري رعايا ومواطنين في دولته تعاملهم بكل المحبة والاحترام لا فرق بين لون ولون أو بين عرق وعرق، أو بين

قوم وقوم، وتؤول إلى خزينة دولة المهدي كافة موارد العالم الاقتصادية، فيوزعها بين الناس بالسوية دون أن يميز أحداً عن أحد، لأن الحاجات الأساسية لبني البشر متشابهة، وخلال عهده تُعطي السماء كل بركاتها، وتخرج الأرض كل كنوزها و خيراتها ويقصم المهدي كل جبار في الأرض. ويتحرر الإنسان من الخوف والعوز معاً، فلا عدوان ولا بغي ولا ظلم، ولا خوف، ولا مرض ولا قلق...[1]

---

١ . يعقوب، المحامي أحمد حسين: حقيقة الإعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، ص ٦١.

٨ ـ التشكك بأحاديث المهدي (عج)

السبب الحقيقي الذي يدفع المتشككين للتشكيك فهو كراهيتهم المطلقة لولاية آل محمد، ولقيادة أهل بيت النبوة!! وولاؤهم المطلق للواقع التاريخي والخلافة التاريخية. لأن المتشككين قد أُشربوا في قلوبهم الثقافة التاريخية التي فرضت أصلاً بسطوة الدولة التاريخية ونفوذها وأحوالها، ثم تحولت إلى برامج تربوية وتعليمية ثابتة يتناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، فصار الناس يعتقدون بصوابها، ثم تمادى هذا الاعتقاد، بألقى بروعهم أنها جزء لا يتجزأ من الدين.

نشرت مجلة الأهرام العربي في عددها ٣١١ وبتاريخ ٥ محرم ١٤٢٤ هـ وعن لسان علماء الأزهر وتحت عنوان «الوهم المنتظر» مايلي:

رغم أن الشيخ الحنفي مفسر الأحلام في البرنامج التليفزيونى «رؤى» ينفي حدوث ما يتردد على ألسنة الناس جملة وتفصيلاً!!

ورغم أنه يتحدى أن يثبت أحد كلمة واحدة مما قاله فإن حديث الناس يدور الآن حول بداية ظهور المهدي الذي ولد بالفعل!!

العلماء أكدوا أن المهدي خرافة شيعية ولكن آخرين يدللون على حقيقته بأحاديث نبوية صحيحة ومؤكدة!

الدكتور محمد سيد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة في كلية أصول الدين كان من أبرز علماء الأزهر حيث يؤكد:

«فالشيعة يعتقدون أن شخصاً من أئمتهم اختفى وسيعود آخر الزمان، وهذا الكلام لا دليل عليه من الشرع، ولا المنطق، فهل يعقل أن إنساناً اختفى من ألف

سنة كما يزعمون ومازال حياً تحت الانقاض أو في سرداب تحت الأرض أو في باطن الجبل، وأنه سيخرج آخر الزمان؟! هذا الكلام وهم وأساطير ولا حقيقة له شرعياً».

أما الدكتور محمد عبدالمنعم البري عميد كلية الدعوة الإسلامية في جامعة الأزهر فيؤكد أن المهدي المنتظر هو «الوهم» المنتظر، ذلك لأنه لم ترد في القرآن آية واحدة تزكي هذا الوهم.

... وعلى هذا فلا نرى مكاناً للدجل أو الأوهام أو الخيالات أو الخرافات مثل المهدي المنتظر، فهذه الخزعبلات لا مكان لها بين أهل العلم إلا في الأدمغة التافهة «ولكل ساقطة في الحي لا قطة».

أما الدكتور عبدالعزيز عزام أستاذ الفقه في كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر فيؤكد أن الاعتقاد بظهور «المهدي المنتظر» في آخر الزمان هو فكر لا يعتقده إلا بعض الغلاة في المذاهب الشيعية ولا يؤمن به السنة أو الشيعة المعتدلون.

اما الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الاوقاف المصرية السابق فإنه يؤكد أن أحاديث المهدي المنتظر لا أصل لها من الكتاب أو السنة النبوية الشريفة. ومن يصدق تلك الأوهام والدعاوي الكاذبة فهم مجانين أو مرضى نفسيون لديهم شعور بالإحباط والنقص فيحاولون تصديق مثل تلك الخرافات التي تجد متسعاً في عقول المغيبين والبعيدين عن حقيقة الدين.

أجمع علماء الأزهر على خرافة ما يسمى بـ«المهدي المنتظر» ولكن الشيخ يوسف البدري جاء رأيه كمن ألقى في المياه الراكده بحجر ثقيل!!

يقول الشيخ يوسف البدري:

«وأما بشأن عدم ورود المهدي المنتظر في الحديث الصحيح فهذا كذب لأن البخاري ومسلم اللذين أغفلا الحديث عنه لا يضمان كل الأحاديث الصحيحة باعترافهما قال البخاري: ما تركت من صحيح الأحاديث أكثر مما دونته، وهناك صحيح أكثر صحة من البخاري وهو صحيح «ابن حزيمة» إلا أنه ضاع وما بقى منه إنما هو جمع من الكتب التي روت عنه.

وفي أصول الأحاديث الأربعة ذكر صريح في أحاديث صريحة للإمام المهدي، ولقد جمعها المفسر ابن كثير في كتابه «النهاية في الفتن والملاحم» بروايات مستفيضة بلغت حد التواتر وأكثر.

ويشير البدري إلى أن ما يجري الآن على الساحة من أحداث سياسية بشأن بترول العراق وحرب أمريكا وتدمير آبار النفط وما يتلو ذلك من أحداث ومجيء اليهود فقد ورد كبعض علامات المهدي في قوله (صلى الله عليه وسلم) «تصالحون الروم صلحا فتغزون أنتم وهم عدواً من دونكم فتظهرون وتضمون وترجعون فيقول رومي ألا غلب الصليب، فيقوم إليه مسلم فيدقه، فيأتونكم في ثمانين غاية (جيش) تحت كل غاية ثمانون ألفاً ثم تكون الملحمة» وقال(ص): عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب مجيء الملحمة، ومجيء الملحمة ظهور المهدي، وظهور المهدي خروج الدجال، وخروج الدجال نزول عيسى.[1]

ويردّ على علماء الأزهر المشككين: الدكتور عبدالودود شلبي قائلاً: «أجل الأزهر إلى أين؟ إنه لعزيز على أي مسلم غيور أن يسأل مثل هذا السؤال..

---

١ . عبدالخالق، محمد: الوهم المنتظر، ص ٣٧، ٣٨، ٣٩، مستل من مجلة «الأهرام العربي» ـ العدد ٣١١ ـ القاهرة، السنة السادسة ـ السبت ٥ محرم ١٤٢٤هـ.

فالأزهر يمثل في مصر «قدس الأقداس» ولكن ما الحيلة إذا كان رصيده قد أوشك على النفاد؟ وما الحيلة إذا كانت المحاكم في مصر المحروسة قد أدانته بالتقصير والعجز؟!

إن الأزهر في محنة حقيقية.. دعك من هذا الكلام الذي يتشدق به المسئولون فيه... ودعك من التباهي والتفاخر بكثرة المعاهد والكليات..

لو كان للأزهر وجود حقيقي ما ارتفعت في مصر صيحات الإلحاد والتطرف، واختفت إلى الأبد عصابات الإرهاب المسلح.. إن الأزهر يمر بمحنة حقيقية.. محنة في التعريف بدين الإسلام السمح.. ومحنة في تقويم اللسان العربي الذي يكاد يختفي حتى في الأزهر نفسه! ومحنة في الحفاظ على تاريخه ودوره وأثره.. ومحنة في الرجال الذين كانوا شموس المعرفة الإسلامية الصحيحة في جميع أنحاء العالم.

إن الأزهر الذي عرفناه لم يعد قائماً، والعلم الذي درسناه أصبح دارساً! وواجب، بل فرض على الدولة، وعلى كل مسلم ومسلمة أن يقيل الأزهر من عثاره.. اليوم قبل الغد.. ومن الآن قبل أن نعض بنان الندم، وقبل أن تفقد مصر مكانتها بين المسلمين في جميع أنحاء العالم[1]!!

ومن المشككين المعاصرين عمارة محمد عماره يقول في كتابه «قصة النهاية»:... وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج عليهم: اخرج يا مولانا أخرج يا مولانا يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم.

---

١ . شلبي، دكتور عبدالودود: من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر (الأزهر إلى أين؟!)، دار الاعتصام، القاهرة.

ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي   كلمتموه بجهلكم ما آن؟

فعلى عقولكم العفاء فإنكم   ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل.(١)

نقول له: «العار أن ينقل لنا باحثٌ خبراً دون ان يشير إلى مصدره، والانكى من ذلك إنه كاتب ومؤرخ ولكنه لم يقرأ كتب التاريخ ليعلم ان المهدي المنتظر(عج) يظهر بين الركن والمقام لا من السرداب!!».

واسطورة السرداب اختلقها بعض اعداء الشيعة من امثال ابن خلكان (المتوفى ٦٨١) في «وفيات الاعيان» وابن بطوطة (المتوفى ٧٧٩) في الرحلة وابن خلدون المغربي (المتوفى ٨٠٨) في المقدمة وابن حجر (المتوفى ٩٧٤) في الصواعق والقرماني (المتوفى ١٠١٩) في اخبار الدول ومن المعاصرين القصيمي في «الصراع بين الاسلام والوثنية» حيث يقول في الجزء الأوّل من الصفحة ٣٧٤: «وان اغبى الأغبياء وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا امامهم في السرداب وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه امامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ اكثر من ألف عام».

وردّ على القصيمي المرحوم العلامة الأميني في «الغدير ٣/٣٠٨» بقوله: «وفرية السرداب أشنع وان سبقه اليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطنبور نغمات بضم الحمير إلى الخيول وادعائه إطراد العادة في كل ليلة واتصالها

---

١ . محمد عمارة، عمارة: قصة النهاية وعلامات الساعة الصغرى والكبرى، ص ١٥٥، مكتبة ابن كثير، الكويت، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترىٰ أن غيبة الامام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه ولا أنه يظهر منه، وانما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم انه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: انه مغيب ذلك النور وانما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وان من المطرد ايجاد السراديب في الدور وقاية من قايظ الحر، وانما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وانه كان مبوّأ لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقولون في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الاكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته ٢/١٩٨: ان هذا السرداب المنوه في الحلة. ولا يقول القرماني في «أخبار الدول» في بغداد. ولا يقول الآخرون: أنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته»[1].

---

١ . الفقيه ايماني، مهدي: الامام المهدي عند أهل السّنة، ص ٢٠، الجزء الأوّل، مكتبة الامام اميرالمؤمنين(ع) العامة، اصبهان، ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ .

٩ ـ المسائل المهمة المتعلقة بساعة الظهور

روى الفاضل الأربلي «قدس سره» في كشف الغمّة عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لا يخرج القائم عليه السلام إلاّ في وِتر من السنين ـ سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع ـ.

وعنه عليه السّلام قال: ينادى باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء ـ وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام ـ لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرّم، قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل عليه السلام على يده ينادي البيعة لله، فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، يطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كأنّي بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة قد سار اليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد.

وفي رواية مفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتّصل بيوت أهل الكوفة بنهر كربلاء.

وعن عبدالله بن عمر، قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: يخرج المهدي من قرية يقال لها: «كرعة».

وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهدي رجل من

ولدي لونه لون عربيّ، وجسمه جسم إسرائيلي على خدّه الأيمن خال كأنّه كوكب درّيّ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضي في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجوّ.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهديّ منّا أجلى الجبين أقنى الأنف.

وفي رواية أخرى: المهدي منّا أهل البيت رجل من امتّي أشمّ الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي امامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي ابن أربعين سنة، كأنّ وجهه كوكب درّي في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطريّتان كأنّه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك.

قال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، واحسب الثياب القطرية نسبت إليها فكسروا القاف للنسبة وخفضوا.. إنتهى.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة [الله] فاتّبعوه.

وفي رواية أخرى: وعلى رأسه ملك ينادي هذا المهديّ فاتبعوه.

وعن الزياد بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: صاحب هذا الأمر، ولكنّي لست بالذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ماترى من ضعف بدني؟ وإنّ القائم هو الذي إذا خرج، [خرج] في سنّ الشيوخ ومنظر الشباب وكان قويّاً في بدنه، حتّى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها،

يكون معه عصا موسى و خاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيبّه الله في ستره ماشاء، ثمّ يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كانيّ بهم آنس ما كانوا إذ نودوا نداء يُسْمع من بُعْد كما يُسْمَع من قُرْب يكون رحمة للـمؤمنين وعذاباً للكافرين.

وعن المفضّل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إذا أذن الله ـ جل اسمه ـ للقائم الخروج صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه وناشدهم الله ودعاهم إلى حقّه وأن يسير فيهم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله، فيبعث الله ـ تعالى ـ جبرئيل حتّى يأتيه فينزل على الحطيم، يقول له إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل عليه السلام، أنا اوّل من يبايعك أبسط يدك، فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيبايعونه ويقيم بمكّة حتى يتمّ أصحابه عشرة آلاف، ثمّ يسير منها إلى المدينة.

وعن محمّد بن عجلان، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر، فضلّ عنه الجمهور. وإنّما سمّي القائم «مهديّاً» لأنّه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمّي بـ«القائم» لقيامه بالحقّ.

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام: إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها بالكعبة وكتب عليها: سُرّاق الكعبة.

وعن عبدالله بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليه السّلام: إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثمّ أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثمّ خمسمائة أخرىٰ ـ حتّى يفعل ذلك ستّ مرات ـ قلت: ويبلغ عدد

هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم.

وعن المفضّل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يخرج مع القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السّلام الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانه الأنصاري والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحُكّاماً.[1]

---

١ . آل عصفور، الميرزا محسن: ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي المنتظر(عج)، ص ٣٧٥، ص ٣٧٦، مكتبة الريف الثقافية، البحرين، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

١٠ ـ الحرب العالمية الثالثة في ظل النظام العالمي الجديد

إن عبارة النظام العالمي الجديد هي مفهوم جديد في التفكير الاستراتيجي، أوجدته إدارة (بوش الأب) من أجل إعادة تركيب النظام السياسي الدولي لمواجهة التحديات والحقائق المستجدة على الساحة الدولية.

النظام العالمي الجديد: ماذا يعني؟

في هذه الأيام تدور مناقشات واسعة حول مفهوم «النظام العالمي الجديد». وهذه العبارة تعكس مفهوماً جديداً في التفكير الاستراتيجي في مجالات الدبلوماسية والاستراتيجية حسب التغييرات الأخيرة التي حدثت في العالم.

لقد انفرط عقد الاتحاد السوفيتي بشكل كامل، وربما أنه لن يعود إلى ماكان عليه. وقد تمّ انحلال (حلف وارسو) في نيسان (ابريل) عام ١٩٩١م، كما أن جميع دول أوروبا الشرقية، والتي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفييتي تقف الآن مستقلة، وتحاول أن ترسم وتخطط سبلها الخاصة بها، والتي تمكّنها من أن تصبح من المساهمين في بناء عالم الغد.

ولقد توحّدت الدولتان الألمانيتان، وكل الوقائع التاريخية تدل على أن ألمانيا الموحّدة يمكنها أن تصبح من عمالقة الاقتصاد العالمي وبالتالي قوة عظمى، لأنه بشكل مبدئي وثابت، ستكون القوة الاقتصادية المتحكم الرئيس في سياسات القوى المستقبلية. اليابان أيضاً تقترب من كونها مركز قوة عالمي، حيث تريد أن تؤكد على دورها السياسي المتزايد، وتريد أن تساعد في إيجاد

نظام دولي، يعتمد على السلام والحرية والديمقراطية، ونظام سوق اقتصادية حرة.

أصل الفكرة:

تبنت إدارة (بوش الأب) سياسة الحصار على أنها من السياسة الخارجية، وذلك في عام ١٩٨٩م وحسب ما قال «دون اوبردورفر»:

١ ـ كان الرئيس الأمريكي (جورج بوش) أوّل من تكلّم عن مفهوم النظام العالمي الجديدو إضافة إلى مستشاره لشؤون الأمن القومي «برينت سكو كروفت» وكان ذلك في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٩٠م، بعد الانتهاء من إجازة على المحيط الأطلسي في كيني بنكبورث، وذلك بعد الاحتلال العراقي للكويت.

وكان المقصود من إطلاق هذا المفهوم التأكيد على حرية خيار الولايات المتحدة للتعامل مع أزمة الخليج ـ وهو التشعب والتفرع الأوسع مع ما كنا نفعله وما يمكن أن يعنيه.

٢ ـ إشارة إلى التعليقات والكلام التاريخي للسياسة الخارجية الأمريكية، فإن «مفهوم النظام العالمي الجديد» يمكن مقارنته «بمفهوم الحصار» على حسب إدراك الولايات المتحدة لدورها العالمي ومسؤولياتها مع تخبط العالم الاشتراكي الشيوعي.

إن تمسك إدارة بوش بالنظام العالمي الجديد، قد أثار تأويلات كثيرة في العالم حول سياسة الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة التي انتهت.

لا يستطيع أي محلل أن يوضح بشكل دقيق النظام العالمي الجديد، كما هو مقرر و مخطط له من قبل الإدارة الأمريكية، على كل حال يستطيع الآخرون أن يتنبؤا عن ماهية النظام العالمي الجديد، من خلال التصريحات والقرارات

السياسية الصادرة عن الإدارة الأمريكية، ومن خلال التطورات الحالية.

من الناحية التركيبية، سيكون النظام العالمي نظاماً سياسياً دولياً ذا ثلاثة أبعاد، وستكون فيه المكونات الرئيسية الثلاثة القوية متآلفة ومتداخلة وفاعلة، إحداها مع الأخرى، من أجل إيجاد عالم أفضل وأكثر سعادة للجميع، والمكونات الرئيسة الثلاثة لهذا النظام الجديد ستكون: الأمن والديمقراطية، والتعاون الاقتصادي، والتكامل.(١)

إذا لم تتحقق الاطروحة الآنفة الذكر للولايات المتحدة الامريكية فسوف تقع الحرب العالمية الثالثة بين امريكا وحلفائها (الدول الأوروبية) من جهة والصين و حلفائها من جهة أخرى.

نعم، ستواجه الولايات المتحدة مقاومة شديدة جداً من تلك القوى التي تريد أن تقاوم وتعارض التغييرات المفروضة من قبل الولايات المتحدة، وخاصة في المناطق التي تستطيع أن تكون -[ولا بد أن تكون]- ذات أهمية أكبر بالنسبة للولايات المتحدة، حيث تمازج التيارات القومية الرئيسة والفرعية، والتوجهات المتطرفة الراديكالية والأصولية، واختلاف أنواع الأنظمة التي ربما لا تمثل أغلبيات شعوبها، والصراعات الداخلية والفوضى الكبيرة في توزيع الأسلحة والتجهيزات العسكرية، بما فيها انتشار الأسلحة النووية، مما يشكل تحدياً لنظرية الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد.

سياسة الولايات المتحدة بشكل عام بالنسبة لقدرات الدول الأخرى النووية، هي كما وصفها وزير الدفاع الأمريكي السابق (ديك تشيني) في حديث

---

١ . عزيز، فريدا: النظام العالمي الجديد والقرن ٢١، ص ٣٨، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

صباحي متلفز على شبكة الآي.بى سي، قال السيد تشيني: «الولايات المتحدة فقط لها حق الاختيار بالوقوف ضد أي دولة تملك قدرات نووية أو صواريخ ذاتية الاندفاع مع أسلحة نووية، نحن نريد أن نفعل شيئاً بشأن هذه المشكلة كما نريد أن نعمل على عدم تكاثر مصادر الأسلحة النووية، ونعتقد بأننا سوف ندافع عن أنفسنا ضد دول العالم الثالث عن طريق زيادة مقدرتنا وقوتنا في العالم الثالث الذي يمكن أن تتطور فيه تلك القدرات، تخطط الولايات المتحدة على هذا الأساس، ونحن نبحث في العالم عن مناطق مختلفة حيث تحاول أن تمتلك أسلحة نووية، أو حيث الصراعات المحلية يمكن أن تشتمل على استخدام أسلحة نووية ضمن هذه الدول نفسها».[١]

عندما بدأ الاتحاد السوفييتي بالتفكك عام ١٩٨٩م قام آخر رئيس سوفييتي بتفكيك جميع الأسلحة النووية غير الاستراتيجية (باستثناء بعضها المركب على الطائرات) والصواريخ البالستية العابرة للقارات، وبعض القاذفات، وفي حركة درامية في أيلول ١٩٩١م أمر الرئيس الأمريكي بوش بتفكيك حوالي ٤٧٠٠ سلاح، وإزالة الصواريخ المتعددة الرؤوس عن قواعدها الأرضية، وتحويل الكثير من القاذفات المتعددة الرؤوس من نووية إلى غير نووية.

وأراد الأمريكيون من روسيا أن تتخلص من صواريخها البالستية العابرة للقارات، ووافقت موسكو على ذلك بعد أن وافقت واشنطن على الرجوع عن إقامة نظام الغواصات، وتم إنجاز وضع متعادل بالوصول إلى أقل عدد ممكن من الأسلحة.

بعد ذلك كان للقرار السياسي الأمريكي أهمية خاصة، حسب ما كشف عنه

---

١ . عزيز، الدكتورة فريدا: النظام العالمي الجديد والقرن ٢١، ص ٥٢.

الجنرال كولن باول رئيس الأركان المشتركة الأمريكية في عام ١٩٩٢م:

[سوف يتم تخفيض المخزون الفعال من الأسلحة من حوالي ٢٠٠٠٠ سلاح نووي إلى ١٠٠٠٠ مع نهاية شهر أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١].

وبعد تخفيض الأسلحة النووية بين الولايات المتحدة وروسيا سوف يتم التفكر بالقدرات النووية الموجودة في فرنسا و بريطانيا، سياسة فرنسا معروفة، فهي تنوي الحفاظ على قوتها النووية، بينما اختارت الحكومة البريطانية أن تبقي سياستها حول الأسلحة النووية غيرمعلنة وهي ـ الآن ـ حليفة امريكا في حربها ضد العراق.

أ ـ حلفاء امريكا: أوروبا الجديدة

تدل عبارة (أوروبا الجديدة) على النصف الشرقي من أوروبا الذي برز بعد تحرره من حلف وارسو، وعلى النصف الغربي من أوروبا، وهو النصف الغني والمتقدم والذي يشكل (المجموعة الأوروبية)، وبما أن أوروبا تحوّلت بين اتحاد وانقسام على مدى العصور ومنذ معاهدة (ويست فاليا) عام ١٦٤٨م، يبدو أن الفرصة متاحة الآن للتجمع والاتحاد بعد انعقاد قمة ماستريخت عام ١٩٩١م، هناك ثلاثة عوامل رئيسية تؤثر على النظام العالمي الجديد في هذا الجزء من العالم، وهي التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أوروبا الشرقية المحررّة حديثاً، إضافة إلى الدوّر السياسي والعسكري لدول أوروبا الغربية والدور المستقبلي لحلف الناتو.

الخبراء الاستراتيجيون يعتبرون أوروبا جزءاً هاماً من العالم بعد عصر النهضة، لأنّها أساس الحضارة الحالية لأنّها توجّهت نحو الاكتشاف العلمي

والتقدم، ولكونها موطناً لقوى استيطانية استعمارية كبيرة، ولأنّها كانت ساحة الحربين العالميتين، ولأنّ أوروبا مركز التوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي أثناء الحرب الباردة.

إن عبارة (أوروبا المحصّنة) هي العبارة الشائعة حالياً لدى أنصار حماية أوروبا الموحدة، يعتمد أفضل نظام لتوحيد أوروبا على التنظيم العقلاني والتحكم المركزي القوي، كما فعل نابليون بونابرت حيث تأثر بالامبراطورية الرومانية العظيمة، وكان نابليون بونابرت يرى في بريطانيا عدوّه الأول، والآن وبالنسبة للمستقبل، توجد عوامل معينة في السيناريو الأوروبي يجعل فكرة أوروبا الكبرى أمراً مرغوباً لدى الكثيرين.

الأمر الأكثر أهمية هو رغبة بعض الدول الصغيرة؛ مثل اسكتلندا وهولندا والدنمارك وايرلندا، في أن تؤيد فكرة أوروبا الكبرى من أجل التخلص من كونها دولاً ثانوية ذات مواقف ضعيفة.

فالهولنديون يفضلّون أن يكونوا أوروبيين على أن يكونوا ملحقين بالمانيا واليونانيون يريدون أن يكونوا جزءاً من الحصن الأوروبي ضد تركيا، عدوهم التقليدي، الاسكتلنديون والايرلنديون يريدون التخلص من السيطرة البريطانية، والكثيرون من سكان شمال إيطاليا يفضلّون أن يكونوا أوروبيين على أن يتأثروا بفساد الايطاليين الجنوبيين الذين يعتبرونهم مثل الأفارقة، ألمانيا الموحدة تريد أن تكون مثل سويسرا، موحدة حسب الاقتراح الفرنسي.[١]

أوروبا أصبحت اليوم موحدة من الجهات التالية:

أ ـ لها سوق اقتصادية مشتركة.

---

١ . عزيز، فريدا، النظام العالمي الجديد، ص ١٢١.

ب ـ لها كيان عسكريّ منسجم (حلف الناتو)

ج ـ لها عملة نقدية موحدة (اليورو)

د ـ رفعت الحدود السياسية واصبحت اوروبا دولة واحدة تجاه الشرق.

ب ـ الصين وحلفائها

إن العنصر الأساسي في العلاقات الصينية الأمريكية، [ألا وهو العداوة تجاه السوفييت] قد مضى دون رجعة، ولذلك حلّ وقت مراجعة السياسة الخارجية لدى الطرفين. لذلك برزت موضوعات أخرى جديدة لتصبح نقاط النزاع بين البلدين، فالولايات المتحدة تتضايق من مبيعات السلاح الصيني، وتركز واشنطن على موضوع انتهاك حقوق الإنسان في الصين، وتشعر بالضيق من القيود الصينية على التجارة، ومن الجانب الصيني، فإنها تشعر بالقلق بسبب النجاح الاقتصادي في (تايوان)، والذي تعتبره بعض الدوائر نموذجاً عن اقتصاديات أوروبا الشرقية، إن هذا النجاح التايواني قد حطم أحلام بكين في «التوحيد» بعد عودة هونغ كونغ وماكاو إلى الصين الشعبية في نهاية عقد التسعينات.

إن المشكلة الصينية هي أنهم مستعدون للسير في نوع من الاقتصاد المتنوع والاتجاه التحرري، ولكن في الوقت ذاته، لا يريدون الابتعاد عن العقائدية الشيوعية. كما تعتقد بكين ـ بشكل راسخ ـ أن الطريق إلى الحفاظ على وضع المناطق ينصّب في صياغة ودعم ايديولوجية الحزب الشيوعي الصيني (ccp).

ترى هل يستطيع الحزب الشيوعي الصيني (ccp) تجاهل الاتجاه العالمي اليوم، ألا وهو الاتجاه نحو حقوق الإنسان والحريات الأساسية والصحوة الأجتماعية والسياسية، والوعي الذي لم يعد ممكناً اعتقاله وحصاره بواسطة

الأفكار الايديولوجية الشيوعية، وخاصة في منطقة أهلكها الفقر المدقع، مثل منطقة الصين.

ترىٰ، ما هي بالضبط، السياسية الأمريكية تجاه الصين في النظام العالمي الجديد. ففي حين أنّ تلك السياسة تجاه الهند واضحة شفافة، فإن المفهوم الأمريكي للدور الصيني غيرمعروف تماماً، وذلك لسببين: الوضع النووي في الصين، ومستقبل الصيغة الصينية للشيوعية والاشتراكية.

ومن جانبهم، يقدم الصينيون نسخة خاصة بهم من النظام العالمي الجديد، وهم يحاولون جلب الأنصار لتلك النسخة ويقومون بحملة ترويجية من خلال وسائل الإعلام وحلقات الدراسة والاتصالات على المستوى العالمي.

هذا وتشمل النسخة الصينية للنظام العالمي الجديد على البنود التالية:

١ ـ يجب أن يضمن النظام العالمي الجديد السيادة الكاملة لجميع دول العالم، كما يجب أن يضمن المساواة بين جميع الدول، ويجب أن يسمح لكل دولة أن تتخذ قراراتها الخاصة بشؤونها بشكل حرّ، ويجب أن تعامل كل دولة بالاحترام الكامل.

٢ ـ يجب إزالة النظام القائم على القوة العظمى الواحدة، ألا وهي الولايات المتحدة، وتستبدل بعالم متعدد القوى الكبرى، وهذا سيكون ضماناً أمام السيطرة والعدوانية الأمريكية.

٣ ـ المبادىء الخمسة للتعايش السلمي يجب أن تكون هي مبادىء قيام النظام العالمي الجديد.

٤ ـ يجب أن يكون من ضمن بنود النظام العالمي الجديد إقامة نظام اقتصادي دولي جديدو وهو نظام يستهدف ردم الهوة السحيقة بين الدول الثرية

والدول الفقيرة، وخاصة في موضوع المساعدات وانتقال التكنولوجيا والاعفاء من الديون وحرية الدخول إلى السوق.

إن هذا نوع من البلاغة الخطابية، ومع ذلك، تبدو مسالة ظاهرة في هذا النظام المقترح: إنها مسالة الشعور بانعدام الأمان، والشعور بالخوف من الانهيار كما حصل للاتحاد السوفييتي.

يفهم المرء من اللهجة الخطابية الصينية أن الصين تجد صعوبة في قبول الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة تتحكم بمصير الكرة الأرضية، وهكذا ترفض الصين السياسة الأمريكية حيال تقييد مبيعات وانتقال أنواع من الأسلحة، وترفض أيضاً أهداف واشنطن في صياغة التجارة وسياسة الاستثمار في العالم بشكل يوافق خطط المؤسسات المالية الدولية الكبرى، كما ترفض الصين السياسة الأمريكية حيال إعطاء وزن أكبر لموضوعات حقوق الإنسان، أثناء عملية اختيار الأصدقاء في المسيرة تجاه القرن الحادي والعشرين ولكي تصبح الصين قوة هامة في النظام العالمي الجديد، فإنها تملك مؤهلات مقابل الهند واليابان، إن الاقتصاد في الصين صاعد، وقد بدأ بالانفتاح على العالم منذ ١٥ سنة، وتملك الصين قوة عسكرية هائلة، بما فيها السلاح النووي، وهي العضو الوحيد الدائم [غير الأبيض] في مجلس الأمن الدولي، والذي يملك حق النقض (الفيتو). أما عدد سكانها فيبلغ أكثر من مليار نسمة، وتقوم فيها العقيدة الشيوعية، أما القوى الأخرى الهامة للولايات المتحدة في هذه المنطقة فهي اليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية.

وستقوم الحرب العالمية الثالثة بسبب تايوان واندلاعها من غواصة نووية حيث سيضرب الغرب الشرق صباحاً بالقنابل الذرية والشرق سيضرب الغرب عصراً. إنها في دقائق وتنتهي لا في يوم واحد. عندما يضرب الغرب يكون الزمان

هناك صباحاً ونظراً لكروية الأرض يكون الزمان في الشرق عصراً.

الدخان المتصاعد من الحرب النووية سيدور حول الأرض لمدة ثلاثة أو سبعة أيام.

عن أبي الله الحسين بن علي (عليهما السّلام)، قال: إذا رأيتم علامةً في السّماء، نارٌ عظيمة من قِبَل المَشرق، تطلع ليالي، فعندها فَرَجُ الناس، وهي قدّام المهديّ عليه السّلام.

وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السّلام)، أنّه قال: إذا رأيتُم ناراً مِن المشرِق، ثلاثة أيّام أو سبعة، فتوقعوا فرجِ آل محمد، إن شاء الله تعالى.[١]

ومن جراء هذا القصف الذرّي سيهلك ثلث سكان الكرة الأرضية. وهذا ما وضحه الامام الباقر(ع) بقوله: «قدام القائم موتان موت أحمر وموت أبيض حيث يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون». ومثله قوله(ع): «لا يكون هذا الأمر أي لا يظهر المهدي »حتي يذهب ثلث الناس، فقيل له: إذا ذهب ثلث الناس فما يبقى فقال عليه السّلام: «أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي» وتلك علامة بارزة من علامات ظهور المهدي المنتظر.[٢]

عند إندلاع الحرب العالمية الثالثة يوصي النبي(ص) بدخول الملاجيء واعداد طعام لمدة سنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اقبلت فتنةٌ من المشرق،

---

١ . المقدسيّ الشافعي، يوسُف: عِقدُ الدُّرر في أخبار المنتظر، ص ١٤٥، تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، انتشارات مسجد مقدس جمكران، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢ . حسين يعقوب، المحامي احمد: حقيقة الإعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، ص ٢٢٦.

وفتنةٌ من المغرب، واتَّقوا، فبطنُ الأرض يومئذٍ خيرٌ من ظهرها. فإن لم تجدوا إلا حُجْرَ عقرب فادخُلوا فيه، فإنه يكون شرٌّ طويل».[١]

وبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها: تعني شدَّة الخوف وتمنِّي الموت، ولكنها ترمي أكثر ما ترمي هنا إلى ذلك المعنى الرفيع الذي قصدتْ منه الأخبارُ كلّما ذُكرتْ فيها (بطن الأرض) الهروب إلى الملاجيء التي يجب الاستعدادُ لها وحفرها اتقاءً للغارات الجوية وخطر القذائف والمتفجّرات، ذهاباً من القذيفة العاديّة والصواريخ إلى القذائف الذّريّة وما هو من سنْخها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكره نعيم بن حماد: «ستبدو آية: عمود من نار تطلع من قبل المشرق يراها أهل الأرض فمن أدرك ذلك فليعد طعام سنة».[٢]

كَتَبَ الحجة المنتظر عليه السّلام لابن مهزيار، في علامةٍ صرَّح بها، بعد أن ألمحَ إليها آباؤه(ع):

«ـ إنه إذا فُقِد الصينيُّ، وتحرّك المغربيُّ، وسار العباسيُّ، وبويع السفيانيُّ، أذِنَ لوليِّ الله...»[٣]

والصينيُّ هذا، الذي عرَّفه القائمُ(ع) بالألف واللام ـ أل: المهدية ـ لابدَّ أن يكون ذا ميزةٍ خاصة، وشهرةٍ عالميّة مرموقة، ممن أبرزوا اسم الصين الحديثة بمبادئها الجديدة أمثال تشانْغ كايْ شِكْ، وماوْتسي تونْغْ وغيرهما، فعرَّفه بلفظة:

---

١ . سُليمان، كامل: يومُ الخلاص، ص ٥٧٨، مؤسسة انصار الحسين(ع) الثقافية، طهران، ١٩٩١م.

٢ . الحسني الحسيني، ابن طاووس: الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر(عج)، ص ٤٥، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣ . سُليمان، كامل: يوم الخلاص، ص ٦٠٦ .

الصيني.. وما أجدُ أكثر انطباقاً لها على ماوتْسي تونْغ الذي غزا أفكار الشبيبة في الشرق بمبادئه الشيوعية. فضرب الصين هو بمثابة ضرب الأفكار الشيوعية والإلحادية.

الحرب العالمية الثالثة لو وجدت فانها لا تقضي على كل معالم الحضارة العالمية، بحيث يعود الناس إلى الشكل البدائي للحياة، وتكون الحرب الرابعة بالعصى والحجارة، كما يتصور البعض... كلا، لأنها لن تدوم طويلاً، وإنما تقضي وبسرعة، على المراكز العسكرية المهمة في العالم وعلى مصانع الأسلحة بشكل عام وعلى عواصم الدول الكبرى وبعض مدنها المهمة بما فيها العواصم. وبذلك تسبب فشل الأطراف المتحاربة كلها، وانهيارها عسكرياً واقتصادياً. ولا حاجة إلى افتراض نتائج أوسع من ذلك.

... نعم، توجد قنابل لافناء البشرية في لحظة، إلا أنها لن تستعمل بطبيعة الحال، لأن الدولة (الضاربة) ـ أياً كانت ـ لا تريد القضاء على نفسها بطبيعة الحال، وإنما تضرب من الأسلحة النووية، بمقدار ما تقضي به على خصمها فقط. لهذا من الإمكان بقاء المدنية (العلمية) في البشر، الأمر الذي يجعل الدولة العالمية وارثة له.[1]

الدخان:

عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر أشراط السّاعة قال فعند ذلك يظهر الدُّخان قال حذيفة: قلت: يا رسول الله: وما آية الدُّخان قال:

---

١. الصدر، محمد: اليومُ الموعود بين الفكر المادي والديني، ٦٣٢/٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

تسمع له ثلاث صيحات، ودخان يملأ ما بين المشرق والمغرب ـ فأمّا المؤمن فتصيبه زكمة ـ وأمّا الكافر فيصيبه مثل السّكران ـ يدخل في منخره وأذنه وفيه ودبره وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب.[١]

من علامات الساعة الكبرىٰ ظهور الدخان الذي يملأ الأرض كلها، فتصبح كبيت أوقد فيه، وهو إنذار للكافرين ببدء حلول العذاب ونزول النقمة بهم.

أدلة ظهوره:

١ ـ قال تعالى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(١٠) يَغْشَى النَّاسَ هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١)...».[٢]

٢ ـ عن حذيفة بن أسيد الغفاري ـ في حديثه السابق: إنها ـ أي الساعة ـ لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة... الحديث [أخرجه مسلم واللفظ له، وأحمد وأبو داود والترمذي].

تأثيره على الناس:

يراه المؤمنون فلا يضرهم، وإنما يصيبهم منه ما يشبه الزكام، ويضايق الكفار والمنافقين، فيدخل في منافذهم فينتفخون حتى يخرج من كل مسمع منهم.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: آية الدخان لم تمض بعد، يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفذ (أي ينتفخ حتى يخرج من كل مسمع

منه) [أخرجه عبدالرزاق وابن أبي حاتم].[١]

اسم الله الاعظم:

اسم الله الأعظم في اللغة العربية هو «الله» مكتوبة بأربعة حروف هي على التوالي الألف واللام واللام والهاء.

فإذا نظرنا إلى الحروف العربية في ترتيبها الألفبائي نجد أن حرف الألف هو أول حرف (١) وأن اللام هو الحرف الثالث والعشرون (٢٣) وأن الهاء هو الحرف السادس والعشرون (٢٦).

فإذا جمعنا الأعداد الترتيبية لمواضع الحروف المكونة لاسم الجلالة «الله» عددا عددا لحصلنا على ١٩ و ١٩ كحرف الحاء «حـ» وحرف القاف «ق» اللذين يعطيان لفظة «حق».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ مع الحق والحق مع عليّ».

وهنا يحسن بنا أن نذكر بقوله تعالى: (إنّا نَحْنُ نُحْيي المَوْتىٰ ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وءاثَرهُم وكُلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُّبينٍ).[٢]

---

١ . عبدالسلام طويلة، عبدالوهاب: المسيح المنتظر ونهاية العالم، ص ٢٩٦، دار السّلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢ . سورة يس: الآية ١٢.

إن كلمة «الدخان» جاءت في القرآن مرتين فقط:

أول مرة ارتباطاً ببداية الخلق: «ثم استوىٰ إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فقال لها وللأرضِ ائتيا طوعاً أَوْ كَرْهاً قالتا أَتينا طائِعينَ».[١]

وثاني وآخر مرة كعلامة للساعة: «فَارتَقِبْ يَوْمَ تأتي السَّماءُ بِدُخانٍ مُّبينٍ ❊ يغشى النَّاسَ هذا عذابٌ أَليمٌ».[٢]

في كل من المرة الأولى والثانية نراها مسبوقة بكلمات مجموع حروفها ١٩.

و«الدخان» هو الاسم الذي تحمله في المصحف السورة ٤٤. والسورة ١٩ (مريم) تحمل الرقم ٤٤ في ترتيب التنزيل: و«مريم» هي أم من وصفه الله بكونه «علم الساعة». كما جاء في الحديث أيضاً أن «الدخان» ونزول عيسى بن مريم (عليه السّلام) من بين علامات الساعة: قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة ونزول عيسى بن مريم عليه السّلام.[٣]

نتائج الحرب العالمية الثالثة:

إن هذا الموت الواسع المنتظر سوف يكون له عدّة آثار ونتائج تتعلّق بظهور الإمام المهدي (عليه السّلام)، منها تصفية عدد كبير من الشرائع الفاسدة في المجتمع البشري والمتدنية بعيداً في مهاوي الضلال والتي تصعب هدايتها وتتعسّر

١. سورة فصلت، الآية: ١١.

٢. سورة الدخان: الآية، ١٠،١١.

وليس لها في علم الله عزّ وجلّ إلا الاستئصال من الجسم البشري حفاظاً على أجزائه الأخرى الأكثر سلامة كما تُستأصل الأورام الخبيثة من البدن.

ومن نتائجه أيضاً تقديم الدليل العملي والواقعي الحسي للبشرية على فساد أنظمتها التي صنعتها لنفسها من شيوعية واشتراكية وراسمالية وعلمانية حيث سيتم الدمار والخراب على يد المدنية الحديثة وبسواعد المثقفين والعلماء الغربيين والشرقيين الذين ساروا بطريق المدنية من دون إيمان وخلق يردعهم عن استغلاله لمنافعهم المادية الأنانية وتحقيق نزواتهم الشاذة عن السمو والكرامة الإنسانية.

إن الحرب العالمية الثالثة ستكون أكبر دليل على فشل الإنسان في سيره بعيداً عن الدين الإلهي وعن الفطرة الإنسانية السليمة، وستوجد في نفوس شعوب العالم المتبقية من دمارها الواسع التطلّع نحو نظام جديد وقائد مخلّص لها من آلامها العميقة.(١)

العجب كل العجب ما بين جمادي ورجب

قلنا فيما سبق إن الغبار الناشيء من الحرب النووية سيعم الكرة الأرضية وسوف تهطل امطار غزيرة ولمدة عشرون يوماً خلال شهري جمادي الآخرة ورجب هي من رحمة الله تعالى لعباده الصالحين.

يقول الشيخ يوسف محمد عمرو: «ثم يُختم بعد ذلك بأربع وعشرين مطرة متصلة فيحي الأرض بعد موتها وتظهر بركاتها، ويزول بعد ذلك كل عاهة من

معتقدي الحقّ من أتباع المهديّ، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة، فيتوجهون إليه قاصدين لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار».[١]

روى عبدالكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: كم يملك القائم عليه السّلام؟ قال: سبع سنين، تطول له الأيام والليالي حتى يكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فتكون سنو ملكه سبعين سَنة من سنيكم هذه، وإذا آن قيامه مطر الناس جمادي الآخرة، وعشرة أيّام من رجب مطراً لم تر الخلايق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من جهته ينفضون شعورهم من التراب.[٢]

وستتكلم عن العلائم الأخرى ـ الدجال والدابة وغيرها ـ في الاجزاء القادمة انشاءالله.

كيف تخضع له الدول والحكومات؟

بديهي أن الحكومات والدول إنما تتكون من أفراد يشكلون الهيئة الحاكمة، ومن الطبيعي أن كل فرد منهم يدرك الأمور ويفهم الواقع.

والحكومات تعتمد على الاسلحة والعتاد، والاسلحة بيد الجيش، وهي تعتمد أيضاً على القوات المسلحة كالشرطة والجيش الشعبي والانضباط العسكري، وهذه هي الأجهزة التي تعتمد عليها الدول والحكومات وتتقوى بها

١ . محمد عمرو، يوسف: المسيح الموعود(ع) والمهدي المنتظر(ع)، ص ١٩٨، دار المؤرّخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢ . آل عصفور، الميرزا محسن: ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي المنتظر(عج)، ص ٣٧٨.

وتواجه بها الأعداء..

إن الحكومات تخاف من جيوشها اكثر من خوفها من جيوش الأعداء، إذ كيف يمكن لها أن تواجه الجيش اذا تمرد كله أو اكثره.. ولقد ذكر الرسول الأكرم(ص) في جمله أحاديثه المتواترة ان الإمام الحجة يخرج بالسيف، وهذه الكلمة اتخذها الجاهلون هزوا، وراحوا يقولون مستهزئين: ما فائدة السيف بازاء الأسلحة الفتاكة التي إن أطلقت لا تبقي ولا تذر، كالقنابل على اختلاف أنواعها والصواريخ القريبة والبعيدة المدى، وغير ذاك من أسلحة الإبادة الجوية والبرية والبحرية.

سبيل الرد على ذلك يسير، إذ قد ثبت أن الله رفع نبيه عيسى (عليه السلام) إلى السماء، بدليل قوله سبحانه وتعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىبنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ، وَمَا قَتَلُوُه وَمَا صَلَبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُمْ... وَمَا قَتَلُوُه يَقِينا ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِليهِ).[1] كما أن الأحاديث حول صعود عيسى بن مريم (عليه السلام) إلى السماء كثيرة، وأنه موجود في السماء حي يرزق، وقد مضى على صعوده أكثر من ألف وتسعمائة سنة، وتلك الأحاديث تصرح بأن النبي عيسى (عليه السّلام) ينزل من السماء عند ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وأنه يقتدي بالإمام في الصلاة.

فانظر إلى حكمة الله البالغة وتدبيره العظيم، حيث رفع عيسى (عليه السّلام) إلى السّماء ليدخره ليوم عظيم وهدف كبير.

ثم ينبغي أن لا ننسى أن عدد المسيحيين في العالم اليوم يفوق الألف مليون نسمة، فمثلاً: رؤساء وشعوب الدول الأوربية، كلهم أو أكثرهم مسيحيون، وأكثر رؤساء وشعوب القارة الأفريقية مسيحيون أيضاً، وكذلك الدول الأمريكية

الشمالية والجنوبية، هي مسيحية على السواء، وعقيدة المسيحيين في عيسى بن مريم عليه السّلام مشهودة معروفة مذكورة في القرآن فاذا سمع المسيحيون بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) قد نزل من السماء واقتدى بالإمام المهدي (عليه السّلام) فهل تبقى في العالم حكومة مسيحية أو شعب مسيحي يحارب الإمام المهدي (عليه السلام)؟

رُوي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال ـ في خبر طويل ـ:... فإذا اجتمع عنده عشرة آلاف رجل، فلا يبقى يهودي ولا نصراني إلا آمن به وصدّقه[١].

إذن، بناء على ذلك.. فسوف تتعطل الأسلحة عن الاستعمال؛ إذْ تنتفي الحاجة إليها..

أما اليهود فانهم يجتمعون عند الإمام المهدي (عليه السّلام) فيُخرج لهم ألواح التوراة المدفونة في بعض الجبال، فيجدون فيها أوصاف الإمام وعلائمه، فلا يبقى يهودي إلّا ويعتنق دين الاسلام هذا وقد جاء عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنه قال: «... إنما سُمّي المهدي لأنه يُهدي إلى أمر خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها إنطاكية».

وأما سائر الأديان والملل، فمن الواضح أن هذا التبدل المفاجيء العظيم الذي سوف يحصل في الدول والشعوب، سيترك أثراً كبيراً على الحكومات اللا دينية، كالصين والكثير من بلاد الشرق الأقصى، فهي عندذلك لا تستطيع أن تتجاهل هذه الحقيقة التي تغيّر مجرى حياة العالم..

وأما الشيعة الذين يُقدر عددهم بنصف إجمالي عدد المسلمين في العالم،

---

١ . الابياري، عبدالهادي: العرائس الواضحة، ص ٢٠٩.

فمن الطبيعي سيكونون في طليعة الشعوب التي تلتف حول الإمام المهدي (عليه السلام) وتنضوي تحت لوائه.. وهكذا يسود الإسلام والسلام في كافة بقاع الأرض، وتدخل الشعوب والحكومات في دين الله أفواجاً، خاصة إذا تذكرنا أن الشعوب المختلفة ستمل جميع الحضارات المزيّفة، وسائر النظريات الفاشلة، لاسيما بعدما يثقل الإرهاب والدمار وشبح الإبادة كاهل هذه الشعوب التي سيؤول حالها إلى إنتظار المصلح والمخلص الذي ينتشلها من براثن الخوف والبطش والترهيب.

حياة المجتمع في عصر الإمام المهدي (عليه السلام):

يعتبر عصر الإمام المهدي (عليه السلام) ـ بعد ظهوره وقيامه ـ من أفضل عصور الكرة الأرضية منذ خلق الله الأرض، أو منذ خلق آدم (عليه السّلام).. وعصره هو عصر العلم والنور، لا العصور التي نحن نعيشها اليوم والتي هي عصور ظلمات الجهل والفقر، والانحراف والفجائع، والجور والضلالة..

وعند قيام الإمام المهدي (عليه السّلام) يرحل الفقر عن المجتمع البشري ويزول الحرمان، وتنحل العقد النفسية، وتنقلب الأحزان أفراحاً، وينقلب جحيم الحياة نعيما، والذبول المستولي على الوجوه يتبدل طراوة ونضارة، والخوف يرتفع والأمان يسود العالم والعدالة تخيم على رؤوس البشر، والظلم يتلاشى، فلاترى ظالما ولا مظلوماً، والمسلمون تتحق أمنياتهم، والسلام يشمل الكرة الأرضية والاسلام ينتشر في كل بقاع الأرض.. كل ذلك ببركات نهضة الإمام المهدي (عليه السّلام) وقيامه وإنجازاته، وخطواته الاصلاحية، ومشاريعه العمرانية، وتعاليمه القيمة، وتطبيقه للقوانين الالهية، وعلى الإجمال فان الإمام

(عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد أن تملا ظلماً وجورا.. والشق الثاني من الجملة هو علة للشق الأول كما لا يخفى.

وإلى ذلك، يستفاد من الأحاديث الشريفة الكثيرة أن تطوراً عظيماً وتبدلاً كبيراً سوف يحدث في المجتمعات كلها ـ في ارجاء الكرة الأرضية ـ وسوف تتغير صورة الحياة إلى صور أخرى رائعة، في جميع مظاهرها ومرافقها.

وسيشمل التطور والازدهار جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية.. وغاية ما في القول أن عصر الإمام الحجة هو من أزهى وأجمل العصور التي عرفتها البشرية منذ بداية عهدها.(١)

المهدي والمهدية في السودان

ان العهد التركي ـ المصري في اطار الدولة العثمانية قد ترك اثره البالغ في توجهات السودان المعاصر، من حيث انه فتح الباب على مصراعيه امام السودانيين ليلعبوا دوراً أكثر شمولية في افريقيا والعالم الاسلامي. اذ ان الأمر وكما تشير الدراسات التاريخية لم يتوقف عند طائفة معينة أو قبلية واحدة فقط بل ان تاثيرات الحركة الدينية والإسلامية القادمة من شمال السودان قد طبعت آثارها عند أكثر من فئة وطائفة. وها هي ثورة المهدي المعروف بـ(محمد احمد المهدي) تنطلق من غرب السودان في العام ١٨٨١م زاحفة على وسطه وشماله وشرقه تريد اعلان الخلافة الاسلامية المجددة على افريقيا ومصر وتركيا ومحاربة مملكة الاحباش وبريطانيا.

من هنا نرى ان الختمية كمثال لتيار متأثر بمصر والدولة العثمانية برز في السودان يدافع عن توجه السودان نحو العالم الاسلامي الخارجي وضرورة الإرتباط به وذلك في ظل ظروف المد الوهابي القادم من «نجد» والتي تصدت له مصر وحدت من اندفاعه بعد معارك عديدة انتهت بسقوط عاصمة الوهابين (الدرعية) في ١٨١٨/٩/٦م. وهو تاريخ وصول السيد محمد عثمان الميرغني زعيم طائفة الميرغنية «الختميين» القادم من الطائف حاملاً معه الموقف الرافض للحركة الوهابية، مما يجعله يقف إلى جانب المصريين ويرضى بالدولة العثمانية حاملا الامتنان لها بسبب موقفها المناهض للحركة المذكورة.

ثم يبرز تيار المهدي والمهدية الذي تبلور فيما بعد بحركة الأنصار (أنصار

المهدي) في وقت كانت فيه الادارة المصرية والدولة العثمانية قد بدأت تتهاوى وتندحر امام هجمة الاستعمار البريطاني والضغط الاوروبي. مما يدفع محمدبن أحمدبن عبدالله المعروف بـ(المهدي) أحد زعماء منطقة شمال السودان إلى ان يذهب لغرب السودان ليجمع قبائل العرب مرة أخرى ليزحف على الخرطوم عاصمة الادارة المصرية المتخاذلة ونموذج الحكم العثماني المنهار امام الزحف الاوروبي، بنظر المهدي، ليعلن خلافة جديدة متأثرة هي الأخرى بمصر والدولة العثمانية والحضارة الاسلامية القادمة من الشمال ولكن من موقع تصحيحها لها هذه المرة.

وهكذا تتعارض الحركتان الختمية والمهدية في موقفهما من الدولة العثمانية والادارة المصرية الممثلة لها في السودان في حين تلتقي الاثنتان على وقوعهما تحت تأثير الخارج الاسلامي الذي دخل أطار التركيبة السودانية.

شخصية المهدي

ولد محمد أحمد في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٠هـ (١٢ اغسطس سنة ١٨٤٤م) بجزيرة (لبب)، التي تبعد عن مدينة (دنقلة)[١] جنوباً بخمسة عشر كيلومتراً، وهو من سلالة عربية، وكان أبوه نجاراً، مرن على بناء السفن، ثم ضاق به العيش في دنقلة، فانتقل وأفراد عائلته إلى (كررى)[٢]، ومحمد أحمد لايزال طفلاً، واشتغل هناك بصناعته، وتلقاها عنه أولاده، على أن محمد احمد قد مال منذ صباه إلى

---

١ . أحمد ياغي، د. إسماعيل: تاريخ العالم العربي المعاصر، ص ٢٨٤، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢ . شمالي أم درمان وعلى بعد ستة أميال منه.

العلم والتفقه في الدين، فحفظ القرآن في كتّاب بالقرب من كرري، ثم تلقى بعض العلوم الدينية، ومالت نفسه إلى التصوف، وأخذ تعاليمها عن أستاذ له يدعى الشيخ محمد الشريف نور الدائم، من خيار العلماء، فقربه وميزه على سائر تلاميذه، لما رأى منه التقشف والزهد.

وفي سنة ١٢٨٦هـ (١٨٧١م) رحل إخوته إلى جزيرة (آبا)[١]، لكثرة أشجارها الصالحة لصنع المراكب، فرحل معهم المترجم، وكان قد تفقه في الدين، وبلغ من العمر السادسة والعشرين، فبنى بالجزيرة مسجداً للصلاة، وخلوة للتدريس، وأقبل عليه سكان الجزيرة، يأخذون عليه العهود، وتتلمذ عليه بعضهم، فلم يمض على مقامه بها إلا القليل، حتى ذاع صيته في النواحي المجاورة، ولما كثر أتباعه ومريدوه، واعتقد أنه المهدي المنتظر، اعتزم أن ينادي بدعوته فأسرها أولا في نفسه، ثم أفضى بها إلى استاذه الشيخ محمد شريف، فنهاه عنها، ولكن لم ينته، ولم يسمع له نصحاً، ورأى أستاذه إصراره على دعواه، فجمع مجلساً في (آبا) من الأعيان، وأمره بحضورهم أن يرجع عن غيه، فخرج محمد احمد من المجلس لمشاورة من معه من الأصحاب، فلم يرجع، ونصح الشيخ شريف إلى قائمقام «الكوة» بالقبض عليه وزجه في السجن، لكي لا يستفحل أمره، فلم يفعل ولو عمل برأيه لأخمد الثورة وهي في مهدها.[٢]

وفي شعبان سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) أسرّ دعوته إلى خاصة تلاميذه ومريديه، وفي مقدمتهم عبدالله التعايشي، خليفته من بعده.

---

١ . بالنيل الأبيض وتبعد عن الخرطوم جنوباً بمائة وخمسين ميلاً

٢ . الرافعي بك، عبدالرحمن: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، ص ١٠٤، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

وفي شعبان سنة ١٢٩٨هـ(١٨٨١م) أخذ يذيع دعوته جهراً، فكتب إلى المشايخ من مريديه وأصدقائه أنه رأى النبي الكريم (عليه الصلاة والسّلام) في المنام، وأنه عهد إليه إحياء الإسلام، ودعاهم إلى الحضور إليه في (آبا).

ولعله من المفيد ايراد مقاطع من رسالته طبقاً لمنشور اصدره يعلن فيه مهديته، والتي نقلناها من الصفحة (٣٦) عن كتاب «**السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل**» **لمؤلفه محمد ابوالقاسم الحاج محمد:**

«بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم،

وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبدالله إلى احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه،

اما بعد، فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولايرضى بذلك ذوو الايمان والفطن بل احق ان يترك لذلك الأهل والوطن لاقامة الدين والسنن ولا يتوانى عن ذلك عاقل لكون غيرة الاسلام للمؤمن تجبره. ثم احبابي كما أراد الله في أزله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله واخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسّلام بالجلوس على كرسيه... الخ»[1]

أصيب المهدي بحمىً خبيثه من نوع الالتهاب السحائي الشوكي، لم تمهله بضعة أيام حتى أودت بحياته، وهو في أوج قوته، وكانت وفاته يوم ٩ رمضان سنة ١٣٠٢هـ(١٨٨٥م)، وتولى حكم السودان من بعده خليفته **عبدالله التعايشي**.

---

١ . الحسيني، محمد: من الثورة المهدية إلى الاستقلال، ص ٧٨، مستل من مجلة العالم اللندنية، العدد ١٣٠، ٤ ذوالحجة ١٤٠٦هـ.

لم يتحمل البريطانيون هذه النهضة المنتصرة ـ حيث انتصر المهدي عام ١٨٨١م على القوات المرابطة في السودان ـ بل اعدوا لها العدة حيث سقطت أم درمان عاصمة خليفة المهدي عبدالله بيد البريطانيين عام ١٨٩٨م مما مكن البريطانيين من الانتقام وذلك عندما توجه القائد البريطاني الغازي الجنرال كتشزفور دخوله اليها لنبش جثمان المهدي، واحرق بناءً على امر منه وارسل الرأس بعد ذلك لدفنه في وادي حلفا.

لم يأخذ محمد أحمد فكرة المهدي المنتظر من بطون الكتب. ولا عثر عليها في مؤلفات ابن عربي. فالفكرة مستقرة هناك منذ قرون، ولكن أفرزتها ظروف المجتمع في ظل الحكم الأجنبي ونمو النشاط التجاري، فراجت الفكرة قبل محمد أحمد. فقد كان السّيد محمد عثمان الميرغني (الختم) يشير كثيراً إلى المهدي المنتظر. وهو يضع المهدي بعد الرسول(ص) ثم يليه الختم. وبهذا يكون المراغنة قد شاركوا في نشر فكرة المهدية في السودان واذاعتها بين الناس، ويذكر محمد أحمد فيما بعد أن السّيد الحسن الميرغني أشار مراراً وتكراراً إلى المهدي وصفاته ومكان ظهوره.[١]

وراجت الفكرة كثيراً في غرب السودان. فقد روى بابونمر الناظر السابق لقبيلة المسيرية عن جده علي الجلة الذي أصبح فيما بعد من قادة الدعوة المهدية، أن رجلاً جاءهم من الغرب واتصل بهم قبل محمد أحمد بسنوات. وكان ذلك الرجل يخرج إلى العراء ويأخذ في استنشاق الهواء. وعند سؤاله قال إنه يستنشق

رائحة المهدي القادم[١] وتحدث يوسف ميخائيل في مذكراته عن رواج الفكرة في كردفان وفي الأبيض بالذات حتى كان يتداولها الأطفال في ألعابهم.[٢]

وظهر على أيام المهدي من أدعاها. فهناك على سبيل المثال فخر الدين حسين معلاوي الذي قال بأنه المهدي المنتظر عام ١٨٨٤م، وكاتبه محمد أحمدالمهدي في هذا الشأن، راجياً هدايته. وظهر بعد وفاة المهدي من رفع لواءها. وأبرز مثلين همان أبو جميزة في الغرب ومحمد آدم البرقاوي في منطقة البلايات.[٣]

مجزرة جزيرة ابا

واما في زمن الرئيس السوداني جعفر النميري حدثت مجزرة في جزيرة (آبا) ضد اتباع الامام المهدي والحادثة تبدأ من هنا:

فقبيل انقلاب ١٩٦٩م، كان الامام الهادي المهدي زعيم الأنصار ورئيس حزب الامة المنحل، قد لجأ إلي جزيرة (ابا) المعقل التقليدي ومقر قيادة الانصار. كانت هذه الجزيرة في النيل الأبيض على بعد حوالي ٢٥٠ ميلاً جنوب الخرطوم مقر القيادة الأصلي للمهدي عندما شن حرب تحريره ضد الحكم التركي ـ المصري في ١٨٨١م، وقد بقيت ملكاً عائلياً منذ ذلك الوقت. وبعد انقلاب ايار

١ . هذه المعلومات أدلى بها الناظر بابونمر للأستاذ الطيب محمد الطيب في مقابلة إذاعية بثتها محطة أم درمان في أبريل، عام ١٩٨٢م.

٢ . القدّال، الدكتور محمد سعيد: الامام المهدي (محمّد أحمدبن عبدالله ١٨٤٤ـ ١٨٨٥م)، ص ٣٤، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣. الحسن، موسى المبارك: تاريخ دارفور السياسي، ص ١٤٧، ص ١٦١، بدون تاريخ. القدّال، الدكتور محمد سعيد: المهدية والحبشة، ص ٧٢، ص ٧٩، جامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

توجه اليها الوف من الأنصار، حتى بلغ مجموع المقيمين على القطاع الضيّق من الأرض بطول ٣٠ ميلاً في اوائل ١٩٧٠م، حوالي ٤٠ ألف شخص.

ولم يسر المجلس العسكري كثيراً من التقارير الواردة من المنطقة، وقد اعتبر ترفع الامام عن السياسة في الخرطوم خطراً على نظام الحكم. وكان معظم الزعماء السياسيين، بمن فيهم الصادق المهدي، في السجن. وكان السّيد محمد عثمان الميرغني الذي اصبح زعيماً لطائفة الختمية بعد وفاة والده علي الميرغني عن ٩٨ عاماً من ١٨٦٨م، قد اعترف بحكومة عوض الله الجديدة. وزعيم المعارضة الرئيس الوحيد الذي كان لايزال قوياً وحراً ومستقلاً، كان الامام، في جزيرة ابا.

وفي آذار ١٩٧٠م، اعلن النميري عزمه على زيارة منطقة النيل الأبيض بما فيها جزيرة ابا، وارسل مبعوثاً ليبلغ الامام الهادي. وردَّ الامام بان الجو متوتر والرأي العام يعارض زيارته. وقال انه ينصح النميري بعدم المجيء، رغم انه حاكم السودان، ويحق له ان يذهب إلى أي منطقة من البلاد. وقال أيضاً إنه إذا زار النميري منطقة النيل الأبيض فلن يكون مسؤولاً عن أي اضطرابات قد تقع. اما بالنسبة إلى زيارة جزيرة ابا، فقال الامام ان النميري لن يدخلها الا على جثته.

ومن هنا بدأ النميري انتقامه السريع الوحشي من الزعيم المهدي واتباعه على جزيرة ابا.

لقد جرحت كبرياء النميري عندما احبط الانصار محاولته النزول إلى الجزيرة. فقرر فرض سلطته بطريقة وحشية.

وفي ٢٧ آذار أمر طائرات الميغ بقصف الجزيرة بالصواريخ وفي ذلك الوقت لم يكن السودان يملك طائرات ميغ ولا طيارين يستطيعون قيادتها. مما

جعل الكثيرين مقتنعين بان القصف جرى بطائرات مصرية وطيارين مصريين.

وجاء بيان صادر عن وزارة الخارجية الليبية في وقت لاحق ليؤكد هذا الاقتناع.

ظلت المقاتلات طوال يومين «تنقض» على الجزيرة وتضربها بالصواريخ وتغير على السكان. لقد كانت مجزرة وحشية... كانت اقسى تقتيل لا سابق له في تاريخنا وأوحشه.

كان يجرى حصد الناس وتفجيرهم قطعاً في الشوارع والحقول اثناء فرارهم للاحتماء، من دون ان يكون هناك دفاع أو حماية لهم ضد الغارات الجوية.

وبعد ان قضى القصف والضرب بالصواريخ على قسم كبير من السكان، غزا الجزيرة حوالي اربعة آلاف جندي بالدروع. غير ان المقاومة لم تكن انتهت، فخرج مقاتلو الامام ذوو الأثواب البيضاء من مخابئهم، فوقع قتال عنيف. وقال شهود عيان في وقت لاحق ان الانصار المتعصبين كانوا خلال المعارك الأخيرة يخرجون بالرماح لمواجهة نيران الرشاشات في اماكن مكشوفة. وكان آخرون يخوضون معارك بائسة بالقاء أنفسهم على المدرعات. واستسلمت الجزيرة بعد اربعة أيام.

هذه هي قصة مذبحة جزيرة ابا، وهي قصة تعيد إلى الأذهان ذكريات المقاومة الشرسة التي خاضها رجال المهدي ضد الغزاة الاجانب في اواخر القرن الماضي.

وما قاله المجلس العسكري عبر راديو ام درمان وللمراسلين الاجانب هو ان الامام طلب مهلة ساعات قليلة قبل الاستسلام للذين كانوا في ذلك الوقت قد

قضوا على المعارضة الحقيقية في الجزيرة. فلبي الطلب. ولكن عندما دخل الجنود منزل الامام في النهاية، كان قد اختفى.

وفي الأول من نيسان، اعلن اللواء النميري من راديو أم درمان ان الحراس في نقطة الحدود في الكرنك على الطريق المؤدية إلى الحدود الاثيوبية امروا سيارتين بالتوقف، وان السائقين تجاهلا الاوامر وحاولا اجتياح الحاجز المقام على الطريق وفي الوقت نفسه اطلق اشخاص آخرون على السيارتين النار على الجنود السودانيين، فرد الجنود على النار ودمروا السيارتين.

وقال النميري انه عثر في وقت لاحق على جثة الامام داخل احدى السيارتين.

وفي اليوم الثاني اعلن وزير الخارجية بابكر عوض الله ان الامام دفن قرب الحدود الاثيوبية. ولم يعط تفاصيل اخرى.[1]

---

١ . محجوب، محمد أحمد: الديمقراطية في الميزان، ص ٢٣٩، ص ٢٤١، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.

نصوص غير منشورة للسيد الافغاني عن المهدي السوداني

المقالات الثلاث التي نقدمها للقاريء، والمنسوبة إلى السيد جمال الدين الافغاني، هي نصوص نشرت على ثلاث حلقات في الصحيفة الفرنسية «L'Intransigeant» أو «التصلب»، وهذه النصوص غير معروفة لدى غالبية الذين تتبعوا اعمال الافغاني كما قدمتها دوائر التحقيق إذ انها لم تنشر سابقاً بالعربية كان الافغاني قد كتبها لمجلة فرنسية في الربع الأخير من القرن الميلادي المنصرم وبالتحديد في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣ وكان موضوع المقالة الأولى ينصب على تقييم الحركة المهدية في السودان ولكنها اقتصرت على وضع أصول فكرة المهدي في التفكير والعقيدة الاسلامية. وفي المقالتين المتممتين الثانية والثالثة نرى تعقيباً مباشراً على الأحداث ورؤية عامة لمتغيرات الوضع السياسي الناجم عن ثورة المهدي.

نص المقالة الأولى

المهدي ليس نبيا

«الشخص الغامض، محمد احمد، الذي برز خلف اسم المهدي منذ عامين في السودان، والذي عبر قضائه شبه التام على الحملة العسكرية التي قادها الجنرال «هيكز» «Hicks» بدأ يشغل الرأي العام في أوروبا، ويستنفر بصورة خاصة الصحافة الانكليزية التي تعكس، في الوضع الراهن للامور، المشاعر الحقيقة للأمة. هذا الانتصار، الذي زرع الفوضى في وزارة الخارجية، يبدو انه

احتفظ للسيد «غلادستون» «Gladstone» في وادي النيل بنفس الثمار التي جناها اللورد «بيكونسفيلد» «Beaconsfield» في افغانستان.

ومن ناحية اخرى، فتح هذا الانتصار الباب امام مطامع الخديوي السابق اسماعيل باشا، وكذلك امام مطامع حليم باشا: فكل واحد منهما يعمل بنشاط للحصول على عطف انكلترا، ولا يتوانى الواحد منهما ان يعد الانكليز بخنق هذه الانتفاضة على شرط ان يؤكدوا له دعمهم للوصول الى عرش الخديوية. أما بالنسبة لتوفيق فهو في وضع في غاية التعقيد وفي حالة تصبح عصبية، يوما بعد يوم. نرى هذا الأمير البائس تحت رحمة احتمالين كلاهما مشؤوم: احتلال الانكليز النهائي لمصر، او وصول المهدي إلى القاهرة. وتحت رحمة طموحين: طموح ابيه اسماعيل وطموح عمه حليم.

واني اقترح أن اقدم في مقال لاحق بعض التقديرات الشخصية للمهدي من وجهة نظر سياسية، ومن زاوية مصالح القوى الاستعمارية ومصالح تركيا، وللتحدث عن الانطباع الذي يمكن ان يولده اسم المهدي في العالم الاسلامي، كما سأتحدث عن نوايا انكلترا ازاء هذه المسألة الخطيرة، وعن الربح الذي يأمل بتحقيقه الاشخاص الطامعون بالخديوية. لكنني سأكتفي الآن بتلخيص بعض الأحداث التاريخية التي هي من طبيعة تهم الجمهور وترشده حول المهدي، حول قوته لدى المسلمين، وحول طرائق المسلمين في الاعتقاد به، الأسباب التي آلت إلى هذه المعتقدات والاحداث ذات الطبيعة المشابهة والتي حصلت في الماضي، وأخيرا سأتحدث عما ينتظره الاسلام حالياً من المهدي

المهدي ـ كلمة عربية معناها: الملهم من الله لاتباع الصراط المستقيم ـ وهو ليس بنبي كما تزعم بعض الصحف: ولا يحظى المهدي لدى المسلمين الا باعتباره

واحداً من أبناء الرسول العظيم، تقي، ورع، تبعا للصراط الذي رسمه جده محمد، ويلتزم بالمذهب الاسلامي بأمانة. مهمته الالهية تقوم على الغاء البدع، والمناداة بالعدالة، واقامة المساواة بين كل المؤمنين وبنشر اسم الاسلام، وجعله متصلا في كل انحاء المعمورة. ويعبّر عن المهدي بالعربية بعبارة «قائم آل محمد» وهذا معناه: هو الشخص الذي من بين المنحدرين من النبي الكبير، سوف ينهض لدعم الايمان الاسلامي. والاعتقاد بمجيء المهدي منتشر في كل الاصقاع الاسلامية دون أي تمييز بين الفرق. وهذا الاعتقاد راسخ لدى الشعوب الاسلامية الى حد انه مستمر منذ القرن الأول للهجرة.

الطبري وابن الأثير، المؤرخان الأكثر شهرة واحتراماً لدى المسلمين ذكرا في كتاباتهما ان المؤمنين خلال منتصف القرن الأول للهجرة كانوا يقولون عن عمربن عبدالعزيز نسيب النبي وأحد خلفاء بني أمية الأكثر عدالة، بأنه اذا لم يكن المهدي المنتظر، فانه لن يكون سوى يسوع ابن مريم الذي سيخرج قبل نهاية العالم. ان انتظار مجيء المهدي يتزايد كليا عند المسلمين، في كل المرات التي يجدون فيها أنفسهم في ضيق، أو يرون أنهم مهددون في دينهم أو واقعون تحت سيطرة قوة اجنبية، وحيث يشبهون رجلاً ضالاً في ليلة حالكة الظلام وسط صحراء شاسعة، منتظراً بفارغ الصبر ظهور نجمة تقوده.

هذه المعتقدات مبنية على آيات وعلى أحاديث لا تمس وشديدة الاحترام، منسوبة إلى النبي الكبير محمد(ص). وقد وردت هذه الأحاديث في أكثر من كتاب، من بينها: المسند، للامام أحمدبن حنبل السني، ومؤسس أحد المذاهب الاسلامية الأربعة، والصحيح للسيد علي الترمذي، ومسند «فردان» (كما ورد في النص الفرنسي في الجريدة: Firdano وابن ماجة الخ..)

كل العلماء المسلمين، باستثناء ابن خلدون في مقدمته ونفر آخر محدود من العلماء، اجمعوا على الاعتراف بأصالة هذه الأحاديث وصحتها، ويظهر للعيان من خلال هذه الكتب ان النبي العظيم محمد(ص) تكلم عن المهدي في أماكن عديدة، حيث يدعوه حيناً بأسم المهدي وحيناً بأسم القائم. وقد قال: «**لو لم يبق من الدنيا الا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي**». (كما ورد في صحيح الترمذي، الجزء التاسع ص ٧٤ ـ ٧٥. وثمة اختلاف بسيط في الترجمة الفرنسية للفقرة الأخيرة). وقال في حديث آخر: «**القائم (المهدي) سيكون واحد من ولدي وسيهبكم الخيرات بلاحساب**». وفي حديث آخر: «**سيمنحكم (المهدي) كنوز رومية وستعطيه الأرض جم ثرواتها**». (يمكن مقاربة هذين الحديثين الأخيرين بالحديث الذي أورده ابن حنبل في مسنده «**يكون في امتي المهدي** (...) فتنعم أمتي في زمانه نعيما لم ينعموا مثله قط البر منهم والفاجر ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً ويكون المال كدوسا» وفي حديث آخر (بحسب ترجمتنا للنص الفرنسي): «**اذا امتلأت الأرض ظلماً وجورا، واذا أصبح المؤمن (المسلم) أكثر سوءا من عبد، فانتظروا ان يظهر واحداً من صلبي، المهدي**». (هذا الحديث يمكن مقاربته بالحديث الذي أورده ابن حنبل في مسنده: «**لتملأن الأرض جورا وظلما فيبعث الله تعالى رجلاً مني اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي...**») وقال أيضاً: «**ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا**.وقيل في موضع آخر: «**اذا استولى عليكم بنو الاصفر** (يلمح النبي هنا إلى قدامى الرومان) **فانتظروا القائم من اهل بيتي**» (لم اجد هذا الحديث بالعربية).
وهذا حديث آخر أيضاً: **المهدي منا، ويكون اسمه اسمي (محمد) واسم أبيه اسم أبي**

(عبدالله)، واسم امه اسم امي (امينة). (لم اجد أيضاً هذا الحديث بصورة حرفية).

وهناك عدة أحاديث أخرى من النوع نفسه، وتقطع، بطريقة لاتقل بداهة، باليقين بقدوم المهدي. اما بالنسبة للاستشهادات التي استخدمها العديد من القديسين والتقاة، والتي تزعم آنهاتلقت الوحي الالهي والتي تثبت بأن المهدي أو القائم سوف يظهر في الشرق أو من الغرب، من مكة أو من الكوفة، وتحدد هذه الاستشهادات هذه الفترة أو تلك موعداً لخروج المهدي، وهي كثيرة ومتعددة إلى حد انني لم اجد لزاماً ضرورة الاسهاب فيها.

كل مسلم ينتظر المهدي

لقد خرج تحت اسم المهدي أو القائم مئات الاشخاص في كل القرون وفي كل البلدان الاسلامية. وان كان غالبية هؤلاء لم ينجحوا لكن ذلك لم يمنع بعضهم من تأسيس ممالك حافظ عليها الاتباع طيلة قرون عدة. ابومسلم الخراساني الذي قضى على خلافة بني امية وشيد خلافة بني العباس، لم ينجح في حشد الجماهير وفي بناء جيش مهيب في «مرو» وفي غيرها من نواحي خراسان الا بعد ان استعمل لنفسه اسم قائم آل محمد (المهدي). وقد استطاع بهذه الوسيلة ان يلزم الجمهور باعلان أبي العباس السفاح خليفة، وهو أول خليفة من بني العباس وأحد احفاد العباس عمّ النبي الكبير محمد.

ادريس الأكبر، أحد احفاد محمد، والذي أقام مملكة الادارسة في زمن هارون الرشيد، وبنى مدينة فاس، لم ينجح في ذلك الا خلف اسم قائم آل محمد ـ وأيضاً عبيدالله جد الخلفاء الفاطميين، فانه بصفة المهدي هذه استطاع هذا الرجل الذي احتل القاهرة وسوريا والحجاز واليمن ان يبني ممالك واسعة وان يشيد

مدينة المهدية التي مازالت تحمل اسمه حتى أيامنا هذه.

محمد، زعيم الموحدين ـ (الذين يعتقدون بوحدانية الله) ـ لم يستطع ان يجلب المرابطين إلى نصرة قضيته ونشر فتوحاته حتى بلاد الاندلس تاركاً لخلفائه مملكة واسعة، الا عبر ادعائه بأنه المهدي.

بكلمة وجيزة، خلف هذا الاسم (المهدي)، كم من رجالات الاسلام انجزوا اعمالاً باهرة ومعتبرة، وقادوا الاوضاع إلى تغيير جدي في عالم المؤمنين. رغم كل الذين اطلقوا على انفسهم اسم المهدي وتعاقبوا وصولا إلى أيامنا الحاضرة، فان المسلمين مازالوا ينتظرون واحداً جديداً، الشيعة الاثنا عشرية، كالفرس مثلا، والذين يؤمنون باثني عشر اماماً منحدرين يتعاقب من محمد، فهم وان كانوا يتفقون مع السنّة حول الجزم واليقين بمجيء المهدي، الا انهم يختلفون عنهم في تعيين شخصيته. فهم (الشيعة) يقولون بأن محمد المهدي هو ابن الحسن العسكري، التاسع (بل الحادي عشر) من بني احفاد النبي الكبير، ويقولون بأن محمد المهدي ولد في سامراء (مدينة قرب بغداد)، في عهد الخليفة المتوكل العباسي. وأنه ذات يوم، وخشية من الاجراءات القاسية التي اتخذها الخليفة ضده قرر محمد المهدي وهو في الخامسة من عمره، الاختباء داخل بئر، وخلال ستين سنة بقي على اتصال بمناصريه. هذا الاختفاء يدعوه الشيعة: الغيبة الصغرى. ويرى الشيعة أيضاً انه بدءاً من هذا التاريخ قام بقطع صلاته مع أتباعه الذين يعتبرونه حيا حتى أيامنا. مقدرين مدة وجوده بأكثر من ألف سنة.

وتبعاً لعقيدتهم، سوف يظهر المهدي هذا بين الركن (وردت خطأ في النص الفرنسي بعبارة الكك KICK)، والمقام، في مكة، وسيجعل من الكوفة (بالقرب من بغداد) مكاناً لاقامته، وسينشر سيطرة الاسلام من الشرق إلى الغرب.

باختصار، مهما تنوعت هذه المعتقدات من ناحية الشكل، فانه لا يقل صحة بأن كل مسلم ينتظر المهدي، ومستعد للسير خلفه وللتضحية بحياته وبكل ما يملك. المسلمون الهنود خاصة. ونظراً لمعاناتهم اللا محدودة وتحملهم أقسى العذابات وأطولها من جراء السيطرة الانكليزية، فأنهم الأكثر انتظار للمهدي بفارغ الصبر.

أخيراً، فان سطوة المهدي في أنظار المسلمين تتبع فحسب النجاح النهائي الذي يقوي على تحقيقه، على أي حال، تلك كانت حالة كل الذين سبقوه.[١]

نص المقالة الثانية

ماذا سيعني انتصار المهدي في جهاده ضد الانكليز؟

ان الهزيمة التي ألحقها محمد أحمد ـ بقواه غير المنظمة ـ منذ فترة وجيزة بالجنرال «هيكز» Hicks، اعطت نتيجتها بتبديد الشكوك التي احاطت شخصيته من قبل سكان بعض مناطق السودان. ان انتصار «العبيد» رفع من شأن سطوته في انظارهم الى درجة انهم باتوا يعتبرون ما أنجزه بمثابة معجزة.

اضافة إلى ذلك، ولّد هذا الحدث لدى المصريين، الامل بالتخلص من السيطرة الانكليزية بمساعدة المهدي، ومن جهتهم، فان مشايخ جامعة الأزهر بدأوا يطلبون المغفرة في أعقاب الفتوى التي تناولت محمد أحمد كدجّال.

ان انتصار «العبيد» الذي كان له دويّ واسع في العالم الاسلامي، ايقظ المشاعر الدينية لدى كل شيوخ الطرق (الاخويات الدينية) مثل القادرية والنقشية (المقصود على الإرجح هو النقشبندية) والجلالية والسنوسية والشاذلية الخ...

---

١. الشامي، حسن (اعداد وتقديم): نصوص غيرمنشورة، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٢، (حلقة ١) ـ مجلة العالم ـ العدد ٧٧، لندن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وهذه الاخويات تمارس سلطة كبيرة على اتباعها الكثيرين. هؤلاء الشيوخ لا ينتظرون سوى عمل اضافي باهر يمكن من وضعهم لحساب المهدي، كي يثوروا ويشكلوا قضية واحدة معه. من ناحية أخرى، فإن الجنود المصريين نظراً لكونهم مسلمين ويعتقدون تبعاً لذلك بالمجيء الاكيد للمهدي، وواثقون أيضاً انهم بمقاومة محمد أحمد لا يخدمون مصالحهم ولا مصالح بلدهم، وبأن انكلترا فقط هي التي ستستفيد بالطبع من أي خسارة قد يلحقونها به، لذلك لا يرغبون في أي حال من الأحوال بمقاتلة أي وحدة من وحدات المهدي المقاتلة.

قبل انجاز أي مأثرة أخرى ـ وتلك معجزة جديدة ليست غير ممكنة، ونظراً للانتصار الذي حققه المهدي ضد عشرة آلاف جندي نظامي، ونظراً للدعوات والنداءات التي اطلقها عن ذكاء إلى مشايخ القاهرة ومكة والمدينة ـ وقبل انتشار الهبات الدينية واستعداداتها في الشرق كما في الغرب، فان الاتراك، برأيي، وحدهم قادرون، تحت اسم الخلافة، ان يصبحوا أسياد الموقف، وان يستبقوا الاضطرابات الخطيرة. لكن القوى الاوروبية التي تنتهج سياسة غامضة النتيجة، وكذلك انكلترا التي لا تخفي مقاصدها، تعارض بقوة أي تدخل تركي.

واذا حقق محمد احمد ـ انتصاراً آخر ـ أي اذا احتل الخرطوم أو اقترب من تخوم مصر العليا، فانه سينجم عن ذلك هبة عامة لدى كل السكان العرب الواقعين تحت السيطرة العثمانية، وستلقى تركيا صعوبة بالغة، نظراً لضغطها الحالي، في اخماد هذه الهبة.

وبدون شك، ستنشأ حركات اخرى في عدة نقاط من الأقاليم الواقعة تحت السيطرة التركية. سأذكر هنا بدقة من هي المجموعات الاسلامية الجاهزة للانتفاض: الشيخ السنوسي واتباعه، وهم كثيرون في طرابلس وبين البدو العرب

القاطنين ساحل الحجاز ـ بنو حرب، وهم يشكلون قبيلة ذات شأن تقيم بين مكة والمدينة؛ ـ العسير، بين الحجاز واليمن، ـ الزيدية في صنعاء و كوكبان: ـ داهي (لقب) الاسماعيليين في نجران من بلاد اليمن؛ ـ محمد ابو (بل ابن) الرشيد في نجد وقبائل عنيزة وشمّر على تخوم بغداد من الموصل حتى سوريا. كل هذه القبائل التي تهب في كل لحظة ضد تركيا بسبب عدم رضائهم عنهم، لن يطلبوا أحسن من انتهاز الفرصة التي يقدمها لهم المهدي في سبيل التخلص من الخليفة (السلطان). حينئذ، سيكون من المستحيل على العثمانيين الذين يعلنون اسم الخليفة ـ الوسيلة الوحيدة التي في حوزتهم لكي يحافظوا على سيطرتهم على مختلف السكان المسلمين ـ قلت سيكون من المستحيل على العثمانيين ان يخنقوا انتفاضة لا يمكن الاستهانة بنتائجها. فالمسلمون يعتقدون، بالفعل، ان الخلافة، شرعية كانت، أي في يد قريشي ـ واحد من قبيلة محمد ـ ام غير شرعية، أي بين يدي غاز، فانه ينبغي لها ان تزول امام ظهور المهدي، الذي سيكون الخليفة الحقيقي بالنسبة للمؤمنين.

ان مشايخ الاخويات الدينية، القادرية والشاذلية، هم أيضاً، لن يعدموا وسيلة في هذه المناسبة كي ينظموا دعاية نشيطة، سوف يستصرخون المشاعر الدينية لاتباعهم لجرهم إلى الالتزام بالالتفاف حول المهدي هذا، الذي هو بالضبط جزء من هذه الاخويات.

هذه الانتفاضة التي ستحدث بدون أدنى شك، وبمجرد حصول انتصار آخر للمهدي، في كل البلاد العربية الواقعة تحت السيطرة العثمانية ـ وان كانت تشبع رغبات انكلترا التي تسعىٰ الى اضعاف هيبة الاسلام ولكنها (الانتفاضة) لن تتوانى عن وضع انكلترا في حالة استنفار. ان مقاصد الانكليز الخفية الى هذا الحد أو ذاك

هي الانهاك التدريجي لتركيا من أجل الاستيلاء بالتالي على اكبر حصة من ممتلكاتها. ان بريطانيا العظمى تغذي النوايا العازمة على تشكيل خلافة صغيرة في مكة، لصالح عشيرة بني عون وحيث ان احد اعضائها هو حالياً شريف مكة، وذلك بهدف تمكينه من حيازة وسيلة قوية للسيطرة على كافة المسلمين. ان حصول انتفاضة مشابهة لتلك التي اتوقعها، ستكون حاملة الاذى لانكلترا الى حد انها ستستدعي بالضرورة تدخل القوى الاوروبية ذات المصالح الجدية في الشرق. وعندئذ سيتاح لانكلترا ان ترى كيف ستفقد الحصة الكبيرة التي تطمع بها عبر تقطيع أوصال الفريسة العثمانية. ولن يكون من المستحيل ان يتكون في الشرق على اثر تعقيدات معينة قد تحدث في اوروبا وتمنع القوى المعينة بالامر عن التدخل ـ مركز خلافة مهمة للعرب. هذان الاحتمالان لا يقلاّن شؤما الواحد من الآخر بالنسبة للانكليز.

ولكن ماذا! هل تأمل انكلترا اذن باجراءاتها المعتادة، أي بالخديعة والمكر، وعبر اعلانها عن الدخول إلى كل البلاد، وعبر افصاحها المنافق عن رغبتها بجعل هؤلاء السكان سعداء، وبتوفير الامان والرفاهية لهم، وذلك بعد ان غرست جذور الحقد في قلوب كل المسلمين، حين انتزعت من أيدي الاسلام أوسع وأغنى مملكة في العالم، أي هذه الامبراطورية التيمورية الهندية التي تضم حوالي ٢٥٠ مليون نفس، قلت هل تأمل انكلترا بخنق صوت المهدي، الصوت الأكثر ادهاشاً من كل الاصوات لأنه يتجاوز بالقوة حتى صوت الجهاد الذي يخرج من افواه المسلمين كافة.

هل تعتقد انكلترا بقدرتها على خنقه قبل ان يبلغ كل نواحي الشرق، من جبال هملايا الي دولاغهير Dawlaghir، من الشمال حتى الوسط، مخاطبا

مسلمي افغانستان، وبلوشستان، والسند والهند، معلناً بصوت عال مجيء المخلّص الذي ينتظره بفارغ الصبر كل طفل في الإسلام: المهدي، المهدي، المهدي!

وهل عن طريق ترك السودان للمهدي، كما تلمح اليه غالبية الصحف الانكليزية، وعبر اتفاق سلام يعقد بين محمد احمد والحكومة المصرية وحيث الهدف الوحيد من ذلك هو الاستيلاء لاحقا على السودان (كما ذكره بالمناسبة قسم من الصحافة الفرنسية)، هل بهذه الطريقة تأمل انكلترا بأن تنجح في اسكات الصوت المهيب للمهدي؟ سيكون ذلك قطعاً من نسج الوهم، لأن الشخص الذي ينهض خلف اسم ديني معلنا نفسه نبياً أو المهدي، لن يتوقف إطلاقاً في مسيرته، واثق تماماً انه اذا تراجع فان الثقة التي منحها له مناصروه سوف تأخذ بالضعف وستؤول حتماً إلى الزوال.

ان قسمة المهدي لا يمكنها ان تكون الا هذا: الموت أو تحقيق الهدف الذي رسمه لنفسه. وهل عن طريق الاستعانة بالفرق العسكرية الفرنسية، وهي بذلك تبرهن عن ضعفها الذي يجهله الشرقيون، تحسب انكلترا بأنها ستخنق صوت المهدي؟ في هذه الحالة سوف تفضح ماضيها بهذه الطريقة، وستعود إلى الوضع الذي دمرته ودون ان تشاء، سوف تعطي مصير للمصريين. وهذا ما نرغبه، مع المجازفة برؤية غلادستون البائس وهو يسقط عن عرض السلطة. وحين تيأس انكلترا من التوصل إلى اتفاق سلمي مع المهدي، فهل ستقترح عندئذ ان تقوم بجلب الوحدات العسكرية الهندية الاسلامية إلى السودان؟ قبل كل شيء، هل هذا ممكن؟ وكيف يمكن للحكومة الانكليزية ان تتصور بأن المسلمين، وفي سبيل تمتين سلطة عدوهم الوراثي أي الانكليزي، سيكونون قادرين على الدخول في حرب مع الرجل الذي ظهر كي يدعم ايمانهم؟

أم ان انكلترا تعتقد بأنها ستتوصل إلى مخادعة الهنود في هذه القضية، كما سبق وخدعتهم في قضية «عرابي»، حيث ستجعلهم يعتقدون هذه المرة أيضاً، بأنها لا تفعل سوى القيام بمساعدة السلطان من أجل كبح المتمردين؟ لقد بات الهنود على يقين، بعد الذي حصل في مصر، بأن انكلترا مصممة على ان تلعب تجاه تركيا نفس الدور الذي لعبته في الماضي تجاه السلطة التيمورية.

أم ان انكلترا تتصور بأنها ستستدعي جنود السيخ و«الكوركو» Kourkou؟ لكن تدخل هذه الفئة سوف يؤدي بالنتيجة ليس فقط الى الازدياد الخطير للحقد على الانكليز من قبل المسلمين الهنود، الذين لن يروا بدون عناء وبدون مرارة ذهاب الهندوس إلى الحرب ضد منقذهم (المهدي) فاضافة إلى ذلك قد ينجم عن هذا الرهان تبعات أخرى لا تقل كارثية عن سابقاتها بالنسبة إلى الانكليز: انها تهييج السكان المسلمين الهنود إلى درجة أنهم سيستفيدون بدون شك من غياب جزء من الجيش الانكليزي الموجود في الهند.

نص المقالة الثالثة

اذا انتصر المهدي ستهب كافة الشعوب المسلمة للافلات من السيطرة الخارجية

المقالة الثالثة للأفغاني عن المهدي منشورة في نفس الصحيفة L'Intransigeant بتاريخ ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٣:

اذا اردنا ان نقيم حساباً دقيقاً للمخاوف التي تعتري الانكليز من جراء الانتصارات المتلاحقة لمحمد أحمد (المهدي)، فانه لا مناص لنا من معرفة وضع الانكليز في الهند، مشاعر السكان الهنود تجاهها، واخيراً النسب الحقيقية لقوتها

العسكرية في هذا البلد.

ان عدد الجنود الاوروبيين الذين يمكن لبريطانيا العظمى ان تجهزهم لا يتجاوز الخمسين الف. والخمسون ألف هؤلاء، ينتشرون على كافة نقاط الاقليم الهندي وصولا إلى برمانيا. ولا يسع انكلترا بأي طريقة من الطرق ان تعتمد على الجنود المسلمين والهندوس، في حال حصول انتفاضة، لأنه لم يبق في الهندوستان بيت واحد كبير لم يتعرض للهدم أو للتشويه، ولم يبق قلب لم ينقبض، دون اقامة أي تمييز بين المسلمين والهندوس. لقد انتزعت انكلترا المملكة التيمورية الواسعة من أيدي الاسلام، كما استولت عنوة على حكم «الميريت» (mirits) الذين يشكلون العدد الاكبر والافتى بين الهندوس. لقد فتنت انكلترا اشراف السند «ورجاوات» السيخ في البنجاب. كما قضت على عظماء البنغال ولم توفر ممالك «ميسور» Mysare و«أود» Awed التي أفرغتها من السكان بواسطة المجازر. وأخيراً، قامت انكلترا بتقطيع الاقاليم التابعة لرجاوات جيبور Djeypour، ودجوبتور Djoptour وبرودا Brouda حيث استولت على القسم الأكبر منها.

اما الرجاوات وكبار النافذين وعددهم قليل جداً على كل حال، الذين مازالوا يحتفظون بممالكهم، فانهم لا يشعرون بالاطمئنان ازاء مشاريع انكلترا في المستقبل: ويجهلون اذا كانت انكلترا سوف تستشعر الضرورة لتركهم حائزين على املاكهم، ويتوقعون بين يوم وآخر ان يجدوا أنفسهم وقد انتزع منهم القليل الذي بقي لهم. وليس لديهم أدنى وهم حول المصير الذي تعده لهم المطامع البريطانية. ان الانكليز مقتنعون تماماً انه بمجرد حصول فتنة في الهند، فان كافة الجنود المحليين، المسلمين والهندوس على حد سواء، سيؤلفون قضية مشتركة مع

الثائرين، وسيتحدون خلف الراية ذاتها، ولكونهم مدعومين من الرجاوات وكبار النافذين الذين يرفضون انتزاع ممتالكاتهم منهم، فان الجنود سيثورون ضد المسيطر عليهم ودون التفتيش عن مبرر لهذه الانتفاضة، ودون اخذ الوقت للتفكير بالفائدة التي سيجنونها، ودون اختبار النتيجة التي قد يصلون اليها.

لايبدو ان محمد أحمد (المهدي) يجهل الوضع الحقيقي للانكليز في الهند ونواياهم المبيّتة بهذا القدر أو ذاك من أجل وضع اليد على مكة؛ ولا يخفي المهدي علمه بأن أول مواجهة جدية يخوضها سوف تكون ضد الانكليز في مصر. ولذا فقد ارسل بمبعوثين وبدعوات إلى علماء مكة، وبصورة خاصة إلى العلماء الذين هاجروا من هندوستان، ومن أفغانستان وبخارى، والذين استقروا في مكة.

في هذه النداءات. التي سينشر نصها في أقرب فرصة مناسبة يدعو المهدي المسلمين النهوض من أجل تاكيد الايمان الاسلامي ومن أجل نصرته في تحقيق مهمته الالهية. واذا كان هؤلاء العلماء العديدون لم يعلنوا حتى هذه الساعة عن تاييدهم لمحمد أحمد، فاني لا أشك لحظه واحدة، كما سبق وقلت، بأن هؤلاء العلماء سيقفون الى جانبه، وذلك بمجرد ان يحقق المهدي انتصاراً جديداً وجدياً والذي بدوره سوف ينجز امر انضوائهم لحسابه.

ان الانسان، بطبيعته، ميّال إلى مبالغة كل الأخبار التي تأتيه من البعيد، إلى درجة أن العدد واحد المتنقل من شفة الى شفة والمتضخم بواسطة الهرج العام، لا يني ان يتحول إلى ألف، وهكذا فان الرابية سوف تجرى مشاهدتها على آنها جبل. ولهذا، فان الاعلان عن ظهور المهدي، سوف يملأ قلوب الذين ينتظرون الانعتاق بالوعود الكبيرة وسيفيضون املا وفرحاً.

ان أول تململ سوف يحدث على ما يبدو عند مشايخ الطرق (الاخويات)

المعروفين بالشيشتية El-Chichtia وهم من عائلة أولران شاه Olran-Shah في بلوشستان، وكذلك عند القادرية في السند، الطقشندية والقادرية في جبال افغانستان بقيادة ابن «اهوندسيوات» Ahoundsiouath، وعند الوهابين المجاهدين في افغانستان وفي بلوشستان بقيادة أميرهم عبدالله. جميع هؤلاء سيلقون الدعم من جماعة «الميريت» القاطنة في «بونا» pouna والتي بلغ عدد افرادها منذ عام اكثر من ٥٠٠ ألف نفس. هذه الجماعة، هي أيضاً تنتظر بفارغ الصبر كي تهب.

ستحظى هذه الحركات المدهشة حتماً برد معاكس في الهند، اذ سيحصل نهوض عام وسيجد الانكليز صعوبة بالغة في الحصول على مبرراته. وفي كل الاحوال، وبالتأكيد لن يصل الانكليز الى قمة غايتهم كما حصل في الانتفاضة الأخيرة. ان حدوث انتصار جدي للمهدي ـ والذي سيكون بلا جدال بمثابة معجزة جديدة في انظار المسلمين ـ سيكون له كنتيجة حتمية ليس فقط اندلاع الانتفاضة في بلاد الاسلام الواقعة تحت السيطرة التركية كما في بلوشستان أيضاً وافغانستان والسند وهندوستان وبخارى وخوقند وخيفا ـ بل سيفضي أيضاً إلى اضطرابات في طرابلس وتونس والجزائر وصولاً إلى المغرب. لأن كل المسلمين ينتظرون المهدي الذين يعتبرون مجيئه بمثابة ضرورة مطلقة.

العلاج الوحيد، برأيي لأزالة المرض قبل أن ينتشر في كل الجسم، لا يقضي، كما تعتقد بعض الصحف الانكليزية المهمة، بالتخلي عن السودان والتوصل إلى اتفاق سلمي يعقد بين المهدي وبين الحكومة المصيرية، بل بواسطة التدخل التركي، أو بتعاون الفرنسيين مع الانكليز من أجل تفادي حصول كارثة.

غير ان الانكليز بعيدون جداً عن القبول بتدخل فرنسي، ولن يتنازلوا عن

ذلك قبل أن ينغرز الخنجر الاسلامي في صميم قلبهم، وعندئذ سيكون العلاج بلا فعالية. بالفعل، فان الانكليز لم يدخلوا مصر بمفردهم وضد اماني الفرنسيين، الا لأنهم رأوا هؤلاء قد استقروا في تونس. وقد فهموا (الانكليز) جيداً بأنه لم يبق امام فرنسا وهي احدى القوى العسكرية الاكثر ادهاشاً، للتحقيق الاستيلاء على باب الهند ـ وأعني بذلك مصر ـ سوى السيطرة على طرابلس الواقعة حاليا في الأيدي الغافلة لتركيا.

لماذا لا ترغب انكلترا، بصدد هذه القضية، بمجرد الكلام عن تدخل تركي؟ هل لأنها تهاب تركيا، أم لأنها تخشى ان تقفل عليها هذه القوة (تركيا) طريق الهند؟ لا أعتقد بأي واحدة من هاتين الفرضيتين. فتركيا، بالفعل، وحين كانت اقوى مما هي عليه الآن، وقبل شق قناة السويس، ألم تدع الجنود الانكليز يعبرون مصر لمحاربة اخوانها في الدين، أي الهنود المسلمون وانتزاع املاكهم وممتلكاتهم؟ ان مبرر موقف انكلترا لا يمكن اذن أن يكون غير الحقد الصريح على المسلمين من قبل الانكليز، وخاصة من قبل السيد غلادستون البروتستانتي المتحمس واللاهوتي المتشدد.

اذا لم تقم فرنسا وانكلترا ببذل كل طاقتهما لاستباق احتمالات معينة، فانه سينجم عن تحرك انكلترا بمفردها في هذه المسألة الخطيرة، كوارث بالغة ستلحق بهاتين القوتين.

اما بالنسبة للرجلين الطامحين الى الخديوية في مصر، أي الخديوي السابق اسماعيل وحليم باشا واللذان يستفيدان من الفرصة التي يمحنها لهما المهدي من أجل الحصول على عواطف انكلترا الطيبة، فانني سأكتفي، بصددهما الآن ولكي لا أتعب القاريء، بالتحدث عن واحد منهما، وبأكبر اقتضاب ممكن.

ان صعود حليم باشا الى عرش الخديوية، سيمنح بدون شك سرورا بـالغاً لكل الذين يأملون بتوسيع وتقوية السلطة العثمانية. فحليم، بـالفعل، واحـد مـن المقربين للسلطان، ويعده باستمرار بوضع حكومة القاهرة تحت الرعاية الكاملة لديوان الاستانة كما هي حال ولايات سوريا وحلب... الخ.. الخ.. لكن ليس لحليم أي حزب في وادي النيل، وهو معروف بصورة قليلة جدا، والنزر اليسير من الناس الذي يعرفونه فانهم يعتبرونه ملحداً.

وندرك بسهولة ان رجلاً متهماً بالزندقة من قبل المصريين العميقي التدّين، لن يكون بمقدوره أن يقف وجها لوجه امام محمد احمد الذي يخرج للناس خلف هيبة لقبه الديني أي المهدي، صحيح ان عرابي باشا ذكر اسم حـليم بـاشا، بـل وصرح بأنه يقبل به كخديوي، ولكن لا ينبغي الاستنتاج من ذلك أن عرابي كان مناصراً لحليم أو انه كان لهذا الأخير حزب في مصر.

فقط حين وضع عرابي امام الجدار وارغم على الافصاح عن الرجل الذي يؤيده من بين المتنطعين الى عرش الخديوية، حينذاك وبقصد أن يقوى وضعه في مصر، أعلن عرابي تأييده لحليم.

اما بالنسبة للخديوي السابق اسماعيل، فانني سأكرس له مقالة خاصة أقيّم فيها بالتوازي، النتائج المشؤومة والنتائج الطيبة التي يمكن ان يحظى بـها امـرأ عادته إلى عرض الخديوية.(١)

---

١ . الشامي، حسن (اعداد وتقديم): مقالات غير منشورة للأفغاني، ص ٦٠، ص ٦١ (حلقة ٢، ٣) ـ مجلة العالم ـ العدد ٧٨، لندن ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المغرب العربي

ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا

قبل أن نتكلم على إنتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب، لابد لنا من إلقاء نظرة على الواقع الجغرافي للمغرب آنذاك.

جغرافية المغرب:

يحتل المغرب موقعاً إستراتيجياً ممتازاً في القارة الإفريقية ويشتمل على مجموعة بلاد الشمال الإفريقي المختلفة.

وهو وطن واحد، فمن غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي، ومن بحر العرب إلى السودان، كله وطن واحد لم يعرف التجزئة. فتجد زناتة وهي من قبائل المغرب الكبرى في طرابلس وتجدها في الجزائر وتجدها في المغرب الأقصى.

وكانت الدول التي نشأت في المغرب الأقصى تشمل المغرب كله أو أغلب أجزائه، وكذلك ما نشأ في المغرب الأوسط يمتد إلى المغرب الأدنى و ما نشأ في المغرب الأدنى قد امتد إلى المغرب الأوسط والأقصى.

أما في العصور الإسلامية فقد تعوَّد المؤرخون أن يقسموا المغرب إلى الأقاليم التالية وهي من الشرق إلى الغرب:

ـ إقليم برقة ثم إقليم طرابلس، ومن هذين الإقليمين مضافاً إليهما إقليم فزان تتكون الجمهورية الليبية حالياً.

وقد كان هذان الإقليمان منفصل أحدهما عن الآخر سياسياً خلال العصور

الإسلامية، فكانت برقة إما تابعة لمصر أو غير واضحة التبعيّة السياسية. أما طرابلس فكانت تدخل في نطاق ماكان يعرف بإسم بلاد أفريقية وليس في ذلك ما يمس وحدة القطر الليبي وأصالته التاريخية فإن الكثير من أوطان العرب الراهنة تتألف من أجزاء كان لكل منها تاريخ أو إتجاه مستقل في الماضي، أي قبل تحقيق وحدة ذلك الوطن في العصر الحديث.

ـ وتلي ذلك غرباً بلاد أفريقية وكانت في العصور الوسطى تشمل إقليم طرابلس من تاورغا قرب صرت على ساحل البحر المتوسط إلى صبرة ثم إقليم أفريقية وهو يقابل تونس الحالية ثم تمتد أفريقية فتشمل الجزء الشرقي من الجمهورية الجزائرية حالياً حتى نهر صغير يسمى شلف وهو يجري هناك من الجنوب إلى الشمال حتى جنوبي مدينة الجزائر ثم يسير غرباً بحذاء الساحل ويصب في البحر المتوسط قرب وهران وهذا الجزء الشرقي من بلاد الجزائر الحالية كان يسمى إقليم الزاب وكان يعتبر جزءاً من ولاية أفريقية.

بعد ذلك هناك المغرب الأوسط ويمتد من مجرى نهر شلف حتى مجرى نهر يجري حالياً في شرق المملكة المغربية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي يسمى نهر ملويّة. والمغرب الأوسط يشمل اليوم معظم الجمهورية الجزائرية وهو إقليم هضاب وجبال وسهول ساحلية والأراضي الزراعية فيه كثيرة لأن الكثير من جباله وهضابه خضراء أو منقوشة كما يقول العرب ثم أنه قطر معتدل المناخ لارتفاعه كثير الغابات والمراعي.

وينقسم المغرب الأوسط تاريخياً إلى قسمين: شرقي ويسمى إقليم تاهرت ويتميز بالجبال والغابات وغربي يسمى إقليم تلمسان ويتميز بالمراعي والسهول ويشتهر المغرب الأوسط بمناطقه العمرانية ذات الشخصية التاريخية المتميزة مثل

إقليم القبائل شرقي مدينة الجزائر الحالية وسهل المتيجه جنوبي مدينة الجزائر وإقليم السيق السهلي الساحلي جنوبي وهران وإقليم البابور والبيبان والجرجر والونشريس وكلها أقاليم جبلية وعرة وإقليم الحضنة وهو إقليم جريد أي غابات نخيل يتوسطه شط الجريد وإقليم الهقار أو الهجار في الجنوب وهو إقليم صحراوي.

أما إقليم تلمسان فيتميز بجباله وسهوله ومراعيه الواسعة وقد كانت تلمسان دائماً مركزاً حضارياً وقاعدة علمية.

ويلي ذلك غرباً المغرب الأقصى الذي يعرف اليوم بالمملكة المغربية ويشمل جبال الأطلس ويضم كذلك سلسلة من السهول الساحلية بين الجبال وساحل المحيط الأطلسي، وتشق هذه السهول أنهار أو وديان تنحدر من جبال الأطلس غرباً إلى المحيط وهي من الشمال إلى الجنوب وادي لوكس يصب عند مدينة العرائش ووادي سبو بفروعه الكثيرة وقواعده الشهيرة مثل فاس ومكناس ثم وادي أبو الرقراق أو بورجراج وهو نهر مزدوج يصب في البحر بمصب واحد وعلى ضفته الشرقية عند المصب مدينة سلا وعلى ضفته الغربية مدينة رباط الفتح وهما مدينتان توأمان ثم وادي أم الربيع وقرب مصبه تقع مدينة أزمور ثم وادي تنسيفت وتقع على أحد فروعه مدينة مراكش ثم وادي السوس الذي يجري في إقليم السوس الغني وهو إقليم ذو هيئة مثلثة ينحصر بين فرعي جبال الأطلس والمحيط الأطلسي ومن أهم مدنه تارودانت وأغادير ثم وادي درعة في أقصى الجنوب. وماوراء ذلك تمتد صحاري المغرب. وتقوم جبال الأطلس حاجزاً بين المغربين الأوسط والأقصى.[١]

---

١ . زبيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٨٩، دار الامير للثقافة والعلوم،

مدلول «المغرب العربي»

يقول الدكتور سعدون نصر الله: «وأوّل من استعمل التعبير بـهذا المـعنى ـ يعني «المغرب» ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام إذ خاطب الخوارج قبل معركة النهروان بعد أن قتلوا رسوله إليهم الحرث بن مرة العبدي (... أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أتارككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب)[1]. ثم تحدد بالمنطقة الواقعة غرب مصر من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومـن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً.

إذن المغرب العربي هو البلاد الممتدّة في شمالي افريقية، من غربيّ مصر إلى المحيط الأطلنطي. وقد أطلق عليها اليونان قديماً اسم «ليبيا» نسـبة إلى شـعب اللّوبو الذي كان يعيش بين خـليج السّـيرت والنـيل، وجـاراهـم فـي التسـمية القرطاجيّون والعبرانيّون، ثم أطلق الرومان على سكان افـريقية لقب «البـربر». واحتفظ العرب من بعدهم بهذه التسمية، وكان المغرب في نظرهم يشمل افريقية الشمالية والأندلس. وعندما استقرّوا بالقيروان وتونس اطلقوا اسم افريقية على تونس وطرابلس الغرب، ثم انحصر عندهم مدلول لفظة المغرب في آخر الأمر في افريقية الغربيّة. والجدير بالذكر أن شعوباً كـثيرة، قـبل العـرب، مـدّت سـلطانها

→

الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣هـ.

١ . نصر الله، الدكتور سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب، ص ١٣، دار النهضة العربيه بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

ونفوذها على شمالي افريقية وتركت فيه آثاراً متعدّدة: فتناوب على أرضه الفينيقيّون والرمان والفندال والقوط والبيزانطيّون وغيرهم، ولكن تلك الفتوح المتوالية لم تقوَ على عادات البربر وتقاليدهم.

الأرض المغربيّة:

يمتد المغرب العربيّ امتداد القسم الأكبر من الشاطيء الجنوبي للبحر الأبيض المتوسّط ويحاذي في قسمه الغربيّ شاطيء المحيط الأطلنطيّ، وتمتدّ في جنوبيّه الصحراء الكبرى. وهو يشمل ليبية، وتونس، والجزائر، ومرّاكش، وكانوا يقسمونه إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأقصى غرباً وهو ما يعرف اليوم بالمملكة المغربيّة، والمغرب الأوسط الذي عرف قديماً ببلاد «نوميدية» وهو اليوم الجمهوريّة الجزائريّة، والمغرب الأدنى وهو ما دون ذلك.

وإن من يلقي نظرة على مصوّر الشمال الافريقي يجده قسمين: قسماً منخفضاً يبدأ من قناة السويس وينتهي عند الحدود الطرابلسيّة الغربيّة، وقسماً مرتفعاً يبدأ من الحدود التونسيّة الشرقيّة وينتهي عند المحيط الأطلنطيّ. وتنهض في المغرب العربي سلسلتا جبال الأطلس اللتان تخترقان تونس والجزائر والمغرب الأقصى، غير ان ارتفاعهما في البلاد التونسية ينخفض شيئاً فشيئاً نحو الشمال والشرق إلى ان تصبح هضابهما في الشمال أشبه بالسهول، وهكذا يتكوّن سطح البلاد التونسية من سهول ساحليّة في الشمال والشرق، وجبال متوسّطه الارتفاع في الشمال الشرقيّ، وأراضٍ منخفضة في الوسط والداخل (السبخات والشطوط)، والصحراء في الجنوب؛ أما سطح البلاد الجزائريّة فيتكوّن من سهول ساحليّة في الشمال، وسلاسل جبليّة وهضاب في الوسط، والصحراء الكبرى في

الجنوب؛ وأمّا سطح البلاد المغربيّة فيتكوّن من مناطق طبيعيّة: جبال الرّيف، وحوض نهر سبو، ومرتفعات الأطلسي وجبال الأطلس (أعلى قممها التوبكال ٤١٦٥م) والمغرب الشرقيّ والصحراويّ؛ وفي المغرب أنهار عدّة أهمّها أم الربيع (٥٥٥كم)، ووادي درعة (١٢٠٠كم)؛ وأمّا سطح ليبية فجزء من الهضبة الافريقية الصحاري تؤلّف ٨٥٪ من مساحتها، وفيها السهل السّاحلي الذي تكثر فيه الواحات، والهضبة الساحليّة التي تحف بالمتوسّط، ويعرف القسم الشمالي بـ«الجبل الأخضر».

ومناخ المغرب العربي يختلف باختلاف المناطق، فهو في ليبية صحراويّ، وفي تونس مشبّع بالرطوبة، وهو في الجزائر والمغرب معتدل وكثير الأمطار في الشتاء.(١)

والمدن في المغرب العربي ذات شأن كبير في سير التاريخ وتكوين الحضارة ونشر المعرفة. ونحن نذكر منها فاس، ومراكش، وتطوان، وطنجة، والقيروان، وطرابلس.

الشعب المغربي:

يتكون الشعب المغربي من عنصرين رئيسيّيْن هما البربر والعرب؛ والبربر سكّان الشمال الافريقي منذ القدم؛ أمّا العرب فقد وفدوا على البلاد منذ الفتح العربيّ، واشتدّ نزوحهم اليها في عهد الفاطميّين وفي زمن انهيار الدولة العربية بالأندلس.

والبربر جيل من الناس ينتسب ـ في نظر الباحثين ـ إلى سلالتين: سلالة هندو أوربيّة نزحت إلى افريقية من الهند و آسية وأوربّة عن طريق اسبانية، وسلالة عربية ساميّة. والبربر في تاريخ ابن خلدون ثلاثة أقسام: البرانِس أبناء «برنس بن بربن مازيغ» وهم قبائل وشعوب جبليّة يستقرّ أكثرها في جبال الأطلس (المغرب)، ومنهم قبيلة «مصمودة» التي تفرّع منها «هَرْغة» في جبل السّوى بأقصى بلاد المغرب، ومن البرانس من تفرّق في جبال الرّيف (غمارة) وجبال زواوة شمالي الجزائر (كتامة، صنهاجة) وجبال أوراس (أوْ رَبَة ومنها كسيلة، وقبيلة جراوة)؛ ثم البُتْر أبناء «مادغيس الأبْتر ابن بربن مازيغ» وهم قبائل بدويّة رحّالة وجمّالة، ومنهم «زناتة» و«مكناسة» ؛ ثم الملثمون وهم قبائل الصحراء بالجنوب، سُمّوا كذلك لأنهم يجعلون على وجوهم لثاماً أزرق، منهم «الطوارق» وقبائل «لمتة» و«لمتونة» و«التوات». وهم ـ على حدّ قول أحمد صفر ـ «أجناسٌ من البشر كثيرة وأحياناً غير متشابهة، فهناك فرق مثلاً بين «القبائلي» الذي هو مصفح أو مستطيل الرأس، كبير القامة، أشقر الشعر، وبين «الميزابي» الذي هو أصلع أو مفلطح الرأس، صغير القامة، أسود العينين والشعر، وبين «الطارقي» من ملّثمي الحجاز الذي هو طول القامة، طويل الذراعين، ضيّق القفص الصدريّ. وهذه الفروق في الخصائص البشريّة، وهذا الاختلاف في السّحنة ولون الشعر والعيون، وشكل الجمجمة وحتى اللهجات أحياناً... يرجع بدون شك إلى اختلاف في أصل البربر. فقد ذهب معظم الباحثين إلى أنّ البربر ينتسبون إلى سلالتين: الأولى هي سلالة هنديّة أوروبيّة يافثيّة (منسوبة إلى يافث بن نوح عليه السلام) نزحت إلى افريقية من الهند وآسية وأوروبّة عن طريق اسبانية أو ربّما كانت تابعة لزحف «شعوب البحر» الهندية الاوربيّة التي أشارت إليها الوثائق

المصرية القديمة من عهد الفراعنة الرمسيسيّين، أما السلالة الثانية فهي سلالة عربيّة ساميّة».[١]

أمّا العرب فقد كانوا يطلقون على كل القبائل التي كانت مواطنها بلاد المغرب بافريقية على حدود المملكةالرومانية القديمة لفظ بربر، قيل ان هذا الاسم مأخوذ من لفظ بارباري الذي كان القدماء يسمون به القبائل الغريبة، ولم يكن في الأصل مختصاً بأمة واحدة. ولفظة (بارفاروس) اليونانية كلفظة (بيلبوس) اللاتينية مأخوذة من اللفظ أو الصوت الذي يصدره الالثغ. ثم صار علما عند اليونان يراد به كل من لم يتكلم بلغتهم، ولهذا سموا ايطاليا بربريا، ثم اطلق الرومان هذه الكلمة على كل الطوائف التي ليست يونانية ولا تليانية، ولما أخضع الرومان الشعوب المختلفة كانوا يطلقون لفظ روماني على كل تبعتهم من أي طائفة. واسم بربري على من لم يخضع لهم ولذلك سموا كل البلاد التي لم تخضع للرومان أو خضعت ثم عصت باسم باربريكوم أي بلاد البربر ولما كان مركز الغرب الجغرافي يسمح لهم باتصالهم بأهل أفريقية الشمالية، جاروا الرومان على التسمية المذكورة وسموا سكان شمالي أفريقية باسم بربر[٢].

سبب دخول البربر أرض المغرب:

وسبب انتقالهم إلى برقة وأرض المغرب ـ على ما ذكره المؤرخون ـ أن بني إسرائيل لما قتلهم بخت نصّر البابلي، وأخرب بيت المقدس، واستولى على خزائنه

---

١ . الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص٣٤.

٢ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص١١، دارالفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٨هـ.

والتابوت الذي فيه عصا موسى والسكينة وعمامة هارون ـ وقد كانوا يقدمونه أمامهم في الحروب فينصرون ـ ضعف أمرهم عن القتال وقويت عليهم شوكة البربر فلم يزل أمر بني إسرائيل في إدبار، وأمر البربر في إقبال، حتى تنبأ أشمويل عليه السلام، فأتاه بنو إسرائيل وسألوه: سل ربك يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، فسأل، فأوحىٰ الله إليه أني منزل عليك عصاً وقرناً فيه دهن القدس، فضع العصا والقرن حولك، فإذا دخل عليك رجل منهم وغلى دهن القدس فقسه بالعصا، فإن طابقها فذلك ملكهم الذي يفتح لهم على يديه فصار أهل بيت الملك يدخلون عليه فلم يَغْلِ لدخول أحدهم، فلما دخل طالوت ولم يكن من بيت الملك، وإنما كان سقاه ضلّ له حمار فخرج في طلبه، فلما مر ببيت أشمويل[١] عليه السلام قال لمن معه: ألا ندخل بيت هذا الرجل الصالح لعل ببركته نجد ضالتنا، فدخلا فغلى دهن القدس فقاسه بالعصا فطابقها فقال: إن هذا ملككم الذي يفتح على يديه.

فكان من جوابهم ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: ﴿... قالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المَالِ قالَ إِنَّ اللهَ اصْطفاهُ عَلَيْكُم وزادَهُ بسطةً في العِلمِ والجِسْمِ والله يؤتي مُلكَهُ مَن يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾[٢] و﴿... إنّ آية مُلكِهِ أن يأتيكُمُ التّابوتُ فِيهِ سكينةٌ من رّبِّكُمْ وبقيّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وآلُ هارون تَحْمِلُهُ الملائِكة إِنَّ في ذلكَ لآيةً لكُمْ إن كُنتمْ مُؤمِنين﴾[٣].

وكان التابوت قد استولى عليه فلما حل بين أظهرهم تشاءموا ببقائه،

فأخرجوه من بين اظهرهم إلى قرية أخرى، فأصبح اهلها موتى أكلت الفأرة أفئدتهم فأخرجوه ودفنون بفلاة من الأرض، فصار كل من بال متوجهاً نحوه أصابه الحصر، فأخرجوه وجعلوه في آلة يحملها ثوران وضربوهما، فأخذته الملائكة حتى أتت بهما بيت المقدس بلد أشمويل عليه السلام فلما شاهدوا ذلك أذعنوا لملكه وملّكوه عليهم، وأمرهم بالتأهب لقتال البربر، فتأهب معه لقتالهم من بني إسرائيل ثلاثون ألف شاب وخرجوا لذلك، فأوحى الله سبحانه إلى أشمويل عليه السلام: أني مبتليهم، فابتلاهم بنهر ماء بعد قيظهم، ونهاهم عن الشرب منه وأخبرهم أشمويل عليه السلام أن من شرب منه ضعف عن لقاء عدوه فشربوا منه إلا قليلاً منهم.[١]

ولما جاوز طالوت النهر منع الشاربين من الالتحاق معه، وسار بالقلة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر جندياً ـ عدة أهل بدر ـ (... فلمّا جاوَزَهُ هُوَ والذينَ آمَنوا مَعَهُ قالُوا لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوتَ وجُنودِهِ قالَ الذّينَ يظّنون أنّهم مُلاقوا الله كم من فئة قليلة غَلبتْ فئةً كثيرة بإذنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصابِرين)[٢].

طلب طالوت من والد داود أن يأتيه بأولاده جميعهم لأنّه علم ـ عن طريق الوحي ـ أنّ من استوت عليه درع موسىٰ عليه السّلام منهم فهو الذي يقتل جالوت، فألبسها عليهم جميعاً فكانت تقصر على بعضهم أو تزيد، فسأله: هل بقي أحد من ولدك؟

قال: نعم، خلّفت أصغرهم يرعى الغنم.

---

١ . لابن غلبون (المتوفى ١١٥٠ هـ): التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، ص ٢٠، مؤسسة الكتب الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢ . البقرة: الآية ٢٤٩.

قال: عليّ به، فأرسل خلفه.

جاء داود إلى المعسكر وفي الطريق التقط أحجاراً وضعها في مخلاته، فلما حضر عند طالوت ألبسه الدرع فاستوت عليه.

ثم سار باتجاه الطاغية، وعند أول لقاء رمى داود حجراً من الأحجار التي التقطها الميمنة فانهزمت، ورمى بآخر الميسرة فانهزمت، وثالثاً رمى به جالوت فصكّ جبهته فوقع ميتاً.

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولكنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رمى وليُبلِيَ المؤمنين مِنْهُ بلاءً حَسَناً إنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ).[1]

وشكر الله تعالى لداود ذلك وهو المنعم الشكور، فوهب له النبوة والملك (يا داودُ إنّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ) (ص: ٢٦).[2]

قال ابن عبدالحكم: كان البربر بفلسطين في زمن داود عليه السلام، فخرجوا منها متوجهين نحو أرض المغرب حتى انتهوا إلى لوبة ومراقية، وهما قريتان من قرى مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالهما النيل، فتفرقوا هناك، فتقدمت زناتة مقبلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة وسكنت أنطابلس، وهي برقة، وتفرقت في المغرب، وانتشروا حتى بلغوا السوس. ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة مدينة صبرة، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك.[3]

---

١ . الأنفال: الآية ١٧.

٢ . محمّد علي دخيّل، علي: قصص الأنبياء، ص ٤٠٢، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣ . ابن غلبون: التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، ص ٢١.

والبربر، أهل حضر وأهل بدو كالعرب الجاهليين. واهل الحضر منهم يسكنون قُرىً قائمة في أعالي الجبال، والقرية، لا القبيلة، هي عنوان الوحدة السياسيّة البربريّة خلافاً لما هو عند العرب، والقرية البربريّة هي جمهوريّة صغيرة مستقلة يدير شؤونها رئيس منتخب يسمّونه الأمين، وأهمّ وظائف هذا الأمين أن يرئس جمعية البالغين من أهل قريته، وتتمتعّ هذه الجمعية بالسلطة الاشتراعية والسلطة القضائية وتقرّر شؤون السلم والحرب... وعقوبات البربر بسيطة فاضحة، ولا يعرف البربر أمر السجون، وتندر عندهم الجرائم... والمرأة البربرية على جانب كبير من الحميّة، فهي تحارب أحياناً بجانب زوجها... وقد تُعدّ روح البربر قريبة جدّاً من روح العرب على أن يُقاس حضويوّ أولئك وبدويوّهم بحضريّي هؤلاء وبدويّهم. فَلِطرُق الحياة تأثير كبير في أخلاق الأمم، فاذا تماثلت طُرق حياة الأمم تماثلت هذه الأمم في التفكير والسير في الغالب، فالبربريّ الحضريّ كالعربي الحضريّ، جَلدٌ على العمل صبورٌ حازم وماهر، والبربري البدويّ، كالعربيّ البدويّ، طليقٌ مِخراب قنوع خفيف طوّاقٌ للمشاق ختّار للأعداء.(١)

وهناك نظرية أخرى حول البربر وسبب دخولهم أرض المغرب حيث يعتقد البعض أن هؤلاء البربر من أصل يمني جاؤا من جنوبي الجزيرة العربية، منهم فريق توجّه لبلاد فارس و آخر جاء إلى المغرب عن طريق مصر وليبيا مستدلّين على ذلك بوجودمدن بالمغرب تحمل أسماء توجد بفارس، كفاس والقيروان، كذلك فإنه ماتزال في بلاد فارس جماعة تسمى البربر وهم قوم رحّل. وإذا كان المغرب يعرف من فصائل البربر قبائل سوس فإن فارس كذلك تحتفظ بهذه الفصيلة أيضاً.

وسنرى فيما بعد كيف ستبلغ العناصر الفارسية في الدور الثاني من تطور الدولة الرستمية (٢٥٨ـ٢٨١هـ) شأواً كبيراً حيث أن الأئمة الرستميّين كانوا من أصل فارسي فأوكلوا إلي هذه العناصر قيادة الجيوش وأسمى المناصب فضلاً عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية. كما استطاعوا فيما بعد أن يقيموا القصور والمنازل حول تا هرت ويشكلوا دولة داخل الدولة الرستمية على حد قول فرّوخي.

وما يذكره النسابون من العرب والبربر معاً تتفق عليه معظم الروايات عن أصل العرب والبربر معاً. فالنسابون من إبن الكلبي إلى إن قتيبة وإبن جرير الطبري والمسعودي والوراق التونسي يتفقون على نسبة البربر إلى العرب، بل إن بعض القبائل البربرية كقبيلة صنهاجة تصف نسبتها القبلية بالحميرية.

ويذكر مؤلف القرطاس أن برّبن قبس وبربر بنت مجدول هي أصل قبائل سكنت الشام وجاورت العرب فامتزجت بهم.

وعلى هذا فالبتر عرب مضريّون والبرانس عرب يمنيون.

وإذا عدنا إلى النسابين البرابرة: فسابق المطماطي يؤكد في نسبه عروبته ويرى أن البرانس من نسل كنعان بن حام، والبتر من برّبن قيس بن عيلان من ذرية شام.

هذا وقد لعب البربر دوراً هاماً رئيسيا في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط فأقاموا الممالك ودوّخوا الأمصار...

وعلى أرض المغرب نشأت قبائل بدوية رحّالة وقبائل مستقرة ذات حضارة، وصحراوية تفاعلت مع البيئة الجغرافية وتوغلت في الصحراء أو تناءت عنها لعوامل طبيعية كالجفاف أو لعوامل إقتصادية أو إجتماعية. ولذلك إهتم

المؤرخون المعاصرون بحركة القبائل وعلاقتها بالبيئة الجغرافية وتفاعلاتها معها.(١)

اقسام البربر:

قسم نسابة العرب البربر إلى قسمين:

ـ البتر: وهم البربر البدو ويتكونون من عدة قبائل وأشهرها:

زناتة ـ مديونة ـ لواتة ـ زواوة ـ نفزة ـ نفوسة ـ مطغرة ـ مطماطة وتسكن غالبيتهم الساحقة في الصحراء والمناطق الرعوية إبتداء من طرابلس إلى تازا(٢) وبعضهم ينزل نجود طرابلس وجبال الأوراس.

ـ البرانس: وهم البربر الحضر ويشكلون أكثر من نصف البربر ويتكونون من عدة قبائل أشهرها:

صنهاجة ـ كتامة ـ أوربة ـ مصمودة ـ مسكورة ـ لمطة ـ عجيسة. وهم ينزلون في جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي، كما يوجدون في وسط الجزائر وجنوبها.

ويلاحظ أن هذا التقسيم ليس مطلقاً فالحضارة والبدواة متبادلة في كل من الجماعتين. كما يلاحظ ان البرانس على العموم هم أكثر تحضيراً من البتر ولكل منهما مميزاته في التاريخ. فالبتر مذ كانوا وهم أحلاف الفاتحين. والبرانس كانوا أميَل إلى الشيعة والعلويين سواء في أفريقية أو المغرب.

---

١ . زبيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٩٢.

٢ . هناك ممراً واسعاً بين الجزء الشمالي من جبال الأطلس وجزئها الجنوبي وهذا الممر يعرف بممر تازا. ومَن سيطر على ممر تازا سيطر على الطريق الرئيسي المؤدي من الجزائر إلى المغرب الأقصى.

غير إن هذه القبائل المغربية جميعها وحدَّتها العقيدة الإسلامية بعد الفتح كما وحدت قبائل الجزيرة العربية من قبل بعد أن وصل إليها الإسلام على يد العرب الفاتحين في القرن السابع الميلادي، وحسن إسلام المغاربة فحملوا راية الإسلام وعبروا بها إلى أوربة وألحقوا بهم إسبانيا وقرعوا أبواب فرنسا ولم يسجل تاريخ الفتح الإسلامي مقاومة تذكر من جانب زعماء البربر إذا استثنينا الكاهنة وكُسَيلة اللذين ثارا لكرامتهما الشخصية. وثورة هؤلاء لم تكن في الغالب ثورة على الاسلام نفسه وإنما كانت ثورة على عسف الولاة الأمويين الذين كان همُّ معظمهم موجّهاً نحو الكسب والغنائم كما ينبغي أن لا ننسى إن الأمويين لم يكونوا يحسنون معاملة الفرس حتى بعد إسلامهم، وإن إعتزازهم بالجنس العربي إلى حد التعصب البغيض كان من أهم أسباب سقوطهم. فلاعجب أن تكون معاملتهم للبربر شبيهةً بمعاملتهم للفرس حتى إذا ظهرت الدعوة إلى آل بيت النبي(ص) أقبل الفرس في الشرق يعضدون العباسيين بينما أقبل البربر في المغرب يعضدون الأدارسة، ويقيمون فيما بعد دولة الفاطميين.[١]

وتؤيد الرأي السابق الدكتورة سامية توفيق عبدالله بقولها: «لقد ثار البربر في بلاد المغرب وكلفت ثوراتهم الدولة الإسلامية في العصر الأموي كثيراً من الأنفس والأموال، واستمرت ثوراتهم في العصر العباسي»[٢].

---

١ ـ زبيب، الاستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٩٣.

٢ ـ توفيق عبدالله، دكتورة سامية: دراسات في تاريخ بلاد المغرب (من الفتح العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري)، ص ١٨، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

الشّيعة

في المغرب

العربي

الإمام الصادق (عليه السلام)
والدعوة الشيعية في المغرب

كانت بلاد شمال افريقيا تربة خصبة لبث الدعوة الشيعية. يضاف إلى ذلك ان بلاد المغرب كانت بعيدة عن السلطة المركزية في بغداد مما جعل من الصعب على العباسيين فرض رقابتهم التامة على تلك البلاد و تعقب العلويين فيها.

ويرجع الفضل الأول في نجاح الدعوة الشيعية ببلاد المغرب إلى مؤسس دولة الأدارسة (١٧٢هـ) ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

على أن هذا الداعية لم يكن أول من دعا للشيعة بالمغرب الاسلامي، فقد سبقه في هذا المضمار دعاة آخرون مهدوا السبيل لنجاح دعوته. فيروي المقريزي أن الإمام جعفر الصادق(ع)(ت ١٤٨هـ) أوفد إلى المغرب داعيين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بأبي سفيان وقال لهما «إن المغرب أرض بور فاذهبا و احرثاها حتى يجيء صاحب البذر» فذهبا إلى هناك واخذا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من قبيلة كتامة و غيرها وظلا هناك إلى أن ماتا.[1]

---

١ . العبادي، الدكتور أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٧٣، دار النهضة العربية، بيروت.

التَّشيُّع يسبق إدريس إلى المغرب:

والحقيقة أن التشيع وجد طريقه إلى المغرب قبل مقدم إدريس الأول إليه بزمن ويمكننا أن نستنتج ذلك من الملاحظات التالية:

إن فشل الثورات المتلاحقة التي قام بها الشيعة في مختلف المدن والأقاليم والتي كانت في معظمها هوجاء لا يسبقها إعداد ولا تنظيم إضطرتهم إلى تغيير أسلوبهم في العمل وإتباع أسلوب آخر جديد في التنظيم والاعداد فاختاروا أطراف العالم الاسلامي ميداناً لنشر دعوتهم وإعدادها إعداداً منظماً للعمل والثورة فاتجهوا نحو خراسان والديلم واليمن ثم إلى مصر والمغرب لنشر تعاليم المذهب ولإفهام الناس أن الحق حقهم وأنهم منعوا من الوصول إليه بالقهر والقوة الظالمة.

ثم أن تطور الأحداث السياسية والإجتماعية التي تعرضت لها البلاد الإسلامية بعد قيام الدولة العباسية وما رافق ذلك من اعتماد الخلفاء على الشدة والقسوة أدّى بهم إلى ارتكاب الجرائم وأعمال المنكر وإهراق الدم الحرام بعد أن استحلوا الكبائر وارتكبوا المحارم، وهذا ما ساعد على تنامي المذهب الشيعي فأعطاه قوةً وزخماً وأكسبه عطفاً جماهيرياً بعيد المدى حتى أصبح التشيع سبيلاً يلجأ إليه دعاة الإصلاح والتطور.[١]

يكاد المؤرخون من قدامى ومعاصرين وفي غالبيتهم العظمى يجمعون على أن التشيع أخذ طريقه إلى المغرب منذ أيام الإمام جعفر الصادق عليه السّلام إذ بفضله دخلت الشيعة مرحلة حاسمة من مراحل تطورها الطويل من أجل تحويل

---

١ . العدوي، الدكتور إبراهيم أحمد: المجتمع المغربي مقوماته الإسلامية والعربية، ص ٢٤٠. مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

الخلافة الإسلامية إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن إنحرف بها العباسيون عن أصول الحكم الإسلامي الصحيح.

ففي حين أخمدت جميع الثورات التي قام بها الشيعة لتصحيح هذا الإنحراف وتم احتواؤها والقضاء عليها استطاع هو بما أوتيه من سلطان العلم ورجاحة العقل النّير وسموّ الفكر الحر أن يتصدى لهذا الإنحراف ويعمل على تقويمه بالحكمة والموعظة الحسنة والإعتماد على الإقناع الفكري وإزالة الأغشية التي تحول بين الإنسان وبين الإيمان بالله، هذا الإيمان الذي يقتضي حركة منضبطة مع مبادىء الإسلام ووعياً عميقاً لها، كما يقتضي سيرةً محمودةً وصلة زاكيةً طيبةً بين الإنسان وخالقه تنعكس آثارها في حياته العامة أخلاقاً وسلوكاً وعملاً صالحاً وتطبيقاً تاماً لكتاب الله و امتثال أوامره في كل ساعة من ساعات الليل والنهار وتطبيق سنة نبيّه العظيم على المستويين الفردي والجماعي معاً.

ومتى عرف الإنسان ربه وملأ الإيمان نفسه يستطيع أن يقف أمام النار الملتهبة ليدافع عنه. ذلك إن الإيمان يجمع بين العاملين من أجله ويطهرهم ويوحدهم ولا يقبل في صفوفه إلا المخلصين له والسائرين على هديه. لهذه الأسباب إنتصر الإمام الصادق حيث أخفق الآخرون عندما جعل من مدرسته مصنعاً لبناء الأفراد يوجّه نشاطهم لخدمة الرسالة وتحقيق غاياتها ويحوّلهم بالإيمان إلى رجالٍ عظامٍ يطوّعون الحياة لخدمة الدين ويتعاونون معاً على بناء مجتمع يعرف حدود الله. ملتزم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يعني مجاهدة كل من خالف حكم الله وأوامره ونواهيه تحقيقاً للآية الكريمة: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمعروفِ

وَينْهَوْنَ عَنِ الْمنكَرِ وأوْلئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ».[١]

ورأى أنه لاتتم إقامة مجتمع كهذا قائم على الإيمان الديني الوطيد وعلى وضوح الرؤية الشاملة لمبادىء الإسلام وتعاليمه وعلى التعمق في فهم الدين الحنيف إذا كان أصحابه جهالاً، لذا بدأ بحملات التوعية وباشرها بنفسه فكان معلماً يأتيه الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فينهلون من معينه ثم ينتشرون في بقاع الدنيا الإسلامية كلها.

وكان من الطبيعي أن يتأثر هؤلاء الطلاب به ويفهموا منه الإسلام الحق على صفائه وفطرته وأن يفهموا بالتالي أن التشيُّع إنما مذهب أهل البيت وليس مذهباً دخيلاً على الإسلام بل هو منه في الصميم نشأ في أيامه الأولى ثم أخذ طريقه إلى القلوب والنفوس معاً وأخذ ينتشر حتى بلغ أطراف العالم الإسلامي كله. وكان من الطبيعي أيضاً أن يشكل هؤلاء الطلاب الطليعة الواعية التي عملت على نشر التشيع وترسيخ مبادئه في أرجاء البلاد التي ينتمون إليها لينطلق فيما بعد فكراً داعياً مُركزاً وعقيدة قوية ثابتة وإيماناً راسخاً.

فما هي حدود مسؤولية الإمام جعفر الصادق في إنتشار التشيع في بلاد المغرب؟ وهل يعود سبب هذا الإنتشار إلى فقه هذا الإمام الجليل وتعاليمه ووصاياه فحسب أم إن هناك مسؤولية مادية للإمام نفسه وراء ذلك؟...

لا شك في أن التأثر بآراء الإمام الفقهية ودعوته الإصلاحية بيِّن وجلي، فقد تتلمذ على يده رجالات الحديث وأئمة المذاهب وشيوخها وممن روى عنه من

الكبراء المذكورين بالفقه: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[١] الذي قال: «لولا السنتان لهلك النعمان» ومالك بن أنس المدني[٢] الذي قال: «ما رأت عيني أكثر من جعفر بن محمد فضلاً وورعاً». وسفيان بن عينية وسفيان الثوري وصي بن صالح وسليمان بن مهران وأيوب السختياني وعمرو بن دينار وكثير من علماء العامة حتى بلغوا أكثر من أربعة آلاف راوية رووا عنه الحديث وأخذوا علم الإسلام ومعرفة الحلال من الحرام غير أن هؤلاء وإن كانوا قد تأثروا بآراء الإمام الفقهية وأقروا له بالعلم والفضل والورع إلا أن تأثرهم هذا لم يكن ليدل في حال من الأحوال على تشيعهم كما هو الواقع. فلابد أن تكون هناك عوامل أخرى تهيأت لها الأسباب والظروف عملت على نشر هذا المذهب بصورة أكيدة تعاملت مع الظروف بقراءة صحيحة لها وتفاعلت مع أهداف الرسالة السمحاء ومبادئها بسلوك رشيد وبطريقة منضبطة منتظمة تبتعد معها عن ممالات أي حكم وتنأى عن الوقوع في ممارسة أي انحراف ويبرز في مقدمتها عنصران:

ـ أولهما وجود جماعة واعية تؤمن بمذهب أهل البيت وتلتزم بمبادئه قولاً وعملاً وتكون على قدر عظيم من الكفاءة العلمية بتعاليمه وأصوله الفقهية تنتشر بين الأهالي في المدن والقرىٰ لتربية النفوس وبناء الأفراد على الأخلاق الفاضلة وتسليمهم بالإيمان ليقوموا بحملة علمية وتوعية شاملة ويصبحوا فيما بعد قادرين على أن يأخذوا منه صورة تنظيم سياسي وديني لمجتمع يكون الطليعة المتقدمة

---

١ . النعمان بن ثابت: إمام الحنفية أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. توفي سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م.

٢ . هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية. مولده ووفاته في المدينة صنف الموطأ توفي سنة ١٧٩هـ .

لتمهيد الطريق أمام إنشاء حكم إسلامي صحيح يقيم أحكام الله ويثبّت دعائم الإسلام الحق في نفوس الأفراد والجماعات.

ـ ثانيهما لابد أيضاً من وجود إمام مُفترض الطاعة معصوم من الجهل والظلم والباطل والضلال والفتن والبدع وكل ماله علاقه بأي شكل من أشكال الفساد والطغيان يمسك بزمام تلك الجماعة ويتولى قيادتها على أساس من الإيمان والعلم والأخلاق.

وقد توفر هذان العنصران بشكل جيّد وتهيأت لهما ظروف مؤاتية فالإمام المعصوم موجود إنه جعفربن محمد الصادق سيد البيت العلوي الإمام إبن الإمام أعلم أهل عصره وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم مكانةً وأكثرهم فضلاً وتبصراً بالأمور ومعرفة بما وراء الأحداث.

وها هم شيعته وتلاميذه وهم أكثر من أن يحصوا. وها هو المنصور الحاكم الجائر قد عمَّ ظلمه وتفاقم أذاه واشتد خطره وبلاؤه لما أهرقه من دماءٍ حرام ولا سيّما بعد قضائه على ثورة محمدبن عبداللهبن الحسن في المدينة وثورة أخيه إبراهيم في البصرة، ولما أظهره من تعسف في سياسة الناس، وها هم ولاته قد ضجت الأقاليم الإسلامية من ظلمهم ومفاسدهم. وإذن فلابد للإمام وهو المسؤول الأول عن الأمة بما له من قوة روحية وسلطان ديني من محاربة هذا الطاغية الجائر وتقويض دعائم حكمه بأسلوب جديد لم يعهده المنصور ولا غيره من قبل، إنه أسلوب المقاومة الإسلامية المؤمنة بالعقيدة والمتنقلة بين الأقاليم التي تستطيع إذا ما أُحْسِنَ تنظيمها وإعدادها أن تنطلق ثورة كالأعصار عنيفةً تدمر الظالمين وتحطم عروشهم وتكتسح أمامها كل مقاومة معاكسة.

لماذا التركيز على المغرب؟...

لم يكن ممكناً أن يقوم عمل كهذا في قلب العالم الإسلامي وتحت سمع الخلافة وبصرها بسبب يقظتها التامة وسرعة تحركها هناك وإمكانية مواجهتها لها بشدة وحزم لدرجة يستحيل معها تحقيق أي نجاح أو إحراز أية فائدة مرجوة، بل على العكس فإنها ستكون سبباً للإطاحة بكثير من الرؤوس وإهراق مزيد من الدماء. والإمام مدرك لهذا تماماً لهذا كان التركيز على أطراف العالم الإسلامي كما ذكرنا حيث لا يوجد هناك حكام أقوياء ولا سلطة مركزية يمكنها أن تكون عقبة أمامها أو تشكل حجر عثرة في طريقها. وتم اختيار المغرب من بين هذه الأقاليم وذلك حوالى منتصف القرن الثاني من الهجرة في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م بالتحديد، السنة التي سالت فيها دماء الشيعة أنهاراً خاصة في المدينة والبصرة، تم اختيار المغرب ليكون الإقليم الذي يؤهل لاحتضان المذهب الشيعي ويكون منطلقاً لفكره ومبادئه وعقيدته وبصورة مدروسة ومنظمة.

وكان تلامذة الإمام الصادق عليه السّلام يأتونه من مختلف الأقطار الإسلامية وكان يطلع منهم على أحوال بلادهم وما يعانيه إخوانهم المسلمون فيها من ظلم الحكام وجورهم وتعسفهم وعدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية فيما يحكمون فيه بين الناس.

وكان سكان المغرب أكثر الناس طاعةً وولاءً لبني أمية وكانوا بالتالي أكثر الناس تعرضاً للإضطهاد والظلم لأن المغرب لم يكن يتمتع بما يفرضه الإسلام من العدالة والمساواة وحكم الشرع الإسلامي ذلك أن البربر لم يعتنقوا هذا الدين الحنيف إلا لما رأوا فيه من عدل وإنصاف وما فيه من عدم التمييز بين المؤمنين إلا بالتقوى وخير دليل على ذلك ما نجده في النصوص التاريخية التي أوردها

الطبري والتي تظهر سخط البربر في أفريقية إبتداءً من خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان.[١]

كل ذلك يجعلنا نشارك المبارك الميلي الرأي ونأخذ به عندما يقول: ولم يكن يخفى على أئمة الشيعة بالمشرق ما عليه المغرب من ضعف سياسي وقتئذٍ بسبب إنقسامه إلى أمارات[٢] وقد انتشر بينها المذهب الخارجي بقسميه الصفري والأباضي وذلك بسبب وطأة الخلافة وجور ولاتها وقد أخذت تتململ من عبء حكمهم وتتهيأ للإنفصال عن جسم الدولة المركزية. أجل لم يخف وضع المغرب هذا ولم تغب أحواله السياسية المضطربة ولا ظروفه الإجتماعية الصعبة حتى ولا بعده الشاسع عن بال الإمام وكان اختيار المغرب يهدف إلى أمور منها:

ـ أولاً: تقويض دعائم الحكم العباسي الذي اغتصب الخلافة واستبدّ بها وانحرف عن الحكم الإسلامي الصحيح.

ـ ثانياً: محاربة الخوارج الذين ظهروا على المسرح السياسي هناك وأصبحوا قوة ذات نفوذ سياسي لا يستهان به بعد قيام الدولة العباسية واستطاعوا نشر مذهبهم في المغرب ومارسوا نشاطهم فيه.

ـ ثالثاً: القضاء على الفتن والبدع المستحدثة التي بدأت تتسرب إلى المجتمعات الإسلامية بين قبائل البربر وتبصيرهم بالشريعة الإسلامية في مختلف

---

١ . المسعود الشامي، محمد: الأغالبة نظامهم الإداري والسياسي، ص ٧١، الدار التونسيّة، ١٩٧٠م.

«إن الإتفاق الذي تم بين هارون الرشيد وإبراهيم بن الأغلب إنطوى على تعهد من إبراهيم ببذل قصارى جهده في منع النفوذ العلوي في التسرب صوب الشرق».

٢ . الميلي، مبارك الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ٢/١١١ص، مكتبة النهضة الجزائرية، ١٣٥٠هـ.

جوانبها العقائدية والفكرية والسياسية.

كيف بدأ الإمام الصادق عليه السلام دعوته هناك؟...

أما كيف بدأ الإمام الصادق(ع) دعوته هناك فهذا بعض ما جاء على ألسنة الكتاب والمؤرخين قديمهم وحديثهم ممن اعتنوا بشؤون المغرب وكتبوا عن تاريخه:

ـ يقول المقريزي: الحلواني وأبو سفين أنفذهما جعفر الصادق عليه السّلام إلى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة وقال لهما: «إنكما تدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها واكرباها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها».

فنزل أبو سفين من أرض المغرب مدينة مرماجنة[١] ونزل الحلواني بموضع يُسمىٰ سوق حماد[٢] فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها إلى محبة آل البيت وصاروا شيعة لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البذر أبو عبدالله الشيعي بعد مائة وخمس وثلاثين سنةً وكان من أمره ما كان ونرىٰ المقريزي أيضاً في مكان آخر من كتابه عندما يتكلم على انتشار المذهب الشيعي وإقبال الناس عليه ومناصرتهم له يقول بالحرف الواحد: وكان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن قوم يعرفون ببني موسى وكذلك كان

---

١ . مرماجنة: يطلق عليها اليوم إسم بَرّماجْنَة وهي بالقرب من الأربس بين مسبيبة ومسكيانة في الشمال الغربي من تونس الحاكمة.

٢ . سوق حماد: طرأ تحريف كبير على هذا الإسم فمنهم قال سوق حماد ومنهم من قال سوق جمار وآخرون قالوا سوق حمار وهي بلد من أرض سماتة.

بأفريقية من لدن جعفر الصادق بمرماجنة وفي كتامة وفي نفزة وسُماته تلقوا ذلك من الحلواني وأبو سفين.

ـ ونرى إبن خلدون يتفق مع المقريزى في نفس الموضوع ويكاد يورد الكلام نفسه حرفياً.

ـ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم يردد أيضاً ما قاله المقريزى وإبن خلدون.

ـ عبدالرحمن بن محمد الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام يقول: ظهرت الدعوة الشيعيّة بالجزائر لأول مرة في وادي الرمل (سوق جمار) بنواحي قسنطينية ومرماجنة ـ (ما بين مرماجنة وسبيبه) وكان ظهورها على يدي رجلين كلاهما جاء من المشرق موفداً من طرف جعفر الصادق لبثّ دعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذٍ ببغداد وخلافة الأمويين بالأندلس والمغرب ونشر مباديء الشيعة التي ترمي إلى إقامة الخلافة الإسلامية في آل البيت خاصة فقاما بهذه الأوساط المغربية يعملان على تنفيذ خطتهما إلى وفاتهما. ثم يعود فيقول عند التعريف بالحلواني والسفياني:

«ذكر إبن الأثير والمقريزي أن أبا عبدالله جعفر الصادق الإمام السادس بعث بهذين الداعيين إلى المغرب سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وقال لهما:

«إن المغرب أرض بور لم تحرث قط فاذهبا فاحرثاها حتى يجيء صاحب البذر» وكانت مدة هذه الفترة التي بين دخول هذين الرجلين بلاد المغرب ومجيء أبي عبدالله الشيعي إلى هذه البلاد ١٤٣ سنة.

ـ الدكتور إبراهيم أحمد العدوي يقول:

«إستفاد الإمام جعفر الصادق من فرصة إضطراب شؤون المغرب على عهد الولاة زمن الخليفة أبي جعفر المنصور وإتجه إلى بلاد الجزائر باعتبارها مصدر

القوة لكل راغبت في النفوذ على منافسيه في الصراع السياسي الذي ساد الدولة الإسلامية إذ ذاك وبعث حوالي سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م أي زمن خلافة المنصور العباسي إثنين من خيرة دعاته إلى بلاد المغرب وهما الحلواني وأبو سفين وقال لهما: «بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر».

وقدم هذان الداعيان مواطن كتامة للحرث أي دلالة على التمهيد لنشر الدعوة لآل البيت وإعدادها لمرحلة العمل، ونزل أحدهما لنشر دعوته بين أهالي مرماجنة من بلاد مَجَّانة[1] والآخر في سوق جمار (وادي الرمل) بنواحي قسنطينة (بالجزائر اليوم) وهي كلها من مواطن كتامة.

ـ القاضي النعمان بن محمد الذي أرَّخ لهذه الأحداث بعد مرور أقل من نصف قرن على حدوثها يقول في كتابه إفتتاح الدعوة الذي انتهى من تأليفه عام ٣٦٤هـ / ٩٥٧م مايلي:

قدم إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة رجلان من المشرق قيل إن أبا عبدالله جعفربن محمد(ع) بعث بهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم وينشرا فضلهم وأمرهما أن يتجاوزا أفريقية ـ تونس حالياً ـ إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية. فلما صارا إلى مرماجنة نزل أحدهما وكان يعرف بأبي سفين بها بموضع يقال له (تالا)[2] فابتنى مسجداً وتزوج امرأةً واشترى أمةً وعبداً فيقال إنه كان يعمل مع عبده ويأمر امرأته

١ . مجانة: مجانة المعادن أو المطاحن وهي بتونس اليوم على مرحلة واحدة من مرماجنة وقلعة بسر قريبة منها على جبل المطاحن أو المعادن المعروف اليوم بالونزة ـ الدشراوي.

٢ . تالا: على بعد ٤٥ كلم من مدينة الكاف التونسية وعلى بعد حوالي ١٧ كلم إلى الشرق من الحدود الجزائرية.

فتعمل مع أمتها وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت صلوات الله عليهم منه ويأخذونها عنه فمن قِبَلِهِ تشيع من تشيع من أهل مرماجنّة وهي دار شيعة وهو كان سبب تشيعهم وكذلك أهل الأربس[١] ويقال إنه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة[٢] أما الثاني فكان يعرف بالحلواني وأنه تقدم حتى وصل إلى سوجمار فنزل موضعاً منه يقال له الناظور فبنى مسجداً وتزوج امرأة واشترى عبداً وأمةً وكان في العبادة والفضل علماً في موضعه فاشتهر به ذكره وضرب الناس من القبائل إليه وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفزة وسماتة وكان يقول لهم: «بعثت أنا وأبو سفين فقيل لنا: إذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضاً بوراً فاحرثاها وكرّباها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها» فكان بين دخولهما المغرب وبين دخول صاحب البذر وهو أبو عبدالله الشيعي مئة وخمس وثلاثون سنة.

ـ أما الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي فبعد أن يتكلم في كتابه (عيون الأخبار وفنون الآثار) على أخبار من قام مِمَّن انتسب إلى آل أبي طالب في أوان ابتداء دولة بني العباس يقول:

... وكل ذلك والإمام الصادق عليه السّلام لابث في كهف تقية مقيم في السر دون الإعلان لأهل دعوته وهو يظهر علم شريعة جده محمد صلى الله عليه وآله

---

١ ـ الأربس: مدينة جنوب الكاف الكائنة في الشمال الغربي للقطر التونسي على طريق تالا. كانت مدينة مسورة ولها ربض كبير وكانت تعرف ببلد العنبر.

٢ ـ نفطة: في قصطيلية من بلاد الجريد قريبة من توزر بها جامع ومساجد وحمامات وجميع أهلها شيعة وتسمى الكوفة الصغرى ـ الروض المعطار.

وسلم وينشره ويبيّنه للناس ويظهره ويطلع المحقين من أهل دعوته على معاني التأويل ويُبيّن لهم باطن علم الوصي والرسول وكان له من المعجزات والآيات الباهرات ما يشهد بفضله ويظهر عند العالمين عالي مقامه وشريف محله. وقد ذكرنا ما كان من حديثه للعلماء في زمانه وما أقروا به له من عظيم فضله حين ظهرت لهم دلائل برهانه. وأمر الإمام أبو عبدالله جعفربن محمد صلوات الله عليه رجلين من خلصاء شيعته إلى المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة وأمرهما أن يدعوا الناس إلى ولاية أهل البيت صلوات الله عليهم وأن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد(ص) وينشرا فضلهم.

هذه باقة من أقوال المؤرخين والمفكرين والكتاب من مختلف العصور والبلاد والنزعات وغيرها كثير وكلها تشير بوضوح تام إلى الامام جعفر الصادق(ع) وتجعله المسؤول الأول والمباشر عن انتشار التشيع في بلاد المغرب وهذا ما يجعلنا نميل إلى تاكيد ما أشار إليه محمد أبو زهرة عندما قال: إن الإمام جعفر الصادق كان معتزلاً للسياسة في الظاهر ومعنيّاً بها في الحقيقة والواقع وهذا أمر طبيعي فالإمام وهو حُجَّة الله على خلقه والمسؤول الأول عن هداية الأمة وتوجيهها لابد أن يكون أول الثائرين على الحاكم الفاسد والعاملين على تقويمه وإصلاحه.

المراحل التي تم فيها الإنتشار:

من جملة ما تقدم نستطيع أن نستخلص أن عملية إنتشار التشيع في بلاد المغرب تمت على مرحلتين:

ـ اولاً مرحلة ما قبل العام ١٤٥هـ / ٧٦٢م وقد قام بها المغاربة أنفسهم

بصورة تلقائية عفوية وبمبادرات فردية وعلى نطاق محدود نسبياً قام بها أفراد عرفوا التشيع بفضل إتصالهم بالمشرق باحدى الطرق التالية:

ـ إما عن طريق الحج واختلاطهم هناك بالشيعة المنتشرين في مكة والمدينة والطائف وغيرها من المدن خاصة تلك التي كانت تسلكها قوافلهم السائرة بين مدن العراق والحجاز وهذا ما يؤكده الحسن السائح في كتابه (الحضارة المغربية عبر التاريخ) عندما يقول:... فقد أوجبت التعاليم الإسلامية رحلة المغاربة إلى المشرق بقصد الحج حيث اتصلوا في المدينة برجال الإسلام ونقلوا مذهبهم إلى أفريقيا الشمالية.[١]

ولم يكن ليشغلهم آنذاك سوى الأمور الدينيّة حيث يقبلون على تعلم مبادىء دينهم ومعرفة أحكام صيامهم وصلواتهم وسائر عباداتهم وتكون مواسم الحج عندئذٍ من أشرف المناسبات وأفضلها فيجتمع المسلمون بعضهم ببعض من مختلف الأمصار والأقطار ويتداولون في أمور دينهم ودنياهم وتعد الحلقات وتتم اللقاءات والاجتماعات والمناظرات فيما بينهم.

ـ وإما عن طريق البعثات العلمية التي كان المغاربة يقومون بها حيث ثبت أنهم كانوا يوفدون جماعات منهم إلى الشرق للدراسة والتعلم والتمكن من معرفة أصول الدين وفروعه ومبادىء الشريعة عامةً.[٢]

ـ وإما عن طريق إتصالهم المباشر بأئمة أهل البيت للتبرك بهم وأخذ مبادىء دينهم عنهم وكيفية تطبيق أحكام الشريعة كما وردت في القرآن الكريم

---

١ ـ السائح، الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ، ١/١٠١، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٧٥م.

٢ ـ السائح، الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ، ١/١٠٥.

والسنة المطهرة وخاصة بعد مذبحة كربلاء المشؤومة التي كان لها صدى آلم النفوس وأدماها وأكسب أهل البيت عطفاً جماهيرياً بعيد المدى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وقد قوي هذا الإتصال خاصة في أيام الإمام محمد الباقر وولده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام حيث كان الطلاب يأتون إليهما بالآلاف كما ذكر المؤرخون فعرفوا المذهب على حقيقته، فإذا أضفنا إلى ذلك معرفتنا لطبائع البربر وتوقهم العظيم إلى الحرية وتعلقهم الشديد بالإستقلال وتعطشهم للعدل والمساواة وإباء الضيم ورفضهم للظلم والإضطهاد، وأن ثوراتهم الكثيرة المتعاقبة على الولاة لم تكن إلا تجسيداً لمبادئهم هذه: عرفنا عندها إقبالهم الشديد على التشيع وترحيبهم به لما ينطوي عليه هذا المذهب من ثوريّة ومناهضة للحاكم الجائر والخروج على السلطان المستبد الذي لا يلتزم بأحكام الشريعة في حكمه وخلع طاعته ومقاومته بكل الوسائل المتاحة وعدم السكوت على ظلمه وجوره أو التغاضي عنه مهما كانت النتائج ومقاتلته حتى إسقاطه وتغيير نظامه، وقد قال الإمام الصادق عليه السّلام مشيراً إلى ذلك: «إن في ولاية الوالي الجائر دروس الحق كله وإحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد وإبطال الكتب وقتل الأنبياء والمؤمنين وهدم المساجد وتبديل سنة الله وشرائعه فلذلك حرّم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلا بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة»[١].

في حين أن معظم المذاهب الأخرى إن لم يكن كلها تحرم الخروج على الحاكم الجائر وإن حكم باسم الدين.

لقد استهوت مبادىء التشيع نفوس البربر الفطرية الطيبة فأقبلوا عليه حتى

---

١. تحف العقول: ص ٢٤٥.

إنتشر بينهم وذلك قبل إبن سفين والحلواني بزمن حيث يؤكد السيد عبدالرحمن الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام «١/٢٢٨» فيقول:

... وكان أول من نشر أفكار الشيعة بالجزائر (منيب‌بن سليمان المكناسي) نزل بأعمال بهرت ونواحي وانشريس فنشرها هنالك بين العامة ثم جاء بعده ابن سفين والحلواني فنشراها أيضاً بين أهالي مرماجنَّة من بلاد مجانة وسوق جمار بنواحي قسنطينة، وهكذا استمرت الدعوة الشيعية في سيرها سراً حتى جاء أبوعبدالله الشيعي فأفشاها بهذه الأوطان.

ـ ثانياً مرحلة ما بعد العام ١٤٥هـ/٧٦٢م والتي استمرت إلى العام ٢٨٠هـ/٨٩٣م أي إلى حين ظهور أبي عبدالله الشيعي في أرض كتامة حيث أفشاها بين القبائل هناك كما يقول المؤرخون.

وقد امتازت هذه المرحلة عن سابقتها بكونها كانت مرحلة العمل المنظم والتوجيه المبرمج المدروس الذي خطط له تخطيطاً دقيقاً متكاملاً وأعد له إعداداً غاية في الدقة المتناهية وبوشهر بتنفيذه بصورة واعية روعيت فيها أحكام السرية المطلقة ومباديء التكتم الشديد.

كيف عمل الحلواني وابن سفين على نشر التشيع؟ ...

وقد عمل على نشر التشيع في هذه المرحلة كما بيّنا رجلان هما:

ـ الحلواني واسمه عبدالله بن علي بن أحمد.

ـ ابن سفين وإسمه الحسين بن القاسم.

وإن كان قد أحاط بشخصيَّة هذين الرجلين كثير من الابهام والغموض ونسج حولهما كثير من القصص والأساطير فذلك لأن طبيعة العمل الذي قاما به

كانت تقتضي أن تغلّف بالسرية المطلقة وأن يضرب عليها ستار كثيف من الحيطة والحذر والتكتم الشديد.

ومادام هذان الرجلان قد أوفدا من طرف الإمام جعفر الصادق عليه السّلام كما تشير إلى ذلك معظم المصادر التاريخية كما بيّنا للعمل على نشر مذهب أهل البيت عليهم السّلام فلابدَّ لهما إذن من أن يكونا على جانب عظيم من الفضل والتقى وعلى معرفة كبيرة بالعلوم الأصولية والفرعية لهذا المذهب والتضلّع منها وعلى شهرة بالدين والورع واتصاف بالعدالة وتمسك بالشرع وبعدٍ عن حب الدنيا والتمتع بلذائذها تماماً، هذا إلى جانب تقيدهم بأمور تتفق وسياسة الإمام وتتمشى مع النهج الذي سار عليه وأكدّه في وصاياه وتوجيهاته وإرشاداته منها:

ـ أولاً: العمل على نشر التشيع وفق مذهب أهل البيت وهو مذهب الإماميّة الإثناعشرية المستمدة تعاليمه من القرآن الكريم وسنّة نبيّه العظيم والعمل على جعل الناس يتعبدون به شرعاً ويلتزمون بمبادئه وتعاليمه وأصوله الفقهيّة حسب المناهج التي يرسمها لهما الإمام عليه السّلام نفسه ويستقيها عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أن كل ما يذهب الإمام الصادق عليه السّلام إلى تصويبه والوثوق بصحته من الأحكام يصبح بجملته مذهب جعفر الصادق عليه السّلام. وهذا بالطبع ينفي عن هذين الرجلين إنهامهما بالعمل على نشر تعاليم المذهب الإسماعيلي في ديار كتامة كما توهم بعض المؤرخين.

ـ ثانياً: مراعاة مبدأ التقية بكل دقة وأحكام لضمان نجاح العمل تجاوباً مع حرص الإمام الخالص على وجوب الإلتزام بالدعوة الصامتة والعمل بمقتضاها وهذا يستتبع بالتالي أن يتوارى كل منهما خلف إسم حركي مستعار يبعد عن صاحبه الشبهه فيصبح معه أكثر قدرة على التحرك وأكثر إبتعاداً عن يد الخلافة

وعيون وُلاتها في تلك الديار الجديدة البعيدة. وقد وعى هذان الرجلان الغاية من مهمتهما وعياً كاملاً وعرفا دقائقها وخفاياها معرفةً واسعة وتوجها إلى المغرب ولاعجب أن يصبحا عند توجههما مختلفين وأن يتحوّل أحدهما إلى سفياني «ابو سفين» والآخر إلى حلواني وأن يصبح القلم بيدهما محراثاً وتصير الأفكار عندهما حبوباً للبذر تزرع في كل مناطق كتامة فتنتج خيراً وبركة وعطاءاً وغذاءً روحياً طيباً.

وقاما بعملهما خير قيام فحرثا الأرض جيداً ومهّداها بعناية فائقة وأعدا النفوس، وقد نجحا نجاحاً عظيماً في عملهما بحيث استطاعا وفي خلال فترة وجيزة أن ينشرا التشيع ويظهرا الدعوة لآل البيت عليهم السّلام وسرعان ما بدأت رقعة الدعوة تتسع شيئاً فشيئاً حتى تمكنا من أن يجمعا كتامة كلها تقريباً تحت لواء التشيع.

وكانت كتامة[١] آنذاك تشغل الأراضي التي كانت تتركز من جهة سطيف[٢] وقسنطينة وجهة القل وسكيكدة وعنّابة والقالة ثم تمتد إلى الكاف ووادي الرمل وتاله وسبيبة[٣] ومنها إلى مرماجنّة وحيدرة ومسكيانا وبا غاية وطبنة لتعود عبر جبال بلَّزمة إلى ميلة وسطيف والناظور وبجاية وغيرها. وتكثر في هذه المنطقة الجبال الوعرة والوهاد والفجاج الشديدة الانحدار الصالحة للعمل الهادىء البعيد عن العيون والأرصاد...

ونحن بالرغم من افتقارنا إلى المزيد من أخبار هذين الرجلين إلا أن الأثر

---

١. كتامة: إسم يطلق على الأرض والسكان وهي قبيلة بربرية شديدة البأس قوية الجانب.

٢. سطيف: إحدى مدن الجزائر وتقع بولاية قسنطينة.

٣. سبيبة: مدينة بتونس على طريق الكاف ـ سبيطلة.

الكبير الواضح الذي تركاه في الكتاميين عموماً من تعريفهم بـمذهب آل البـيت ونشره بينهم وجعلهم يقبلون عليه بهذا الشكل الجماعي الكثيف ويتمسكون بـه وينضوون تحت لوائه ليعطينا دليلاً نستطيع أن ندرك معه بكثير من الوضـوح أن هذين الرجلين كانا من طرازٍ فريد حقاً. طراز فذّ يمتزج فـيه الإيـمان بـالبطولة وتتحد فيه العزيمة بالصبر والإرادة الصلبة بالعمل المتواصل الدؤوب مضافاً إلى كل ذلك ذكاء خارق حاد وعلم واسع غزير وفضل في النفس لايُحد وجرأة في القلب لا توصف وقوة في الشخصيّة مميزة أهّلتهما للنهوض بأعباء هذه المسؤولية العظيمة.[1]

---

١ . زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١٣٠.

الامام الصادق (عليه السلام) من أئمة المسلمين

نشرت مجلة «دعوة الحق» المغربية في العدد الثامن للسنة الخامسة عشرة مقالا للأستاذ متفكر أحمد، عن الامام الصادق عليه السّلام، ودوره الكبير في بناء الفكر الاسلامي آثرنا نشره في هذا الباب نظراً لاهمية الموضوع.

لقد بدأت سير الرجال.. كبار الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر السوق وتنتصب شواهد على هذه الحقيقة. ومع ذلك ففي المكتبة العربية الاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم غبار النسيان وفي عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص بينهم الاديب والفقيه والمؤرخ والمهندس والفيلسوف والفلكي والاصولي وغيرهم ممن اشتركوا في رفع بناء الحضارة الاسلامية هؤلاء كلهم ينتظرون ان ياتي دورهم ليخرجوا الى الوعي العربي بالثوب القشيب والاسلوب الغريب والعناية البالغة والاخلاص الذي يجب ان يتوفر لكل محقق وباحث.

لذا انتهزها فرصة سعيدة لأتحدث للقارىء الكريم عما تكاد نفسي ان تنفجر عنه ولم اجد طريقا اقرب إلى المواطن العربي من طريق الكتابة.

اكتب هذه السطور التي تشير إلى رجل اجتمعت فيه فضائل الانسان ذي الرسالة الحضارية، انسان ظهر فيه التوق إلى الحقيقة.. فقد كان فرعاً من شجرة هي

اكرم ما عرف النسب العربي.. ورث بها الارادة الفعالة التي لا تعترف بالهزيمة والفشل كما ورث عمق الادراك والحساسية الشديدة واخلاصه انه ورث الحافز العجيب الذي لم يجد له الدارسون بعد تفسيرا في حدود ما عرفوه من الحقائق الانسانية وجوانب النفس الخفية.. (انه الشخص الذي تظهر به عبقرية الأمة وتتجلى به طبيعتها الكامنة علماً أو نضالا في سبيل الخير أو قيادة عسكرية أو نبلا في الخلق والضمير وقد هيات له ظروف حياته ان يكون من هذا كله موضعا للعبقريتين العلمية والخلقية).

عصره ومشاكله:

يمتد عصر الامام الصادق من أخر خلافة عبدالملك بن مروان الى وسط خلافة المنصور أي من سنة ٨٣هـ إلى سنة ١٤٨ فقد ادرك طرفاً كبيراً من العصر الاموي وعاصر كثيراً من ملوكهم وشاهد من حكمهم اعنف اشكاله وقضى حياته الاولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر. ونشأ في ظلهما يتغذى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربى تربيته وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة والده بالزعامة سنة ١١٤ واتسمت بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرهما من الاقطار الاسلامية.

كان العصر الذي اختص به الامام الصادق عصر فتن واضطراب في جميع البلاد الاسلامية وحروب طاحنة ونزاع بين رجال الدولة وتجاوبت البلاد بلغة الانكار على الامويين وكانت ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه هي بداية

الانطلاق لنشر الوعي الاسلامي ضد الامويين.

عاش الصادق في وسط ذلك الجو المضطرب بالفوضى والعبث والفساد وهو يحس بآلام الناس اكثر من غيره فماذا يصنع وقد طوقه الامويون برقابة شديدة وضربوا حوله دائرة ضيقة ليحصروا نفوذه فيها؟ ورغم ذلك كله راح يؤدي رسالته ليعالج اصلاح الوضع من طريق الهداية والارشاد ونشر تعاليم الاسلام.

كانت مدرسة الامام الصادق ثابتة المبدأ متصلة الكفاح ووجد الناس فيها ثروة عملية وكانوا يحيون فيها حياة فكرية تهذب النفوس وتسمو بالعقول وترتقي بهم إلى اوج المعرفة والكمال. وكان غرضه المباشر هو توجيه الناس الى درجة في التفكر وافهام الناس (الامة) نظم الاسلام على الوجه الصحيح وتطبيقه بين افراد الامة عن طريق العلم وحرية التفكير ليعالج مشاكل المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة. ويدعوا الناس من طريق الهداية والارشاد الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف.

وفي عصر الامام ازدهرت المدينة المنورة وزخرفت بطلاب العلم ووفود الاقطار الاسلامية وانتظمت فيها حلقات الدرس وكان بيته كجامعة اسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث. من مختلف الطبقات ينتهلون موارد عمله ويقتبسون من ضياء معرفته.. وقد اغتنموا تلك الفرصة فازدحموا عليه يسالونه ايضاح ما اشكل عليهم (فحمل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في جميع البلدان).

وازدحم على بابه العلماء واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء وكان متجها إلى العمل بما يرضى الله لا يفتر عن ذكره ولا ينفك عن طاعته.

يحدث مالك بن انس وهو تلميذ الامام الصادق تردد اليه زمانا طويلا قبل ان تفصل بينهما عوامل الدولة وتحول وجهة نظر مالك عن الامام الصادق عندما رفعت من مقامه واعلت من شانه ووجهت الانظار اليه طوعا او كرها رغبة أو رهبة يقول: «لقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده رسول الله(ص) اصفر لونه و ما رايته يحدث عن رسول الله الا على طهاره ولقد اختلفت زمانا فما كنت اراه الا على ثلاثة خصال اما مصلياً أو صامتاً واما يقرأ القرآن»[١].

وفي رواية الحافظ النيسابوري: «وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله(ص) اخضر لونه مرة واصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه ولقد حججت معه فلما استوت به راحلته عند الاحرام انقطع الصوت في حلقه وكاد يخر من راحلته»[٢].

من تعاليمه:

كانت الحلقات التي تعقد في مدرسة الامام الصادق هي الصعيد الذي تنطلق عليه تعاليم الامام وارشاداته فكان يزرع الفضيلة في النفوس ويغرس الخير فيها. وكان حديثه يشمل كل امور الحياة وجوانبها فهو يهدف إلى تصفية الغرائز ويرسم طريق الصلاح والهداية ويرسم للناس سبيل الخير. وجعل هدفه الاسمى في توجيه الناس إلى الورع عن محارم الله والخوف منه والامتثال لاوامره والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وجعل يوم الحساب ماثلا امام اعينهم مع

---

١ ـ كتاب التسول والوسيلة لابن تيمية.

٢ ـ الروضة للحافظ.

حثهم على التكسب وطلب الرزق ليرفع من مستوى اخلاقهم والمحافظة على القيم الروحية.

كان رضي الله عنه يدعو إلى الاحتفاظ بالاخوة الاسلامية ويدعو إلى الالفة والتقارب وينهى عن التباعد والتباغض ويحاول تاليف القلوب بمختلف الطرق لان الحب أقوى عامل لسعادة بني الانسان. وبالحب ينتظم العالم وهو القانون الطبيعي لحياة الحياة كما ان الكراهة تبعث الشقاء وتثير الشحناء لان عين الكراهة لا تبصر المحاسن بل تنطلب إلى العيوب وان لم تجد فتقلب الحسن قبيحا فلذلك نهى الشارع المقدس عن الامور التي تثير العناء بين المسلمين وتذهب الى ابعد حدود القلق فكان من اسس نظام الدين الاسلامي هي الاخوة فلذا آخى رسول الله (ص) بين اصحابه وامر المسلمين بالمواخاة.

وعلى كل كانت حياة الصادق كلها اشعاع لا ينقطع يصوغ به الظمأ ويشيع به حب المعرفة ويشارك به في الاستنتاج المنطقي السليم والتأمل الفكري كما كانت حياته اشعاع لا ينقطع يضوع به الحب، سخاء في اليد، وسعة في الصدر، ونبلا في النفس، ونقاء في الضمير.

لقد كانت متفوقاً في خلقه متفوقا في حسن معاملته للناس متفوقا في تصوير المثل الاعلى لمن كان يطلب العلم في مجالسه أو يذهب مذهبه من اتباعه أو يعجب به من هو على مذهب غيره من العلماء والفقهاء كما كان متفوقا في سعة ادراكه وغوصه على الحقائق العلمية والفلسفية في عصره متفوقا في مشاركته التامة العميقة في كل المعارف التي شاعت في عصره الذهبي.

لم يكن الامام متخصصاً في فرع من العلوم او ناهجاً منهجا فلسفيا خاصا

راغبا عن غيره او جاهلا له فلم يكن التخصص يومذاك من مذاهب كبار العلماء وجهابذتهم. (لقد كان الامام الصادق مكتبة متنقلة تنطوى في احشائها على كنوز الانسانية في كل ما ورثته من علوم الاولين وما اكتسبته بعد ذلك بتجاربها الخاصة).

ان الامام الصادق ابوعبدالله هو نموذج لانسانية المعرفة في العصر الاسلامي الذهبي بل بداية رائعة له هيات له اسباب هذه الامامة انه بالاضافة الي ذكائه الوقاد وجهوده البالغة في البحث والتأمل والدراسة كان من أولئك الملهمين الذين لا يجود التاريخ الانساني بهم الا في فترات متباعدة.[1]

متفكر احمد ـ مراكش

---

١ ـ احمد، متفكر: الأمام الصادق من ائمة المسلمين، ص ١٢٣، ص١٢٦، مجلة الهادي، العدد الاول، السنة الثالثة، قم، ايران.

تاريخ الدعوة الشيعية

في المغرب العربي

أخبار فخّ وخبر يحيىٰ بن عبدالله وأخيه إدريس بن عبدالله:

كان بدوُّ خروج الحسين بن علي هو أنّ الهادي موسى بن المهدي بن المنصور وَلّىٰ إسحاق بن عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس المدينةَ، فكتب إسحاقُ إلى العُمَريِّ المعروف بِحَبَّتَيْ ماءٍ، واسمُهُ عمرُ بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب، يأمُره أنْ يصلّي بالنّاس وأنْ يضبطَ العملَ إلى قدومه.

أساء العُمَريّ إلى الطالبيين، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ووافىٰ أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلا، فنزلوا دار ابن افلح بالبقيع وأقاموا بها ولقوا حسيناً وغيره، فبلغ ذلك العمريّ فأنكره وسلك مسلكاً آخر وهو الرقابة الشديدة على الحسنيين وقد ولى أمرها إلى رجل يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار. وهذا يقوم بدوره في عرضهم كل يوم ويراقب المتغيبين منهم. فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد. فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر. ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر. فقال ليحيى والحسين بن علي: لتأتياني به أو لاحبسنكما فان له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب. فراده بعض المرادة. وخرج، فمضى ابن الحائك هذا ودخل على العمريّ فأخبره

فدعا بهما وتهددهما فتضاحك الحسين في وجهه وقال: أنت مغضب يا أبا حفص؟

فقال له العمريّ: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟

فقال له: قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية. فقال له: آخر قولك شر من أوله.

فقال: معاذ الله يأبى الله لي ذلك ومن أنا منه. فقال له: أفانما ادخلتك إلى لتفاخرني وتؤذيني؟

فغضب يحيى بن عبدالله فقال له: فما تريد منا؟

فقال: أريد أن تأتياني بالحسن بن محمد، فقال: لا نقدر عليه، هو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا، ثم اعرضهم رجلا رجلا، فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أن لا يخلي عنه أو يجيئه به في باقي يومه وليلته، وأنه إن لم يجيء به ليركبن إلى (سويقة) فيخربها ويحرقها وليضربن الحسين الف سوط وحلف بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته.

فانصرف الحسينُ بن علي فركب حتى أتى (سُوَيْقَةَ)، فبعث إلى الحسن بن محمد فجاءه واجتمع إليه، آل عبدالله بن الحسن: يحيى وإدريس وسليمان ومن حضر منهم، فقال الحسينُ للحسنِ: قد بلغك يا ابن عمِّ ما كان بيني وبين هذا الفاسق، قال: فامْض، جُعِلْتُ فداك، لما أجببتَ، إنْ أحببتَ جئتُ مَعك حتى أضعَ يدي في يده الساعةَ. فقال له الحسين: ما كان الله ليطَّلِعَ على أنْ يكون محمدٌ صلى الله عليه، حجيجي في دمك. ولكنيّ أقيك بنفسي ثم نشاورُ القومَ.

فقال الحسينُ بن علي ليحييَ: هَلُمَّ نُبايِعْكَ، قال له يحيى أنت أحقُّ بالبيعةِ

مِنّي لأنّكَ المُمْتَحَنُ به دوني، وأنا لك عَوْنٌ حتى يقضي الله من أمورنا ما هو قاضٍ.

فبايعه يحيى وإدريس وسليمان بنو عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأفطس، وكان أسدَ بني هاشم وأشجعَ أهل زمانه: وبعثوا إلى فِتْيانهم فأتوه فبعايَعَهُ جمعيُهم، منهم: إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، والحسين بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن الحنفيّة، والحسن وطاهر ابنا محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، وحمزة بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ فاجتمع من أنفسهم خمسة عشر رجلاً، ومن مواليهم خمسة وعشرون رجلاً فصاروا أحد وأربعين رجلاً. ثم جاءهم بعدُ من أفناء النّاس من له بصيرةٌ ومأثرة نحو من خمسين رجلاً فصاروا تسعين رجلا، فلم تمنعهم قِلّتُهُم من النهوض بما وَجَبَ لله، عزّوجلّ، عليهم من الوفاء بالبيعة، والمدافعة عن الذي وجبتِ المدافعةُ عنه.

وجاء الحسين بن علي يستشير الإمام موسى بن جعفر(ع) فكان جواب الامام موسى بن جعفر عليه السّلام له ينبض بروح التذمر والسأم من أوضاع اولئك الحكام الجائرين واليك قوله له: «يا ابن عمّ إنّك مقتول فأجدَّ الضراب فإن القوم فسّاق يظهرون إيماناً ويسترون شركاً وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة»[1].

أرسل الحسين بن علي إلى أهل بيته الذين يشتركون معه في الفكرة فانطلقوا بعدما أذّن المؤذّن بالصبح حتى دخلوا المسجد ثم نادوا «أحَدٌ أحَدْ» وذلك كان شِعارُهم. ومضى الحسينُ بن علي بمن معه حتى جاوز دارَ الإمارة، وصعد عبدالله بن الأفطس إلى المنارة التي عند رأس النبي(ص)، عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذِّنْ وقُلْ في أذانِك «حيَّ على خير العمل» فلما نظر إلى السيف في يده أذّن بها وسمعه العمريّ فأحس بالشر ودهش وصاح: أغلقوا البغلة، وهو يريد الباب واطعموني حبّتي ماء، فولده يعرفون بالمدينة ببني حبتي ماء. ثم انه (أي العمريّ) اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر. ثم مضى هارباً على وجهه يسعى.

وقام الحسين فصلى بالناس الصبح ودعا بالشهود العدول الذين كان العمريّ أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه ودعى بالحسن وقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به فهاتوا العمريّ وإلا والله خرجت من يميني ومما عليَّ. وبعد ذلك تقدم إلى المنبر وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس: أنا ابن رسول الله(ص) على منبر رسول الله(ص) وفي حرم رسول الله، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ استنقاذاً مما تعملون، أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود، وتتمسحون بذلك، وتضيعون بضعة منه.» فقام الناس فبايعوه، وكانت صورة بيعته بهذا الشكل: على كتاب الله وسنة رسول الله(ص) وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فان نحن وفينا لكم وفيتم

لنا وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم».[١]

وبينما هم في المسجد وإذا بالبريدي وقيل البربري قد جاء بخيله ورجاله ـ وكان قد أرسله الخليفة بمن معه إلى المدينة ليكون ردءاً للوالي عند الطواريء ـ وقد كان معه في ذلك الوقت مائتين من الجند ولحق به العمري ومعه ناس كثير، فلما وصل البريدي إلى باب المسجد وهو الباب الذي يقال له باب جبرئيل، اختلط الفريقان فهزم أصحاب الحسين أصحاب العمريّ واستمروا خلفهم حتى جاؤا إلى بيت المال فوجد فيه ثلاثة ألف ألف فقسمها الحسين على الفقراء والمساكين.

بايع الحسين نحو من ثلاثين ألف رجُلٍ من أهل البصائر والثبات والمشهورين بجميل الديانات وغيرهم، فتوجه الحسين بمن معه من أهل بيته وأصحابه عند وقت الحج إلى مكه، واستخلف على المدينة درباس الخزاعي.

ووجّه الهادي بجيوشه تترىٰ جيشاً في إثر جيش.

وكان المُتوَلّي لتدبير الحرب يقطينُ بن موسى. فجعل محمداً وجعفراً إبني سليمان، مع من حضر من آل سليمان بن علي، ومُفضّل الوصيف وصاعد في الميمنة؛ وجعل موسى بن عيسى وحسن الحاجب ومنارة في الميسرة؛ والعباس بن محمد في القلب. وذلك يوم التروية، وهو يوم الثامن من ذي الحجّة، والتقوا واقتتلوا بفخ يومهم ذلك.

يقول إسحاق بن إبراهيم: سمعتُ الحسينَ ليلة الجمعة حين لقينا أصحابَ يقطين، فابتدأ الحسين في كلامه هذا حين لقيناهم، وهو على حمار والنّاس

---

١ . الساعدي، محمد: الحسنيون في التاريخ، الجزء الأول، ص ١٦٣، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ .

مُنْصتون له، فقال: (يا أهلَ القرآن، والله إنّ خَصْلتين أدْناهُما الجَنَّةُ لشريفتان، وإنْ يُبقكم الله ويُظفرْكم لَيُعْمَلنَّ بكتاب الله وسنة نبيّه، ولتشبعنَّ الأرملةَ واليتيم، وليعزَّنَّ من أعزَّه الله وأولياؤه، وليذُلّن مَنْ أذلَّه الحقُّ وليحكم من أعدائه. وإن تكن الخَصلةُ الأخرى، فأنتم تَبَع لسلفكُمُ الصّالح تَقْدَمُون عليهم وأنتم داعون إليهم، رسولِ الله وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين وزيدَبن عليٍّ ويحيى بن زيد وعبدالله بن الحسن ومحمد وإبراهيم إبنا عبدالله؛ فمن أيّ الخَصْلَتين تجزعون! فوالله إنْ لو لم أجدْ غيري لحاكَمْتُهم إلى الله حتى ألحقَ بسلفي.)

عن سعيد بن خُثَيْم الهلالي قال: «كنت مع الحسين بن علي، رحمه الله، فاجتمعنا إليه قبل اللقاء فقام فينا خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بَعدُ يا إخوتي وإخواني وشيعةَ أبي ومُحِبيّ جدّي رسولِ الله، صلى الله عليه، قد تبيّن لكم ظُلْمُ هؤلاء القوم وفسقهُم وفجورُهم وعداوتهم لله ولرسوله، وسيرتُهم في أمّة محمد وارتكابُهم المحارم وتعطيلهم الحدودَ، وشربهم الخمورَ وارتكابهم الشرور وهتكُهُم السُّتور، واستئثارهم بالفيء، وامرُهم بالمنكر ونهيُهم عن المعروف؛ دعاهُمُ الشيطانُ فأجابوه واستصرخهم فاتّبعوه، يسيرون فيكم بسيرة القياصرة والأكاسرة، يقتلون خيارَكم ويستذلون فقهاءكم، يقضون بالهوىٰ ويحكمون بالرُّشا، ويولّون السُّفهاء ويظاهرون أهلَ الرّيب والرّدى، يُقلدون إمرةَ المسلمين اليهود والنّصارى، جبابرة عُتاة، يلبسون الحرير، وينكحون الذّكور، فكيف لا يغضب أولو النُّهى، أم كيف يسوغُ الطعام لأهل البرّ والتقوى، قد درس الكتابُ فأوّل على غير تأويله، وغُنّي به على المعازف فحُرّفَ عن تنزيله، فلم يبقَ من الإسلام إلّا اسمُه، ولا من القرآن إلّا رَسْمُهُ، فلوأنّ مؤمناً تقطّعت نفسُه قِطَعاً ما كان ذلك لله رضا بل كان بذلك جديراً عندي. فروحوا بنا إلى الله، واصطبروا لله، فو الله

إنّ الراحةَ منهم ومن المقام معهم في دارهم لراحةٌ، والجهادَ عليكم فريضةٌ فقاتلوهم فإنّ الله تعالى قد فرض قتالهم، واصبروا أنفسكم فـ(إنَّ الله يُحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيانٌ مرصوص) وكونوا ممّن أحبّ الله والدار الآخرة، وباين اعداءه وآثر لقاءه، عصمنا الله وإيّاكم).(١)

فبرز الحسين بن علي للقتال، ووجّه إليه موسى بن عيسىٰ وإلى جميع أصحابه يعرض عليهم الأمان، فقال الحسين: وأيُّ أمانٍ لكم يا فجرة؟ المغرور من غرَّرْتُموه بأمانكم، وكيف لا وأنتم تغرُّونَه عن دينه بحيلة يسيرة تُطمِعُونه فيها، فإذا ركن إليها قتلتموه؛ أليس مِنْ وصيّة آبائكم، زَعَمْتُمْ، قَتْلُ كلَّ مُتَّهم ومَنْ سأل الامان عند الظَّفر به؟ فخرج إليه جميعُ من حضر مِنْ بني العباس ومواليهم والجند ونقضوا إحْرامَهُم ولبسوا الأقبية، وشدّوا عليه عندما أيسوا من خديعته بأمانهم، وحملوا عليه وعلى أصحابه حملةً شديدةً فثبتوا لهم وقُتِل منهم جماعة.

وقاتل الحسينُ وأصحابهُ قتالاً شديداً حتى كَثُر فيهم القتل في الفريقين جمعياً، ثم حملت العساكرُ بأجمعها فصبروا لهم حتى أبيدوا بأجمعهم وقُتل الحسين، رحمه الله، وسط المعركة وصُرِعَ أهلُه حوله بعد مُنازلةٍ ومُدافعة وصبر عظيم.

وأصابت يحيى بن عبدالله سبعون نشّابةً بين درعه وقميصه حتى صار كالقُنفذ. وجُرِحَ أخوه إدريس بن عبدالله حتى صُبِغَ قميصُه، وجُرح الحسنُ بن محمد بن عبدالله وفُقِئتْ عَيْنُه بنُشّابةٍ، وكان ممّن ارْتثَّ يحيى وإدريس إبنا عبدالله، وإبراهيم بن إسماعيل جدّ الإمام القاسم يُعرف بطباطبا، وعبدالله بن الحسن

---

١ ـ الرازي، أحمد بن سهل (القرن الرابع): أخبار فخّ، ص ١٥٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

الأفطس، جرحى ما فيهم حراك، فاستدركهم رجلٌ من خُزاعة من أهل اليسار، كان سيِّد قومِهِ، ويقال: لم يتحرّكوا، وتعارفوا بالليل، فجزعوا في الجبل حتى صاروا إلى هذا الخُزاعيّ، فآواهم عنده زماناً حتى صلحوا من جراحاتهم وبرئوا من كَلِمِهِم وسكن عنهم ألمُ ذلك، وكفَّ الطلبُ وعمِيَتْ أخبارُهم على من وُكِّل بإتّباعهم. ثم أجمع رأيهم على الخروج إلى الحبشة إلى أن يجعل الله لهم من أمرهم مخرجاً. فركبوا البحر جائزين إلى بلاد الحبشة في مركبٍ للخزاعي، ووجّه معهم غلمانه حتى عبروا بهم من معتك إلى عيذاب.

فلما صار يحيى وأصحابُه إلى ملك الحبشة، أعظمهم وأكبر أمَرهم وأجزل جوائزهم، فأقاموا عنده خيرَ إقامةٍ في أكرم منزلة.

ولما بلغ العمريّ والي المدينة وهو مختبيء فيها خبر قتل الحسين بن علي عمد على دارالحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخيل وقبض أموالهم وجعلها في المقبوضة.

ولعظم أثر هذه المأساة عند الأئمة، قال الامام موسى بن جعفر عليه السّلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون. مضىٰ والله مسلماً صالحاً صوّاماً قوّاماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. ما كان في أهل بيته مثله». وقال الإمام الجواد عليه السلام عنها: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ»[١].

وانتهت تلك الفاجعة المؤلمة ببقاء جسد الحسين بن علي شهيد فخ ثلاثة أيام على وجه الأرض لم يدفن ثم جيء اليه بعد ذلك ودفن بفخ ولم تمض على قبره إلا مدة قصيرة حتى شيد و مرت عليه يد التعمير حتى اتصلت النوبة إلى الشريف قتادة بن ادريس فعمره وبنى عليه قبة وكذلك على الحسن بن محمد وذلك

في سنة ٦٠١هـ، وكان استشهاد الحسين سنة ١٦٩ هجرية وقد رثي بشيء من الشعر فمن ذلك قول عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب(ع) الذي يلقب بالمبارك:

فلأ بكين على الحسين ... بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي ... أثووه ليس بذي كفن
تركوا بفخ غدوة ... في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا ... لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم ... غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم ... فلهم على الناس المنن

وقال داود السلمي يرثيه أيضاً:

يا عين ابكي بدمع منك منهتن ... فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ تجر الريح فوقهم ... أذيالها وغوادي الدلج المزن
حتى عفت أعظم لو كان شاهدها ... محمد ذب عنها ثم لم تهن
ماذا يقولون والماضون قبلهم ... على العداوة والبغضاء والاحن
ماذا يقولون إن قال النبي لهم: ... ماذا صنعتم بنا في سالف الزمن
لا الناس في مضر حاموا ولا غضبوا ... ولا ربيعة والأحياء من يمن
يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حرماً ... وقد رعى الفيل حق البيت ذي الركن

ثم خرج يحيى وإدريس من الحبشة، فقدما فَرّع المِسْوَر ليلاً، فأقاما به زمناً يتشاوران إلى أين يخرجان وأي بلدٍ يحملهم ويخفيهم وشَملهم من الخوف...

مؤسس دولة الادارسة بالمغرب العربي

ادريس بن عبدالله (أدريس الأول)

١٧٢ ـ ٣٧٥هـ / ٧٨٨ ـ ٩٨٥م

فلما اتّفق رأيُ يحيىٰ ـ وهو مقيم بِفَرع المِسْوَر ـ على أن يبعث دعاتَه في الآفاق وجّه أخاه إدريس مع رجلين نحو المغرب، يقال لأحـدهما إسـحاق بن راشد.

وكتب يحيى بن عبدالله إلى واضح مولى صالح بن منصور، وكان على بريد مصر وكان يتشيّع ويميل إلى الطالبيّين ميلاً شديداً، فكتب إليه أن يتلّطف بـحمل إدريس إلى المغرب.

لمّا قدم إدريس إلى مصر يريد المغربَ بلغ هارون الرشيد خـبرُه، فـجمع القوّاد وشاورهم، قال: حدث من أمر إدريس كذا وكذا فأشيروا عليَّ في أمـره؟ فقالوا: نرىٰ أن تبعثَ في طلبه العساكر، فقال: ليس هذا برأي، ولكن اطـلبوا لي رجُلاً ثقةً ناصحاً لهذه الدولة أوَلّيه بريد مصر؛ فأشاروا عليه بشماخ اليمامي. فقدم شماخ مصر وعلى بريدها واضح.

اما ادريس فقد خرج من تلك الديار ومعه إسحاق بن راشد. وكـان لهـذا المولى (إسحاق) من الفطنة وجودة الرأي ماساعد ادريس على التخلص من تلك الرقابة. وقداستعمل (راشد) في سبيل تعمية خبر مولاه مختلف الأساليب حتى بلغ به الحال أنه إذا مر في بعض الجهات التي يحس فيها بالخطر يطلب من ادريس

بأن يقوم معه بما يقوم به الغلام لمولاه فيأمره وينهاه تمويهاً على الآخرين ليجتازا إلى غايتهما بسلام.

ووصلا إلى مصر وموسى بن عيسى عليها. فجاء رجل إلى موسى بن عيسى، وقال: أنا أدلّك على إدريس، فقال للساعي: هل عملتَ شريطتنا في إدريس؟ قال: ما هي أصلح الله الأمير؟ قال: إنْ دلَلتنا عليه وصَدَقتنا عنه أمَرْنا لك بألف دينار، وإن طلبناه فلم نجده ضربناك في الموضع الذي زعمت أنّه فيه، كذا وكذا سوطاً، قال: قد رضيت؛ قال: ابعثوا إلى الشماخ، وجعل يبعث إلى القواد قائداً قائداً حتى شاع الخبر: فقال الذي كان إدريسُ نازلاً في داره رافعاً صوته (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من النّاصحين) فلما وقع القولُ في مسامع إدريس علم أنّه قد رُهِقَ فطرح ثيابه واتّخذ شملة وخرج في هيئة رثّه تشبه هيئة السُّؤّال، فجاز بالقوم فعرفه واضح فصار به إلى منزله وحمله من ساعته على البريد إلى أرض المغرب.

أمّا الرجل الساعي فجاء بهم إلى الدار التي كان يسكنها إدريس؛ فوجد آثاره ولم يوجد إدريسُ، فضرب الساعي على بابها وفاتهم إدريس وصاحباه. فوقعوا بأرض افريقية، وكان الغالب على أهلها الخوارج والمعتزلة. وكان أحدُ الرّجلين اللذين مع إدريس من أهل البصرة، من شيعة أخيه إبراهيم بن عبدالله، معتزليّاً بليغاً خطيباً. فكاتبهم إدريس، وكلمّهم البصريُّ وكان حسن البيان، فسارع الناسُ إلى إدريس واتبّعوه، واتّصل خبره بروح بن حاتم بن قبيصه بن المهلب، فوجّه في طلبهم الخيل فأحاطت بالموضع الذي هو فيه، فركب إدريس وسبق إلى جبال نفوسة وهي قبيلة من قبائل البربر خوارج، فمنعوه من أن يصل إليه أصحاب رَوْح ووقعت بينهم حربٌ شديدة قُتِلَ فيها عالم من النّاس.

فكتب الموجَّهُ في طلبه إلى رَوْح يعلمه ذلك فكتب رَوْح إلى عبدالوهّاب بن رُسْتم أن هذا إدريس بن عبدالله، وأنت عارفٌ بعداوته لك ولمن مضى من سلفك ولو ظفر بك لتقرّب بدمك إلى الله، ونحو ذلك. فلما ورد كتابُه على عبدالوهاب كتبَ إلى أهل نفوسة يأمرهم أن يشدّوه وثاقاً ويحملوه إليه فإنّه لا تؤمن الفِتنةُ به.

وكان إدريس قد دعا أهل نفوسة إلى حقه وبيّن لهم خطأ ما هم عليه من البراءة من علي بن أبي طالب، فاستجاب له منهم خلق وأبى ذلك أكثرهم، فلما ورد عليهم كتاب عبدالوهّاب اختلفوا، فقال المجيبون لإدريس: كيف نحمل ابن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، إلى شيطان مارد وقد استجار بنا، لاها الله ما إلى خذلانه سبيل، قال: فلما راى أهلُ الرأي منهم الاختلاف خافوا أن يتفانَوا فمشى بعضُهم إلى بعض في أمره فاتفقوا على أن يحملوه إلى حيث يأمن، ورضي إدريس منهم بذلك.

وكان إدريس قد كاتب قبائل البربر أهل شلف وتاهرت وزناتة وزواغة وصنما وصنهاجة ولواته فاستجابوا له ووعدوه النصر والقيام حتى يبلغ ما يريد أو يموتوا عن آخرهم.

وهذه رسالته إليهم:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. الحمد لله الذي جعل النّصر لمن أطاعه، وعاقبة السّوء لمن عند عنه، ولا إله إلاّ الله المُتفرّد بالوحدانية، الدّالُّ على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطيف تدبيره، الذي لا يُدْرَكُ إلا بأعْلامه وبيّناته، سبحانه مُنزّها عن ظلم العباد وعن السّوء والفحشاء (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). وصلّى الله على محمّد عبده ورسوله وخيرته من جميع خلقه، انتخبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين. أما بعد، فإنّي أدعوكم إلى

كتاب اللهِ وسُنّة نبيّه صلّى الله عليه. وإلى العدل في الرعيّة والقسَم بالسَّوية، ودفع المظالم والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السُّنة وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد. فاذكروا الله في ملوكٍ تجبّروا وفي الأمانات خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، ووُلد نبيّه قتلوا، وأذكرّكم الله في أرامل افتقرت، ويتامى ضُيّعت، وحدود عُطلّت وفي دماء بغير حقّ سُفكت: فقد نبذوا الكتاب والإسلام وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمُه، واعلموا عبادَ الله أنّ ممّا أوجب الله على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليدّ واللّسان. فباللسان الدعاءُ إل الله بالموعظة الحسنة والنّصيحة والتّذكرة، والحضّ على طاعة الله والتّوبة عن الذّنوب والإنابة والإقلاع والنّزوع عمّا يكرهُ الله، والتوّاصي بالحقّ والصدق والصَّبر والرّحمة والرّفق، والتّناهي عن معاصي الله كلها، والتّعليم والتّقويم لمن استجاب لله ولرسوله، حتى تنفذ بصائرهم، وتكمل نحلتهم وتجتمع كلمتهم، وتنتظم إلفتهم؛ فذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعاً، وللظّالمين مقاوماً، وعلى البّغي والعدوان قاهراً، أظهروا دعوتهم وندبوا العباد إلى طاعة ربّهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرّم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها فإنّ في معصية الله تلفاً لمن ركبها، وهلاكاً لمن عمل بها؛ ولا يؤيسنّكم من عُلُوّ الحقّ وإظهاره قلّةُ أنصاره، فإنّ فيما بدىء به من وحده: النّبيُّ، صلى الله عليه، والأنبياءُ الدّاعين إلى الله قبله، وتكثيرهُ إيّاهم بعد القلّة، وإعزازُهم بعد الذُّلّة، دليلٌ بيّنٌ وبرهان واضح، قال الله عزّوجل (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) و قال (ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيز) فنصر الله نبيَّه وكثّرَ جندَه وأظهر حزبه، وأنجز وعده، جزاءً من الله سبحانه وثواباً لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربّه ورأفته بعباده ورحمته وحُسن قيامه بالعدل

والقسط في بريّته، ومجاهدة أعدائه وزهده فيما زهّده فيه، ورغبته فيما ندبه الله إليه، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدّبه الله وأمره وأمر العباد باتبّاعه وسلوك سبيله، والاقتداء بهدايته واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم كما قال عزّوجل (إنّ تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم) وقال (تعاونوا على البرّ والتقوىٰ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقال (إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر). وكما مدحهم وأثنى عليهم إذ يقول (كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال عزّوجل (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وفرض الله جلّ جلاله الأمر بالمعروف والنهّي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان به والإقرار بمعرفته وأمر بالجهاد عليه والدُّعاء إليه فقال عزّوجلّ (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) وفرض قتال المعاندين عن الحقّ والباغين عليه، ممّن آمن به وصدَّق بكتابه حتى يعودوا إليه ويؤمنوا، كما فرض قتال من كفر به وصدَّ عنه حتى يؤمن به ويعترف بدينه وشرائعه فقال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فهذا عهدُ الله إليكم، وميثاقُه عليكم بالتّعاون على البر والتقوىٰ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجباً وحكماً لازماً، فأين عن الله تذهبون، وأنّى تؤفكون، وقد جابت الجبابرةُ في الآفاق شرقاً وغرباً، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرْضُ ظلماً وجوْراً، فليس للنّاس ملجأ ولا لهم عند أعْدائهم حسنُ رجاء.

فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسّنة، القائمين بحقّ المظلومين من ذرّية النبيين. فكونوا

رحمكم الله عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيين، واعلموا معاشر البربر، أوتيتم وأنا المظلومُ الملهوفُ، الطّريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واتروه، وقلّ ناصروه، وقتل أخوته وأبوه، وجدّه وأهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله (ومن لا يُجبْ داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) أعاذنا الله وإيّاكم من الضّلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرّشاد. وأنا إدريسُ بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رسول الله صلى الله عليه، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، جدّاي، وحمزةُ سيّدُ الشهداء وجعفر الطيّار في الجنّة عمّاي، وخديجة الصدّيقة وفاطمةُ ابنة أسد الشفيقة برسول الله جدّتاي، وفاطمةُ ابنة رسول الله سيّدة نساء العالمين وفاطمة ابنةُ الحسين سيّدةُ بنات ذراري النّبيين أمّاي، والحسنُ والحسين ابنا رسول الله أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبدالله المهدي والزّاكي: أخواي. فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظّه أخطأ، وسيرى ذلك عالمُ الغيب والشهادة أنّي لم أسفك له دماً ولا استحللت له محرماً ولا مالاً. واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادةً، وأستشهد جبريلَ وميكائيل أنّي أوّلُ من أجاب وأناب، لبيّك اللهمّ لبّيك، مُزجي السّحاب وهازم الأحزاب، مصيّر الجبال سراباً بعد أنْ كانت صُمّاً صلاباً، أسألك النصر لولد نبيّك إنّك على ذلك قادر»[1].

فخرج معه أهلُ نَفّوسة في ألفٍ حتى بلغوا إلى شِلْف مدينة يقال لها مليانه

---

١ . الرازي، أحمدبن سهل: أخبار فَخّ وخبر يحيىبن عبدالله(ع) وأخيه إدريسبن عبدالله(ع)، ص ٦٠، تحقيق: عبدالرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت(ع) للدراسات الاسلامية، صعدة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

وبعدها لحق بطنجة فنزل مدينة يقال لها (وليلة) فأجابوه وبايعوه، وكان بعضهم رآه يقاتل بفخ مع الحسين حتى خُضِبَ قميصُه بالدَّم، فلما رأوه عرفوه فلم ينثنوا عنه وشهدوا له أنَّه إدريس الذي قاتل المسوِّدة هو وإخوته وبنو أبيه حتى قتلوا واجتمعوا عليه وقلدوه أمرهم فسار فيهم سيرة أهل الحق وأظهر العدل وقدَّم أهل الفضل ولم يستبد برأيه دونهم.

وكان رجلاً متواضعاً خاشعاً كثير الصلاة حسن التلاوة للقرآن في آناء الليل والنَّهار، فآنسهم ما رأوا منه وألقوا إليه مقاليد أمورهم وفرحوا به وأجمعوا عليه.[(١)]

---

١ . الرازي، أحمدبن سَهل: أخبار فخّ، ص١٨١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.

إدريس بن عبدالله يكّون أول دولة شيعيّة في بلاد المغرب:

بويع إدريس بن عبدالله بالإمامة ونجح في تكون أول دولة شيعية في هذا الصقع من بلاد المغرب وثبّت دعائمها بسرعة هائلة مذهلة ثم خلع طاعة العباسيين وأحدث في خلافتهم هزّة عنيفة زعزعت كيانها وأوجدت فيها صدعاً بليغاً بعد أن بايعه الناس على الإمارة والقيام بأمرهم والإقتداء به في صلواتهم وسائر أحكامهم وغزواتهم وجعل من تلك البقعة الممتدة من وادي ملوية بغرب الجزائر إلى وادي أم الربيع بالمغرب الأقصى مجالاً لنشر دعوته وبناء سلطانه.

حاول المذهب الشيعي في نهاية القرن الثاني الميلادي تنظيم دعايته في المغرب بالتنافس مع المذهب الخارجي. ولعل في لقب الإمام الذي منحه إدريس لنفسه دلالة على ذلك. كذلك فإن معظم المناطق التي سيطر عليها إدريس بعد فتحها اعتنقت الإسلام بسرعة وصار سكانها شيعة على نحو واضح.

لهذا يمكننا الجزم بأنه لم يكن قد مضى كبير وقت على افتتاح المسلمين لأرض المغرب حتى وطئت أقدام الشيعة تلك الأرض وأخذت تعمل على نشر أفكارها هناك وأن إدريس بن عبدالله إنما قصد المغرب إظهاراً للدعوة الطالبية هناك ورجاءً في تاسيس دولة علوية إذ آيس من ذلك بالمشرق وانقطعت ثقته بالعرب وقد رأى أن العباسيين انتصروا بالإيرانيين فبحث عن شيعة له من البربر. ولعل إدريس قد بحث في المغرب عمن يجدهم متشيعين لآل البيت ومن أجل ذلك تنقل في الحواضر والبوادي حتى خبر حال صاحب (وليلي) ورأى فيه

ضالته المنشودة علماً بأن البربر كانوا يرتحلون إلى المشرق طلباً للعلم وأداءً لفريضة الحج ثم يعودون وقد حملوا معهم صوراً عن نزعات المشرق السياسية ونزعاته الدينية.

فلابد إذن أن يكون البرابرة قد تعرفوا على المذهب الشيعي ولابد أن يكون منهم من بلغته أحاديث إضطهاد العباسيين للعلويين فودَّ لو يتقرب إلى الله بنصرة آل بيت رسوله ويحميهم من أعدائهم.

نصر البرابرة العلويين عن طواعية وحاربوا معهم بقية البربر غيرالمسلمين وأدخلوهم في الإسلام فتقووا بهم ثم لووا عنان قوتهم لحرب الخوارج بالمغربين الأقصى والاوسط فاخرجوا منهم دولة علوية. وإلا فما معنى هذه السرعة المذهلة التي أقام بها إدريس دولته؟.. حيث استطاع في أقل من عامين أن يخضع بلاد تامسنا وتادلا لسلطانه؛ كما استطاع أن يخضع قبائل وندلاوة ومديونه وبهلوله وغياته وبلاد فازاز ثم اتجه شرقاً فاستولى على تلمسان وأخضع مغراوة وبني يفرن. ثم ما سر هذا الترحيب الحار به من صاحب مدينة (وليلي) إسحق بن عبدالحميد الأوربي الذي نزل عليه إدريس وهو أمير قومه يومذاك فبالغ في إكرامه وبرّه بعد أن عرّفه بنفسه وأفضى إليه بسره فوافقه على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤونه وما لبث أن تخلى له عن الحكم فأقام إدريس دولته وجعل من (وليلي) قاعده لها. ثم لماذا هذا الترحيب البالغ من عموم عشيرة أوربة التيكانت يومئذٍ من أعظم القبائل البربرية المسلمة بالمغرب الأقصى قوةً وأكثرها عدداً؟..ثم تلتها قبائل زناتة ومكناسة وغمارة وكافة قبائل البربر بالمغرب الأقصى فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم وأقاموا معه مغتبطين

بطاعته ومتشرفين بخدمته طول حياته، بعد أن عرفوا نسبه وهو الحفيد الرابع لفاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص) وزوجة الإمام علي بن أبي طالب(ع) وذلك حسبما جاء في رسالته التي وجهها إليهم بعد المبايعة له فضمنها دعوته والتزاماته وظهر فيها شيعياً واضحاً.

إن هذا الترحيب الحار به وإجماع الكلمة عليه إن دلا على شيء فإنما يدلان على أن هؤلاء المغاربة التفوا حول هذا الزعيم العربي المسلم بعد أن رأوه يصل إليهم وحيداً لا تسانده قوة ولا يحف به جيش وبعد أن خبروا صلاحه ورأوا فيه بركة الهدى والتقى ووثقوا من نواياه، وكانت مبايعتهم له مبايعة للإسلام الصحيح الحق البريء من العصبية الجاهلية والنزوات القبلية فتعلقت به القلوب وأجمعت عليه الصفوف ليكون الإمام الذي يخلصهم من ويلات الإنشقاق والعصيان المقيتة، وكان انخراطهم في جيشه ليكون الجيش المغربي المسلم الذي أعاد للعقيدة صفاءها وللشريعة قدسيّ أحكامها مما أعانه على تشكيل أوّل دولة مغربية إسلامية، دولة تحررت من الزيغ العقائدي وقضت على بقايا الوثنية.[1]

إذن فقد وجد المغاربة ضالتهم المنشودة في بني فاطمة الزهراء والذي كان العالم الإسلامي كله يتطلع إلى خلافة بني فاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئاً من ذلك طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظاً أعلى من بين مختلف أقاليم المملكة الإسلامية الكبرى المترامية الأطراف فعلا صيت المغرب في العالم الإسلامي لأنه عثر على رجل من آل البيت النبوي الشريف، فما كان من هارون

---

١ ـ زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١١٠، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

الرشيد الذي كان يحرص على استمرار نفوذ الخلافة في إفريقية وبهاجس اسود اوحى به وزيره جعفر البرمكي: ان لا وسيلة للاستعانة بالجيوش مهما كانت لاخضاع ادريس، وان الطريق الوحيد للتخلص من الدولة الناشئة هو في إرسال مبعوث يختلط بالامام ليجهز عليه عندما تسنح له الفرصة وهكذا صمم في إرسال الشمّاخ اليمامي، مولى المهديّ، إلى ادريس بن عبدالله، فأتاه وأظهر أنّه من شيعتهم، وعظّمه، وآثره على نفسه، فمال إليه إدريس، وأنزله عنده، ثمّ إنّ إدريس شكا إليه مرضا في أسنانه، فوصف له دواء، وجعل فيه سمّاً، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر، فأخذه منه، وهرب الشمّاخ؛ ثم استعمل الدواء، فمات منه، فولّى الرشيدُ الشمّاخ بريد مصر.[١]

ويقول داود بن القاسم الجعفري وقد كان حاضراً قصة إدريس وسمه: والله ما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجهاً. وقال فيه الامام الرضا عليه السّلام: «أدريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله» وقد عده علماء الأمة من أصحاب الامام الصادق عليه السلام ومن الرواة عنه، ولما توفي على أثر ذلك السم قام راشد بدفن مولاه ومعه البربر فدفنوه في جبل (زرهون) بقرب فاس.

وقد ذكر له بعض المؤرخين شعراً منه هذه الأبيات:

لَـوْ مُـدَّ صـبري بـصبر النـاس كُـلِّـهِمُ

لَكَلَّ في رَوْعـتي أو ضَـلَّ فـي جـزَعي

---

١ . مهنّا، عبدالأمير: أخبار المصلوبين وقصص المعذّبين في العصرين الأموي والعباسي، ص ٢٢١، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

بـــانَ الأحِـبّة فـــاستُبدلتُ بَـعدهمُ
هَـــمّاً مُـــقيماً وشـــملاً غـــيرَ مُـــجْتمِع
كأنّـني، حـينَ يُـجري الفِكـر ذِكْـرَهُمُ
عـــلى ضَـميريَ، مَـجْبُولٌ عـلى الفـزَعِ
تَأوِي هُــمومي إذا حــرّكتُ ذكـــرهم
إلى جَـــوارحِ جســمٍ دائـــم الجَـــزَعِ

ولم يترك ادريس خلفه من العقب شيئاً سوى جنين في بطن أمه فاحتفظ له البربر بالولاية وقام راشد مولاه بالامر حتى ولد الجنين فاذا بـه غـلام فـبايعوه بالخلافة سنة ١٧٧هـ وسمي ادريس كاسم أبيه وهو ادريس الأصغر.[١]

ومكان دفن إدريس يعرف حتى اليوم باسم (مولاي ادريس) وفيه تجري الاحتفالات بعيد المولد النبوي ويشترك فيها ملك المغرب بنفسه. مـن أشعار إدريس الأول:

يذكر لنا ابن الأبار في كتابه (الحلة السيراء) مقتطفات من رسـالة وجـهها إدريس الأول إلى إبراهيم الأغلب مؤسس دولة الأغالبة يدعوه لطاعته.

أرسل إليه رسالة يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته، ويذكره قرابته من رسول الله(ص)، وفي أسفل كتابه هذان البيتان:

اذكـــر إبـــراهـــيم حــق مــحمد وعــــترته، والحـــق خــير مــقول
وادعـــوه للأمــرالذي فــيه رشــده ومــــا هـــو لولا رأيـــه بـــجهول

---

١ ـ الساعدي، محمد: الحسنيون في التاريخ، الجزء الأوّل، ص ١٧٦.

فإن آثر الدنيا فإن أمامه زلازل يوم للعقاب طويل[١]

وعندما وصل نبأ اغتيال ادريس بالسم إلى بغداد؛ قال شاعر من شيعة بني العباس[٢]:

أتظن يا إدريس إنك مفلت كيد الخليفة أو يقيك فرار

ملك كان الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار

---

١. حمادة، محمد ماهر: الوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، الجزء السابع، ص ١٣٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢. عبدالحسين النجم، مهدي: ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الاسلامية، ص ٣١٦، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ادريس بن ادريس (١٧٧ـ ٢١٣هـ).
إدريس الثاني ١٩٢ هـ (٨٠٨م)

لقد استطاع ادريس الأول خلال خمس سنوات وهي مدة ولايته ان يوصل الاسلام إلى الأماكن التي لم يكن قد وصل إليها وان يقيم ملكا وطيدا دعامته العدل وانصاف الناس ثم اختفى فجأة دون ان يترك خليفة له مما كان يمكن ان يعجل بانهيار ماكان قد بناه.

وكان إدريس قد تزوج بربرية اسمها كنزة ولما توفي كانت حاملا فاقترح راشد على رجال الحل والعقد ان ينتظروا المولود فان كان ذكرا آل الأمر إليه وان كان انثى تصرفوا بما يرون فوافقوا على ذلك.

واشرف راشد على تسيير الدفة بنفسه. وبعد شهرين وضعت كنزة ولدا سُمي باسم ابيه وتولى الوصاية عليه راشد حتى وفاته سنة ١٨٦هـ(٨٠٢) فانتقل الأمر إلى أبي خالد العبدي.

ولما بلغ إدريس الثاني الثالثة عشرة بايعه الناس. ثم بويع من جديد في عاصمته الجديدة (فاس) سنة ١٩٢هـ(٨٠٨).

وازدادت الدولة تمكنا يوما بعد يوم واستقام امر المغرب لادريس الثاني وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه. وتميز عهده بأنه لم يعد يرتكز على البربر وحدهم بل اقبل عليه العرب من افريقية والاندلس وغيرهم وصاروا وزراءه وقضاته وهنا ضاقت العاصمة (وليلي) عن استيعاب وجود الدولة الناشئة فبنى ادريس مدينة (فاس) وانتقل اليها ثم توسع في مسلكه فدخل مدينة (نفيس)

ومدينة (اغمات) وفتح سائر بلاد المصامدة.

ويذكر المؤرخون ان بناء فاس انما كان بسبب ضيق (وليلى) بالعرب النازحين اليها من الاندلس والقيروان وبذلك صارت على عهد ادريس الثاني عاصمة عربية، بل اهم العواصم العربية بالمغرب الأقصى، تضم عرب الاندلس من ناحية وعرب القيروان من ناحية أخرى.

وتوفي إدريس الثاني سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م ودفن بفاس وقد انتظمت له كلمة البربر ومحا دعوة الخوارج وقطع المغرب عن دعوة العباسيين وضرب السكة باسمه.

يقول (حنا الفاخوري): «لدينا عدّة مقطوعات من الشعر الغزلي منسوبة إلى هذه الحقبة من تاريخ المغرب منها المقطوعة التالية، وهي منسوبة إلى المولى ادريس الثاني:[١]

لَوْ مُدَّ صبري بصبر الناس كُلِّهِمُ   لَكَلَّ في رَوْعتي أوضَلَّ في جزَعي
بانَ الأحِبَّة فاستُبدلتُ بَعدهمُ   هَمًّا مُقيماً وشملاً غيرَ مُجتمعِ
كأنني، حين يُجري الفكر ذِكرُهمُ   على ضميريَ، مَجْبولٌ على الفَزَعِ
وكيفَ يصبرُ مطويٌّ هضمائمُه   على وساوس. همّ غير مُنقطعِ
اذا الهمومُ توافَتْ بعد هَجْعَتِهِ   كرَّت عليهِ بَكأسٍ مُرَّة الجُرَعِ

محمدبن ادريس (٢١٣ ـ ٢٢١ هـ)

لما مات ادريس الثاني قام بالامر بعده ابنه محمد بعهد منه ولما تولي قسم المغرب بين اخوته باشارة جدته، وكان له احد عشر اخا؛ اختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم لذلك من القبائل والبلاد. واختص عمر بقبائل صنهاجة وغمارة وغيرهما واختص داود ببلاد هواره وتازه وقبائل مكاسة وغيرها. واختص يحيى بأصيلة والعرائش وبلاد ورغة وغير ذلك، واختص عيسى بسلا وشالة وآزمور وتامستا وما انضم اليهما من القبائل، واختص حمزة بمدينة وليلي وأعمالها واختص احمد بمدينة مكناسة وغيرها واختص عبدالله باغمات وجبال المصامدة والسوس الاقصى، وبقيت تلمسان لولد عمه سليمانبن عبدالله واستمرت بأيديهم إلىٰ أن تلاشى أمرهم بدخول العبيديين. ثم أقام محمدبن ادريس بدار ملكه من فاس واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وآمنوا سبلها. ثم حصلت الفتن بعد ذلك بين الاخوة فافترقوا وتحاربوا.(١)

حيث خرج على محمدبن ادريس اخوه عيسى بمدينة آزمور، ونبذ طاعته، وطلب الأمر لنفسه، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة يأمره بحرب عيسى فامتنع من ذلك، وقال معتذراً عن ذلك:(٢)

سأترُكُ للرّاغبِ الغَـرْبَ نَـهْبًا   وإنْ كنتُ فـي الغَرْبِ قَيْلاً ونَدْبا

---

١ ـ سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص ٣٣.

٢ ـ الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٤.

وأسمو الى الشرقِ في هِمَّةٍ ... يَعِزُّ بها رُتباً مَنْ أحَبَّا
وَأتْرُكُ عيسىٰ على رأيِهِ ... يُعالِجُ في الغربِ همّاً وكَرْبا
ولَوْ كانَ قلبي على قلبه ... لكنتُ لهُ في القَرابةِ قَلْبا
وإنْ أحْدَثَ الدَّهرُ من رَيْبِهِ ... شِقاقاً علينا وأحدثَ حَرْبا
فإنّي أرى البُعْدَ ستراً لنا ... يُجدِّد شوقاً لدينا وحُبّا
ولم نَجْنِ قطعاً لأرحامنا ... نُلاقي به آخرَ الدهر عَتبا
وتبقى العداوةُ في عَقْبِنا ... وأكرِمْ به حينَ نُعقِبُ عقبا
وأوفقُ من ذاك جَوْبُ الفلاةِ ... وقَطْعُ المخارمِ نُقبا فنُقبا

فكتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكساس بمثل ما كتب به إلى القاسم فامتثل أمره وزحف إلى عيسى في قبائل البربر، وأمدّه محمّد بألف فارس من زناتة، وفأوقع عُمَر بعيسىٰ وهزمه وطرده من عمله، وكتب إلى الأمير محمد بالفتح، فشكر له ذلك وولاّه على ما فتحه من عمل عيسى، وأمره مع ذلك بالمسير إلى قتال القاسم الذي عصى أمره أولاً، فزحف عمر إلى القاسم، ونزل عليه بظاهر طنجة، فخرج إليه القاسم، ودارت بينهما حرب شديدة كان النصر فيها لعُمَر، واستولى عمر على ما بيد القاسم من بلاد.

ثم صفا الأمر لمحمد بعد ذلك إلى أن مات بمدينة فاس (٢٢١هـ) بعد أن عهد بالأمر لابنه علي بن محمد المعروف بحيدرة وقام من بعده.

علي بن محمد بن ادريس (٢٢١ ـ ٢٣٤هـ)

لما مات محمد بن ادريس كان علي بن محمد صغير السن فقام بأمره الأولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالته وطاعته، وسار بسيرة أبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة وكانت وفاته (٢٣٤هـ) وعهد بالامر لاخيه يحيى.

يحيى بن محمدبن أدريس (٢٣٤ ـ ٢٥٠هـ)

لما جلس يحيى على تخت بني ادريس امتد سلطانه وعظمت دولته واستمر عمران مدينة فاس وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الرياض ورحل اليها الناس من البلاد البعيدة وفي زمنه بني مسجد القرويين الشهير بمدينة فاس وقام من بعده.

يحيى بن يحيى (٢٥٠ ـ ٢٩٢هـ)

لما مات يحيى الأول قعد يحيى الثاني على تخت الادارسة فأساء السيرة، فثاروا عليه وأخرجوه من قصره واشارت عليه زوجته بالاختفاء بعدوة الاندلس، ريثما تسكن الفتنة فتوارىٰ بها فمات من ليلته اسفا على ما صنع بنفسه وكتبت زوجته إلى ابيها عليبن عمربن ادريس صاحب الريف والسواحل تعلمه الخبر وتستدعيه، واستدعاه أيضاً أهل الدولة من العرب والبربر والموالي. فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمدبن ادريس وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمربن ادريس صاحب الريف وتارة يكون في عقب القاسمبن ادريس. ولما دخل عليبن عمر مدينة فارس بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له بجميع المغرب إلى ان ثار عليه عبدالرزاق الفهري من الخوارج الصفرية، وحصل بينه وبين عليبن عمر حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق، فانهزم علي وفرّ بنفسه. ودخل عبدالرزاق مدينة فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها وامتنع عنه اهل عدوة القرويين وبعثوا إلى يحيى بن القاسم ويعرف بالعوام فوصل اليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم. ثم قاتل عبدالرزاق حتى اخرجه من عدوه الاندلس فدخلها وبايعه اهلها. وكان للامير يحيىبن القاسم حروب كثيرة مع الصفرية. ثم اغتاله الربيع بن سليمان (٢٩٢هـ). وفي زمنه حدث قحط شديد ببلاد المغرب وغلاء بالاندلس والمغرب وأفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام، وحدثت زلزلة عظيمة تهدمت منها المباني وانحطت منها الصخور من الجبال، وعمت هذه الرجفة

جميع بلاد الاندلس وجميع بلاد العدوة، واستمرت المجاعة والوباء إلى (٢٨٥هـ) ولما قتل يحيى العوام ولي الامر من بعده يحيى الثالث بن ادريس وخطب له بفاس. وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان يحيى هذا واسطه عقد البيت الإدريسي أعلاهم قد راوا بعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزرهم فضلا وأوسعهم ملكا وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان بطلا شجاعا ذا دين وورع لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان، الى أن طما على ملكه عباب العبيديين القائم بأفريقية فأغرقه. وذلك ان عبيدالله المهدي أول الخلفاء العبيديين لما استولى على أفريقية اراد تملك المغرب الاقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس فزحف الى المغرب الاقصى (٣٠٥هـ) وانتهى الى فاس فبرز اليه يحيى بن ادريس لمدافعته في جموع العرب والبربر، والتقوا بقرب مكناسة فانهزم يحيى وعاد إلى فاس. ثم تقدم مصالة إل فاس وحاصرها إلى أن صالحه يحيى على مال يؤديه اليه وعلى البيعة لعبيد الله المهدي، فقبل يحيى الشرط وأبقىَ عليه مصالة في سكن فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية المكناسي على ما سوى ذلك من بلاد المغرب. وبذلك دخل المغرب الاقصى في يد العبيديين واندرجت دولة الادارسة في دولتهم (٣٠٧هـ). ثم ان موسى أوغر صدر مصالة على يحيي فقبض عليه وقيده بالحديد واستصفى أمواله ثم نفاه الى أصيلا. ثم ساءت حالته بعد ذلك وافتقر ومات بالمهدية (٢٣٢هـ). ثم خرج من الادارسة شخص يقال له الحسن بن محمد ويعرف بالحجام وطرد عامل العبيديين على المغرب واستولى على فاس. فاجتمع الناس على بيعته ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر وكانت دولتهم اخذت في الانحلال ودولة عبيدالله المهدي في الاقبال فملك الحسن المذكور عامين، ولم

يتم له مطلب، وانقرضت دولتهم في جميع المغرب الاقصى وحمل اغلب الادارسة الى المهدي المذكور وولده الامن اختفى بالجبال (٣١٣هـ). وبعد (٣٤٠هـ) ثار ادريس من ولد محمدبن القاسم فأعاد الامامة لهذا البيت ثم تغلب على بر العدوة عبدالملكبن المنصوربن أبي عامر الاندلسي وخطب في تلك البلاد لبني امية بالاندلس، ثم رجع عبدالملك إلى الاندلس فاضطربت دولة بر العدوة فتغلب على فاس بنو أبي العافية الزناتيون حتى (٣٦٣هـ). ثم ظهر يوسف بن تاشفين واستولى على تلك البلاد واستأصل ذرية ابن أبي العافية بالمغرب وكانت دولة ابن أبي العافية بالمغرب ١٤٠ سنة (٣٠٥ ـ ٤٤٥هـ) وكانوا متمسكين بدعوة الشيعة فكانوا كنواب عنهم بالمغرب الاقصى.

وكان للادارسة ببلاد الريف دولة صغيرة لبثت على سبيل الاستقلال، كما كانت لهم أولا بفاس بالمغرب، انما كانوا فيها تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب، أما من الشيعة أصحاب أفريقية، واما من المروانيين أصحاب الاندلس، وبقيت بلاد الريف بيد بني ادريس يتوارثونها. فلما انقرضت دولتهم بفاس على يد موسىبن أبي العافية انحاز من بقي منهم إلى بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقلعة يقال لها حجر النسر وبقوا هناك إلى أن ذهبت رياستهم تماما (٣٦٣هـ). ومن أشهر أمرائهم ابوالعيش أحمدبن القاسم. وعلى ذلك تكون مدة الادارسة بالمغرب من يوم بويع ادريسبن عبدالله (١٧٢هـ) إلى ان قتل الحسنبن كانون، قتله المنصوربن أبي عامر الاندلسي (٣٧٥هـ)، مائتي سنة وثلاث سنين وشهرين تقريبا. وكان عمالهم بالمغرب من السوس الاقصى إلى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس وكان ينازعهم الملك دولتان عظيمتان: دولة العبيديين بأفريقية ودولة بني أمية بالاندلس وكانوا يزاحمون الخلفاء إلى ذروة الخلافة

ويعقدهم عنها ضعف سلطانهم وقلة مالهم.[١]

والأدارسة أوّلُ من نقلوا الحضارة الإسلامية إلى المغرب، وقد نشروا الإسلام وراء نهر ابن رقراق في مناطق لم تستطع الجيوش الرومانية من قبل أن تصل إليها، ودخلت تلك المناطق الإسلام.[٢]

والحقيقة ان قيام الدولة الادريسية في المغرب ادى إلى نتائج جليلة، فان ما اصاب تلك الرقعة لم يثبت قدم الاسلام فيها وحال دون انتشاره انتشارا واسعا، فبفضل الادارسة انتشر الاسلام حتى بلغ كل مكان وبفضلهم قامت الحركات العلمية فانشئت المدارس والمكتبات، كما توسع العمران واسست المدن مما ادى الى التوسع في تحضير البلاد وازدهار المدنية.

ولولا الظروف القاهرة التي احاطت بهم فحصرت جهودهم وشلت هممهم لكان لهم شأن أبعد من هذا الشأن.

والعمل الاكبر الذي يتوج كفاح الادارسة هو تعميمهم الاسلام بين القبائل البربرية وترسيخ قدمه فيها، حتى اصبحت من اشد قبائل المغرب الأقصى شكيمة واحسنها بلاء في الدفاع عن بيضة الاسلام، وكان اكثرها على غير ملة الإسلام، لان الحكام الفاتحين قبل ذلك كانوا يعاملون البربر اسوأ معاملة، ولما وصل ادريس الأكبر الى المغرب اقام في بلادهم وتزوج اليهم وولد له ثم لأولاده من أمهات بربريات اندمجوا اهم واحفادهم من بعدهم في القبائل البربرية، ويقول غير واحد من المؤلفين والمؤرخين في هذا الصدد، ـ أي في صدد اندماج اعقاب

---

١ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص ٣٦.

٢ . الهمشري، محمدعلي: انتشار الاسلام في افريقيا، ص ٤٣، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

ادريس الاول في قبائل البربر «تبربر ولده» وهم ـ أعني هؤلاء الادارسة المندمجين في البربر ـ الذين قاموا بنشر الدعوة الى الدين الحنيف في تلك الاقطار الشاسعة فانشأوا دولتين من أشهر الدول الاسلامية في تلك البلاد.

ومن أكبر العوامل التي ساعدت على نجاح دعوة الادارسة واعتناق البربر للاسلام اعتناقا عاما على ايديهم ما كان يلقاه البربر من عمال الامويين والعباسيين من الظلم الفادح والاستغلال البشع مما يتنافى مع الاسلام ويصوره بأبشع الصور، لذلك المغرب كله، الاقصى منه (دولة المغرب) والأوسط (الجزائر) والادنى (تونس) في ثورات دائمة لا يقر له قرار، وكان احراره يفتشون عن متنفس لهم، فكثيراً ما كانوا يؤيدون دعوة الخوارج ويثورون معهم، وللدلالة على فساد الحكم الاموي وسوء المعاملة التي كان الامويون يعاملون بها الرعايا ومنهم قبائل البربر فيبعدونهم بذلك عن الاسلام ويدفعونهم للثورات نقصُّ بعض مارواه المؤرخون مما كان مظهر الحكم يومذاك، فمن هذا ان يزيدبن أبي مسلم دينار (مولى الحجاج الثقفي) جعله الحجاج كاتبه وصاحب شرطته، وفي عهد يزيدبن عبدالملك ولاه يزيد على بلاد المغرب، فسار هناك بسيرة الحجاج، ومن افعاله ان الحجاج كان قد وضع الجزية على رقاب الذين اسلموا من أهل السواد وامر بردهم إلى قراهم ورساتيقهم على الحالة التي كانوا عليها قبل الاسلام. واراد يزيدبن أبي مسلم ان يفعل عين ما فعله الحجاج ويطبق ذلك على البربر.

فاستفظع البربر هذا الأمر ولم يصبروا عليه فتآمروا فيه واجمعوا على قتله فقتلوه.

وفي عهد هشامبن عبدالملك، كان عمربن عبدالله المرادي واليا على طنجة والمغرب الاقصى، فأساء السيرة في البربر وأراد أن يخمس من اسلم منهم وزعم

انه الفيء فنفرت قلوب البربر واحسوا انهم طعمة للعرب وقد كان الولاة بعامة يرهقون البربر بما يطالبونهم به من المطالب الظالمة، فمن ذلك مثلا انه كانت تشوقهم الجلود العسلية اللون، فكانوا يتغالون في جمع ذلك حتى كان القطيع من الغنم يهلك ذبحاً لا لشيء الا لاتخاذ الجلود العسلية من سخالة ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه، فكثر عبثهم بذلك في أموال البربر فاجمعوا على الانتفاض.

فلما وصل ادريس الأكبر وقامت دولة الادارسة عرف البربر ان الاسلام الصحيح ليس هو الذي كان يمثله اولئك الحكام الطغاة، وانه ليس الا عدلا وتسامحا ورحمة فأقبلوا يدخلون فيه افوجا على أيدي الادارسة احفاد محمد وعلي.[1]

---

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلاميّة الشيعيّة، الجزء الرابع، ص ١١، بيروت، ١٣٩٣هـ.

نهاية دولة الادارسة

كان هدف المولى ادريس منذ اللحظة الاولى هونشر الاسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية اذ ان اكثرهم كان لايزال يدين باليهودية والنصرانية؛ ولكن اعقاب المولى ادريس واجهوا في سبيل نشر دعوتهم والاعلان عنها عراقل كثيرة وصعاب جمة فقد كثرت الاضطرابات والقلاقل من كل جانب بعد ان وزعت المملكة بينهم، واستفاد المتربصون شرا والطامعون في احتلال البلاد. فالامويون في الاندلس يحاولون باصرار بسط نفوذهم على المغرب والسيطرة على دولته، ويستخدمون لذلك جميع الوسائل ليضطروا حكامه الى الخضوع حتى انهم سلطوا عليهم احد المعادين لآل البيت موسى ابن أبي العافيه ـ وكما ذكرنا آنفاً ـ الذي كان يحقد عليهم اشد الحقد وأراد استئصالهم من المغرب نهائياً، وظل لهم بالمرصاد إلى آخر ايامهم حتى أجلوا عن اوطانهم ورحلوا الى الاندلس.. الى جانب هذا كان على مسرح المغرب في المرحلة الحساسة لتكامل دولتهم نشوء الدولة الفاطمية بتونس ومزاحمتها لهم في تزعم هذه الحركة.

ومع ذلك فقد تخللت فترة الشرفاء الادارسة للمغرب اوقات أعلن فيها الحكم الشيعي الصريح ومذهبه حيث سمحت الفرصة بالبوح بعقيدتهم. ذلك أن هذه الدولة كانت تشهد على حدودها الشرقية مولد اول دولة شيعية هي الدولة الفاطمية بتونس، وسرعان ماتم الأمر لهذه الدولة وبدأت توسع رقعة سلطانها بالمغرب من جهة وتتطلع الى مصر من الجهة الأخرى ففي سنة ٣٠٥هـ توجه مبعوث عبدالله مصالةبن حبوس المكناسي قائد عبيدالله المهدي الى المغرب

ووصل الى فاس حاضرة الادارسة فحاصرها وكان اميرها يحيى بن ادريس الادريسي الامير الذي ملك جميع بلاد المغرب وبلغت الدولة الادريسية في عهده اعلى مقام واصبحت الحال على وشك الاستقرار. فشدد الحصار إلى ان صالحه هذا الامير بقبول طاعة عبيدالله الشيعي، فأبقاه على حكمه لفاس من قبل الفاطميين، وترك لموسى بن أبي العافية حكم باقي البلاد المغربية وكان من الجائز ان تسيرامور الادارسة والفاطميين على احسن مايرام، وان ينمو هذا الاتجاه الجديد في العقيدة المغربية يآزر احدهما الآخر ويعينه لو لم يدب الحقد والحسد إلى ابن أبي العافية فيوغر صدر مصالة على يحيى الادريسي ويوقع بينهما وهو يظهر النصح للشيعة والاخلاص لهم والتمسك بدعوتهم. وهنا يتحول اهتمام الادارسة فينصرفون الى الانشغال بمبارزة العداء الذي يواجههم، وتتم المؤامرة فيعزل يحيى ولكن أهل فاس لايقبلون ريحان بديله عليهم من قبل العبيديين، ثم لايلبث ان يثور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس سنة ٣١٠هـ ولكنه يلقى حتفه بسبب خيانة عامل فاس سنة ٣١٣هـ. وهنا ينتهي عهد الادارسة بفاس حيث يعتصمون بحجر النسر بالريف، ذلك المعقل الذي بناه اخو الحسن الحجام ابراهيم سنة ٣١٧هـ وظل ابن أبي العافية متحكما في المغرب من طرف العبيديين الى سنة ٣٢٠هـ حيث خلع طاعتهم ودعا للامويين فحاربه الفاطميون، وخرج اذ ذاك الادارسة من حصنهم حجر النسر بعدان ظلوا به اربعة اعوام، وانضموا اليهم في قتال موسى ابن أبي العافية حتى قضوا عليه.. ولكن البلاد بقيت مع ذلك في قبضة الامويين الى سنة ٣٢٣هـ حيث قدم ميسور الفتى إلى المغرب من لدن أبي القاسم عبدالله المهدي على اثر وفاة والده، وحاصر مدينة فاس إلى ان تمكن منها، وبقيت هذه المدينة تحت امرة الفاطميين حتى سنة ٣٣٥هـ أي مدة

ثمان عشرة سنة. فتولى الادارسة جميع البلاد قائمين بدعوة أبي القاسم الشيعي. ويظهرانه تم بذلك اجتماع هاتين الحركتين وبدا الانسجام بينهما.. فنجد الادارسة في هذه المرحلة يظهرون ولائهم للقاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثاني الملقب بكنون حيث قام بدعوة الشيعة. حسب ما جاء في كتاب «الانيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس لابن أبي زرع. ج ١ ص ١٢٧»

غير ان القوة التي كانت تجاورهم من الشمال كانت تهددهم باستمرار فما ان توفى القاسم سنة ٣٣٧ هـ وتولى ابنه ابو العيش احمد بن القاسم حتى دعا إلى الامويين وبايع لعبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ـ٣٧٧) ويمتاز هذا الأمير بأنه كان يتوق الى الجهاد في بلاد الاندلس وبها مات سنة ٣٤٣هـ. فما لبث الفاطميون ان اعادوا الكرة سنة ٣٤٩هـ وردوا الامور في المغرب إلى نصابها. وبعد هذا ظهر آخر ملوك الادارسة وهو اخو ابو العيش، الحسن بن كنون مبايعا للعبيديين ثم للامويين «خوفا منهم لاحبا فيهم» كما يقول ابن أبي زرع في كتابه القرطاس؛ ج ١ ص ١٣٨ إلى ان دارت عليه الدائرة فابعد واهله عن المغرب، وانتهى الأمر ان حاربهم وقتل وهو يحاربهم سنة ٣٧٥هـ وبذلك انقرضت الدولة الادريسية وهي تصارع المعارك.[1]

لقد ملكت هذه الدولة العلوية الشريفة بلاد المغرب زهاء ٢٠٣ مائتين وثلاث سنين، وبسطت نفوذها من السوس الاقصى إلى مدينة وهران. وبالرغم من هذه المدة الطويلة فانها لم تتمتع بالاستقرار الذي يمكنها خوض المعارك الفكرية والعقائدية التي كانت على اهبة القيام بها بعد المعارك السياسية.

---

١ . رغم زوال الدولة الادريسية فان المذهب الشيعي ظل رائجا في المغرب كله إلى اواسط القرن الخامس الهجري كما يظهر من كلام صاحب الاستقصاء. ج ١ ص ١٣٨ .

يقول الدكتور عبداللطيف السعداني: «على ان هناك في رأينا عاملان اساسيان اخريان كان من شأنهما ان لا يشجعا على ظهور التشيع بالمغرب، يجب ان يضافا الى ما تقدم. فبالرغم من أن المغرب قد عرف ظهور دولة المذهب الشيعي ومبادءه، فان ازدهار هذا المذهب وبلوغ الدولة الفاطمية شأوا كبيرا تم بعيدا عن البلاد المغربية في مصر، وقد كان هذا من الاهداف التي جعلت الفاطميين ينقلون دولتهم من المغرب إلى مصر. كما ازدهر الفكر الشيعي في البلاد الشرقية، حيث كانت هذه البلاد مستعدة فكريا لقبول العقائد الشيعية والخوض فيها لما عرفته من قبل ذلك من فلسفات وعلوم ومعارف، كما انها كانت مستعدة روحيا لذلك بعدما عاشت الصراع السياسي الذي خاضه ائمة البقيع. وهذا كله لم يكن يتوفر في البلاد المغربية التي كانت وماتزال عقيدتها الاسلامية بسيطة وايمانها بهذه العقيدة ساذجا.

وثاني السببين في عدم تمذهب الادارسة وغيرهم من الاسر الشريفة التي حكمت المغرب في دعوتهم لآل البيت هو ان جميع هؤلاء الشرفاء حسنيون يرجع نسبهم إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فلم تتجسم فيهم تلك العقيدة الشيعية التي ظهرت في اعقاب سيدنا الحسين رضي الله عنه الولد الثاني لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي يعد الامام بعد ابيه ومنه استمرت هذه الدعوة في أعقابه.[1]»

ومهما يكن من امر فقد بذل المغاربة للادارسة الولاء ودانوا لهم بالطاعة الكاملة اخلاصا منهم في محبة آل البيت واوضح دليل على هذا التفاني في

الاخلاص لهم أنهم كانوا دائما معهم يؤيدونهم في كل حالاتهم، في متابعتهم للمروانيين، وفي مبايعتهم للعبيديين.

كاد اثر دولة الادارسة ينمحي، او هكذا ظن اعداؤهم الامويون بعد ان اجلوهم عن معاقلهم بالريف الذي كان يدين لهم بالحب، وجبال غمارة التي ظلت تنقاد لهم وتعظمهم وبعد ابعادهم عن بلادهم حتى لم يبق منهم بالعدوة رئيس ونفيهم إلى الاندلس، غيران التشيع الموروث لاولاد ادريس[1] خلد هذه الدولة إلى الأبد في نفوس المغاربة والبربر عامة، فلم تخب دولتهم ولازال امرها بل سرعان ما انتقلت الى الاندلس لتزيل دولة بني امية وتخلفها، وكانت حركة اولئك النازحين الى هذه البلاد من تلك الاسرة الادريسية الذين استقروا سنة ٣٦٤هـ بقرطبة تحت رعاية ملكها الحكم الاموي الرمز الاول لهذا الانتقال. كما انتقلت مع البربر الفاتحين للاندلس في ذلك العهد الذين حفظوا للشرفاء عهد المحبة والولاء فما ان ظهراحفاد للادارسة على مسرح الحياة السياسية بالاندلس حتى التفوا حولهم ودعوا لهم.. كان ذلك عندما عبر اثنان من اعقاب الادارسة إلى بلاد الاندلس في خدمة سليمانبن الحكم الاموي وهما القاسم وعلي ابنا حمودبن عليبن عبيداللهبن عمر ادريس الثانيبن ادريس الأول.

وكان أول امرهما ومبدؤ نشأة الدولة في أسرتهما ان وليا قائدين على المغاربة في الاندلس، ثم وكل سليمان القاسم امور الجزيرة الخضراء، وعليا وهو الاصغر امور سبته وطنجة[2]. وقد كانت لقبائل صنهاجة وزناته يفرن بتاكرونة

---

١ . ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤ ص ٢٣٠.

٢ . المراكشي، عبدالواحدبن علي (المتوفى سنة ٦٤٧هـ): المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٣٢، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ.

وبرغواطة اليد البيضاء في مدهم بالمساعدة وشد أزرهم حتى قال الشاعر ابو عبدالله الرعيني في مدح القاسم:

ولما دعى الشيطان في الخيل حزبه　　واقبل حزب الله فوق خيوله

كتائب من صنهاجة وزنانة　　تضايقن في عرض الفضاء وطوله

ويكفي دليلاً على هذه الصلة الوثيقة التي كانت تشد بين هذه الاسرة الهاشمية وبين برابرة المغرب، هي ان زوال ظلهم عن قرطبة يعني إلى ما أخذه عليهم أهل هذه البلاد من ميلهم الى البربر.(١)

ولم يخف بعض الناصحين لملك سليمان من البربر الموالين للامويين من تولية هذين العلويين الطالبيين اذ سيظل هذا الحق مطلوباً مادام فيهم عرق ينبض، ولم يمض زمن يسير حتى بدت رايات الدعوة العلوية يقودها أحد ذنيك النازحين الحموديين الى الاندلس علي بن حمود سنة ٤٠٧هـ، واستجابت الرغبة الدفينة في قلوب مواطنيهم الذين كانوا يسكنون قرطبة فسمي ذكرهم. ومنذ ذلك الحين تكونت هذه الدولة. أطلق البعض عليهم الحسنيون وسماهم البعض الآخر العلويون او العلويون الادارسة وسموهم الفاطميون، ومهما تكن التسمية فان هذه الدولة قامت لارجاع الحق المغصوب لآل البيت من أسرتهم، ونلاحظ ان الظروف كانت تفرض قيام من يدافع عن هذا المبدأ إذ ان الشيعة كانوا يمرون باوقات عصيبة. فقد ساءت حالهم بتونس ولاقوا التقتيل والتعذيب، وقامت الفتن بين السنة والشيعة على اشدها في العراق بواسط.(٢)

من ذلك نستبين الهدف الذي قصدت اليه هذه الدولة، وقد كان أمرين

---

١ . ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٢٨٢ .
٢ . ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٩ ص ٢٩٥ .

اساسيين:

اولهما مناهضة الحكم الاموي في الاندلس.

وثانيهما الدعوة للدولة العلوية وللمذهب الشيعي.

أما الهدف الاول فقد أصابت منه الكثير حتى ذكروا انهم كانوا سبب زوال الامويين من الاندلس والقضاء على دولتهم[1] وأما الدعوة للدولة في آل البيت فانهم نجحوا في القيام بها الى حد بعيد فكونوا دولة بجميع مظاهرها وتلقبوا بالقاب الخلافة مثل «الناصر لدين الدولة» و«المأمون» و«المستنصر» و«المتأيد» وملكوا الجزيرة الخضراء وقرطبة واشبيلية وغرناطة والمرية وقرمونة ورندة واعمالها ومن مدن المغرب طنجة وسبتة. وخطب لهم في جميع هذه البلاد وضربت السكة باسمهم.

وأما تشيعهم فقد ظهر عليهم اثر لذلك ولكن المصادر التي بين ايدينا وهي مصادر في اغلبها تؤيد المذهب السني اكتفت بالقول بأنهم «تشيعوا ولم يظهروا ذلك ولا غيروا على الناس مذهبهم»[2] ولن تعقب على ذلك ولا علقت عليه مما يكاد يحس معه من الاشارات العابرة أنها أغفلت الحديث عن هذا الامر، وغضت الطرف عنه ولم تذكر الا ما اضطرت اليه اضطرار عن نقل شعر لاحد شعراء الاندلس في هذه الفترة مثلا، اذ كان من اللازم الاشارة إلى الشعر الشيعي وقد بلغ في هذا العصر شأوا عاليا. على اننا يجب ان لا نغفل ما يكون قد ركن اليه دعاة هذه الدولة من «السرية» التي تحتمها الظروف القاسية التي تواجه كل عقيدة

---

١ . ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤ ص ٢٢٨.

٢ . المراكشي: المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص ٣٠٠.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩ ص ٢٧٤.

تحاول الظهور في محيط جديد.

ومع ذلك نستطيع ان نتبين الجو الذي خلفه وصولهم إلى الحكم وآمال الناس فيهم.

يقول ابو عبدالله الرعيني الاعمى من قصيدة في القاسم بن حمود يذكر فيها خيران الصقلبي وقتل المرتضى المرواني وفتح غرناطة:

لك الخير خيران مضى لسبيله واصبح ملك الله في ابن رسوله
وفرق جمع الكفر واجتمع الورى على ابن حبيب الله بعد خليله
وقام لواء النصر فوق ممنع من العز جبريل امام رعيله
واشرقت الدنيا بنور خليقة به لاح بدر الحق بعد افوله

على ان أهم ما كان الناس يمجدون به هذه الدولة وما يرجون منه كل الخير هو نسبهم الهاشمي، لذلك كان هؤلاء الامراء يسلكون نهج اجدادهم في اعطاء صورة لتلك العهود التي يروجونها بوجودهم.[١]

ملاحظات وآراء حول الدولة الإدريسية:

وجد المغاربة ضالتهم المنشودة كما يقول الطاهربن عبدالسّلام اللهيوي في بني فاطمة الزهراء والذي كان العالم الإسلامي كله يتطلع إلى خلافة بني فـاطمة دون أن يستطيع أحد أن يحقق شيئاً من ذلك طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظاً أعلى من بين مختلف أقاليم المملكة الإسلامية الكبرى المترامية الأطـراف فعلا صيت المغرب في العالم الإسلامي لأنه عثر على رجل من آل البيت النبوي الشريف، فما كان من هارون الرشيد الذي كان يحرض على استمرار نفوذ الخلافة في أفريقية إلا أن أقرّ قيام الدولة الأغلبية عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م لتحول دون زوال هذا النفوذ ولتقف حاجزاً أمام خطر الدولة الإدريسية. فـي حـين كـان الهـدف الرئيسي من تأسيس هذه الدولة وإسنادها إلى الوالي القوي إبراهيمبن الأغلب هو تثبيت أفريقية على ولائها للخلافة. غير أن هذه الدولة لم تحقق للعباسيين الغاية التي أنشاؤها من أجلها وظل ما يملكه العباسيون لا يبعد أكثر من إقليم الزاب وما لم يملكوه فهو ماوراء الزاب من بلاد المغرب.[1]

---

١ . زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١١٠ .

الأهداف التي قصدتها دولة الأدارسة:

١) مناهضة الحكم الأموي في الأندلس، وهو ما تحقق بالفعل.

٢) الدعوة للدولة العلوية وللمذهب الشيعي، وتأكيداً لحق آل البيت الهاشمي المحمدي في حكم المسلمين، وهنا نجحوا في القيام بها إلى حد بعيد فكوّنوا دولة بجميع مظاهرها وتلقبوا بألقاب الخلافة والإمامة مثل (الناصر لدين الله) و(المأمون) و(المستنصر) و(المتأيد)، وبسطوا نفوذهم على كثير من بلاد الأندلس، فكانت عاصمتهم مالقة، وملكوا الجزيرة الخضراء وقرطبة واشبيلية وغرناطة والمرية وقرمونة ورندة وأعمالها، ومن مدن المغرب الأخرى.

٣) إحياء ذكرى واقعة طف كربلاء الدامية وقضية استشهاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، فكما يروي المؤرخون والمؤلفون، فإن شرق الأندلس، بلنسية وماجاورها كانت تقيم المآتم الحسينية في محافل مهيبة ليالي عاشورا، من كل سنة، عبر صور ومراسيم متنوعة ذات تأثير عاطفي وحماس مثير في وقع النفوس.

٤) كما هو الهدف في نصرة الشيعة والعلويين و تخليصهم من مسلسل الاضطهاد والقمع والقتل، فإن إدريس بن عبدالله والأدارسة قصدوا من حركتهم ودولتهم هذه تحرير قبائل البربر أيضاً مما تعانيه من سوء معاملة واضطهاد من الحكام الفاتحين، وبالذات من عمال الأمويين والعباسيين.

نتائج قيام الدولة الأدريسية:

١) بفضل الأدارسة انتشر الإسلام في هذه المنطقة، التي لم يكن يستقر قدم الدين فيها، وقد بلغ كل مكان.

٢) قيام الحركة العلمية، حيث أنشأت المدارس والمكتبات.

٣) توسيع حركة العمران وتأسيس المدن، مما أدى إلى التوسع في تحضير البلاد وازدهار المدينة.

٤) تعميمهم الإسلام بين القبائل البربرية وترسيخ أواصره فيها، حتى اصبحت من أشد قبائل المغرب الأقصى شكيمة واحسنها بلاءً في الدفاع عن بيضة الإسلام، في حين كان الحكام الفاتحين قبل ذلك يعاملون البربر أسوأ معاملة، كما إن الأدارسة تزوجوا من نساء البربر بما فيهم زعيمهم إدريس، حيث أنجبت له ولداً، كما صار لهؤلاء أولاد ومن هؤلاء أحفاد من أمهات بربريات اندمجوا هم وأحفادهم من بعدهم في القبائل البربرية، ويقول غير واحد من المؤرخين والمؤلفين في صدد اندماج أعقاب إدريس الأول في قبائل البربر (تبربر ولده)، وهؤلاء هم الذين قاموا بنشر الدعوة إلى الدين الحنيف في تلك الأقطار الشاسعة، فانشأ دولتين من أشهر الدول الإسلامية في تلك البلاد.

٥) توارث هذه القبائل والدول التي أقامتها فيما بعد كـ(دولة الموحدين وبني مرين والمرابطين) وإلى اليوم ولاء أئمة أهل بيت محمد عليهم السّلام والإخلاص لهم، وما أكثر بيوت العلويين على اختلاف بطونهم في المغرب، ومازالوا يتمتعون بحرمة وافرة.

٦) إن تجربة قيام الدولة الأدريسية، نمت في نفوس عموم الشيعة والعلويين خاصة بواعث الشعور بالفخر والنصر، والإقدام نحو تحرّك مماثل لتحقيق نموذج آخر لهذه التجربة في مواطن عدة من الوطن الاسلامي الكبير، ولاسيما التي يواجهون فيها القمع والظلم، وانتصاراً لمبدأ الحق والحرية.[١]

---

١. الشمري، علي: دولة الأدارسة العلوية في بلاد المغرب، ص ٥٥، مجلة النبأ، العدد ٣٦، بيروت، ١٤٢٠هـ.

مدن إدريسية:

البصرة: مدينة أولية بنيت على عهد القرطاجنيين حيث عرفت بـ«تريمولي» وقد عرفت بعد الفتح الإسلامي ببصرة الكتان، لأنهم كانوا يتبايعون بها في أكثر تجارتهم بالكتان، وتعرف أيضاً بالحمراء لأنها حمراء التراب، وقد جددت على يد الأدارسة في أواسط القرن الثالث الهجري، وكان أول أمير إدريسي تولى عليها إبراهيم‌بن القاسم‌بن إدريس وقد بنى سورها من الحجارة الطوب، وكان لها عشرة أبواب، وبها مسجد جامع به سبع بلاطات، وكان بها أيضاً حمامان كبيران وتقع مقبرتها الكبرى في شرقيها بينما تقع الصغرى في غربيها وتعرف بمقبرة قضاعة، وماؤها زعاق، وكان السكان يعتمدون في شربهم على بئر عذبة كبيرة تقع قريباً من إحدى أبواب المدينة تعرف ببئر أبي دلفاء. وكانت نساء البصرة مخصوصات بالجمال الباهر، يقولون ليس بأرض المغرب أجمل منهن.

قلعة حجر النسر: بنيت سنة ٣١٧ على يد إبراهيم‌بن محمدبن القاسم‌بن إدريس، وبها حوصر أدارسة الريف على عهد موسى‌بن موسى‌بن أبي العافية، وانها تقع قرب سبته، وكانت هذه القلعة هي عاصمة القاسم الملقب بكنون، وشيقه إبراهيم، وهما أخوان للحسن الحجام. فاستمر هو وعقبه تحت نظر الشيعة أصحاب إفريقيا تارة، أو المروانيين أصحاب الأندلس تارة أخرى. ومن أشهر أبنائه أبو العيش أحمدبن القاسم‌بن كنون، غير أن هذا زهد في الإمارة، وذهب إلى الأندلس برسم الجهاد، وولى مكانه أخاه الحسن‌بن كنون، وقد قتل هذا الأخير على يد المنصوربن أبي عامر، وبموته تفرق الأدارسة في قبائل المغرب، واختفوا

حتى أنهم خلعوا عنهم صفة النسب الشريف، واستحال الكثير منهم بدواً.

أصيلا: وقد ملكها الأدارسة، وكان أوّل من ملكها منهم القاسم بن إدريس، ثم ابنه إبراهيم كما حكمها الحسن الحجام، وقد خرجت لمدة، ثم جددت بعد ذلك.

طنجة: وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ المغرب.

سبتة: احتلها البرتغال ضمن بعض الشواطيء المغربية في القرن السابع الهجري (السادس عشر الميلادي) وسلموها للإسبان سنة ١١٠٨ ولاتزال بحوزتهم إلى الآن.

تطوان: بنيت قبل الإسلام، وحسب المصادر العربية ذكرت تطوان في القرن الثالث الهجري من بين المدن التي كانت من نصيب القاسم بن إدريس بالإضافة إلى طنجة والبصرة وسبتة وقلعة حجر النسر، وفي القرن الرابع الهجري أجمع بنو محمد بن القاسم على هدم تطوان، ثم ندموا على ذلك، ثم حاولوا بناءها مرة أخرى، غير أن أهل سبتة حالوا بينهم وبين ذلك، لأنها كانت تضر مصالحهم، وقد خربت تطوان مراراً وجدد بناؤها.

مدينة نكور: بناها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح، وكان للنكور أربعة أبواب منها باب سليمان، وباب بني ورياغل وباب المصلى، وباب اليهود، بها جامع كبير، وقد اعتصم بها أدارسة الريف المعروفون بالحموديين.

مدينة وزان: بنيت على أنقاض المدينة الرومانية المعروفة بباب جوليا كابيستديس.

مراكش: مدينة مراكش: مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى تقع في سفح جبل الأطلس الكبير، وتمتاز هذه المدينة بخصوبة تربتها الحمراء وجودة مناخها

وبمناظرها الخلابة حيث توجد فيها غابات النخيل الخضراء وبجانبها الثلوج البيضاء على قمم الأطلس.

هذا وتوجد في مدينة مراكش أضرحة بعض الشخصيات العلمية المغربية البارزة مثل أبي العباس السبتي، والقاضي عياض، والإمام السهيلي، كما يوجد فيها ضريح يوسف بن تاشفين الذي بنى عليه الملك محمد الخامس قبة جديدة.[١]

---

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، المجلد العاشر، ص ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٩.

تاريخ سلسلة الأدارسة كما ذكرها استانلى بول[١]

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاسماء
١٧٢	٧٨٨	ادريس الأول
١٧٧	٧٩٣	ادريس الثاني ابن ادريس الأول
٢١٣	٨٢٨	محمدبن ادريس الثاني
٢٢١	٨٣٦	علي بن محمد الأول
٢٣٤	٨٤٩	يحيى بن محمد
		يحيى الثاني ابن يحيى الاول
		علي الثاني ابن عمر بن ادريس الثاني
		يحيى الثالث ابن القاسم بن ادريس الثاني
٢٩٢	٩٠٤	يحيى الرابع ابن ادريس بن عمر
٣١٠	٩٢٢	حسن

١ . لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الأسلام، ص ٢٩، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م.

دولة الممهدين
للمهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

التخطيط الأولي لبناء الدولة الشيعية

المؤسس
أبو عبدالله الشيعي

أبوعبدالله الشيعي

كان ظاهرة تاريخيّة نادرة، ونموذجاً غير عادي للعظماء من الرجال وأحد صُنّاع التاريخ الكبار ذا تجربة جديدة في تاريخ المغرب والإسلام وهي تجربة إقامة دولة شيعية ذات كيان سياسي متماسك ودقة مذهبية متناهية سار فيها أبوعبدالله على هدي ما اختزنه في نفسه وروحه من إيمان واعٍ وثقافةٍ دينية واسعة إستمدها من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام يوم كان يعيش في الكوفة والكوفة يومذاك مركز التشيع الإثنا عشري ومقر علمائه وفقهائه ومتكلميه.

يقول الأستاذ نجيب زبيب: «وإني لأبادر إلى القول بأني وأنا أتصفح كتب التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب استهوتني شخصيات عدة كان لها أثر فعال في نشر التشيع في بلاد المغرب.

وأكثرُ ما شدَّني من هذه الشخصيات إليه، هو ابوعبدالله الشيعي بالرغم من ضبابية الصورة التي رسمها له المؤرخون وبالرغم من المظهر المزيف الذي أظهروه به. والحقيقة أقول بأني لم أجد تاريخ رجل عظيم شُوه كما شُوه تاريخ أبي عبدالله. ربما كان ذلك عائداً إلى خطورة الدور الذي لعبه هذا الإنسان على مسرح الحياة العامة في المغرب فجاء المؤرخون من بعده ولعداواتهم المذهبيّة معه يشوّهون تاريخه بهذا الشكل الفظيع ويزيّفون حقيقة أمره وكأنهم بهذا العمل ينتقمون منه أشدَّ الإنتقام كما بدا ذلك واضحاً عند اليماني في سيرة الحاجب جعفر والمالكي في رياض النفوس وابن عذاري في (بيانِه المُغْرِب)[1].»

والحقيقة أن هؤلاء المؤرخين لم يُقْدموا على ما أقدموا عليه لو لم يسبقهم جميعاً إلى ذلك القاضي النعمان بن محمد. فهذا المؤرخ الفاطمي الذي ولد بعد مقتل أبي عبدالله بأربع سنوات فقط ونشأ على حب المذهب الإسماعيلي وعُيِّن قاضياً لقضاة هذا المذهب؛ هذا المؤرخ جعل بكتاباته من أبي عبدالله داعيةً إسماعيلياً كما جعل من إيمانه بالمهدي المنتظر إيماناً بعبيد الله المهدي نفسه عندما قال على لسانه مخاطباً الدعاةَ ساعة تحريره في سجلماسة: «هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون...»(١) فكان أن وقع المؤرخون من جرّاء ذلك في خلط شنيع بين المهديِّ الحقيقي الذي يؤمن به أبو عبدالله وبين عبيدالله هذا المتلّقب بالمهدي علماً بأن أبا عبدالله لم يكن قد رأى المهدي من قبل.

مما تقدّم نستنتج مايلي:

ـ إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي لم يكونوا في كتاباتهم منصفين، لأننا لم نجد في تلك الكتابة ذلك الإنسان على حقيقته بسمو نفسه وصدق إحساس ولا تلك الصورة التي عرفها لذاته وارتضاها سلوكاً وحياة.

ـ إن معظم الذين كتبو عن أبي عبدالله الشيعي أخطأوا عندما نظروا إليه على أنه رجل حرب و سياسة فصوروه دمويّ المزاج شرس الطباع فظاً غليظاً ولم ينظروا إليه على أنه رجل دين وفقه يدرك تماماً أن جهاد الظالمين وإن كانوا مسلمين فهو كجهاد الكفار فرض يتحتم أن ينفر إليه المؤمن ممتثلاً لأمر الله تعالى

←

الطبعة الأولى، ١٩٩٣م ـ ١٤١٣هـ.

١ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٤٠، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

متسلحاً بالصبر والقدرة على الكفاح بائعاً نفسه لربه مقابل نعيم الجنة تصديقاً للآية الكريمة: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة».

ـ إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي كانت تعوزهم المعاناة فلم يغوصوا إلى أعماق النفس الإنسانية فيه لذلك لم يهتدوا إلى الجانب النضالي فيها هذا الجانب الذي دفعه منذ الصغر لمحاربة الظلم والفساد.

ـ إن معظم الذين كتبوا عن أبي عبدالله الشيعي أخطأوا إذ جعلوه داعيةً لإمام غير معصوم على عكس ما كان يدعو إليه ويصرّح به في كل مناسبة بقوله: (إني أدعوكم إلى طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت) حيث حدد شرطين لازمين للإمام الذي يدعو إليه العصمة ثم كونه من أهل البيت وعبدالله المهدي ـ الذي جعلوا أباعبدالله داعية له ـ وإن استطاع أن يدعي الإنتساب إلى أهل البيت إلا أنه لم يستطع أبداً أن يتصف بالعصمة التي هي لطف من الله تعالى، ولما تحقق أبو عبدالله من كذب إدعاء المهدي وظهر له ذلك في سلوكه وفيما ارتكبه من أفعال لم يتردد أبداً في الطعن في خلافته ودعوة الناس إلى خلعه قائلاً لهم: (إنه ليس هذا هو الإمام المعصوم الذي دعوتكم إليه) وقد كلفه ذلك حياته وحياة معظم أنصاره[1] أجل... حدث مالم يكن في الحسبان... فبعد إقامة الدولة الفاطمية والمناداة بالمهدي خليفة للمسلمين في افريقيا الشمالية.. ان قتل هذا الخليفة أباعبدالله الشيعي وأخاه أبا العباس وأعوانهما... فهل شعر أنهم يعدون العدة للاطاحة به، فتغداهم قبل أن يتعشوه، أم أن الأمور أسيء فهمها؟.. وبالفعل كم هو مؤسف غياب هكذا رجال عن مسرح الحياة بسبب سوءظن بعدما يكونوا قد ضربوا المثل الأعلى بالجرأة والإقدام وقيادة الجيوش، وتأسيس

الدول والممالك.[1]

التعريف به

تكاد المصادر التاريخيّة جميعها تتفق على أن إسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا وكنيته أبو عبدالله ولقبه الشيعي.

وهنا تنقطع سلسلة أخباره فلا نكاد نعثر منها على غير نُتف ليس فيها غنى كبير يشبع ما في نفس الباحث المدقق من رغبة في جلاء الأمور، فلم يصلنا تاريخ ميلاد ولا ذكر المؤرخون شيئاً عن بدء حياته فجاءت كل المصادر ضنينة بمعلوماتها عنها فلم تشر إليها لا من قريب ولا من بعيد.

ومن المؤسف حقاً أن نرى أن هذا الرجل الذي يعتبر بحق أحد صنّاع التاريخ الكبار كيف تهمل حياته بهذا الشكل فلا نجد مؤرخاً واحداً يهتم بها، وكأنهم جميعاً أبوا أن يتركوا لنا ترجمة وافية لحياته فلم يدونوا إلّا أخباراً متقطعة مضطربة مبعثرة يلفها الغموض ويحيط بها الإبهام من كل جانب.

من هنا كان لابد لنا من اللجوء إلى الظن ثم إل الترجيح والإحتمال في الأحكام التي نعطيها حول نشأته مستدلين على ذلك ببعض الشواهد منها: إنه دخل اليمن في العام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م وانضم إلى أبي القاسم بن حوشب بعد أن ظهر أمره هناك وقد كان يعرفه، يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته لايفارقه.[2]

---

١ . تامر، الدكتور عارف: عبيدالله المهدي، ص ٦٠، دار دمشق ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ.

٢ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعْوة، ص ٦٠، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

قبل ذلك كان محتسباً في البصرة، والحسبة كما هو معروف منصب ديني أخلاقي أساسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملحق بالقضاء لأن فيه حكماً يتعلق بمصالح المسلمين الإجتماعية والإقتصادية كمراقبة الأسواق والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ومنع الناس من شرب الخمور ويقوم على منع الغش في الصناعة والمعاملات. وكان المحتسب يسير بنفسه في الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء في شؤون الأسواق يعرفون بالعرفاء يحملون الموازين والأكيال الصحيحة. معنى ذلك أنه كان بالغاً ناضجاً عارفاً بأمور الدين والدنيا معاً وإلّا لما أسند إليه المنصب الكبير.

ثم تحدثنا المصادر بأنه كان معلماً وكان وهو في الكوفة يتولى تعليم ونشر مباديء المذهب الشيعي الإثناعشري[1]. كما كان متضلعاً في الفقه الشيعي وغيرالشيعي أيضاً. وهذا دليل آخر يضاف إل سابقه ليؤكدا معاً أن أبا عبدالله كان قبل ذهابه إلى اليمن يزاول أعمالاً تدل على بلوغ ونضج وثقافة وعلم وكان ذا نفس تواقة إلى محاربة الجهل والفوضى والغش والفساد في جميع الميادين.

عصره

كان العصر الذي شهد طفولة أبي عبدالله الشيعي عصر اضطراب وفتن وفوضىٰ لا حدود لها في طول البلاد وعرضها.

فعلى الصعيد العام: كانت الخلافة العباسية تجتاز أدق المراحل وأخطرها. فقد تعاظم نفوذ الموالي والأتراك فيه وقوي أمرهم وتولوا المراكز العالية في

---

١ . المقريزي، تقي الدّين أحمدبن علي: أتّعاظُ الحُنَفا بأخبار الأئمة الفاطميِّين الخُلفا، تحقيق محمّد عبدالقادر أحمد عطا، الجزء الأوّل، ص١٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

الدولة وصار منهم القواد والوزراء وحكام الأقاليم.

كذلك فقط تعاظم نفوذ الخدم وكثرة وجود الخصيان والرقيق في قصور الخلفاء.

وعلى الصعيد الخاص: كانت الشيعة تمر بظروف حرجة ومحن غاية من القسوة والصعوبة حيث انصرف الامام العسكري عليه السلام إلى مساعدتهم وحماية وجودهم ودرء الأخطار عنهم ووقايتهم من أذى الحكام وبطشهم.

غير أن المعتمد الخليفة العباسي لم يرع له حرمة ولا مقاماً واعتبره مسؤولاً عن كل ما يجري في البلاد من أحداث، ورأساً لمعارضي حكمه، وقائداً لهم يتولى ممارسة قيادة الجبهة الرافضة لنظامه فزاد من ضغطه عليه ووضعه تحت الرقابة الصارمة ومنع الإتصال به ثم تخلص منه أخيراً باغتياله بالسم في العام ٢٦٠هـ /٨٧٣م.

حياته

في هذا الجو العاصف المضطرب المليء بجليل الأحداث وعظيمها أطل أبوعبدالله على الحياة وفي الكوفة كان ولادته وبين أزقتها كانت نشأته وملاعب صباه وكما هو معروف فالكوفة كنز الإيمان وقبة الإسلام يحنّ إليها كل مؤمن، وكان طبيعياً أن يتأثر أبوعبدالله بهذا المناخ العلمي للكوفة. فإن أبا عبدالله إختار من المذاهب التشيع ومن التشيع العقيدة الإثناعشرية وراح يتفقه بالمذهب الإمامي ويلتزم بتعاليمه وعقائده ونصوصه حتى اجتمع له من ذلك أساس متين بنى عليه شخصيّته.[1]

أبو عبدالله في اليمن

ولم تعد تسعه الكوفة وسرعان ما حزم أمره فتركها ميمماً شطر اليمن ليلتحق في صفوف المقاومة هناك وذلك في العام ٢٧٠هـ / ٨٨٣م. إن إبن حوشب[١] يعرفه فهو من أهل الكوفة، من أهل بيت علم وتشيُّع وكان مثله قد قرأ القرآن وقوّمه وطلب الحديث والفقه وكان ممن يذهب مذهب الإمامية الإثنى عشرية.

ورحب إبن حوشب بأبي عبدالله وأنزله عنده وقرّب مجلسه وأدنى مكانه ورفع قدره وأخذ يستصحبه في رحلاته وغزواته.

أفاد أبو عبدالله من ذلك تجربةً حيَّة واكتسب خبرةً عظيمةً في أساليب القتال وفنون التخطيط الحربي والتدريب على خوض المعارك وشن الغارات حتى أصبح على جانب عظيم من المهارة في القيادة العسكرية.

غير أن ذلك لم يدم أكثر من سنة أو بعض السنة إذ شعر إن هذه الثورة التي يشارك فيها ليست الثورة التي يريدها ولا تلك التي من خلالها يستطيع أن يحقق أهدافه وطموحاته.

وبدأت تخامره الشكوك وتأخذ سبيلها إلى نفسه، لقد بات واضحاً عنده إن ما يؤمن به شيء وما ينفذ على الأرض شيء آخر، وإن إبن حوشب هذا بات أقرب إلى السياسي منه إلى رجل الدين وأنه لا يبدو إثنا عشرياً كما عهده في أفعاله وتصرفاته. رأى أن كل ما يحدث لا يجري حسب شرائع المذهب وتعاليمه وهو مغاير تماماً لما هو مطبوع في نفسه من صور مثالية عن نظام الحكم الصحيح في الإسلام المبني على أساس من الدين لا على القهر والغلبة ويقضي بالإلتزام

---

١ ـ أبوالقاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي.

التام بمبادىء العقيدة الإسلامية وتطبيق نصوص الشريعة وفق خطى الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام.

لقد أحس أبو عبدالله بالغربة هناك وكان عليه أن يحزم أمره ثانية فكان أن غادر اليمن في العام ٢٧١هـ / ٨٨٤م متوجهاً هذه المرة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.[١]

أبو عبدالله في مكة

وفي مكة المكرمة حيث يجتمع المسلمون الوافدون من مختلف الأقطار فيتآلفون ويتعارفون ويتناقشون في شؤون بعضهم فيطلع العربي على ما يجري في بلاد الهند ويعرف الهندي ماذا يجري في بلاد السودان والعراقي على حال إخوانه في المغرب.

أخذ أبو عبدالله يشاهد عشرات الألوف من الحجاج تتحرك كالأمواج المتلاطمة يدفع بعضها بعضاً وقد أتوا رجالاً وعلى كل ضامر ليشهدوا منافع لهم ويذكروا إسم الله، إنه لمما يفرح النفس حقاً رؤية هذه الجموع المحتشدة وقد جاءت ملبية لتذكر الله وتعبده وهي تطوف حول الكعبة المشرّفة مؤدية شعائر الله في هذه الأيام المباركة وهي مسرورة فرحة بأداء هذا الواجب المقدس. وما إن انتهت مناسك الحج وأفاض الناس من منى حتى بدأ كل واد منهم يعدّ العدة ويتهيأ للعودة إلى بلاده، واختلط أبو عبدالله بين تلك الجموع وتوغّل فيها.

مع الحجاج المغاربة

بينما أبو عبدالله يمشي بين تلك الجموع مرَّ على قوم من أهل المغرب

١ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٦٠.

يتكلمون بلهجتهم المميّزة وكانوا نحو عشرة رجال من قبيلة كتامة ملتفين على شيخ منهم وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب رجلان: **حُرَيْث الجميلي وموسى بن مكارمة**، فسمعهما أبوعبدالله يذكران لأصحابهما فضائل عليّ عليه السلام، فجلس إليهما يذكر شيئاً من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعهم، وحدثهم طويلاً ثم نهض ليقوم فقاموا معه ومشوا لمشيه وقالوا: نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه، فلما كان من غد أتوه فحدثهم وأوسع في الحديث، وازدادوا فيه رغبة وعليه إقبالاً، فجعل يسائلهم عن بلدهم فيخبرونه، فلما حضر النَّفر من منى قالوا له: أين توجهك؟ قال: إلى مصر، فسرّوا بذلك ورحلوا برحله وجعلوا يمشون حوله إذا سار و ينزلون بقربه إذا نزل و يخدمونه و يعظمونه.[١]

وكان أبوعبدالله يسألهم في خلال حديثه عن بلدهم وأحوال أهله، وكان مما سألهم عنه أن قال لهم:

ـ كيف طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم؟...

فقالوا: ماله علينا من طاعه ولا حكم أكثر من أن نقول إنه سلطان.

قال: وكم بينكم وبين موضعه؟

قالوا: مسيرة عشرة أيام.

قال: فبالقرب منكم أمصار؟

قالوا: نعم وذكروا **ميله وسطيف وبلزمة** وقالوا هي في حدودنا.

قال: فلسلطان أفريقيا بها عمال؟

قالوا: لا! فإنما بها رجال ملكوها ماله عندهم أكثر من الدعوة على المنابر

---

١ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدّعوة، ص ٣٨، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

وهم له طاعة في معصية.

قال: فلهم عليكم أنتم طاعة؟

قالوا: لا! بَلْ هم يُدارون من قرب منهم منا ونحن الغالبون عليهم.

قال: فإلى من يرجع أمركم؟

قالوا: كل رجل منا في نفسه عزيز ولنا أكابر منا في كل قبيلة وعندنا قوم نظروا في شيء من العلم ومعلمون نستفتيهم في أمر ديننا ونتحاكم إليهم فيما يكون بيننا فمن حكموا عليه أُلزم نفسه ما ألزموه وإن عَنَدَ عن ذلك قامت الجماعة عليه وما وجب في أموالنا من عشر أو صدقة أخرجناها نحن لأنفسنا فدفعناها إلى الفقراء فينا.

قال: فلا سبيل للسلطان عليكم في ذلك؟

قالوا: لا!

قال: فما مسافة بلدكم؟

قالوا: مسافة خمسة أيام طولاً في عرض مسافة ثلاثة أيام.

قال: فأنتم قبيل واحد؟

قالوا: يجمعنا إسم كتامة ثم نفترق قبائل وأفخاذاً وبيوتات.

قال: فبعضكم ناءٍ عن بعض؟

قالوا: ما بيننا كثير تباعد.

قال: فأمركم متفق؟

قالوا: لا! نحن نارب بعضنا بعضاً ثم نصطلح بعد القتل ويصالح القوم منا قوماً ويحاربون آخرين كذا دأبنا.

قال: فإن دهمكم غيركم تجتمعون؟

قالوا: ما رام أحد منا ذلك قط.

قال: وَلِمَ؟

قالوا: لكثرة عددنا وامتناع بلدنا.

قال: وكم يكون عددكم؟

قالوا: ما أحصى ذلك أحد منا ولا من غيرنا فيما علمناه.

قال: فعندكم الخيل والسلاح؟

قالوا: ذلك أكثر كسبنا وبه نفخر وإياه نعتد لحاجتنا إليه لما بيننا من حروبنا.[1]

الحوار الذي أسيء فهمه

بالرغم من تأكيد القاضي النعمان ـ أسبق المؤرخين له ـ على أنه من الكوفة، إلا أن معظم الذين أتوا بعده قالوا بعكس ذلك. لقد نقلوا عن القاضي النعمان كل شيء إلا الإنتماء للكوفة. لماذا؟

إن الأمر واضح وجليّ: فكونه من الكوفة يعني إنه شيعي والشيعي يعني الشيء الكثير عند الحكام والمتحكمين معاً وفيه ما فيه من الهول والثبور وعظائم الأمور فلابد إذن من نفي هذا الأمر عنه حتى تستقيم الأمور. لذلك أصبح فارسياً من رامهرمز عند المقريزي وصنعانياً عند ابن الأثير وابن خلكان وعند ابن عذاري الذي سيصبح عنده فيما بعد شرقياً أو مشرقياً. كما اخْتُلِفَ في دعوته وأسبابها ومسبباتها وأهدافها وميولها وبمدى علاقته بعبيد الله المهدي وعلاقة المهدي به.

---

١ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، ص ٣٩، دار الأضواء.

ففي حين يرى ابن خلدون[١] والمقريزي[٢] إن الشيعي كان على إتصال بالمهدي ويكتب إليه بالفتح ويبشره ويطلعه على انتصاراته.

وفي حين يقول أبو الفدا في مختصره إنّ أبا عبدالله دخل سجلماسة وأخرج المهدي وولده من السجن.[٣]

نرىٰ أن محمدبن محمد اليماني يقول في سيرة الحاجب جعفر مايلي: ولقد كلف الشيعي أبا القاسمبن المطلبي بأن يكون بجواره ليعرفه بالمهدي وقال له: إلزم على يميني ولا تفارقني فلهذا وجهك الإمام معي، وعندما راى إبن المطلبي المهدي قال لأبي عبدالله: هذا مولاي ومولاك ومولى الناس جمعياً.[٤]

كذلك فإن حسين مؤنس يؤكد في كتابه (معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٢٩) أن أبا عبدالله الشيعي لم يكن يعرف عبيدالله المهدي معرفةً شخصية ولا هو رآه من قبل حتى لقد أخطأ في شخصه وتقدم بطاعته إلى رجل آخر ثم عرف الحقيقة فعدل إلى عبيدالله.

كذلك فقد نسج حول حواره مع الحجاج المغاربة كثير من الأقاويل والأوهام وقيل فيه كلمات أقل ما فيها أنها تطعن عقيدة المسلم وتخدش منزلته وتجرح كرامته حتى وهو لايزال في الديار المقدسة يطوف حول البيت الحرام.

فإبن عذاري يقول: فلما وصل أبو عبدالله للموسم لا للحج لأن الحج ليس من مذهبهم الفاسد. ويقول أيضاً: أخذ يتحيّل على نيل الملك بضعيف الحيل.[٥]

---

١ . العبر: ٤/٣٥.

٢ . الإتعاظ: ص ٨٥.

٣ . أبوالفدا: المختصر ص ٢/٦٥.

٤ . محمود زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ١٧٠.

٥ . ابن عذاري: البيان ١/١٢٤.

وابن الأثير يقول: وضع من الحيل والمكيدات والنارنجيات[١].

وغير ذلك من التهم والأباطيل.

وإذا عدنا للحوار الذي جرى بينه وبين حجاج كتامة كما أورده القاضي النعمان ونقله عنه جميع من جاء بعده دون استثناء فماذا نرى؟

عندما سألوه عن بلده قال: أنا رجل من العراق. فهل كان يكذب في هذا؟.. وهل الكوفة في غير العراق من البلاد؟

وسألوه عن عمله فقال: كنت أخدم السلطان ثم رأيت أن خدمته ليست من أفعال البّر فتركتها فهل في كلامه هذا خداع أو كذب أو إفتراء؟

لقد كان يخدم السلطان فعلاً لأنه كان موظفاً ألم يكن محتسباً في البصرة؟... ثم أنه رأى أن خدمة السلطان ليست من أفعال البّر فتركها. ومن المعلوم أن من أهم ما يميّز المذهب الإمامي عن غيره من المذاهب هو محاربته للسلطان الجائر. (وقد مَرَّ معنا كيف أن الإمام الصادق(ع) حرّم العمل مع الوالي الجائر ومعونته والكسب معه الا بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة) كما كان يأمر أصحابه بمقاطعة الحكومة المنحرفة ويقول: لا تعنهم على بناء مسجد. وكذلك ولده الإمام موسى الكاظم(ع)، وحديثه معروف مع صاحبه صفوان في تحريم التعامل مع الحكم الجائر في أي مجال من المجالات ولو بكراء جمل.

فأبو عبدالله إذاً صادق في حديثه منسجم مع ما يؤمن به من مبادىء. وسألوه عن معيشته فقال أنني أطلب المعيشة من المال الحلال فلم أرَ لذلك وجهاً إلا تعليم القرآن للصبيان. فأين كذبه هنا؟

ألم يكن معلماً في الكوفة؟.. وهل في جوابه هذا يصنع الحيل المكيدات؟... وسألوه عن توجهه فقال مصر.

---

١ . الكامل: ص ٨/٣٣.

أعتقد أن جواب أبي عبدالله هذا هو الذي جعل المؤرخين يبنون عليه إتهاماتهم له والواقع أن أبا عبدالله بعد أن ترك خدمة السلطان في الكوفة وترك اليمن لعدم انسجامه مع أهداف ثورة إبن حوشب هناك فكرَّ في بلد جديد يحقق فيه أحلامه وطموحاته ويمارس فيه حرية الرأي والمعتقد ويكون آمناً فيه بعيداً عن أي ضغط أو إرهاب.

وأغلب الظن أن مصر كانت ذلك البلد لأنها كانت في ذلك الوقت بلد الثورات العلوية في جميع أجزائها. ومما يقوي إعتقادنا في ذلك هو نزوله فيها وعزمه على البقاء هناك وتصريحه لرفاقه المغاربة بذلك..

لماذا عدل أبو عبدالله عن البقاء في مصر؟

يقول القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدّعوة:

حتى إذا صاروا إلى مصر أظهر لهم أنه يريد المقام، فأظهروا الغمة لفراقه وقالوا: ما يقيمك هاهنا وما نرى معك من تجارة ولا هو بلدك؟ قال: اطلب التعليم، فابتهجوا لذلك وقالوا: ما نرى أنك تجد بلداً أجدى عليك في التعليم من بلدنا، وجعلوا يخبرونه بنَفَاق ذلك عندهم وتعظيم أهل بلدهم للمعلمين فيهم وقالوا: إن شئت فانظر ما عسى أنك ترى وتؤمل، فأسمعهم خيراً.

فلما رأوه قد عزم على المسير معهم اجتمعوا وقالوا: إن هذا لما يكون لنا به الفخر، وإنا لنأتي إلى بلد كتامة بشيء ما جاء به أحد ممكن كان قبلنا.

ثم خرجوا من مصر وأرادوا حمل مؤونته فأبى عليهم وسايرهم على ما كان في تلطف، وكل ذلك أمره يعظم عندهم وجلالته تزيد في أعينهم، فكانت طريقهم من طرابلس على قسطيلية لأنها الجادة، فلم يدخلوا إفريقية. حتى إذا صاروا إلى سوجمار من أرض سماتة تلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم ولقي حريثاً وموسى: أبو المفتش. وأبوالقاسم الورفجومي وأبوعبدالله الأندلسي ـ

وكان هؤلاء شيعة ـ فلقوا صاحبيهم فأخبراهم بخبر أبي عبدالله. فنظر السماتيون إلى تعظيم الكتاميين بجماعتهم له، فرغب كل واحد منهم أن يكون نزوله عنده حتى رموا عليه السهام، فخرج له سهم أبي عبدالله الاندلسي، فنزل عنده ونزل حريث عند أبي المفتش وموسى عند أبي القاسم، وأنزل السماتيون كل واحد من الكتاميين عند رجل منهم بحسب ما يفعلونه بالأضياف الجماعة إذا حلوا بالقوم، فذبح كل واحد شاة لضيفه واحتفل في بره وإكرامه.

فنظر أبو عبدالله إلى صدق ما وصفوه من أحوالهم، وأتاه أبوالمفتّش وأبوالقاسم الورفجومي مع حريث وموسى من الليل، فتحدثوا عنده ملياً. ونظر أبو عبدالله إلى قوم لهم من المعرفة والفهم أكثر مما رآه لمن عاينه ممن صحبه، وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلاً قويّاً، فزاد في الكلام معهم والإيضاح لهم. فلما كان آخر المجلس وأرادوا القيام نظر إليه أبوالمفتش وقال: والله إني لأظنك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني، وأخبره بخبره، وقال: فقال أبوعبدالله لأبي عبدالله الأندلسي: شيخ كويس ـ يعني أبا المفتش.

فلما خرج أبو المفتش قال لأصحابه: لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجني الشك في أن هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يبشر به، قالوا: وما هو يا أبا حيون؟ قال: كان إذا وصفه قال: في فيه إصبع، فبلغ ذلك أبا عبدالله فتبسم وقال: هذا لا يكون، فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع ذلك من أبي المفتش واشترط الكتمان وضع إصبعه على فيه وقال: هذا هو الأصبع الذي يقوله الحلواني، آمركم بالصمت والكتمان، فأما أن يكون في فم رجل إصبع فلا، قالوا: كذلك والله هو، وقام عندهم الشاهد في ذلك.[1]

١ ـ ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدّعوة، ص ٤٢، دار الأضواء.

الكتاميون يتنازعون عليه أيضاً:

في كتامة حصل ما حصل في سوجمار من التنازع عليه ثم تراخوا واتفقوا على أن يتركوا له حرية الإختيار في ذلك. فقال لهم: أين يكون فجّ الأخيار. فقالوا له عند بني سكتان[١]. فقال إليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم إن شاءالله في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم ولا نجعل لأحد منكم من نفسي حظاً دون أحد.

فاستحسن الجميع هذا الرأي ورضوا به وسار كل قوم منهم إلى جهتهم مسرورين بأبي عبدالله معجبين بلباقته وحسن تصرفه.

وسار أبو عبدالله برفقة أصدقائه حريث وموسىٰ والأندلسي والورفجومي وعندما اقتربوا من مواطنهم: سألهم أبو عبدالله:

هذا فج الأخيار؟

قالوا: نعم.

قال: ما سمي هذا الفج إلا بكم ولقد جاء في الحديث أن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق إسمهم من الكتمان فأنتم هم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار.[٢]

فأعجب الكتاميون بقوله وسروا به سروراً عظيماً وشعروا بأنهم أمام رجل عبقري ملهم فطار اسمه في الآفاق وطبقت شهرته بلاد كتامة كلها.

---

١ . بنو سكتان: قوم من جيملة أحد بطون كتامة.

٢ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدّعوة، ص ٤٤، دار الأضواء، بيروت.

لماذا التف الكتاميون حول أبي عبدالله؟

إتخذ أبوعبدالله من فج الأخيار مقراً له وراح يعقد الحلقات والإجتماعات. وسرعان ما لامست دعوته تلك قلوب الكتاميين وعقولهم وأخذ الناس يدخلون فيها وبدأت جماعات من الشباب والشيوخ معاً تلتف حوله وتناصره حتى لم تعد تجد مدينة أو قرية صغيرة إلا وصار له فيها أنصار ومؤيدون وكان مما ساعده على أن يستقطب محبة الناس جميعاً ويمتلك قلوبهم حتى أصبحوا يتهافتون عليه ويتسابقون مسرعين للدخول في دعوته تلك المفاسد التي ارتكبها الأغالبة ورجالهم في تلك البلاد.

فقد أسرفوا في قتل الناس[١] وارتكاب المعاصي والموبقات واستباحة المنكرات واستحلال المحارم[٢] وساموا أهلها الظلم والعسف وزادوا الضرائب فأخذ الناس يتطلعون إلى أبي عبدالله تطلعهم إلى المنقذ المخلص لهم من هذه الشرور والآثام ويعتبرون دعوته لهم سبيلاً لنجاتهم وخلاصهم مما هم فيه من بؤس وشقاء.

١ . إبراهيم بن أحمد قتل أصحابه وحجابه وإبنه وبناته وأخواته وأتى بأمور لم يأت بمثلها أحد غيره. قيل إنه افتقد منديلاً صغيراً كان يمسح به فمه فقتل بسببه ثلاثمائة خادم ـ البيان ١٢٢/١.

٢ . إن المذابح التي ارتكبها الأغالبة في باجة وبلزمة وتونس وقمودة روعت أهل أفريقية جميعاً وجعلتهم يشعرون أنهم يعيشون في ظل حكومة من القتلة والسفاكين ـ عادلة الحمد ـ قيام الدولة الفاطمية ص ١٤٩.

السياسة التي اعتمدها أبو عبدالله في تنظيمه لمجتمع كتامة:

نهج أبو عبدالله في كتامه سياسة حكيمة رشيدة دلت على رجاحة في العقل وعمق في التفكير، كما دلت على مدى إحترامه التام لحقوق الإنسان وقيمه ومُثُلِهِ وحسن معاملته وعلى شدة تدين هذا الرجل وحرصه الكامل على مراعاة تعاليم الإسلام وتطبيق كل ما تدعوه إليه الرسالة السمحاء من عدل ومساواة وحرية والتزام كليّ بنصوص الشريعة وأحكامها الأمر الذي يجعلنا ننظر إليه على أنه رجل دين وتقىً لا رجل سياسة وحروب وإن أخذ تفكيره في كثير من الأحيان ظاهراً سياسياً.

نهج في حياته نهج المعلم الصالح فسلك مسلك الطهر والعفاف والديانة واستطاع أن يثبت أفكاره ومعتقداته في أذهان الناس وأن يقضي على النزعات الفردية والعشائرية بينهم وأن ينتزع من نفوسهم كل ولاء لزعيم وكل اعتزاز بقبيلة ويحل محله المحبة والأخوة والألفة والتعاون وأن يصهرهم في وحدة دينيّة عقائدية متجانسة وسماهم إخواناً فكان إذا دعا أحدهم قال **يا أخانا**، كما دعي هو بالسيد بكتامة كما تقول العرب لصاحب أمرها والشريف فيها.

مرحلة الصدام المسلح:

ما إن تأكد أبو عبدالله من نجاح أمره وشعر بأنه أصبح واثقاً من نفسه ومن قدرة رفاقه على مساندته ودعم موقفه حتى أخذ يعدّهم على أساس علمي خالص ويدرّبهم على أساليب القتال المنظّم ويحضّهم على الإخلاص في طاعة القائد وهنا أعلن دعوته على الملأ وأخبرهم صراحة بأنه يدعو إلى الرضا من آل البيت وقال لهم: أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت الذي هو صاحب الأمر وأنا متصرف بين يديه إذا ظهر. ثم قال: لقد جاءت

الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا وأن الله يظهر بكم دينه ويعزبكم أهل البيت وأنه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره وشيعته والباذلون مهجتهم دونه وأن الله يستفتح بكم الدنيا ويكون لكم أجركم مضاعفاً فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة.[١]

وهكذا راح أبو عبدالله يشحذ همم الكتاميين مستشهداً دائماً بآيات من القرآن الكريم:

«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»[٢]. وكان طبيعياً ألا يخفى أمركهذا طويلاً أو أن يبقى بعيداً عن سمع الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد وبصره أو حتى عن عماله ورجال دولته في المناطق المتاخمة لأبي عبدالله.

كما كان طبيعياً أيضاً أن يكون هذا الأمر باعث قلق وخوف دائمين في نفس هذا الأمير وأن يثير فيها عوامل الشك والإرتياب فور معرفته به ويجعله يخشى على مصير دولته ويخاف على زوال ملكه.

لذلك ما إن ترامى نبأ أبي عبدالله إلى مسامعه حتى سارع إلى استطلاع خبره ليقف على حقيقة أمره فأرسل إلى موسى بن عيّاش عامله على مدينة ميلة[٣] يسأله عن أمره. فصغَّره عنده وذكر له أنه يلبس الخشن من الثياب ويأمر بالخير والعبادة فسكت عنه.

---

١ . ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص ١٢٨ و ص ١٥٨، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٢ سورة الانفال: الآية: ٤٥.

٣ . ميلة: هي اليوم بالجزائر على بعد حوالى ٤٣ كلم شمال غرب قسنطينة.

لكن سرعان ما بدأت تساوره الشكوك من جديد. إذ كيف يقنع بجواب عامله هذا وأنّى له أن يطمئن إليه وقد رأى تهافت القبائل على أبي عبدالله والتفافها حوله، وأن أمره يتعاظم يوماً بعد يوم فهب كالمذعور يتولى أمره بنفسه فأرسل في هذه المرة مبعوثاً شخصياً يدعى ابن المعتصم المنجم إلى موسى بن عياش وأمره أن يرسله بدوره ودونما إبطاء إلى أبي عبدالله ليستقصي أخباره بنفسه ويصفه له كأنه يراه ويبلغه رسالة خاصة منه.(١)

رسالة ابراهيم بن أحمد وجواب أبي عبدالله عليها:

امتثل موسى للأمر فأرسل من ساعته إلى بعض بني سكتان يخبره بأن إبراهيم بن أحمد بعث برجلٍ إلى أبي عبدالله ليجتمع به ويسأله في إيصاله إليه فرفع ذلك إلى أبي عبدالله فأذن له فيه وأوصله إليه فقرَّ به أبو عبدالله وأقبل عليه وقال له إبن المعتصم:

ـ إن الأمير إبراهيم بن أحمد وجَّهني إليك وأمرني أن أبلغك عنه وأنا رسوله، وإن أذنت لي في تأدية ما أرسلني به إليك أديت إليك:

ـ قال له أبو عبدالله: هاتِ ما عندك فما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ـ قال: وأنا آمن؟...

ـ قال: وأنت آمن بأمان الله فقل كل ما قال لك.

ـ قال: يقول لك الأمير:

ما حملك على التعرُّض لسُخطي والتوثب على ملكي وإفساد رعيَّتي والخروج عليّ؟.. إن كنت تبتغي عرضاً من أعراض الدنيا فإن ذلك مما تجده

عندي، وإن أنت تلافيت أمرك ورجعت عن غيّك فأقدم إلي فأنت آمن. فإن أردت المقام ببلدي أقمت وإن أحْبَبْتَ الإنصراف إلى الموضع الذي جئت منه انصرفت وإن كان قصدك قَصْدَ من سوّلت له نفسهالخلاف على الأئمة واستفساد جَهَلَةِ الأمة فقد لعلّك عرفت كيف كانت عواقبِ من منّته نفسه أمْنيتَك وسوّلت له ما سوّلت نَفْسُك لك من الهلاك العاجل قبل سوء المصير في الآجل.

فلا يَغُرَّنّك ما رأيته من إقبال هؤلاء الأوباش عليك وأتّباعهم إياك، فإني لو صرفت وجهي إليك لأسلموك وتبرّؤا منك. واعلم أني إنما أردت الأعذار إليك لإظهار الحجة عليك وهذا أول كلامي لك وآخره لا أقبل لك بعد هذا توبة ولا أقيلك عثرة ولا أجعل جواب ما يكون منك إلا النهوض إليك بنفسي وجميع أبطال رجالي وأنصار دولتي وجملة أهل مملكتي، فعندئذٍ تندم إن جَمَحْتَ الآن في الغي حين لا ينفع الندم ولا يُقْبَل منك التوبة، وانظر في يومك لغدك وقد أعذر إليك من أنذرك.

ـ قال أبوعبدالله: قد قلت فاسمع وبَلَّغْت فأبلغ قل له:

أمّا ما ذكرت من التهدد والوعيد فما أنا ممن يُرَوّعُ بالوعيد والإيعاد ولا يهوله الإبراق والإرعاد، أمّا تخويفك إياي بأنصار دولتك ورجال مملكتك أبناء حطام الدنيا وذباب طمعها الذين يرتاعون لكل بارق ويُجيبون كل داعٍ وناعق فإني في أنصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا يروعهم كثرة أنصار الظالمين مع قول الله عزوجل وهو أصدق القائلين: «كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين»[١] فأما ما أَطْمَعُ به من دنياه[٢] وعَرَضَهُ من زبدها وحطامها

---

١ . جزء من الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

٢ أي إبراهيم بن أحمد.

فلست من أهل الطمع فأميل إليه ولا ممكن يرغب فيما عنده وما عرضه فيأتيه، وإنما بعثت رسولاً لأمر حُمَّ وقرب، وانتجاز وعد من الله سبق ـ والله لا يُخلف الميعاد ولا يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد ـ .

فإن سولت له نفسه ما توعَّد به ودعته إليه فسوف يعلم أن الله من ورائه ولن تُغني عنه فئة ولو كثُرَتْ وإن الله مع المؤمنين[١].

فهذا جواب ما جئت به فَبَلِّغْه ثم تحمل رسالتي إليه وبلغ عني ما حملتك إياه «إني أدعوه إلى الله عزوجل وإلى كتابه وإلى الإمام المهدي من ذرية رسوله دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيه.

فإن قبل عني قبل رُشدَه وإن عَنَدَ فقد قدمت إليه المعذرة. ولو كان صاحبي لعجّلْتُ السير نحوه ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين. حتى إذا بلغ الأجل وحان الحين (فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[٢].

عاد المبعوث ليخبر سيده بما سمع و ما رأى ويصف له حقيقة الأمر الذي عاينه عن كثب ويُعلمه بأن كل ما عرضه عليه من الجاه والسلطان وأن كل ما تهدده به وتوعده لم يكترث له أبو عبدالله، فلا هو إستجاب لمغرياته الكثيرة ولا هو خاف من تهديداته الشديدة بسوء العاقبة، فامتقع له وأدرك ساعتئذٍ حراجة الموقف وخطورة أبي عبدالله وصلابته. ولكن بعد فوات الأوان. وعلم أنه أمام خصمٍ عنيد ورجل صاحب دعوة مؤمن بها لا يثنيه عن مبادئه تهديد ولا وعيد ولا تزحزحه عن معتقداته كل مفاتن الدنيا ومغرياتها. عند ذلك عمد إبراهيم بن أحمد

---

١ . إقتباس من الآية ١٩ من سورة الأنفال.

٢ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: كتاب افتتاح الدّعوة، ص ٤٩، دار الأضواء، بيروت.

إلى إسترضاء الناس بإعلان توبته وندمه على كل ما كان يفعله فيهم من مفاسد ومظالم وما كان يسببه لهم من القهر والمذلة والإهانة آملاً أن يرضي العامة ويَسْتَمِيل قلوب الخاصة بفعله فأسقط القبالات وأخذ العشر طعاماً وترك لأهل الضياع خراج سنة وسماها سنة العدل وأعتق مماليكه وأعاد للناس أكثر ما كان اقتطعه منهم.

غير إن زمان الأمر كان قد أفلت من يده وانتقل إلى أبي عبدالله الذي كان قد أعدَّ العدة للحرب والتوسُّع ليس ضد الأغالبة وحدهم ولكن ضد جميع القوىٰ السياسيّة الأخرى ببلاد المغرب.

عمد إبراهيم بن أحمد بحياكة المؤمرات ضد أبي عبدالله الشيعي وشكّل مجموعة من المتآمرين وهدفهم إغتيال الشيعي في عقر داره. ما إن اتصل الخبر بالحسن‌بن هارون رئيس غشمان وهو من أكابر كتامة ومن أنصار أبي عبدالله الأقوياء وكان قد دخل في المذهب الجديد، وكان رجلاً من خيار المؤمنين وله أدب وحسن خلق وكرم وكان مُطاعاً في قومه ومسكنه بتازروت حتى جاءَ على الفور إلى إيكجان ورغب إلى أبي عبدالله في أن يذهب معه إلى بلده ليكون معه ووعده الذّبّ عنه والمدافعه دونه بنفسه وأهله وماله.

لبّى أبو عبدالله رغبة الحسن‌بن هارون فأخذه هذا ومضى به إلى مدينة تازروت على الرغم من معارضة بني سكتان لذلك فإنهم عظم الأمر عليهم وتمنوا أن يبقى عندهم ليدافعوا عنه ويحموه بأنفسهم.

أبو عبدالله في دار هجرته الجديدة:

إنتقل أبو عبدالله إلى مدينة تازروت فاتخذها دار هجرة وانتقل معه من استطاع النقلة من بني سكتان ومن كان هاجر إليه من المؤمنين.

تعتبر هجرة أبي عبدالله الشيعي إلى تازروت في العام ٢٨٩هـ / ٩٠١م مرحلة حاسمة من مراحل بناء الدولة الشيعية الجديدة في تلك الديار ونقطة تحول هامة في تاريخ نشوئها وتطورها.

فالشعب قد صهرته الدعوة للمذهب الجديد في وحدة دينيّة عقائدية تامة ووحدت بين مختلف فئاته وجماعاته وجعلته ينبذ الزعامات القبلية والعشائرية ويحطمها.

والأرض حصنية منيعة غنيّة بالخيرات والثروات الواسعة، والجيش، إنه هذه الجموع الغفيرة التي لا تعد ولا تحصى، وهي وإن لم تكن قد استكملت تدريباتها القتالية بعد، إلا أنها أصبحت تملك القدرة على القتال وتعرف كيف تستميت في الدفاع عن معتقدها ووجودها. ولم يترك أبو عبدالله الوقت يمر سدىً، ولم ينتظر ريثما يباغته الأعداء، بل سارع إلى تحصين بلده وسد جميع الثغرات فيه، كذلك جعل الرئاسة للحسن بن هارون وسلم إليه أعنة الخيل وجعله قائداً أعلى للفرسان.

النظام الأغلبي في مواجهة أبي عبدالله

كانت ميلة المدينة الأقرب إلى تازروت ـ مقر أبي عبدالله ـ وهي معقل حصين تحيط به سلسلة من القلاع وقد أصبحت مقر الجماعة المتآمرة عليه، وكان أميرها يومئذٍ موسى بن العباس، فقصدها أبو عبدالله في مجموعة من أتباعه وضرب حولها الحصار ثم ما لبث إن تغلب عليها.

وهكذا سقطت هذه المدينة في العام ٢٨٩هـ / ٩٠١م فكان لسقوطها وقع مؤلم في نفوس الأغالبة لأنه يعني سقوط خط الدفاع الأول عن أفريقيا.

في هذه الأثناء كان ابراهيم بن أحمد موجوداً في صقلية وكان قد ولّى إبنه

أبا العباس عبدالله عهده وصيَّر إليه خاتمه ووزارته في ربيع الأول ٢٨٩هـ /٩٠١م. فأسرع هذا إلى إرسال إبنه أبي عبدالله محمد المعروف بالأحول وكان هذا فارساً بطلاً على رأس جيش بلغ عدده إثني عشر ألفاً، ثم أعقبه بمثله، وخرجت الجيوش من تونس في ذي العقدة ٢٨٩هـ /٩٠١م واتجه نحو **سطيف**.

ما إن علم أبو عبدالله بزحف الأحول إليه حتى برز لملاقاته فيمن معه من الأنصار والمؤيدين فالتقوا عند مشارف بلدة **ملّوسة** ودارت بين الفريقين معارك طاحنة تمكن خلالها أبو عبدالله وجماعته من تحقيق نصر كاسح على جيش الأحول الذي فرَّ في جنح الظلام باتجاه سطيف.

وفي تلك الأثناء مات إبراهيم بن أحمد فخلفه إبنه أبو العباس عبدالله بن ابراهيم.

بينما كان الأحول يحاول إعادة تنظيم قواته في سطيف ويعيد إلى جيشه اللُّحمة والترابط كان قد حدث انقلاب في تونس تسلم بنتيجته أبو مضر **زيادة الله** الثالث بن أبي العباس وأخو الأحول مقاليد السلطة مكان أبيه المقتول وذلك في ٢٧ شعبان سنة ٢٩٠هـ /٩٠٢م ولما تولى زيادة الله هذا الحكم أقبل على الفجور وشرب الخمور فألهاه ذلك عن كل شيء ثم لم يلبث أن قبض على أعمامه وأرسلهم مُقيَّدين في سفينتين إلى جزيرة **الكراث**[١] وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ليلة الأحد ٣ رمضان ٢٩٠هـ / ٣١ حزيران ٩٠٢م أي بعد ثلاثة أيام فقط من قتله لأبيه[٢]. كذلك فقد أرسل على الفور كتاباً يستدعي فيه أخاه الأحول ويأمره

١ . جزيرة الكراث: هي إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط الصغيرة تبعد حوالى ١٢ ميلاً عن مدينة تونس.

٢ . الحمد، عادلة علي: قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٥٤، دار ومطابع

بالعودة سريعاً إلى تونس فلما بلغها قتله وعيّن مكانه صالح الزحاي قائداً للعسكر فبدا بعمله هذا وكأنه يكتب بداية النهاية لدولة الأغالبة لأنه بقضائه على عصب البيت الأغلبي قضى بالفعل على كل أمل في إستمرار هذا البيت في الحكم.

لم يتوقف أبو عبدالله عند ذلك النصر الباهر في سطيف، بل تابع زحفه بجيشه الظافر متوجهاً نحو كينونة وطنبة، حتى أن الخليفة العباسي المكتفي بعث بكتاب يحث به عامل أفريقية على نصرة زيادة الله ومحاربة الشيعي وقرىء، كتابه على الناس[١]. وظل أبو عبدالله متابعاً زحفه على مدينة طبنة، ولما أطل عليها بجيوشه من فج زيدان قال مفتخراً:

من كان مُغتبطاً بلين حَشيَّة ... فحشيَّتي وأريكتي سَرجي

من كان يُعجبه ويُبهجُه ... نقرُ الدُّفوفِ ورنَّةُ الصَّنجِ

فأنا الذي لا شيءَ يُعجبُني ... إلا اقتحامي لُجَّةَ الوَهْجِ[٢]

سل عن جيوشي إذ طلَعتُ بها ... يومَ الخميسِ ضُحىً من الفجِّ[٣][٤]

ثم تقدم فأحاطت بها عساكره من كل جهة وحاصرها فسقط سورها بعد معركة رهيبة واستسلمت المدينة بعد أن استأمن أهلها وذلك في أواخر شهر ذي

←

المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

١ . إبن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ١/ ١٤٠، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٢ . في الحلّة السيراء: الرهج وهو غبار الحرب.

٣ . الفج هو فجّ زيدان المطلّ على طنبة. وقد فتح أبو عبدالله طبنة في سنة ٢٩٥هـ . وفي الحلّة السيراء: سل عن خميسي، مجانسة مع يوم الخميس.

٤ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٧، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ص ١٩٨٦م.

الحجة سنة ٢٩٣هـ /٩٠٥م.[١]

التطبيق الشرعي للعشور والخراج:

كان من شدة تديّن أبي عبدالله وحرصه التام على مراعاة تعاليم الإسلام وتطبيق ما تدعو إليه الشريعة من عدل ومساواة وإحقاق للحق ومحاربة للباطل بجميع صوره وأشكاله أن التزم بعقائد المذهب الشيعي وتعاليمه إلتزاماً تاماً حتى أصبح إلتزامه به السمة المميزة له في سلوكه وتصرفاته وكل ما يقوم به من أعمال ولاسيما عند تحصيل الأموال وجبايتها حيث كان يرفضها إذا لم تكن مأخوذة وفق أحكام الشريعة ومقتضياتها وليس أدل على ذلك من تلك الحادثة التي أوردها إبن عذاري في بيانه ـ على ما عنده من كره وعداء له فقال:

كان في المدينة[٢] جباة على ضروب فأتوه بما في أيدهم من الجباية فقال لأحدهم: من أين جمعت هذا المال؟... فقال له: من العشور. فقال أبوعبدالله: إنما العشور حبوب وهذا عين[٣]. ثم قال لقوم من ثقات طبنة: إذهبوا بهذا المال فلْيُرَد على كل رجلٍ ما أُخذ منه وأَعْلِموا الناس أنهم أمناء على ما يُخرج الله لهم من أرضهم، وسُنّة العشور معروفة في أخذه وتَفرقته على ما ينصُّه كتاب الله عزَّوجل.

ثم قال لآخر: من أين هذا المال الذي بيدك؟...

قال: جَبَيْتُه من اليهود والنصارى جزيةً عن حولٍ مضى لهم. فقال له: وكيف أخذته عيناً وإنما كان رسول الله(ص) يأخذ من المليء ثمانيةً وأربعين درهماً من

---

١ . اليَعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٧، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢ . يقصد طبنة.

٣ . العين: هو المال النقد.

المتوسط أربعة وعشرين درهماً ومن الفقير إثني عشر درهماً؟....

فقال له: أخذت العين عن الدراهم بالصرف الذي كان يأخذه عمر. فقال أبو عبدالله: هذا مال طيِّب. ثم أمر أحد دعاة المذهب الجديد بأن يفرقه على أصحابه. وقال لمن أتاه بمال الخراج:

هذا مال لا خير فيه ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في أموالهم. ثم أمر ثقات أهل طنبة بردّه على أهله.

وقبض مال الصدقة من الإبل والبقر والغنم بعد أن قيل له إنها قُبِضَتْ الأنعام على الأسنان الواجبة في الصدقات ثم بيعت وجُمِعَتْ أثمانها فرضي بذلك وجوَّزه.

فلما نظر أهل طبنة إلى فعله سُروا به ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة، وانتشر فعله في جميع نواحي أفريقية فتاقت أنفسهم إليه وكاتبوه ودخلوا في طاعته.[1]

تابع أبو عبدالله تقدمه حتى مدينة بِلْزْمة ففتحها وخطب في أهلها قائلاً:

«إني أدعوكم إلى طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت وأنا متصرِّف بأمره متى ظهر» كذلك فقد أخذ يركز ـ أبو عبدالله الشيعي ـ على توعية الناس وإفهامهم حقيقة الإمام المهدي المنتظر الذي يدعو إليه؛ وجعل هذه الحقيقة تعيش في ضمير أتباع المذهب الشيعي الجديد ووجدانهم وعلى التأكيد لهم بأنه موجود وأن وجوده لطف من الله تعالى بعباده، وهي حي يرزق وأنه سيظهر متى يأمر الله تعالى ذلك، ومتى ظهر فإنه سيفتح البلاد شرقها وغربها ويستولي عليها ليطبق فيها الإسلام الحق كما جاء به جده النبي(ص) فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت

ظلماً وجوراً. وراح يوضح للناس حقيقته ويبّين لهم صفاته، إنه من أهل البيت، معصوم من الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها ولا يجوز عليه السهو ولا النسيان، يؤيد بالدين ويعمل بالعدل وهو عالم فاضل زاهد تقي ورع بعيد عن الشهوات والأهواء ينفذ الأحكام ويقين الحدود ويحفظ الشريعة، تتجلى العصمة في سلوكه وعلى جميع أعماله وتصرفاته.

كذلك فقد عمل أبو عبدالله على إشاعة الطمأنينة في المجتمع فأرسىٰ أسس العدل بين الناس وألغى الضرائب المتنافية مع أحكام الشريعة الإسلامية ورفع المظالم. فكان لتلك السياسة الرشيدة التي أتبعها أطيب الأثر في قلوب الناس في جميع النواحي التي افتتحها، فأحبوه ومنحوه ثقتهم و تحولوا إلى جانبه بحماس منقطع النظير.

سقوط عدة مدن أغلبيّة:

لم يتوقف أبو عبدالله عن زحفه عند هذا الحد بل راح ينتقل من نصر إلى نصر وانطلق جيشه يحتل المدن الأغلبية ويفتحها تارةً عنوة وتارةً صلحاً، ففتح مدن **باغاية**[١] و**الأربس**[٢] و**تيجس**[٣] حتى وصل إلى القيروان.

تابع أبو عبدالله زحفه نحو القيروان ليشهد بنفسه إنهيار نظام الأغالبة ويراقب إنتهاء حكمهم. فلما بلغها خرج إليه شيوخها وفقهاؤها وأعيانها فسلموا عليه وهنأوه بالفتح فرد عليهم أحسن الردّ وأقبل عليهم بوجهه وأمرهم فركبوا

---

١. باغاية: مدينة بالجزائر اليوم على بعد حوالى ٥٠ كلم جنوب غرب العين البيضاء على مقربة من جبل أوراس.

٢. الأربس: مدينة جنوب الكاف الكائنة في الشمال الغربي للقطر التونسي على طريق تالا.

٣. تيجس: مدينة بالجزائر اليوم على البحيرة الطويلة شمالي باغاية.

دوابهم ودعا وجوههم فاستصحبهم وحدّثهم وأمّنهم في أنفسهم وما ملكته أيديهم فأعجبوا به وسرهم إقباله عليهم وما رأوه من تواضعه وحسن عشرته ثم قال لهم: «قد أخذتم بحظكم ونظرتم لأنفسكم وعملتم بما فيه نجاتكم وما يعود بالنفع عليكم في عاجلكم وآجلكم»[١] وأخذوا يذمون زيادة الله وعهده ويذكرون مساوئه وهو ساكت عن ذلك حتى إذا أكثروا فيه قال لهم: «أئمته الذين ولّوه وقدموه وآباؤه من قبله وآباؤهم من قبلهم أسوأ حالاً منه، فلو علمتم ورأيتم أحوال بني العباس وما هم عليه من الفسق وسوء الحال لما تعاظمتم ما رأيتموه من هذا وما وصفتموه من وهنه وضعف أمره فما أبقى في المدافعة والإجتهاد بما قدر عليه وأمكنه، ولقد كان له من القوة والمنعة ما رأيتموه، ولكن أمر الله لا يُدافع ولا يُغالبه مغالب وأولياء الله المنصورون وجنده الغالبون ومن حزمه وشدة أمره هربه من بين أيدينا إذ لم ير أن له بنا طاقة»[٢]. فأمسكوا عن ذلك. وأمام الحشد الكبير الذي أقبل على القيروان من كل ناحية أعلن أبو عبدالله الشيعي زوال العهد الأغلبي[٣] وانتهاء حكمه الذي استمر مئة واثنتي عشرة سنة وذلك من العام

١. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢١٣، دار المنتظر، بيروت.

٢. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢١٣.

٣. وكان آخر ملوكها زيادة الله الأغلبي حيث فشاعنه شرب الخمر بعينها ولم يكن قبله يُعرف بافريقية شربهاو وأظهر الغناء والمعازف، وجمع إليه أهل اللهو والمتخنثين والمضحكين، وكان لا يقلع عن الشرب ولا يكاد أن يُرىٰ إلّا سكراناً، واتخذ ندماء يتصافعون بين يديه ويفحشون في القول عنده، ويأتون مالا ينبغي أن يذكر فضلاً عن أن يعمل به. وكانوا يتخذون له مثانات الغنم منفوخة مربوطة ويجعلها تحت بساطه فاذا دخل عليه الجليل من رجاله فجلس تفقعت تحته فيضحك ويضحك أصحابه في كثير من الرقاعة والعبث والمجانة والخلاعة.☆

←

١٨٤هـ / ٨٠٠م إلى العام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م.

تابع أبو عبدالله زحفه نحو رقادة فأقبل عليها في سبعة عساكر بلغت على ما ذكره المؤرخون ثلاثمائة ألف مقاتل بين فارس وراجل فوصل إليها يوم السبت غرة رجب سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م فزلزلت الأرض تحت سنابك جيوشه الجرارة التي بدت وكأنها الجراد المنتشر ورأى الناس من جمعهم مالم يظنوا أنه يجتمع مثله لأحد من الناس، ونظر الناس من حسن السمع والطاعة والعفاف والسكينة إلى ما صدق عندهم ما كان يُحكى عنهم لهم.

حيث قال الشاعر التونسي من قبل، وكان ممن يُعنىٰ بعلم الحدَثان، فقال يخاطب إبراهيمبن أحمد من ملوك بني الأغلب... وقد سأله أن يخبره بما عنده في أمر دولتهم وغاية ملكهم فقال:

وُلاةُ بني العبّاس عشرون والياً

تدين لهم بالرغم أرضُ المغاربِ[1]

وفي الستّ والتسعين تهبط رايةٌ

من الغرب في جمع كثير المواكِبِ

يمزّقُ أرضَ البربريّةِ جَمْعُهُم

بخيلٍ كأمثال القطا المتسارِبِ

→

وتـطلع شـمسُ الله مـن غـرب أرضِـهِ
فـلا تَـوبةٌ تُـرجـى هـناك لتـائبِ
ويـظهرُ مـن أبـناء فـاطمةَ أمـرؤٌ
تـقيٌ، نـقيُّ العِـرض، جـمُّ المـواهبِ
سـميّ نـبيّ الله، وأبـنُ وصـيّه
وأكـرمُ مـولودٍ، وأشـرفُ طـالِب(١)
فـيملأُ أرض اللهِ عـدلاً ورحـمةً
بأيّـام صـدقٍ طـيّباتِ المكـاسبِ
وبـالأعور الدجّـال يـنهدُّ جـمعُه
سـوى عُـصبةٍ فـي بـاذخ الطـودِ راتبِ
ويـقتلُه مـن بـعد ذاك ابـنُ مـريم
بـقدرة ربّ مـاله مـن مُـغالبِ
ومِـن بـعدها مـوتُ ابـن مـريم مُـفضياً
إلى الله فـي حكْـمٍ مـن الله واجبِ(٢)

وكذلك الشاعر المغربي ابن عقبه يتنبأ بظهور المهدي فيقول:

اسـتمعِ الحـقَّ ودعْ عـنك اللـعبْ
وهـاكَ قـولاً صـادقاً غـيرَ كـذبْ
إذا أرى الكـوكبُ تـطويلَ الذنّبْ
فـذاك حـدثٌ ظـاهرٌ قـد أقـتربْ

١ . هذه الأوصاف تنطبق على القائم، لا على عبيدالله المهدي.
٢ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٥ .

فــي الستّ والتسـعينَ يأتـيك العـجب
بـــعد كـــمال المــائتَيْنِ فــي رجب
مــن جِـيجَلٍ(١) يـنقضُّ جـيشٌ ذو لجَبْ
أمــضى مــن الجـمرِ إذا الجـمرُ التَهبْ
مــن بــربرٍ يسـعَونَ فــي كـلّ حَـدبْ
رَكْــباً ورَجْــلاً مــا يــمَلُّون التـعَبْ
قــد مَـلّؤوا المشـرقَ خـوفاً ورهَبْ
وأنـــزلوا بـــالغَرب ذُلّاً ونـــصَبْ
يَــغرزُها الراكبُ فــي عُــودِ الركبْ
يــقُودُهم كَـــهْلٌ عــليمٌ بــالكُتُبْ
تـــنقلبُ الدولةُ فـــيما تـــنقلِبْ
مـــهديّةٌ فــي نَـصّ أسـفارِ الكـتبْ

ومن هذا المعنىٰ أيضاً ـ التنبّؤ بالمهديّ ـ يقول ابن عقبة:

قــد قـلتُ لمّـا طـار عـني الكـرىٰ — حـتّىٰ مـتىٰ يـاليلُ لا تُـصبحُ
عَــذّبَني الوجــدُ وفَــقْدُ الكـرىٰ — كــلاهما أقســم لا يَـبْرَحَ
وكـيف لا يَـحزن مـن لا يـرىٰ — بأنّـه يـبلغ يـا مَشْـطَح
دهـرا يـرىٰ فـيه إمـامَ الهـدىٰ — بـالله للـمغرب يَسـتفتح
ويــبتني البــيضاءَ فــي لجّــة — خـضراء، فـيها نُـونُها يسـبح(٢)
يــنجو مــن الأهــوال سكّــانها — والأرض مــنها كــلّها تُـفتح

لو مُــدّ مــن عــمري إلى وقــته لكــنتُ فــي القــرن الذي يــفلح
هــيهات! مــا ذَا العــمُر مما أرىٰ فــيما أرىٰ، المــوت بـه يسمَح[١]

وكذلك الشاعر إبراهيم بن هرمة الفهريّ يقول مبشّراً بظهور المهديّ ودنّـو أوانه:[٢]

ألا يــــا شــيعةَ الحــق، ذوي الايـــمان والبـــرّ
أتـــتكم نُـــصرةُ الله عــلى التـــخويف والزجـــر
فـــلا تـــدعوا إلى الداعـــين أهـــل النّكث والغــدر
فـــلو قـــد فُــقد العـــاشر، أو زيـــد عــلىٰ العَشْـــر
لدارت عُـــصَبُ الضُّــرّ عـــلى الدائـــر بـــالشرّ
فـــعند السّت والتســـعين قـــطع القـــول والعـــذر
لأمـــر مـــا يــقول النـــا سُ: بـــيع الدُرُّ بـــالبَعر
وصـــار الجـــوهر المـخزو ن عِـــلقاً غـــيرَ ذي قَــدر
يـــتيمٌ كـــان خـــلفَ البـــا ب، فـــانقضّ عــلى الوكـر

وقال الشاعر محمد بن رمضان ـ وكان من الشيعة ـ و ذكر دنّو الفرج بقيام المهديّ بالله سلام الله عليه:

جَلَّ المصابُ لئن كـان الذي ذَكـروا مــمّا أتَــتنا بـه الأنــباءُ والخـبرُ
عـــن ألف أرْوَعَ كـالآساد قــد قُــتلوا
بســاعةٍ فــي ســواد اللــيل إذ غُــدِروا

---

١ ـ اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٨، ص ٢٠، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٦م.
٢ ـ اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢١.

لو كـــان مَـسن بـسيّت الآســـادَ أيـــقظَهُمْ
حـــلّت بـــه مـــنهُمُ الأحـــداث والغِـــيَرُ
قـــل لابـــن أحـــمدَ إبـــراهـــيم مألُكـــةً
عـــن الخـــبير بـــما يأتـــي ومـــا يَـــذَر
عـــن المشـــرّد فـــي حبّ الأئـــمّة مـــن
آل النـــبيّ، وخـــيرِ النـــاس إنْ ذُكِـــروا:
أعـــلَمْ بأنّ شِـــرار النـــاس أطـــولُهم
يـــداً بـــمكروهِ غـــدْرٍ إن هُـــمُ قَـــدَروا
لا سيّما الجارش والضـيفُ القـريبُ، ومَـن
أعـــطَوْه ذمّـــتهم مـــن قـــبل مـــا خَـــفَروا
فـــما اعـــتذارك مـــن عـــار ومـــنقَصةٍ
أتـــيتَها عـــامداً، إن قُـــمتَ تـــعتذر؟
جـــرّعت ضـيفك كأســـاً أنت شـــارِبُها
عـــمّا قـــليلٍ وأمـــرُ الله يُـــنتظَر
فـــدولةُ القـــائمِ المـــهديّ قـــد أرفَتْ
أيّـــامُها فـــي الذي أنـــبابه الأثَـــرُ
عـــن النـــبيّ، وفـــيها قـــطعُ دولتكـــم
يـــا آلَ أغـــلَبَ فـــارجُـوا ذاك وأنتظِروا
وقـــطعَ أمـــر بـــنّي العـــبّاس بـــعدَكُـــمُ
وقـــطع أمـــر بـــني مـــروانَ إذا بـــطِرُوا

وقال أيضاً محمدبن رمضان من قصيدة:[1]

فـــــهذا أوانُ الحـــــقّ قــدحان حـــينه

ودولةُ آل البـــــــغي آن زَوالُــــــــهَا

كأنّـــي بشــمس الأرض قـد طـلعت لنـا

مـــن الغـــرب مــقروناً إليــها هــلالُها

فــــــيملأ أرض الله قِســـــطا بـــعَدْلِه

بــــمَاضمّ مــــنها ســــهلُهَا وجــبالُها

وآمــــنُ فــــيها مــا أخــاف وأتّــقي

وأظــــفَرُ بـــالزُّلفىٰ بــــه وأنـــالُها

إخضاع جزيرة صقلية:

بعد ذلك أراد أبو عبدالله إحتلال جزيرة صقلية وضمها إليه نظراً لموقعها الستراتيجي المميز وأهميتها البحرية وتأثيرها الحربي المباشر على كامل الشمال الأفريقي فأرسل إليها أحد رجاله ليطلب من سكانها إعلان الطاعة والولاء والتخلص من عهد الأغالبة ومحو جميع آثاره ورموزه بعد أن باد حكمهم في أفريقية. وما أن وصل مبعوث أبي عبدالله إليها حتىٰ هبّ سكانها لاستقباله بالفرح والإبتهاج وأعلنوا له إستجابتهم لطلبه طائعين ولم يقفوا عند هذا الحد وإنما توجهوا فوراً إلى دار الإمارة وانقضوا على (الحسن بن رباح) العامل من قبل زيادة الله عليها فخلعوه وقدموا عليهم (عليبن أبي الفوارس التميمي) ونصبوه والياً عليهم وطلبوا من المبعوث التوسط لدى أبي عبدالله للموافقة على هذا التدبير نظراً لكفاءة هذا الرجل في هذا المجال فما كان من أبي عبدالله إلا أن أجابهم لطلبهم وأقر إبن أبي الفوارس في منصبه وانتقل بذلك أمر الجزيرة إليه.(١)

إعلان الحكومة الشيعية الأولى والتنظيمات الدينية والإدارية فيها:

في رقادة شرع أبو عبدالله في العمل على تنظيم البلاد وضبطها وتوزيع السلطات والإدارات على أصحاب الإختصاص والكفاءة والمعرفة. وقبل كل شيء أمر منادياً فنادى بالقيروان بالأمان التام للعامة أمَّن فيه بصورة خاصة من بقي بالقيروان من بني الأغلب وقوادهم الذين تخلفوا عن زيادة الله وأمر بعودة المهجَّرين إلى ديارهم فعادوا من كل مكان وأمر بقتل من خرج ليلاً أو شرب مسكراً أو باعه أو حمله أو وُجِدَ عنده. وبقطع كل ما ظهر من المنكر ونشر العدل وأشاعه فاستوت الأمور واعتدلت وأمنت السبل ومشت السّيارة وخاف أهل الأذى والدعارة وقُتلوا حيثما ثُقفوا، وطُلِبوا أينما توجهوا وأمر بجمع ما ظهر من أموال زيادة الله وعبيده وسلاحه ودوابه ومن بقي له من الجواري وأمر بحفظهن ولم ينظر إلى واحدةٍ منهنّ وأمر بهن بما يصلحنَّ.[١] كما أمر بإحضار أخيه أبي العباس المخطوم من طرابلس وكان محبوساً فيها وإحضار أبي المقارع من إيكجان.

بعد ذلك أمر بتوزيع السلطات في القضاء والإدارة على مستحقيها من أنصاره وقواد جيشه ممن عرف منهم بالحزم واليقظة والمرونة وحسن التصرف فعجل منهم معظم موظفي الدولة ومساعدي العمال في الولايات والأقاليم، ثم أعلن قيام أو حكومة إسلامية شيعيَّة في شرقي المغرب وقد تألفت على الشكل التالي:

١ ـ محمدبن أحمدبن زكريا (أبو العباس المخطوم) نيابة رئاسة السلطات التنفيذية العليا في أفريقيا.

---

١ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢١٦.

٢ ـ تمام بن معارك الإجاني (أبو زاكي): إدارة الشؤون العامة في أفريقيا.

٣ ـ غَزْوِيَّة بن يوسف الملوسي: إدارة شؤون مدينة سوسة ونواحيها والإشراف على خزائن الأغالبة وممتلكاتهم.

٤ ـ الحسن بن أحمد بن أبي خنزير: إدارة شؤون القيروان.

٥ ـ خلف بن أحمد بن أبي خنزير: إدارة شؤون القصر القديم (العباسية).[١]

٦ ـ محمد بن عمر المروزي[٢]: قضاء مدينة القيروان مع تكليفه بتعيين قضاة وحكام المقاطعات.

٧ ـ أحمد بن فروخ الطبني: إدارة شؤون أملاك زيادة الله مع تكليفه بإعادة جميع المسروقات من رقادة إلى أصحابها.

٨ ـ السّيدة رَوَنْد (المرأة الصالحة): الإشراف المباشر على إصلاحيّة إستحدثت وضعت فيها جواري زيادة الله مع تكليفها برعاية شؤونهن وإصلاحهنّ.

٩ ـ أبوبكر الفيلسوف المعروف بإبن القمودي: الإشراف المباشر على دار السكة[٣] وضرب النقود.

وقد كان لهذه الحكومة برامج عامة في حقول التربية والإجتماع والإقتصاد والسياسة والعلوم الدينية وغيرها. وقد ورد معظمها في البيان الحكومي الذي أذاعه أبو عبدالله من على منبر مسجد رقادة وأمام الجموع المحتشدة التي غَصَّ بها المسجد وباحاته وساحاته المجاورة وأمر أن تكتب نسخ منه توزع في

---

١. العباسية: مدينة أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٥هـ على بعد ٣ أميال جنوبي القيروان.

٢. المروزي: قاضي أفريقية، كان له نظر في الفقه من قول أهل البيت وكان معتقداً لمذهب الشيعة معروفاً بذلك.

٣. السكة: كلمة تدل على خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب عليه بالمطرقة.

مختلف البلدان وتقرأ من على منابر مساجدها وكان نص البيان كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى :

الله على رسوله محمد وعلى أهل بيته الطاهرين. أما بعد فالحمد لله الناصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده والخاذل لأعدائه بعد الأعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحق وأتباع الباطل في مواطن من مواطن التحاكم إلا وهب لأنصار دينه النصر وأيّدهم بالعز وأنزل بأعدائه البأس[1] والنقمة والدمار والهلكة إظهاراً لفضل منزلة الحق عنده وإذلاً لمن عَنَدَ عن سبيله وصدف عن حقه، حمداً يرضاه ويتقبله ويُحسن المزيد عليه من فضله. وإني لم أزل بحمدالله ونعمته مذقمت لله بواجب حقه ذاباً عن دينه طالباً ثأر أوليائه، آمر بالمعروف وأدعو إليه وأنْهى عن المنكر وأحذر منه، أحيي ما أماته الظالمون من معالم الحق، وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقدم الموعظة إلى بني الأغلب والإنذار بانتقاص أطرافهم وتطرق مدائنهم طمعاً في إنابتهم إلى الحق ورجوعهم إليه وإقرارهم به ودخولهم تحت لوائه متوقفاً عن التقحم عليهم رجاء حقن دماء المسلمين، فكلما ازددت بالرفق بهم بصيرة إزدادوا في الضلال تمادياً وعلى ظلم عباد الله تعاوناً وعلى المعاصي جراءة وفي الغي إقداماً لا يرجعون إلى تقية ولا يرعون لله إلّاً ولا ذِمَّة. فلما يئست من إنابتهم وانقطع طمعي من توبتهم رأيت أنه لا يسعني ترك مناجزتهم فقصدت ببعض جيوشي المنصورة وعساكري المؤيدة مجتمع جيوشهم بالأربس واثقاً بالله متوكلاً عليه منتجزاً ما وعد أولياءه في من نَصَبَ لهم وعاداهم وتولّى سواهم. فمنح الله أولياء دينه

أكتافهم فقتلوهم أبْرَحَ القتل في كل وادٍ ومغارات ومدغل[١] وتفرق من سلم منهم شذوذاً قد استأصل الله شأفتهم وكسر شوكتهم واجتاح ناجمهم[٢] ووصل فلُّهم إلى المخذول زيادة الله فأسلم مُلكه وخرج هارباً قد أوبقته ذنوبه ومعصيته وأسلم أهله وماله وولده وأهل بيته وكان في فراره أعظمُ الخير للمسلمين في حقن دمائهم وقطع ظلمه وجوره عنهم، فسدلت على حُرَمِهِ ستر العفاف وحفظت منهنّ مالم يحفظه من ذمارِهنّ[٣] إحتساباً لثواب الله وإتباعاً لقوله جل ذكره: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»[٤] بعد إن كنت عزمت على الإنصراف لأخفف الوطأة على أهل القيروان رفقاً بهم وإعذاراً إليهم حتى أتاني رسولهم وتلقاني علماؤهم وشيوخهم يسألونني الأمان لهم والحوطة عليهم ويرغبون في ذلك إلي، فأجبت سؤالهم وحققت آمالهم وسكنت دهماءهم وشملت بالأمان البريء والنطف[٥] والبر والفاجر منهم ومن غيرهم بعد أن أحاطت بهم العساكر المنصورة والجيوش المؤيدة وتلافيت نفرة النافر وقبلت فيئة الرّاجع وأقلت المستقيل طلباً لعظيم ثواب الله الجزيل.

وأنتم معشر أهل... (رقادة والقيروان) داخلون فيما دخلتم فيه وصائرون من الأمان والحفظ والحوطة إلى ما أصرتهم إليه ما قبلتم ذلك وما أقبلتم عليه وعرفتم فضل النعمة عليكم به فاسمعوا وأطيعوا واثبتوا وأجيبوا واحمدوا الله

---

١ . مدغل: هو بطن الوادي والجمع مداغل.

٢ . الناجم: الذي يظهر ويطلع.

٣ . ذمارهن: والذمار هو كل ما يجب عليك حمايته وحفظه والدفع عنه: الحرم ـ الأهل ـ الحوزة.

٤ الأنعام: الآية ١٦٤ ـ الإسراء: الآية ١٥ ـ فاطر: الآية ١٨٠...

٥ . النطف: الإنسان ذو العيوب والمساويء والأخطاء.

ربكم على ما وهب لكم ودافع عنكم، وكونوا في الحق أعواناً وعلى إماتة الباطل أنصاراً تظفروا بحظكم واشكروا الله على أنعامه عليكم يُدم لكم ذلكم ويزدكم، ولا تكفروا فيوقع بأسه بكم فإنه يقول وهو أصدق القائلين: «لئن شكرتم لأزيدنّكم وإن كفرتم إن عذابي لشديد»[١].

وأمر أن يزاد في النسخة المرسلة إلى أهل صقلية ما يلي:

وأنتم معشر أهل جزيرة صقلية أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته وأولى به وأقرب إليه لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة. وسوق أملأ إن شاء الله جزيرتكم خيلاً ورجلاً من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيُعِز الله بهم الدين والمسلمين ويذل بهم الشرك والمشركين، والحول والقوة لله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.[٢]

بعد ذلك أخذ أبوعبدالله في تغيير معالم العهد الأغلبي ومحو رسومه وتبديل عادته وتقاليده تمشياً مع العهد الجديد وانسجاماً مع مبادئه وأهدافه. وشرع كل واحد من أعضاء الحكومة الجديدة يعمل على تنفيذ المهمة التي أوكل إليه أمرها ويتولى بنفسه الإشراف المباشر عليها وفق توجيهات أبي عبدالله وإرشاداته.

وما إن أطل أول يوم جمعة حتى أمر الخطباء في القيروان ورقادة والمدن الأخرى بإسقاط إسم الخليفة العباسي[٣] من الخطبة، وأمر بأن يزاد في الآذان بعد (حي على الفلاح) (حيَّ على خيرالعمل) وأسقط من آذان الفجر (الصلاة خير من النوم) وقال إعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول.

---

١. جزء من الآية ٧ من سورة إبراهيم.

٢. ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٢٢.

٣. كان يومها المقتدر.

واهتم أيضاً بدار الضرب فاتخذها وسيلة لإيصال مبادىء العهد الجديد إلى الناس وتعريفهم بها، فأمر بضرب السكة على ألّا ينقش عليها إسم لأحد[١] وسميت (السيديّة). وكانت صورة الدينار الذي ضربه على هذا الشكل:

ـكتابة دائرية: بسم الله ـ ضرب هذا الدينار سنة سبع و تسعين ومائتين.

ـالوجه الأول: محمد رسول الله ـ تفرق أعداء الله.

ـالوجه الآخر: العزة لله وحده ـ لا إله إلا الله ـ بلغت حجة الله.

ـكتابة دائرية: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.[٢]

ثم نقش على سكة أخرى جعل فيها مكان ذلك (الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين).

ونقش على السلاح: عدة في سبيل الله.

ووسم الخيل على أفخاذها: الملك لله.

ونقش في فص خاتمه الخاص: فتوكّل على الله إنك على الحق المبين.[٣]

وفي الخاتم الذي يطبع به السجلات: وتَمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.[٤]

وكتب على الرأية البيضاء: سيهزم الجمع ويولون الدبر[٥] وقل جاء الحق

---

١ . دلالة على أن أبا عبدالله لم يكن عنده خلفيات أو إنتماءات لأحد.

٢ . عبدالرزاق، الدكتور محمود: الأغالبة، ص ٢٦٠.

٣ . جزء من الآية ٧٩ من سورة النحل.

٤ . الأنعام: الآية ١١٥.

٥ . القمر: الآية ٤٥.

وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا[١]. ووضع على الألوية أهلّة.[٢]

بعد ذلك عمد إلى تنظيم البلاد فقسمها إلى وحدات سياسية وعسكرية وجعل على كل وحدة منها قائداً من قواده دعي بالمقدم يعاونه عامل مدني للأمور الحياتية والاجتماعية. ولم يكن يؤمن بحصر السلطات وتجميعها في يد واحدة أو منطقة واحدة وإنما اعتمد نظام اللا مركزية فمارس النظام الديموقراطي كأفضل ما تكون الممارسة مما جعل المضطهدين في مختلف الأقطار الإسلامية يفدون إلى بلاده حيث يجدون الرعاية الطيبة والمعاملة الحسنة وتتوفر لهم حرية الرأي والمعتقد فيمارسون شؤونهم الخاصة والعامة ولاسيما الدينية منها بحريّة تامة.

والحقيقة تقال: إن عبدالله وإن كان قد عمل على نشر المذهب الشيعي وتعريف الناس به في البلاد التي افتتحهاو وإن كان أيضاً قد رأس في أهل المغرب رياسة دينية وقرر لهم مذهب الشيعة فاتبعوه وتمسكوا به، إلا أنه لم يكن في عمله هذا مذهبياً متعصباً، فقد كان يحترم المذاهب الإسلامية كلها ويجلّها ويقدر شيوخها وعلماءها وأئمتها وكان كل همه أن يعرّف الناس بمذهب أهل البيت ويكون هو وأنصاره كما قال سهل بن بركاس: نريد أن نكون كأهل مذهب من مذاهب المسلمين وهذا ما دفع بأحد المؤرخين المغاربة لأن يقول:

«والملاحظ أن مذهب الشيعة لم ينتشر هنا بأرض المغرب عن طريق الإرغام أو العنف والإكراه كلا! وإنما اعتنقه من اعتنقه عن طواعية وموافقة وذلك

---

١. الإسراء: الآية ٨١.

٢. الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ١/٢١٥، دارالثقافة، بيروت، طبعة سادسة، ١٩٨٣م.

ما نستنتجه من حديث جرى بين الأخوين زعيمي الشيعة بالمغرب أبي عبدالله وأخيه أبي العباس: قال النويري: إنه لما وصل أبو العباس الشيعي إلى أرض المغرب أراد أن ينفي عن القيروان من يخالف مذهبه فقال له أخوه أبو عبدالله: «إن دولتنا دولة حجة وبيان وليست بدولة قهر واستطالة فاترك الناس على مذاهبهم، فتركهم وكان هذا قبل حضور عبيدالله المهدي».[1]

١ . الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ١/٢٢٩.

مناظرات أبي عبدالله مع فقهاء القيروان

هذا الإنفتاح الكبير على المذاهب الإسلامية الأخرى وهذه النفس الطيبة السمحاء والفكر المتسع لكل أنواع المعارف والعلوم، كل ذلك جعله قبلة أنظار الجميع ومحط ثقتهم وإعجابهم لاسيما فقهاء المذاهب في القيروان وشيوخها وعلماؤها حيث أقبلوا عليه وبكل حرية فناظرهم في الإمامة وفيما خالفوا فيه أهل البيت وفي قيام شهر رمضان وفي الكتاب والسنة والحديث، وتحريم الخمر وفي القياس والقضاء والحلال والحرام ومختلف جوانب الشريعة الإسلامية، كما طلب الإجتماع بالعلماء من المجادلين والكلاميين ليناقشهم في كل شيء.

وقد أورد المالكي[١] طائفة من المناظرات ظهر فيها التشويه والتحريف والوضع المتعمد لطرح الأسئلة والجواب عنها كما ظهرت فيها روح الكراهية الممقوتة والتعصب البغيض. وهذا بعض ما أورده في بعض المناظرات:

مناظرة أبي عبدالله الشيعيّ لأبي عثمان سعيدبن الحدّاد:

قال أبو عثمان: أرسل ورائي الشيعيّ وما كنتُ آتي إليه إلاّ برسول. فدخلت إليه في قصر إبراهيمبن أحمد (الأغلبيّ)، وحوله جماعة من أصحابه، وجماعة ممّن يُنسب إليهم العلمُ من أهل بلدنا.

فسلّمت ثمّ جلست.

فقال أبوعبدالله لإبراهيم بن يونس، وقد قيل له إنّ هذا الشيخ كان قاضياً على هذه المدينة.

---

١. المالكي: هو أبوبكر عبداللهبن محمد المالكي صاحب كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية. توفي بحدود سنة ٤٧٤/١٠٨١م.

ـ بأيّ شيء كنت تقضي؟

فقال له إبراهيم: بالكتاب والسنّة.

فقال له أبو عبدالله: فما السنّة؟

فقال إبراهيم: السّنة... السنّة...

(قال أبو عثمان) فلمّا سمعته على قوله «السنّة... السنّة...» قلت لأبي عبدالله: المجلس مشترك أم خاصّ؟

فقال: مشترك.

(فقال أبو عثمان) [فقلت:] أصل السنّة في كلام العرب: المثال الذي يُتمثّل عليه، قال الشاعر:

تُريكَ سُنّةَ وجهٍ غيرَ مُقْرِفَةٍ

ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

أي صورة وجهٍ ومثاله. والسنّة محصورة في ثلاث: الائتمار بما أمر به رسولُ الله(ص)، والانتهاء عمّا نهىٰ عنه، والائتساءُ به فيما فعل.

(فقال أبو عبدالله لأبي عثمان): هلاّ كان عندك من قول الله ـ عزّوجلّ ـ حكاية عن نبيّه (ص) في قوله لأبي بكر «لا تَحْزَن إنّ اللهَ مَعَنَا» دلالة أنّ حُزنَه كان مسخوطاً لأنّ النبيّ(ص) نهاه عنه؟

فسكت أبو عثمان.

ثم عطف [الشيعي] على موسى القطّان فقال له: أينَ وجدتم حدَّ الخمر في كتاب الله تعالى؟

فقال له موسى: قال النبي(ص): مَن شَرِبَها فاضربوه بالأردية. ثمّ إن عاد فاضربوه بالأيدي. ثمّ إن عاد فاضربوه بالجريد.

فقال له أبو عبدالله، على النكير منه: إيش هذا؟ أقول لك: أين وجدتُم في كتاب الله؟ تقول: اضربوه بالجريد؟

(قال أبو عثمان) فقلت له: انّما حُدّ قياساً على حدّ القاذف لأنّه إذا شرب سكر، وإذا سكِر هذى، وإذا هذى افترىٰ: فوجب عليه ما يؤول أمره إليه، وهو حدّ القاذف.

فقال لموسىٰ القطّان: أو لم يقل النبي(ص):

أقضاكم عليّ؟ ـ فجعل موسى ينصّ عليه الحديث: «... وأعلمُكم بحلال الله وحرامه معاذ، وأرأفكمُ أبوبكر، وأشدّكم في دينِ الله عمر».

فقال له الشيعيّ: وكيف يكون أشدَّهم في دين الله، وقد هرب بالراية يوم حُنين؟

فقال له موسى: ما سمعنا بهذا ولا نعرفه.

قال أبو عبدالله: يا أهل المدينة، إنّكم تبغضون عليّا.[1]

فقال أبو عثمان: على مبغض عليّ لَعْنَةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين. وكيفَ أُبغضُ عليّا، وقد سمعتُ سحنونَ بن سعيد وهو إمام أهل المدينة بالمغرب، يقول: عليّ بن أبي طالب إمامي في الدين، أهتدي بهديه، وأستَنُّ بسُنّته، وأقتفي أثره، رحمة الله عليه.

فقال أبو عبدالله: أراد أن يقول: صلّى الله عليه، فرجع فقال رحمة الله عليه.

فقال أبو عثمان ـ ورفع بها صوته ـ: نعم: صلّى الله عليه، لأنّ الصلاةَ في كلام العرب الرحمةُ والدعاء، قال الأعشىٰ:

---

١ . زبيب، نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٢٤٨ .

تـــقول بِـــنتي، وقـــد قَـــرّبتُ مُـــرْتَحِلاً:

يـا ربِّ، جَـنِّبْ أبـي الأوصـابَ والوجـعا

عـــليكِ مـــثلُ الذي صَـــلَّيْتِ، فـاغتمضي

يـــوماً، فـــإنَّ لجـــنبِ المـــرءِ مُـــضطجعا

فالصلاة من الله رحمة، ومن الآدميّين دعاء. نعم، فـصلّى الله عـلى عـليّ وفاطمة والحسن والحسين وعلى أهل طـاعته أجـمعين مـن أهـل السـماوات والأرضين.[١]

يقول الأستاذ محمّد اليعلاوي: «لعلّ النتيجة التي يصل إليها الدارس لهذه المناظرات الشيّقة، على طولها، هي أنّ دعاة الشيعة لم يكونوا ـ في أوّل أمـرهم على الأقل ـ أهلَ تعسفٍ وجبروت كما يطيب لمؤرّخي السنّة أن يصفوهُم».[٢]

الزحف على المغربين الأوسط والأقصىٰ:

بعد أن تمكن أبو عبدالله من تحطيم الدولة الأغـلبيّة وتـمت له السـيطرة الكاملة على أفريقية (تونس) وجمع البلاد الواقعة شرقي إقليم الزاب في الجزائر حوّل إتجاهه نحو الغرب لإكمال السيطرة على ما هنالك من بلاد في المـغربين الأوسط والأقصىٰ معاً وضمهما إليه. وكانت أنباء إنتصاراته على الجيش الأغلبي قد سبقته إلى تلك الديار فخاف حكامها على أنفسهم وأخذوا يترقبون نهاية سيئة وشيكة لحياتهم[٣].

كانت دولة بني رستم الأباضيّة في تاهرت الهدف الجديد والأقرب لأبي

عبدالله وكانت تلك الدولة تمر وقتئذٍ في فوضى سياسية لاحدَّ لها وتعيش في فتن واضطرابات قاسية نتيجة الصراع الداخلي الحاد بين أفراد البيت الرستمي واختلافهم فيما بينهم على منصب الإمامة وتكالبهم على الظفر بها فلم يتورعوا عن تدبير المكائد والمؤمرات من بعضهم البعض وراح بعضهم ضحية هذا الصراع.

أخذ أبو عبدالله يعد العدّة ويعبيء قواته ويهيؤها للزحف على تاهرت، فعيَّن أبا زاكي تمام‌بن معارك خليفة له على أفريقة وأقام معه أخاه أبا العباس محمدبن زكريا. ولما فرغ من ذلك كتب كتاباً جعله نُسخاً وبعث كل نسخة منه إلى كل منبر بأفريقية فقُرِئَتْ عليه ومما جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

: وبه عوني وعليه توكلي، أما بعد فإن

الله وله الحمد قد شرَّف منزلة العدل وأعلي قدره وأسنى ذكره واختاره لنفسه ورضِيَه، وصيّره ذريعة إلى الهدىٰ، وسبباً إلى التقوى وأقامه ميزاناً بين خلقه وجعل به صلاحاً لكل شيء ونظامه وقوامه وتمامه، فكان من عدله أنه أوجب الثواب لمن أطاعه والعقاب لمن عصاه، ولم يوجب للمسيء ثواب المحسن ولا للمُحسن عقاب المسيء، بل جازى كل ساعٍ على قدر سعيه وأعطى كل عامل أجر عمله، عدلاً منه كما قال جل ثناؤه في مُحْكَم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «وإن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرىٰ ثم يجزيّه الجزاء الأوفىٰ». وأوجب إظهار منهاج الحق وإبطال سنن الجور والغَشم على من مكَّنه الله في بلاده وعباده ومنحه ما منحني من النصرة والتأييد والعز والتمكين على أعدائه وأعداء رسوله صلى الله عليه وعلى آله حتى انقادت إليَّ الأمور بأزِمَّتها وسلسلت أعنَّتها، وإنَّ أولى الناس بنصرة الحق والذبّ عنه من فهَّمَهُ الله ما فهَّمَني

من علم كتابه ومواقع وعده ووعيده، وعلم أنه مسؤول عن رعيته وأمور بالعدل فيها والإحسان إليها، قال الله تبارك وتعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعضكم لعلكم تذكرون»، فجعل تبارك وتعالى الحكم بالعدل أمراً عاماً دخل فيه الشريف والوضيع والصغير والكبير، ثم دل رسوله صلى الله عليه وعلى آله أمته على الشيئين المنجيين من الضلال والهاديين إلى الرشاد وأمر صلى الله عليه وآله أمته بالتمسك بهما وقال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي. فمن تعلق بكتاب الله وعمل به وتصرف مع أوامره وزواجره فقد تعلق بالمحجة العظمى ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيرة أهل بيته وسلك سبيلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى، وقاداه معاً إلى النجاة ووقفا به على محجة الحق الذي أمر الله به نبيّه داوود عليه السّلام أن يحكم به فقال: «يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب». فأمر نبيّه داوود عليه السّلام بالحكم بالحق الذي هو أزكى الأعمال وأشرف الذخائر وأرجح كل موزون وأفضل كل مخزون لديه، ثم أخبر رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمنازل أهل العدل والحق في الآخرة فقال: المقسطون على منابر من نور يوم القيامة. وقد علم الله وكفى به مستشهداً أو عليماً إن نيّتي وطويّتي وإرادتي إقامة العدل في الرعية والإحسان إليها والرفق بها وإن تكاءد إظهار ذلك باضطراب الخيل وانتقال الأمر وجنايات فرطت من السفهاء والغوغاء فلم استجز في ذلك كلمة وإن عظم موقع فعلهم مني، لا آخذ البريء بالنطف ولا الحليم بالسفيه لقول الله تبارك وتعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»

فلا تستكثروا رحمكم الله ما تكاءد من ذلك فإن لكل بادرة وهنة، ولكل سائلة قرارة ولكل داخل دهشة ولكل موقد نار دخاناً ولكل هدم غباراً ثم تسكن الأمور، وتستقر قرارها وتثبت في نظامها، ولا تستوحشوا من سرعة خروجي من بلدكم وانقشاعي عنكم فإني إنما آثرت ترك الدعة والسعة وهجرت مهاد الخفض ورفاهية العيش إبتغاء ثواب الله وطلب الزلفى لديه في لمِّ شعثكم وضم نشركم وما يعود نفعه عليكم في يومكم وغدكم وعاجلكم وآجلكم فاسكنوا إلى ذلك واطمئنوا إليه، وكونوا على إحياء الحق أنصاراً وعلى إماتة الباطل أعواناً فإني أرجو من الله أن يبلغني إظهار العدل وإحياء الحق إلى غاية يشرب لها الذئب والشاة من مَنْهل ويجتمع العدو مع عدوه في منزل رضئً بالحق واصطلاحاً عليه ويسلك السفر والسيادة بلا خفير ولا سفير من لدن أرض مصر إلى أقصى حجر بالمغرب إن شاء الله. وقد أمرت تمام بن معارك بالرفق بالرعيّة والإحسان إليها وإفاضة العدل والعرف فيها وقبض يد الجور وإزالة الغشم عنها، وإنفاذ نسخة كتابي هذا إلى جميع العمال في جميع أعمال أفريقية ليأتمّوا به وينتهوا إلى أمري فيه ويقفوا عنده ولا يتجاوزوه إن شاء الله والسلام.[١]

إجتياح المغرب الأوسط وسقوط تاهرت:

بعد ذلك أعد أبو عبدالله حملة عسكرية ضخمة كان هو على رأسها وسار من رقادة يوم الخميس للنصف من شهر رمضان سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م في جموع كثيرة حتىٰ وصل إلى جنوبي تاهرت ـ وعلى بعد بضعة أميال منها ـ عسكر هناك

---

١ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٣٥، دارالمنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

فخرج إليه رؤساء الطوائف من مالكيّة وشيعة ومعتزلة وخوارج غير أباضية متبرئين من الدولة الرستمية يناشدونه القدوم للقضاء على تلك الإمارة ووعدوه بالعون على فتحها وهونوا له من شأن بني رستم؛ فسقطت بيده من غير قتال ولا حرب وذلك في شوال عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م وبسقوط تاهرت أصبحت الجزائر كلها خاضعة لسلطان الدولة الشيعية.

إحتل أبو عبدالله مملكة الرستميين وقضى على امامة الخوارج في تاهرت بعد أن عمرت مائة وخمس وثلاثين عاماً.(١)

الإباضيّة في المغرب

لمحة تاريخية

ظهرت الفرقة الإباضيّة في مدينة البصرة، بعد انقسام المحكّمة[١] عام (٦٥هـ / ٦٨٤م) وذلك عندما حثّ ابن الأزرق القعدة من الخوارج على قتال مخالفيهم في رسالته التي كتبها إلى زعمائهم، ومنهم عبدالله بن إباض، والتي يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون، والله إنّكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة والدين واحد، ففيمَ المقام بين أظهر الكفار! ترون الظلم ليلاً ونهارا، وقد ندبكم الله إلى الجهاد، فقال «وقاتلوا المشركين كافة»[٢] ولم يجعل التخلّف عذراً في حال فقال «انفروا خِفافاً وثقالا»[٣] وإنّما عذر الضعفاء والمرضى الذين لا يجدون ما ينفقون، وبيّن فضل الذين خرجوا معه على الذين رضوا بالقعود وعدم رفع السيف في وجه مخالفيهم

---

١ . عرفوا بالمحكّمة لأنهم حملوا الإمام عليا (عليه السّلام) على التحكيم أولاً، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله، فجرى الأمر خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا لِمَ حكّمت الرجال: لا حكم إلاّ لله.

وقاتلهم أميرالمؤمنين علي عليه السّلام بالنهروان عام (٣٨هـ / ٦٥٩م) مقاتلة شديدة، وافترق بعدها الخوارج إلى فرق عديدة، إلاّ أن الذي يجمع بينها على افتراق مذاهبها إكفار عليّ (عليه السّلام).

٢ . سورة التوبة، الآية ٣٦.

٣ . سورة التوبة، الآية ٤١.

بقوله «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله».[١]

لكنّ ابن إياض، عندما قرأ الرسالة، وسمع دويّ القرّاء ورنين المؤذنين وحنين المسبّحين. قال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معهم؟ فقرر القعود ورجع وكتم أمره.

ولم يقرأ ابن إياض الرسالة على أصحابه خشية تفرّقهم، ولكنّه قال أمام زعماء القعدة: قاتله الله؛ أي رأى رأى. صدق نافع! لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً، وكانت سيرته كسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المشركين، ولكنه قد كذب في ما يقوله، إنّ القوم براء من الشرك، ولكنّهم كفار بالنعم والأحكام، ولا يحلّ لنا إلّا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام.[٢]

وبهذا الموقف الواضح لابن إياض، والمعارض لابن الأزرق[٣] بدأ فصل جديد في تطوّر حركة الخوارج تميّز بالفرقة والنزاع، وتكفير بعضهم بعضاً، وانقسموا إلى قسمين: أحدهما غالٍ متطرف، والآخر مسالم مُعتدل.

الإباضيّة

عرفت الفرقة المعتدلة التي رفضت آراء ابن الأزرق، وآثرت القعود على

---

١ . سورة النساء، الآية ٩٥.

٢ . الحارثي، سالم بن حمد: العقود الفضيّة في أصول الإباضيّة، ص ٤٨، سوريا لبنان، دار اليقظة العربية، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

٣ . نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ / ٦٨٥م) إليه ينتسب الأزارقة من الخوراج كانوا يمتحنون من قصد عسكرهم إذا ادّعى أنه منهم وذلك بأن يدفع إليه أسير من مخالفيهم ويأمرونه بقتله، فإن قتله صدّقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه (أنظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٨٣).

قتال المسلمين، والتي كان يتزّعمها عبدالله بن إباض ـ والتي أقامت بالبصرة ـ بالإباضية نسبة إلى عبدالله بن إباض. وأنّ نسبة الإباضية إلى إباض ـ بضم الهمزة ـ وهي قرية بالعرض من اليمامة، ويطلق عليها أُباضية ـ بالفتح في شمال إفريقية. وإباضية ـ بالكسر ـ في عُمان وزنجبار.

نقد آراء الإباضيّة

ترفض الإباضية أن يطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام).

ووجهة نظرهم في ذلك:

«إنّ الذين رفضوا التحكيم لم يشككوا في شرعية الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكنّهم خرجوا عليه لرفضه استمرار القتال في صفين واستجابته لضغوط الأكثرية من جنده، الذين رغبوا في وقف القتال، لمّا رفع أهل الشام المصاحف على أسنّة الرماح، فالخوارج من ثمّ يمثلون من الناحية الدينيّة الفئة القليلة المؤمنة التي لا تقبل في الحق مساومة وادهاناً».[١]

ويردّ عليهم أوّلاً الدكتور عبدالرحمن عثمان حجازي بقوله: «إنّ لقب الخوارج، والذي أطلق على الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه كان أمراً طبيعيّاً، فهم خرجوا عن طاعة الخليفة الشرعي، وكان يقابل هذا اللقب، لقب شيعة عليّ رضي الله عنه، ولقب بني أميّة. وأوّل من أطلق اسم الخوارج على الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه هو عبدالله بن وهب الراسبي حين اجتمع المعارضون لنتائج التحكيم في بيته فقال: أيها الناس ما ينبغي لقوم يؤمنون

---

١ إسماعيل، محمود: الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية، ص ١٤، بيروت، دارالقلم.

بالرحمن، وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقول بالحقّ، وإن ضرّ ومرّ فإنّه إن يضرّ ويمرّ في هذه الدنيا، فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنّة. فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن. فخرجوا من معسكر الخليفة، وخرجوا عن طاعته. فأطلق عليهم اسم الخوارج لأنّهم طلبوا الخروج على كلّ من رفض التحكيم ونتائجه».[1]

ونرى أنّ الإباضية يصرّون على عدم إلصاق اسم الخوارج على الذين خرجوا على الخليفة أميرالمؤمنين علي‌بن أبي طالب عليه السّلام للأسباب التالية:

١ ـ سعي الخوارج إلى تحقيق أهدافهم بالسيف، وارتبط اسمهم في التاريخ الإسلامي بالمذابح التي ارتكبوها دون مبرر. ويروي المبرد أنّهم عندما دخلوا مدينة الكوفة «أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلة ثمّ أرادوا قتلها، فقالت أتقتلون «من يُنشّؤا في الحلية وهو في الخصام غير مُبين»[2].

فقال قائل منهم، دعوها. فقالوا قد فتنتك، ثم قدّموها فقتلوها».[3]

٢ ـ ينفي الإباضيّة أن يكونوا من الخوارج، ولا يريدون أن يتّصل تاريخ نشأتهم بالخوارج وذلك لإزاحة شبح الخوارج عنهم، لعلمهم في أعماقهم أنّ ابن إباض كان أحد الخوارج، ولعلمهم أيضاً أنّ الناس من غيرهم يعلمون ذلك ولا

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطوّر الفكر التربوي الأباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأوّل حتى القرن العاشر الهجري)، ص ١١، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢ . سورة الزخرف، الآية ١٨.

٣ . المبرد، أبو العبّاس محمّدبن يزيد (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، ٢/٢٦٢ص، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

يمكن محوه، كحقيقة واقعة من ذاكرة التاريخ...[١]

ويقرّ ابن إباض في رسالته إلى عبدالملكبن مروان بأنّه من الخوارج إذ يقول «هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنّا لمن عاداهم أعداؤنا، ولمن والاهم أولياؤنا بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش على ذلك ماعشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا»[٢].

قيام الدولة الإباضية الرستمية

المصادر الإباضية تذكر أن أول من جاء بطلب مذهب الإباضية سلمةبن سعيد، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة مولي عبداللهبن عباس علي بعير، سلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، وعكرمة يدعو إلى الصفرية. فانتشر الإباضية، في الأقاليم الشرقية من بلاد المغرب، فيما اتجه الصفرية إلى قبائل المغرب الأقصى.[٣]

أما الدكتور عبدالرحمن حجازي فإنه يقول: «لا نؤيّد الآراء التي تعتقد أنّ عكرمة كان صفريّاً للمعطيات التالية:

أ ـ إنّ عكرمة كان مولى عبداللهبن عباس، الذي كان مناصراً لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وعكرمة كان يحمل علم ابن عبّاس، فقد أورد ابن سعد أنّه عندما مات ابن عبّاس وعكرمة عبد، فاشتراه خالدبن يزيدبن معاوية من عليّبن

---

١ . صالح، عمربن الحاج محمد: دراسة في الفكر الاباضي، ص ٣٨، تونس، مكتبة الاستقامة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٢ . البرادي، أبوالقاسمبن إبراهيم (ت: ٦٩٧هـ): الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات، ص ١٦٥، القاهرة، مطبعة حجرية، ١٨٨٤م.

٣ . سعد، الدكتور فهمي: إنتشار الأسلام في إفريقيا في العصور الوسطى، ص ٣٧، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

عبدالله بن عبّاس بأربعة آلاف دينار فبلغ ذلك عكرمة فقال: بعتني بأربعة آلاف دينار؟ قال نعم، قال أمّا أنّه ما خير لك، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار؟ فراح عليّ إلى خالد فاستقاله فأقاله فأعتقه. وعلم ابن عبّاس يخالف آراء كلّ الفرق المخالفة والخارجة على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب ـ يدعو المذهب الصفريّ إلى إمامة وفق تصوراته التي تخالف التصوّر الإباضي. وهذا ما حدث في الشمال الإفريقي حيث قامت الدولة الصفريّة في سجلماسة، وهي دولة بني مدرار عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م. ودولة أخرى للإباضيّة، هي الدولة الرستميّة في تاهرت عام ١٦١هـ / ٧٧٧م.

وواقع الحال لا يقبل أن يترافق الاثنان في سفر طويل، وهما داعيتان لإمامتين، إحداهما تخالف الأخرى».[1]

إستغل الإباضيّة إنشغال الدولة الأمويّة بالتصدّي للدعوة العبّاسية في المشرق فاستولوا على العاصمة القيروان أكثر من أربع سنوات (١٤١هـ / ١٤٤هـ) (٧٥٩م / ٧٦١م) إلى أن أخرجهم الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي. لكنّ عبدالرحمن بن رستم ـ قاضي القيروان الإباضي ـ استطاع التحصّن في وادي أجج ـ وهو جبل منيع بالقرب من تاهرت ـ ولحق به ستّون شيخاً من شيوخ الإباضية من طرابلس. واستطاعوا جمع شتاتهم ولمّا آنسوا من أنفسهم القوّة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة، كلّ واحد صالح فاتّفق رأيهم على عبدالرحمن.

---

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطوُّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، ص ٣٤.

قامت الدولة الإباضية الرستميّة في تاهرت لكن انشقاق الإباضيّة إلى عدّة فرق نتيجة خلاف عقديّ وصراع على السلطة أضعف الدولة الرستميّة وأدّى إلى سقوطها عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م. على يد أبي عبدالله الشيعي.(١)

١ . عثمان حجازي، الدكتور عبدالرحمن: تطور الفكر التربوي الاباضي في الشمال الإفريقي، ص ٤٤.

الأسباب الحقيقية لحملة أبي عبدالله على سجلماسة:

إن استيلاء أبي عبدالله على تاهرت جعله يتمتع بميزة استراتيجيّة كبيرة، فهو من ناحية أصبح في عقر دار زناتة الخصم اللدود له والتي لجأ إليها كل الفارين من وجهه ولاذوا بها ومن ناحية أخرى فقد اكتسب مركزاً هاماً على طريق قوافل هذه القبيلة الكبيرة وتجارتها بين المشرق والمغرب وكذلگ مع بلاد السودان الغربي فخلق جواً من الذعر بين الزناتيين الذين رأوا في ذلك حصاراً حقيقياً فرضه أبو عبدالله عليهم. أما أبو عبدالله فلم يكن همه تأديب زناتة بقدر ما كان همه تأديب دولة بني مدرار الخارجية والقضاء عليها وكان الذي دفعه إلى ذلك أمران كلاهما على جانب عظيم من الأهمية:

ـ **أولهما** ما كان قد بلغه من أخبار عن اعتقال المهدي بعد لجوئه إليها آتياً من المشرق هرباً من ضغط العباسيين ووسائل قهرهم وعذابهم وأن الخليفة العباسي المكتفي قد أوعز إلى الأغالبة أمراء أفريقية بالقيروان ـ قبل سقوط حكمهم ـ وبني مدرار بسجلماسة بأخذ الآفاق عليه وإذكاء العيون والإرصاد واعتقاله مما كلف الأمر.

لقد رجع بالذاكرة ستاً وثلاثين سنة إلى الوراء إلى العام ٢٦٠ هـ / ٨٧٣م بالضبط وتبادر إلى ذهنه فوراً كيف أرسل الخليفة المعتمد قواته من خيل ورجال إلى دار الإمام العسكري(ع) للبحث عن الإمام المهدي وإلقاء القبض عليه وكيف خرج الإمام دون أن يراه أحد واحتجب منذ ذلك الحين عن أنظار الناس.

ـ **وثانيهما** ما بلغه أيضاً من أخبار بعد إنتصاره على الأغالبة عن محاولة بني مدرار إقامة حلف مع أمويّي الأندلس واستعداد الأمير المدراري اليسع[١]

---

١ . كانت الدولة المدرارية قد تخلصت من مشاكلها الداخلية وحققت الأمن والهدوء في سائر

بسط نفوذه على إخوانه في المذهب المقيمين في مطغرة ومكناسة تحت حكم الأدارسة الذين كانت دولتهم في ذلك الوقت مفككة مقسمة وكان شيوخ الصفرية فيها قد راسلوا هذا العاهل المدراري لتحريرهم باعتباره امام الصفرية ببلاد المغرب فَعَوَّل على تجهيز جيش يغزو به دولة الأدارسة لتحقيق هذه الغاية.

إذن فالتخلص من سجلسامة وإنهاء حكم الخوارج الصفرية فيها أصبح أمراً ملحاً يجب إنجازه بأقصى سرعة ممكنة.

الهجوم على سجلماسة:

حرك أبو عبدالله جيشه المنتشر في نواحي تاهرت واتجه به إلى المغرب الأقصى يريد سجلماسة ففرت زناته من طريقه وراحت المدن والقرى تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى حتى استولى على العديد منها. وظل متابعاً سيره إلى أن أطل على مشارفها يوم السبت السادس من ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م فتوقف هناك بعد أن أحاطت جيوشه بالمدينة وبعث برسله إلى اليسع يطلب إليه تسليم المدينة وإطلاق سراح المهدي، فلما وصلت الرسل بكتابه إليه رمى به بعد أن علم ما فيه وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا وتوجه فوراً إلى سجن المهدي وسأله عن نسبه وحاله وهل إليه قصد أبو عبدالله فأنكر المهدي صلته بأبي عبدالله وحلف له أنه ما رآه ولا عرفه.

وعاود أبو عبدالله الكرة فأرسل رسلاً للمرة الثانية فرمى اليسع الكتب وقتل

ربوعها فانصرفت إلى التوسع خارج حدودها وقد اضطلع بتلك المهمة اليسع بن ميمون بن مدرار الملقب بالمنتصر وحاول ضم صفرية مطغرة لدولته ليوحد صفرية المغرب الأقصى تحت لوائه وكانت مطغرة تحت حكم الأدارسة.

الرسل.[١] فلم يجد عند ذلك بدأ من ضرب الحصار على سجلماسة ثم لم يلبث أن نزل على اليسع فخرج هذا إليه. فقاتله أبو عبدالله ساعة من نهار فانهزم اليسع وفرّ في أهله وبني عمه ودخل أبو عبدالله سجلماسة وكان دخوله إليها في أكثر من مائتي ألف بين فارس وراجل وذلك يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ /٩٠٨م. وقد قاتل يهود سجلماسة قتالاً مستميتاً إلى جانب اليسع بن مدرار خوفاً من زوال نفوذهم وانتهاء إمتيازاتهم. وهم الذين أشاروا عليه بقتل الرسل واخترعوا له حكاية أن أبا عبدالله قام بدعوته من أجله. وقد عمل أبو عبدالله على الفتك بهم وأذاقهم شتىٰ أنواع العذاب والخزي بعد أن أباد معظم جموعهم.

الموقف الرهيب:

سيطر أبو عبدالله على سجلماسة وأنهى حكم بني مدرار فيها كما أنهى حكم الرستميين والأغالبة، من قبل وأصبح سيد المغرب بلا منازع ولأول مرة في تاريخ المغرب العربي تتحد فيها أفريقيا الشمالية كلها تحت لواء دولة إسلامية واحدة. ولم يشأ أن يعرّج على **فاس** لينهي حكم الأدارسة لأنه لم يرَ ضرورة لذلك، فالأدارسة هم أشقاؤه في المذهب والعقيدة والإنتماء، وقد خلعوا طاعة العباسيين وقاموا بالحملة تلو الحملة لمحو آثار الخوارج. كان آخرها ما قام به يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بالعدّام الذي ظل يقاتلهم حتى فلّ شوكتهم وقتل زعيمهم سنة ٢٩٣هـ /٩٠٥م. إذن فالأمر الملح هو إخراج المهدي من السجن الذي هو فيه والنظر في حقيقة أمره. وتوجه في الحال إلى السجن لإخراج المهدي

---

١ . ابن محمد، القاضي النعمان (ـ ٣٦٣): رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٣٨، دار المنتظر، بيروت.

منه وعند وصوله إليه وجد نفسه أمام رجل أجمع المؤرخون كافة على أنه كـان يتصف بقوة البنية وجمال السمت واليقظة وأصالة الرأي والعلم مع سعة الحيلة[١] وفصاحة اللسان وبلاغة الكلمة ويمتلك قدرة عجيبة على الإقناع. مهيب الطلعة رابط الجأش شديد الجزم جريئاً لا يعرف التردد وقد كان من دهائه السياسي وهو الذي ذاق طعم الخلافة وخبر أمورها أن شكل حوله جماعة كبيرة من الأعـوان والأنصار ممن كانوا معه في السجن دانوا له بالطاعة والولاء وراحوا يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم ويلجأون إليه فيما عنَّ لهم من مسائل وقضايا كـما شكّـل جماعة من الأصدقاء خارج السجن فضلاً عن الدعاة والرسل.[٢]

---

١ . الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ص ٢١٤.

٢ . كانت الدعوة الإسماعيلية تتعرض في بلاد الشرق العربي لمحنة قاسية بسبب إختلاف دعاتها على المراكز والمناصب فيها واستحكم الخلاف فيما بينهم منذ أيام عبدالله الأكبربن محمدبن إسماعيل وانتقاله إلى سلمية، وأخذ يهدد وجودها بالتشرذم والإنقسام. وكان فرع الدعوة في الكوفة خاصةً من أكثر الفروع تعرضاً للإضطرابات في شؤونه التنظيمية بعد أن تسلم عبيدالله المهدي شؤون الإمامة الإسماعيلية وتولى أمر الدعوة إليها بعد وفاة والده الحسين بن أحمدبن عبدالله في سلمية سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م. إذ ما كاد عبيدالله المهدي يجلس على كرسي القيادة في سلمية حتى عمد إلى إجراء تعديلات وتغييرات جذرية في هيكلية الدعوة الإسماعيلية. فكان لهذا التدبير أثره السيء على مسار الحركة الإسماعيلية مما اضطرته إلى الفرار.

النواة الأولى للدولة الفاطمية في المغرب:

تلك كانت النواة الأولى للدولة الفاطمية التي ستنشأ عما قليل في المغرب، وفي وسط هذه الجماعة إستطاع عبيدالله المهدي أن يغرس البذور الأولى للحركة الإسماعيلية هناك ويهيء لها العقول والأذهان بفضل ما كان يتمتع به من الصفات وما اعتمده في عمله من الوسائل الدبلوماسية التي لم يسبق إليها سابق ولم يهتد إليه أحد قبله وإذا كان أبو عبدالله قد بدأ دعوته في نفر قليل من الرجال واستطاع أن يصل إلى ما وصل إليه في بلاد لم يكن له فيها ناصر ولا معين فإن الأمر يختلف الآن إختلافاً جذرياً بالنسبة لعبيد الله المهدي و ذلك أنه في جماعة كبيرة تؤمن أساساً بالمهدي المنتظر تترقب خروجه بشوق ولهفة وتنتظر الفرج الأكيد على يديه لأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وخارج هذه الجماعة بحر من البشر متلاطم الأمواج يدين بمذهب آل البيت وبالولاء التام لهم ويعمل على إعادة حقهم المغتصب في الخلافة وحكم المسلمين. وهكذا تمكن المهدي بواسطة تلك الجماعة من أن يتتبع أنباء إنتصارات أبي عبدالله الواحد تلو الآخر وأن يعرف الكثير عن حركته وأبعادها كما ألمَّ بشخصيته وسبر جوانبها وخلص إلى نتيجة مفادها أن أبا عبدالله رجل زاهد في الحكم متقشف متقلل من الحياة لا تغره زخارف الدنيا وبهرجتها ولا يتمسك بأي مظهر من مظاهر الجاه أو السلطان وإذن فميدان العمل مشرع الأبواب مفتوح النوافذ ينتظر الفارس المغامر الطامح إلى المجد والعظمة والمتطلع إلى التربع على عرش الزعامة والقيادة. وطالما أنه المهدي فلماذا لا يكون المنتظر؟... إن الأمر في غاية من البساطة والسهولة وإضافة كلمة واحدة إلى اسمه تجعله في نظر الناس صاحب الدعوة المنتصرة التي يؤمن بها الجميع. وأعد العدة وهيأ نفسه ونفوس الآخرين معه في

داخل السجن وخارجه وأقدم غيرمتردد على طرح نفسه بديلاً والظهور بمظهر المهدي الحقيقي وأنه هو الذي يدعو إليه أبو عبدالله، وبلغ من مهارته أنه كان يعرف كل المزايا التي يتزيا بها الإمام المهدي الحقيقي وطبقها على أكمل وجه وأدق صورة.

وهكذا ما إن التقى الرجلان حتى علت الأصوات من كل جانب (**هذا هو المهدي**) والناس دائماً يلتفون حول من يحسن رفع شعار الحق وإن كان مبطناً بالباطل فكيف إذا اطمأنوا إلى شخص أنه حق لا يشوبه باطل[1]. وإذا بابن المطلبي يتجو نحو أبي عبدالله ويصيح قائلاً: (هذا هو المهدي هذا هو مولاي ومولاك ومولى الناس جميعاً) إن التاريخ يعيد نفسه وهو مليء بحالات مشابهة مماثلة فعلت فيها الخديعة فعلتها وأفلت زمام الأمر من يد صاحبه فانتقل الحكم من يد إلى يد ومن شخص إلى آخر بغفلة من الزمن وبحيلةٍ عمل الفكر على خلقها فأخرجها وكأنها الحقيقة التي لا يأتيها الباطل أبداً. بالأمس قال معاوية للضحاك بن قيس الفهري: «إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع إلى بيعته وحثني عليها فإني قد أمرت عبدالرحمن بن عثمان الثقفي وعبدالله بن مضان الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه[2]. وفي الغد أظهر معاوية عهداً مفتعلاً فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد وكان قد عمل

---

١ . الشيرازي، السيد حسن: كلمة الإمام المهدي (عج)، ص ٥٣. مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢ . المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٦/٣، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

على ترويض الناس لبيعته سبع سنين كان خلالها يشاور ويعطي الأقارب ويداني الأباعد حتى استوثق له من أكثر الناس وتم له إنتقال الأمر.

إن التاريخ يعيد نفسه وهو مليء بالمفاجآت الكبيرة التي عندما تحدث يرتبك لها قادة الرأي في العالم بحيث لا يطيقون التفكير وإن فكروا لا يستطيعون التدبير فتصبح سلاحاً مخيفاً ينهار أمامه القادة فلا يحسنون غير الإستسلام[١]. والحذر يؤتى من مأمنه، وساد المكان هرج ومرج واختلطت الأصوات ببعضها بين مهلل ومكبر ووقف أبو عبدالله بين تلك الجموع حائراً ماذا تراه يفعل في مثل هذه الحال؟ هل يقول لهم لا! ليس هذا هو المهدي الذي أدعوكم إليه وهو لم يتبيّن بعد حقيقة أمره؟ ومن يدري؟ إنه في مثل سنه، ممتليء هيبة ووقاراً وفي نظراته التائهة الحائرة يرتسم ألف معنى ومعنى وبين يديه رجال سارعوا إلى مبايعته وقد حملوه فوق الهامات وهم يهتفون مهللين مستبشرين. وهو آت من الشرق وقد شردته يد الخلافة الظالمة وراحت تطارده وتجدّ في طلبه في كل مكان وتحت كل سماء وفوق كل ذلك فهو يقول بقرابته من رسول الله(ص) ويدعو إلى الرضى من آل محمد ويريد إعادة الحق إلى البيت العلوي ولم يكن يدري أبداً أن المؤامرة قد دبرت بمهارة بالغة وأن هذا الواقف أمامه قد ألقى وبأشد ما يكون الحذر أولى بذور الحركة الإسماعيليّة في أعماق التراب المغربي لتنتج عما قريب دولة فاطمية قوية تقضي عليه وتبدد كل آماله وطموحاته. وتقدم المهدي من أبي عبدالله وأخذ رأسه بين يديه وراح يقبله ويقول: (أبشر بخير يا حسين) فوجيء أبو عبدالله بهذا الترحيب الحار به وأذهله ما رآه من إقبال المهدي وجماعته عليه ولم يكن ليحتاج إلى أكثر من ذلك ليستبشر بالخير لقد أثرت شخصية المهدي في نفسه كثيراً

---

١ الشيرازي، السّيد حسن: كلمة الامام المهدي(عج)، ص ٣٨.

حتى استحوذت على مشاعره كلها وجعلته يطمئن إليه ويرتاح إلى أقواله ولا يرتاب في ما يسمعه ويراه من هتاف الناس له واستبشارهم به وإقبالهم عليه حتى أن جنوده اندمجوا في تلك التظاهرة العاطفية العفوية عند سماعهم كلمة المهدي ولا سيما قائد فرسانه غزويّة بن يوسف فأخذوا يهتفون له ويصفقون ظناً منهم أنه هو المهدي الذي يدعوهم أبو عبدالله إليه[١] ولم يكن من أمر أبي عبدالله عند ذلك إلا مجاراة الناس في ما يفعلون وإظهار الرضا والإغتباط بما يرى مدفوعاً إلى ذلك بأمور منها:

ـ إنه وجد في المهدي العلم الوفير والوعي الكبير للظروف المحيطة به كما وجد فيه الجدارة النفسية والكفاءة الشخصيّة الأمر الذي يؤهله للقيام برئاسة الدولة ومعالجة أمورها ومشكلاتها على ضوء ما ظهر له من الفهم الواسع للشريعة والإلتزام بها ضمن حدودها الصحيحة بعد أن ظهر له أنه يدين بما يدين به من العقيدة والإنتماء المذهبي وبعد أن وجد الكثيرين يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم وحل مشاكلهم.

---

١ . ليس غريباً على المغاربة أن يقبلوا على المهدي ويتعلقوا به بهذا الشكل العفوي البالغ بعد أن صدقوه في إدعائه الإنتساب للبيت العلوي فالمغاربة يعتبرون من أكثر الشعوب الإسلامية حباً لآل البيت وتعلقاً بهم ومناصرة لهم. ففي المغرب الأدنى أخذ مذهب آل البيت سبيله إليهم فتشيعوا قبل الحلواني وأبي سفيان كما رأينا.
وفي المغرب الأوسط أقام المغاربة لسليمان بن عبدالله ولأبنائه كياناً سياسياً كبيراً في تلمسان ونواحيها بعد أن عرفوا أنه من ذرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع).
وفي المغرب الأقصى عندما حل إدريس بن عبدالله بين القبائل هناك إجتمعوا عليه فأطاعوه وعظموه وقدموه على أنفسهم وبايعوه بالإمامة. ويؤكد إبن الصغير المالكي أن خطباء تاهرت كانوا على منابرهم لا يستعملون إلا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) خلا خطبة التحكيم لحبهم له وإجلالاً لمقامه وإعجاباً ببلاغته وفصاحته.

ـ لقد رأىٰ أبو عبدالله أنه لو سارع في تلك الأثناء إلى رفضه لظـهر أمـام الجميع وكأنه يشكك في حقيقة المهدي بشكل عـام ولحـصلت فـوضى مـؤكدة ولصار فيه خلاف ربما أدى إلى وقوع فتنة في ذلك اليوم المشهود، ذلك أن هؤلاء الناس الذين غرس أبو عبدالله في نفوسهم الإيمان بوجود المهدي المنتظر وجعله حقيقة حيَّة تعيش في وجدانهم وأفهمهم أنه أمام معصوم من أهل البيت وهو حي يرزق يعيش في وسط الناس محجوباً عن الأنظار وأنه سيظهر متى يأمر الله بذلك ليبني دولة الإيمان ويعيد للإسلام صفاءه كما كان على عهد جـده(ص) رأوا بأم أعينهم إنساناً يتصل بالناس بعد هذا الفتح العظيم ويعرفهم ويعرفونه وهم بين مؤيد ومناصر ورأوا فيه من الصفات والمزايا ما جعلهم يعتقدون بأنه هو المهدي المنتظر لامحالة وأنه بعد هذا الإنتصار قد زالت أسباب الغيبة فظهر أن حبه الصادق لأهل البيت وإيمانه الكبير الراسخ بالمهدي المنتظر جعلاه يميل إلى الأخذ بما أكده له المهدي من صحة إدعائه الإنتساب للبيت العلوي بعد أن أخبره عن حاله وأطلعه على أسباب هجرته ودوافع لجوئه إليه. وهنا لا يسعنا إلا أن نذكِّر بـقول للإمـام علي(ع): (ان المهدي تكون له حيرة تضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون) وأن الإنـسان قد يواجه في غضون حياته أو يقرأ في التاريخ دعوات مهدويَّة متعددة قد يحار في مبدأ الأمر في تصديقها أو تكذيبها إن كان ممن يؤمن بالفكرة المهدوية أساساً فلا يعلم أن هذا هو المهدي المنتظر أو غيره ولا يزول شكه فـيه إلا عـن طريق البرهان العقائدي أو الدليل التاريخي وذلك بعد محاولة تـطبيق الصـفات الثابتة تأريخياً للمهدي الموعود على مدعي المهدوية[١] التي منها سيره بسـيرة الرسول (ص) وتطبيقه لأحكام الشريعة كما جاء بها واقتفاؤه في سلوكه لأثر أهل

---

١ . الصدر، السّيد محمد: تاريخ ما بعد الظهور، ص ٨.

البيت (ع) وهذا ما يحتاج بالتأكيد إلى بعض الوقت للتثبت منه.

- إنه بعد إحكام سيطرته على سجلماسة ونواحيها واتساع حدوده بهذا الشكل الكبير رأى وهو الزاهد في الحكم أن إسناد القيادة إلى المهدي يكسب البلاد مزيداً من الإستقرار والهدوء لاعتقاده بأن ذلك سيكون في حال التثبت من صحة نسبه حقاً له وأمراً يقره وتوجبه الشريعة لقرابته من رسول الله(ص) ولكونه واجب الطاعة عند ظهوره لهذا لم يتردد أبو عبدالله في محضه كل حبه وإخلاصه ومنحه كامل ثقته وإعجابه ووضعه على طريق الإختبار مطبقاً عليه قول الإمام علي(ع):

(إذا أردت أن تعرف إنساناً فاعطه مالاً أو سلطة) ولم يكن أبو عبدالله يملك المال فأعطاه السلطة ليمتحنه بها وأعطاه معها الفرصة لإثبات صدق إدعائه وأفسح له في المجال ليقرن ذلك الإدعاء بدليل صحيح ينفي عنه الشك ويوجب القطع بكونه الإمام المنتظر.

وطال لقاء الرجلين إلى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فقام المهدي وأمّ الحضور وصلى بهم فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وسورة القدر وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وأتم الصلاة وانصرف الناس[1]. بينما عقدت بين الاثنين خلوة تم على أثرها تسليم المهدي مقاليد السلطة وتولى أبوعبدالله مهمة الدفاع عن البلاد.

لماذا تخلى أبو عبدالله عن الحكم للمهدي؟ ...

تخلى أبو عبدالله للمهدي عن جلال الملك وعظمة السلطان وتنازل له عن

---

١ . ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٤٠ .

القيادة ومسؤولياتها وعن كل ما تتطلبه من سلطات وصلاحيات بعد أن منحه كامل تقديره ووفائه وأعطاه كل ثقته وإخلاصه وأجلسه على كرسي الحكم وجعله قيماً على الأمور ووضعه وجهاً لوجه أمام الناس آملاً منه في أن يباشر مهامه ويمارس دوره ويتحمل مسؤولياته في قيادة الأمة فيحفظ حقوقها ومصالحها ويرعى شؤونها وقضاياها ويوجهها الوجهة الصحيحة ويسير بها على خطى الأئمة من أهل البيت (ع) وفق سياسة حكيمة رشيده متقيدة بأحكام الشريعة في حدودها ويرسي دعائم الحكم فيها على أساس من الإيمان الواعي والعلم والأخلاق والتجرد والعدل والنزاهة. ولعله كان بذلك من أوائل الذين عرفوا الحكم بطريقة مختلفة وفهموه بأنه مسؤولية جسيمة يتحملها المسؤول أمام الله وأمام الناس جميعاً. كما كان من السباقين إلى الإعتقاد بضرورة إسناد أكبر منصب في الدولة إلى رجل مدني وطبق ذلك بالفعل لإشاعة الطمأنينة بين الناس وإعطائهم مزيداً من الشعور بالحرية والتمتع بها ومزيداً من الأمن والراحة والإستقرار.

لم يكن أبو عبدالله مخطئاً في عمله هذا كما توهم الكثيرون، ولم يكن بالرجل الساذج الذي يعوزه الذكاء السياسي ولا بالإنسان البسيط الذي تجوز عليه الحيلة كما لم يكن كغيره من قادة الجيوش الذين استبدت بهم شهوة الحكم فأدت بهم إلى الإنحراف عما كانوا يؤمنون به من مبادىء وقيم ولا ممن استهوتهم الزعامة فتعلقوا بها حتى نسوا في سبيلها كل شيء وإنما كان رجلاً طرح وراءه زينة الدنيا ومفاتنها ومغرياتها فتغلب فيه حب دينه على حب دنياه وآثر ترك السمعة والدعة إبتغاء ثواب الله وطلب الزلفى لديه ولم يرض أبداً أن يذكر إسمه في آخر كل خطبة جمعة كما فعل غيره.

كانت فرحة المهدي بتسلمه مقاليد الأمور أكبر من فرحة أبي عبدالله بتخليه عنها، ذلك أنه عاد ليتربع على عرش السلطة من جديد وقد تهيأت له الآن ظروف لم تتهيأ لغيره من قبل ليحقق أحلامه في بناء دولة وإنشاء خلافة على النحو الذي يريد ويطبعها بشخصيته وتعاليمه كما يشتهي. ومكث الرجلان أربعين يوماً في سجلماسة كان المهدي خلالها يعمل على تدعيم مركزه ويركز سلطاته ويجمعها في يده عن طريق إصطناع الرجال وإغراقهم بالهبات والهدايا.

ما إن طلعت شمس صباح يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م حتى كان المهدي قد أنهى كل استعداداته لارتقاء عرش الملك والخلافة ومباشرة مهمات القيادة وتدعيم مركزه بالسيطرة الكاملة على جميع مرافق الدولة وحصر السلطات وجمعها في يده وسارع قبل وقت صلاة الظهر بإرسال توقيع أنفذه إلى خطباء رقادة والقيروان والقصر القديم بإعلان نفسه **أميراً للمؤمنين** وأمرهم بالدعاء به بعد الصلاة على النبي محمد المختار وذكر وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الأطهار من ذريته.

ولم يكد المهدي يرتقي عرش الخلافة حتى أصبح السيد المطلق وصار كل شيء في قبضته وراح يتصرف بكثير من الإستقلالية في الأعمال والتفرد في الرأي ويباشر الأمور بنفسه ثم أخذ يتشبَّه بالملوك ويعيش مثلهم حياة البذخ والترف والإنغماس في مباهج الحياة وزينتها ويتخذ العبيد والأتباع ويدعو الناس إلى الأخذ بنصيبهم من الحياة فأمرهم بالتزين والتجمل، وما إن عرضت عليه جواري زيادة الله حتى اختار منهن كثيراً لنفسه ولولده وفرَّق ما بقي على وجوه كتامة.[١]

---

١ . المقريزي، أحمد بن عليّ: اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميّين الخلفاء، ١/١٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

أبو عبدالله يواجه المهدي مستنكراً:

إستعظم أبو عبدالله ذلك كثيراً وأدرك خطورة هذا التصرف وما ستجرّه هذه السياسة على كتامة وغيرها من فساد في الأخلاق وانصراف كلي عن حياة الجهاد والفتوحات وإضعاف للروح القتالية في نفوسهم وهو الذي رباهم وبنى مجدهم ودربهم ودبر أمورهم وبث فيهم روح التقشف وحبب إليهم خشونة العيش وحياة الفطرة. وأخذت تراوده الشكوك من تصرفات المهدي وممارساته وبدأ يعيش أزمة قلق وحيرة وصراع داخلي عنيف وكان لابد له من مواجهة المهدي وتحذيره وتنبيه وتقدم منه قائلاً على سبيل النصيحة:

«يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأجريتهم على ترتيب وتعليم وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الأعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد لهم للخروج من عادتهم فلو تركتهم كما كانوا إلى أن أباشرهم دونك آمرهم وأنها هم دونك وأقيمهم على ما عودتهم وأجريهم على آدابي لهم وآلي حروبك بهم وأحكم الأمور دونك فيهم وفي غيرهم فتكون وادعاً في قصرك لا يصل أحد منهم ولا من غيرهم إليك ليكون ذلك أهيب لك وأشد لأمرك وأرجى لما ترجوه من تمامه وكماله وانتظامه»[1].

رد المهدي على أبي عبدالله:

رد المهدي على أبي عبدالله رداً لطيفاً ووعده خيراً ولكنه كان مستاءً في قرارة نفسه من جرأة أبي عبدالله عليه ومصارحته له بهذا الشكل فأسرها في ذاته

---

١ ـ ابن محمد، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدّعوة، ص ٢٦٠.

ولم يدع أمائر الإرتياب تظهر على وجهه و بادر إلى صرف أبـي عـبدالله عـنه وإبعاده فوراً من رقادة بصورة لا تدعو إلى الشك حتى يتمكن من تـدبير أمـره ويكون لديه الوقت الكافي للتفكير في الطريقة التي يتخلص بها منه فطلب إليـه التوجه حالاً مع بعض قواده الكتاميين إلى أرض المغرب لمحاربة الفساد هناك. ولما علم أن البلاد بخطر إمتثل للأمر وتلك كانت خطيئته الكبرى التي كانت سبب نهايته بشكل مأساوي مرير، إذ أن المهدي عزم عـلى تـصفيته وجـماعته وراح يعدالعدة لذلك.

إجتماع تنس للنظر في أمر المهدي:

أنهى أبو عبدالله تمرد القبائل ووضع حداً لخلافها ولكـنه لم يـتوصل إلى وضع حدٍ لقلقه وشكوكه والظنون التي بدأت تساوره من هذا الإنسان المـتلقب بالمهدي والمدعي للإمامة (ذلك أن أبا عبدالله لم يصل فيه التفكير قط إلى درجة الإعتقاد بأن عبيدالله المهدي هو الإمام المنتظر لأنه كان وقتئذٍ لا يزال في حالة المراقبة والتثبت من حقيقة أمره).

وعزم على حسم هذا الموقف ووضع حد له مهما كلف الأمر ولو اقـتضى ذلك الإصطدام مع المهدي ومقاتلته. وأرسل إلى من يثق بهم من وجـوه كـتامة ليوافوه إلى مدينة تنس[1] للنظر في أمر المهدي، وكان أخوه أبو العباس قد تزعم حركة المناهضة السـرية للـمهدي وبث الدعـوة لخـعله بـين أنـصاره ومـؤيديه الساخطين عليه قبله بعد أن رأى من قبح سلوكه واستئثاره بالحكم وسيطرته على الأموال وانغماسه في حياة الترف ما يبعده عن أن يكون الإمام المـوعود، لذلك

---

١ ـ تنس: مدينة بقرب مليانه بينها وبين البحر ميلان.

فقد سارع أبو العباس مع بعض مرافقيه لتلبية الدعوة كما لباها غيرهم من وجوه كتامة.

ومن جملة ما قاله ابو عبدالله في اجتماع تنس: «... إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة. ثم أضاف: وأما هذا فقد شككنا فيه والله لا تركنا بناءً بنيناه بأيدينا وأتعبنا فيه أبداننا وذهبت فيه أعمارنا يسكنه غيرنا ونحن من وراء أبوابه حتى نحلَّ أعاليه أو نلحقه بأسافله.»

أجمعت كلمة المجتمعين في تنس على وجوب التشدد في مراقبة المهدي وعدم الرضوخ لمشيئته أو السكوت على ما يقوم به من أعمال متناقضة لا تتفق وروح الإسلام وجوهره حيث امتلك الثروة الطائلة بعد أن أخذها من أيديهم في إيكجان واقتنى النساء واتخذ العبيد من السودان والروم وتشبه بالملوك وأحاط نفسه ببطانة خاصة تؤمن له الحماية وتنفذ له الأوامر والرغبات والمآرب الشخصية كما تعاهدوا على الإتصال بمن يثقون به من الشيوخ ووجوه القبائل وعمال الأقاليم في كتامة وإبلاغهم بالأمر وإقناعهم بأنه ليس هو الإمام المعصوم الذي كانوا ينتظرون خروجه.[١]

إغتيال أبي عبدالله وأخيه:

كان المهدي في سباق مرير مع الزمن وقد ظهر وكأنه يريد أن يفعل كل شيء يقدر عليه في يوم واحد حتى لا تفاجئه الأحداث وتأتيه بما لا يحب: فأمر فوراً باستدعاء أبي عبدالله وأخيه أبي العباس إلى القصر وأمر غزوية وأخاه حباسة أن

يكمنوا لهما خلف صحن القصر وأمرهم أن يطعنوهما بالرماح حتى يموتا.

لبىٰ أبو عبدالله وأخوه الدعوة وذهبا إلى قصر المهدي وفي طريقهما إليه مرّا بالموضع الذي فيه الكمين فخرج عليهما فجأة وتبيّن أبو عبدالله وجه مهاجمه الشاهر سيفه فإذا به غزويّة فصاح به «لا تفعل يا ولدي!». فقال له غزويّة: «أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته وانخلعت له من الملك بعد توطئته»[1] ثم طعنه طعنة خرَّ منها صريعاً، وكأنما كان سراجاً فانطفأ. ثم أجهز الكمين علىٰ أخيه أبي العباس فقتلوه ووقعت به تسع عشرة طعنة وكان ذلك يوم الإثنين منتصف جمادي الآخرة ٢٥٨هـ /١٨/٢/٩١١م.

القضاء على الحركة الشيعية:

باغتيال أبي عبدالله وأخيه وجماعة من أصحاب أبي عبدالله يكون المهدي قد اغتال تلك الطليعة الواعية التي عملت على نشر التشيُّع في ربوع المغرب بكل إخلاص وعلى ترسيخ أهدافه في واقع البلاد وأرجائها وقضى على تلك المجموعة الرائدة التي رباها أبوعبدالله وراح يكشف القناع سافراً عن أهداف الحركة الإسماعيلية ويثبتها في الأذهان وينشر مذهبه الجديد بحد السيف ويبلور تعاليمه ويسيِّر الدعاة إلى مختلف المناطق يدعو الناس للدخول في المذهب الإسماعيلي[2] ويكرههم على اعتناقه بالقوة والعنف بعد أن خلا له الجو. المذهب الذي أُبْتنيَ أساسه على الفلسفة اليونانية والتصوف المسيحي. قال الإمام الحسن العسكري عليه السّلام: «يأتي زمان على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ ـ المقريزي، أحمدبن علي: أتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا، ١/١٥٠.

٢ ـ غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة، ص ١٦١، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

يشتغل علماؤها بالفلسفة والتصوف».

وهكذا أخذت البلاد ـ شيئاً فشيئاً ـ تنتقل من عهد إلى عهد وأخذ الكيان الذي بناه أبو عبدالله على الفقه والدين يتحول إلى كيان سياسي خاص يمكّن صاحبه من تحقيق أحلامه وطموحاته في الوصول إلى إنشاء خلافة إسماعيلية فاطمية قوية، وبالفعل بدأت هذه السياسة بجعل ولده أبي القاسم نزار ولياً للعهد وهو الذي كان كلما نظر إليه يقول:

مبارك الطلعة ميمونها   يصلح للدنيا وللدين

وبذلك أصبح الحكم ملكاً وراثياً إحتكره أبناؤه من بعده. ثم راح يغيّر معالم العهد الشيعي ويقضي على رموزه فاستبدل عمال الأقاليم برجال يأتمرون بأمره ويرتبطون به مباشرة كما استبدل قواد الجيش وفرسانه بمجموعة من رجاله وأنصار سلطته. بعد ذلك عمد إلى التخلي نهائياً عن السياسة المالية التي كان قد انتهجها أبو عبدالله وشعارها: ـ **لاخراج على أموال المسلمين ولا زكاة غير الزكاة التي فرضها القرآن** ـ والتي كانت ترفض كل ما يُجبىٰ من أموال إذا لم يكن مأخوذاً وفق أحكام الشريعة ومقتضياتها، فاستولى على الأموال واشتط في جمع الضرائب وتفنن في زيادتها فعمد إلى فرض ضرائب جديدة باهضة جداً لم تكن مقبولة خصوصاً بعد إتخاذه المظلة[1] التي لم يكن يتخذها إلا ملوك الروم بصقلية فصدم الناس بهذا السلوك وخاصة العلماء والأتقياء وأيقنوا عند ذلك أنه

١ . إختص عبيدالله المهدي وولي عهده بالمظلة وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر ظرف من الصناعة في الصياغة ونظم الأحجار الغالية ما يروق مرآه ويدهش من رآه يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال صاحب المظلة فيحاذي الملك من حيث كانت الشمس تقيه حرها بظلها.

ليس هو الإمام المهدي الحقيقي الذي دعاهم إليه أبو عبدالله والذي كانوا ينتظرونه ليحكم بشريعة جده النبي(ص) ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وإنما هو رجل لا تهمه العقيدة والشريعة بقدر ما يهمه توطيد الحكم وإقامة السلطان فبدأوا يتهيأون للتمرد والعصيان وإعلان الثورة في البلاد.(١)

إنتشار الثورات واشتدادها على المهدي

وكما هو متوقع فقد إنفجر الشعب وثار في طول البلاد وعرضها واكتسحت كتامة ثورات جارفة عبَّر فيها الكتاميون عن وفائهم لأبي عبدالله عن غضبهم على المهدي وعن استيائهم واستنكارهم للمجازر التي ارتكبها بحق قادتهم.

ثورة كتامة ومهاجمة ميلة:

وأول الثورات كانت تلك التي زحف فيها الكتاميون على مدينة **ميلة** فور معرفتهم بمقتل أبي عبدالله غير أن المهديّ قمعها بمنتهى الغلظة والقسوة إذ أخرج إليهم إبنه أبا القاسم لقتالهم بجيوش كثيرة فقاتلهم حتى هزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً.(٢) في ذي القعدة سنة ٢٩٩هـ / ٩١٢م.

وكتب إلى المهديّ بخبر الفتح... فأجابه وكتب إليه هذه الأبيات في آخر كتابه.

أتصبح في كتامةَ ذا انفرادٍ   تُقابِلُها قياماً في قيام

---

١ . بل. آلفرد: الفرق الإسلاميّة في الشمال الأفريقي، ص ١٦٤، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامية، طبعة ثانية، ١٩٨١م.

٢ المقريزي، أحمد بن علي: أتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمّة الفاطميين الخُلفا، ص ١٥١.

إذا مـا وقـعةٌ دارت رَحـاها ... بـجزمِ مـفاصلٍ وِفـلاق هـام[1]
أتت أُخـرىٰ تَـطُمُّ وتـعتليها ... يشـيبُ لهـو لهـا رأسُ الغـلام
وألـذَّ الحـياة بـخفض عَـيْشٍ ... مـعاذَ الله والشـهر الحـرام!
ولكـن التـجلّدَ لي خـدينٌ ... فسـنّي ضـاحك والقـلبُ دام
عسـىٰ الرحـمانُ يـجمعنا وشـيكا ... وقـد تـمّت لنـا رُتَبُ الكِـرام
فأنـقعَ غُـلّتي بك واشـتياقي ... إليك، بـحمدِ ذي المِـننِ الجِسـام[2]

ثورة تاهرت:

ثم ثار أهل تاهرت؛ فأخرج عبيدالله العساكر إليها في أعداد عظيمة فأخمدها، ووصل إلى المهدي كتاب من القائم وهو يحارب البربر بجهة تاهرت فبكى عند قراءته وأنشأ يقول:[3]

يـا وحشـتي للـغريب فـي البـلد النـازح مـاذا بـنفسه صَـنَعا؟
فـارق أحـبابَهُ فـما أنْـتَفعوا ... بـالعيشِ مـن بَـعْدِه ولا انـتفَعا

ثم كانت ثورة أهل الزاب وثورة أهل طرابلس وثورة أهل صقلية. وهكذا اشتعلت الثورات وتفجّرت في وجه المهديّ على امتداد البلاد كلها وانتشرت الفوضىٰ وقامت الفتن حتىٰ قيل إن المهديّ لم ينم طوال عشر سنوات إلّا على صهوة جواده.

وكتب عبيدالله إلى سعيد بن صالح صاحب مدينتي نكور وتمسيامان من بلاد المغرب يدعوه لطاعته، وكتب في أسفل كتابه:[4]

---

١. جزم المفاصل: قطعها. والفلاق مصدر فالق.
٢. اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٣
٣. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣١.
٤. اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٢.

فإن تستقيموا أستقِمْ لصلاحكُم
وإن تعدِلُوا عَنّي أرَ قَتلكُمْ عَدْلا
وأعلوا بسيفي قاهراً لسيوفكم
وأدْخُلها عَفْواً وأمْلَؤُها قَتْلا

وعلى الرغم من الإنتصارات السريعة والحاسمة التي أحرزها المهدي في إخماد جميع الثورات التي قام بها مناوؤه في كل مكان فقد أحس في قرارة نفسه بعدم الإطمئنان والخوف على مصيره وامتدت خشيته إلى رجاله المقربين، وأحسّ أنه ليس بين رعيّة وإنما تجاه خصوم وأن لن يستطيع السيطرة على أولئك الناس قط ولم يكن كذلك يستطيع الثقة المطلقة بالكتاميين بعد الذي فعله بأموالهم وبأبي عبدالله لذا فكر في تأسيس مدينة يعتصم فيها هو وآله وحشمه وأمواله وتكون مركزاً لعملياته الحربية والبحرية فكانت مدينة **المهدية** التي اختار لها مكاناً على الساحل الشرقي لتونس شمالي سوسة فجعلها العاصمة الحصينة لملكه واختار لها شبه جزيرة صخرية منعزلة على الساحل أشبه بالكف المتصل بالذراع أحاطها بالأسوار والأبواب الضخمة وشاد فيها المباني من الصخر وأمر أن تقام فيها دار لصناعة السفن ومخازن البحرية.... وعندما فرغ من بناء تلك القلعة واستقر فيها قال كلمته الشهيرة: «الآن أمنت على الفاطميات» يعني بناته.[١]

قطف الفاطميون ثمرة جهاد الشيعة الطويل في بلاد المغرب كما قطفها العباسيون من قبل في بلاد المشرق وأسسوا خلافة إسماعيلية فاطميّة، وهكذا أسدل الستار على الدولة الشيعية الإثنا عشرية والتي أسسها أبو عبدالله الشيعي في بلاد المغرب بعد ان عمرت حوالي ثمانية عشرة سنة من عمر الزمن بين إعداد وتنظيم وإقامة بُنيان ـ وكانت امتداداً لدولة الأدارسة الشيعية الاثنيْ عشرية ـ فقد

١ ـ زبيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٢٠٣.

ظل المذهب الشيعي بعدها حيّاً في نفوس أتباعه ومعتنقيه يمارسونه بتكتم وتقية وظل الناس يدينون به واتخذوا منه عقيدة لاتزال آثارها باقية عند العامة إلى اليوم.

وفي نهاية المطاف ـ والحقُّ يُقال ـ لنستمع إلى ما يقوله المؤرخ الإسماعيلي الدكتور عارف تامر: «ومهما يكن من أمر، فإن مقتل أبو عبدالله وضع المهدي وهو في بداية حكمه أمام تجربة قاسية، فقد كان عليه أن يكون أكثر تسامحاً مع رجل أخلص له، وضحّى في سبيله، فيكتفي بإبعاده أو سجنه مدة الزمن». ويضيف قائلاً: «رحم الله أبا عبدالله الشيعي، فقد كان من عظماء الرجال الذين انتهت حياتهم بمأساة تدمي القلوب»[١].

وتضيف عادلة علي الحمد وهي تتحدث عن عبيدالله المهدي منذ خروجه من «سلمية» حتى وصوله إلى سجلماسه وما شاهده من ترحيب الناس وإخلاصهم لأبي عبدالله الشيعي؛ قائلة: «شعر المهدي بخطورة موقفه في طرابلس، وأن العيون تترصده إذا ذهب إلى القيروان، لذلك قرر التوجه إلى سجلماسة على طريق قسطيلية، ومنها إلى نفوسة وسماطة ثم توزر التي أقاموا بها أياما، وخرجوا منها في اليوم الأول للعيد بعد صلاة العيد، ولقد سأل الاخوان المهدي المكوث لثاني يوم العيد فلم يوافقهم.

وفي توزر استطاع المهدي أن يعرف أثر دعوة أبي عبدالله الشيعي في نفوس الناس»[٢].

الدولة

الفاطميّة

دولة العبيديين بالمغرب الاقصىٰ

(٣٠٥ ـ ٤٢٧هـ)

ومن الدول العظيمة التي استولت على بلاد المغرب الاقصىٰ هذه الدولة المسماة أيضاً بالمهدية والفاطمية والعلوية. أما استيلائهم على بلاد المغرب الاقصىٰ فهو انه لما بايع الشيعة عبيدالله المهدي أول الخلفاء العبيديين، وتوطت قدمه سمت همته إلى تملك المغرب الاقصى فأغزاه قائده مصالة بن حبوس فزحف مصالة إلى المغرب الاقصى(٣٠٥هـ). ولما انتهى الى فاس خرج لحربه يحيى بن ادريس في جموع العرب والبربر فكانت الدائرة على يحيىٰ ثم أتى مصالة إلى فاس وحاصرها إلى أن صالحه يحيى على جزية سنويه والبيعة لعبيد الله المهدي. ثم ولى العبيديون على المغرب غيريحيي موسى بن أبي العافية فكان هو وأولاده من بعده عمالاً للعبيديين.[١]

لنعود إلى الوراء قليلاً... بعد أن انتقم عبيدالله المهدي من يهود سجلماسة لوشايتهم به، اتجه إلى مدينة رقّادة العاصمة الخاصة للأغالبة، فاتخذها عاصمة له سنة ٢٩٧هـ، وكان أهلها قد جلوا عنها، ففرق المهدي دورها على رجال كتامة جند الدولة الجديدة كذلك اقيمت الخطبة يوم الجمعة باسم الخليفة الجديد التي تلقب بالمهدي أميرالمؤمنين وضربت السكة باسمه كما أرسل عماله إلى جميع

---

١ . سَرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص ٣٦، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

انحاء البلاد بما في ذلك جزيرة صقلية وبذلك ينتهي الدور التأسيسي الأول للدولة الفاطمية.

على أن الدولة الفاطمية في ذلك الوقت كانت لاتزال مضطربة ناشئة وفي حاجة ماسة إلى استقرار وتدعيم وكان على الخليفة المهدي نفسه أن يقوم بهذه الأعمال.

وأول عمل في هذا السبيل قام به الخليفة المهدي (٢٩٧ ـ ٣٢٢هـ) هو اغتيال الداعي أبي عبدالله الشيعي سنة ٢٩٨هـ أي بعد عام واحد من نشأة الدولة الفاطمية. والسبب في ذلك يرجع إلى أن الخليفة الفاطمي كان يريد الاستئثار بالسلطان الذي تأسس باسمه، بينما كان الداعي يحاول الاستمرار في ادارة شؤون الدولة، ويؤدى ذلك قوله للمهدي:

«لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامه آمرهم وأنهاهم لأني عارف بعاداتهم، لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس». غير أن المهدي استمر في سياسة جمع السلطات في يده. وقد أثار هذا العمل غضب الداعي وأصحابه فأخذوا يتآمرون على قتل المهدي ويؤلبون الناس ضده. يروي المقريزي أن أبا العباس شقيق الداعي أخذ يؤنب أخاه بقوله: «ملكت أمراً فجئت بمن أزالك عنه». ثم أخذ يدعو الناس لعصيان المهدي ويقول لهم «إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأن المهدي يختم **بالحجة** ويأتي بالآيات الباهرة». وقد تأثر بعض الناس بقوله حتى ان شيخاً من كتامه دخل على المهدي وقال له: «إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك»، فقتله المهدي في الحال. ثم علم المهدي من جواسيسه أن الداعي وأصحابه يتآمرون على قتله فصمم على التخلص منهم وأخذ في توزيع المتآمرين على الولايات المختلفة وارسل سراً إلى عمال تلك

الولايات بقتلهم بمجرد وصولهم. اما الداعي وأخوه أبو العباس فقد وضع لهما من قتلهما وهما في طريقهما إلى القصر الخليفي. ويقال إن الداعي قال للـقاتل: «لا تفعل يا بني» فأجابه: «إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك».

وكان لقتل الداعي وقع سيء في نفوس رجال كتامه وأصحاب الداعي فقاموا بثورة ضد المهدي، فخرج إليهم الخليفة الفاطمي وحاربهم وخضعت كتامة من جديد.[١]

أما العمل الثاني الذي قام به الخليفة المهدي لتدعيم اركان الدولة الفاطمية فهو بناء العاصمة **المهدية**. والسبب في ذلك يرجع الى شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون فيه اذا ما تغيرت عليهم نفوس رعاياهم خصوصاً وأن مدينة رقادة كانت تقع في وسط سهل فسيح لا يفي بالأغراض الدفاعية اللازمة. وبنى المهدي عاصمته الجديدة على شاطيء البحر مباشرة بالقرب من تونس وذلك لأنه رأىٰ أن نفوذ الفاطميين في داخل البلاد لا يزال ضعيفاً وأن لابد من أن يعتمد على أسطوله القوي لحماية العاصمة وتموينها من جهة البحر إبان الأزمات.

وانتقل إليها المهدي من رقادة التي كانت مقر الدولة الأغلبية، منذ بناها ابراهيم الاصغر سنة ٢٦٤. ومنذ خلفت المهدية رقادة صارت مقر الدولة ومركز السلطان، وبقيت محتفظة بهذه الصفة إلى أن حلت محلها مدينة تونس في عهده الموحدين.

وقد كان طبيعياً أن يفكر المهدي في بناء مدينة كهذه المدينة، لا لما جرت عليه عادة الدول الجديدة من استحداث قواعد لها غير قواعد أسلافها، فحسب، باعتبار ذلك مظهراً من مظاهر السلطان، بل لأن تطور الحياة الاسلامية كان من

---

١ ـ العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٠، دار النهضة العربية، بيروت.

شأنه أن يدعو المهدي إلى إنشاء مدينة تكون أكثر تحقيقاً لأغراضه، وتجاوباً مع حاجاته، من المدن الداخلية التي جرى المسلمون من قبل على إنشائها كالقيروان ورقادة في أفريقية.

وقد احتفل المهدي لهذه المدينة، وعني بها عناية كبرى، منذ أول أمرها إلى غايته، منذ اختيار مكانها سنة ٣٠٠ هـ والإنتقال إليها سنة ٣٠٨هـ وقد استطاع في هذه السنوات الخمس أو الثمان أن يجعل منها مكاناً حصيناً، وأن يهيئها لتكون عاصمة ذلك الملك الواسع، وأن يوفر لها من أسباب الحياة ومظاهر الحضارة ما يفي بتطلعه ويلائم مطامحه[١].

وممّا استحسن في تهنئة المهديّ بعمارة المهديّة قول ابن بديل الكاتب[٢]:

بُــنِيتْ لدىٰ أقــصى المغارب دارٌ قــطَنَت بــها الأحــرارُ والأبــرارُ
لاذت بــبردِ المــاء لمّــا أن درَت أنّ القــلوبَ عــلى الحسـين حِرارُ

وكذلك قال بعض شعراء إفريقية مهنّئاً المهديّ بسكنى المهديّة سنة ٣٠٨:[٣]

لِـــيَهْنَكَ أيُّـــها المَــلِكُ الهــمامُ قـــدومٌ فـــيهِ للـدَّهْرِ ابْـتسامُ
حَـطَطْتَ الرَّحـلَ فـي بـلدٍ كـريمٍ رَعَـــتْهُ لَكَ المـــلائِكةُ الكـرامُ
لَـئِنْ عَـظُمَ الحَـرامُ ومـا يـليه كـما عَـظُمَتْ مشـاهدُهُ العِـظامُ
لَـقَدْ عـظُمَتْ بأرضِ الغَـرب دارٌ بـها الصَّـلواتُ تُـقبَلُ والصِّـيامُ
هِـيَ المَـهديّةُ الحَـرَمُ المُـوَقّىٰ كــما بِـتهامَةَ البَـلَدُ الحَـرامُ

١ . الحاجري، الدكتور محمد طه: مرحلة التشيُّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية، ص ١٠، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

٢ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٣٥.

٣ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٧٣.

كأنَّ مـقامَ إبـراهـيمَ فـيه ثـرى قـدَمَيْكَ إن عُـدِمَ المَـقامُ
وإنْ لَـثَمَ الحـجيجُ الرُّكـنَ أضحى لنـا بـعِراصِ قَـصْرِكُمُ ٱلتـثامُ
لئـنْ شـابَ الزّمـانُ وشـاب مُـلكٌ دَعـائِمُهُ إذا عُـجِمَتْ حُـطامُ
لَـمُلكُكَ أيُّـها المَـهديُّ مُـلكٌ غُـلامٌ، والزّمـانُ بـهِ غُـلامُ
لك الدُّنـيا ونَسْـلِكَ حـيثُ كـنتم فكـلُّكُمُ لَـها أبَـداً إمـام

الخليفة الأول:

عُبيدُ الله المهدي

ولد عبيدالله في «سلمية» سنة ٢٥٩هـ، ومات ودفن في المهدية سنة ٣٢٢هـ فيكون قد عمّر ثلاثة وستون عاماً. أما مدة خلافته فخمسة وعشرين عاماً تبدأ من سنة ٢٩٧هـ و تنتهي سنة ٣٢٢هـ.

كان فصيح اللسان، يمتلك قدرة عجيبة على الإقناع، مهيب الطلعة، يؤثر في السامع، محباً لعمل الخير، جريئاً بهدوء، لا يعرف التردد، مغرماً بالقراءة والتزود من العلم، واقتناء الكتب وتربية الخيول والصيد...[1]

بويع عبيدالله المهديّ بالخلافة في ربيع الثاني سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م، فأنشده الشعراء، ومنهم سعدون الورجيني:

قـفْ بـالمطِيّ عـلى مَرابِـع دُور لِبستْ معـالِمُهُنَّ ثـوبَ دُثُـورِ
أعـنِ ابْـنِ فـاطمةٍ تـصُدّين امْـرءاً
بـنتِ النّـبي وَعِـتْرَةِ التَّـطْهيرِ؟
كُـفّي عـن التَّـثْبيطِ إنّـي زائـرٌ
مِـنْ أهـلِ بَـنْتِ الوَحـي خـيرَ مُـزُورِ
هـذا أمـيرُ المـؤمنين تَـضَعْضَعَتْ
لِـقُدُومِه أرْكـانُ كـلِّ أمـيرِ

---

١. تامر، الدكتور عارف: عُبيدالله المهدي، ص ٤٢.

هـذا الإمـامُ الفـاطميُّ، ومَـنْ بـه
أمِـنتْ مـغاربُها مِـنَ المـحذُور
والشـرقُ ليس لشـامِه وعـراقـه
مـنْ مَـهْرَبٍ مـن جـيشهِ المـنصورِ
حـتىٰ يـفوزَ مـن الخـلافة بـالمُنىٰ
ويُـفازَ مِـنْهُ بِـعَدْلِهِ المـنشور(١)

يعتبر الإسماعيليون المستعليون «البهرة» بفرعيهم السليماني والداؤدي وهكذا الدروز ـ عبيدالله المهدي ـ إماماً مستودعاً وهذا الإصطلاح يعطي تفسيراً بأنه كان إماماً وكيلاً أو وصيّاً أو نائباً للإمام الأصيل لفترة زمنية محدودة، وليس له صلاحية توريث الإمامة لأحد من أولاده، فمثله كمثل «الحسن بن علي».

بينما يعتبره الإسماعيليون النزاريون إماماً «مستقراً» وصاحب نص ثابت فهو «كالحسين بن علي» له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختياره عليه من أولاده.(٢)

الخليفة الثاني:

القائم بأمر الله

توفي أبو محمد عبيدالله المهدي بالمهدية، ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م. فاستلم أمور الخلافة مكانه ولده محمد (أبو القاسم)، وأخفى موته سنة خوفا من ان ينقلب الناس ضده اذا علموا بموت والده ولما تمكّن من تثبيت يده في الحكم، أظهر وفاة والده، وتلقب بلقب «القائم بأمر الله»[١].

ولد القائم بأمر الله ابن عبيدالله المهدي في محرم سنة ٢٨٠ هجرية بالسلمية، وارتحل مع أبيه محمد المهدي إلى المغرب وعهد اليه بالامامة من بعده حسب الأصول الاسماعيلية، فاقتفى إثر أبيه وخطا خطاه ونهج نهجه، وعمل جاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الاسماعيلية وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الاسماعيلية فشكل اسطولاً عظيماً تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الاسماعيلية وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب، واحتل الاسطول الاسماعيلي (جنوه) و(لونبارتي) و(غرناطة) وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم، كما فتح الاسماعيلية جزيرة (صقليا).

رغب القائم بأمر الله بأن يتوسع في المغرب الاقصى ليتمكن من القضاء

---

١ . رزق الله أيوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي السياسي، ص ٢٧، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

على الثورات الداخلية التي كان قد أشعلها أذناب وبقايا فلول العباسيين والامويين المتوارين عن الانظار، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة (ميسور الفتى) لغزو المغرب الاقصى، فوصل إلى (فاس) وإلى (تكرور) وأرسى جيشاً بحرياً بقيادة (يعقوب بن اسحق) لغزو بلاد الروم، كما سيّر جيشاً آخر بقيادة (زيدان) إلى مصر، فدخلوا الاسكندرية وتقابلوا مع جيش الاخشيدي.(١)

وقال القائم بأمر الله وهو مقيم بأرض مصر:

طَرِبتُ، ولم أطـرَبْ إلىٰ الخُـرَّدِ العُـرُبْ
وما الهزلُ من شأني، ولا اللهوُ لي أرَبْ(٢)
فـيا مُـعرضاً عـنّي، وليس بـمُنصِفي
وقـد ظـهرَ الحـقُّ المـبينُ لمَـنْ رَغِبْ
ألم تـرني بِـعت الرفـاهة بـالسُّرَىٰ
وقـمتُ بـدين الله حـقّاً كـما يـجِبْ!
ألا إنّ حدّ السـيفِ أشـفىٰ لذي الوصَبْ
وأبلغُ مـن رجـعِ الرسـائلِ والكُـتبْ(٣)

---

١ ـ غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٧٠، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية.

٢ ـ الخُرَّد: ج الخريدة وهي الحسناء البكر. والعُرُب ج العَرُوب: المرأة المتحبّبة إلى زوجها وأيضاً البكر كما في القرآن: «فجعلناهُنّ أبكاراً عُرُباً أترابا» الواقعة ـ الآية ٣٧. والبيت يشبه معنىً ومبنى بيت الكميت مادح آل البيت:
ضـربتُ، ومـا شـوقاً إلى البـيض أطـرَبُ
ولا لعـباً مـنّي، وذو الشـيب يـلعبُ؟

٣ ـ الوصَبُ: الوجعُ والمرضُ والتعبُ.

وأقْضى لحاجِ النفس في كلّ موطنٍ

وأحرى بردّ الحقّ يوماً لدى الطلبْ[١]

أيا أهلَ شرق الله زالت حلومُكمْ

أم اختُدِعَتْ من قلّةِ الفهم والأدب!

فويحاً لكم، خالفتُمُ الحقَّ والهُدَىٰ

ومن حادَ عن أُمّ الهدايةِ لَمْ يُصِب

صلاتُكُمْ مَعْ مَنْ؟ وَحجُّكُمْ بِمَنْ؟

وغزوُكُمْ فيمنْ؟ أجيبُوا بلا كذِبْ!

صلاتكُمْ، والحجُّ، والغزوُ، وَيْلَكُمْ!

بشُرّابِ خمرٍ عاكفينَ على الريَبْ!

أفكّرُ في أفعالكُم وأموركم

وفي دونِ ما عينتُه أعجبُ العَجب!

أبعدَ نبيّ الله، ثمّ ابنِ عمّهِ،

وسبطَيْهِ، والهادينَ، والسادة النُجُبْ

يكون إمامَ المسلمين ورأسَهُم

وقيّم دينِ الله في أرضِه، شَغَبْ؟[٢]

رسالة القائم إلى مؤنس المظفّري:

«باسم الله الرحمان الرحيم.من أبي القاسم محمد وليّ عهد المسلمين ابن الإمام أبي محمد عبدالله المهديّ بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إلى مؤنس.(١)

«سلام على مَن اتّبع الهدى. فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إلاه إلا هو وأسأله أن يصلّي على محمد رسوله(ص).

«أمّا بعد، فإنّه وصلني كتابك، وترجمته من مؤنس مولى أميرالمؤمنين، وتذكر ما اختصّ الله ـ عزّ وجلّ ـ به ولدَ العبّاس رحمة الله عليه، من خلافته في أرضه وأمانة عباده، وتمكنيه لهم، وأنّه يلزمني الائتمامُ بهم، والدخولُ في طاعتهم، وتسكينُ الدماء، ولمُّ الشَّعْث، وتركُ إيقاعِ الفرقة وإثارةِ الفتنة، وما بذلتَه ورغّبتني فيه من الأموال والإقطاعات من الناحية التي أنا فيها إن دخلتُ في جملتهم، ووصفتَه من وفور جيشِك، وكثرة جموعك، وتُوعدني باللقاء والمقارعة إن أبَيْتُ ذلك، وفهمتُه.

«فأمّا الخلافة، فما جعل الله ـ عزّوجل ـ للعبّاس بن عبدالمطلب فيها حظّاً، وما هو منها في شيءٍ لأنه ليس من المهاجرين، ولا من العَشَرة الذين تُوُفّي رسول الله(ص) وهو عنهم راضٍ، ولا أُدخِلَ في الشورىٰ، ولا التمَسَها لنفسه في وقتٍ من الأوقات.

«وإنّما خصّ الله بها أميرالمؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب، وامتُحن بها من بعد

---

١ . مؤنس الخادم هو القائد التركي الذي جهزّه خلفاء بغداد للتصدّي للقائم. وقد نجحت مقاومته للجيش الفاطميّ فاضطرّ القائم إلى الرجوع إلى إفريقية. فسمّيّ مؤنس «المظفريّ» لذلك

رسول الله، صلّى الله عليهما، رفعا لدرجته في جنّات النعيم، فصبَر ـ صلّى الله عليه ـ على مضض الأمور، ابتغاءً لما يبقى في الدّار التي لا تبيد ولا تفنى، وصارت لولده من بعده فكانوا أحقّ بها وأهلَها فغصبَهم بنو أميّة الكفَرةُ الفجَرةُ، الشجرةُ الخبيثةُ الملعونةُ في القرآن، ثمّ بنو العبّاس، رضوان الله عليه العبّاس، من بعدهم، فأطفأوا نور الله وبدّلوا الحقّ بالباطل، وكانوا مثل الملوك الذي عتوا في الأرض من قديم الدهر، وجعلوا الملك ميراثاً، فأملى لهم الله ـ عزّ وجلّ ـ المدّة ليستدرجهم، ثمّ إنّه ينتقم منهم ويأخذهم، وهو فاعلٌ ذلك ومهلكٌ آخرَهم كما أهلك أوّلهم، ورادُّ الحقّ إلى أهله «إنّ الذين يُحادّون الله ورَسُولَهُ أوْلائك في الأذلّين، كَتَبَ اللهُ لأغلِبَنَّ أنا وَرُسُلي، إن الله قويٌّ عزيز».(١)

«وأمّا ما بذلته من المال والأمان والإقطاع فما آتاني اللهُ خيرٌ ممّا آتاكُمْ بَلْ أنتم بهديّتكُمْ تفرحُونَ».(٢)

خطبة القائم في عيد الفطر سنة ٣٠٢هـ بالإسكندرية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الله أكبر! الله أكبر! لا إلاه إلا الله. والله أكبر! الله أكبر! لا حكم إلّا لله. لا طاعة لمن عصىٰ الله. ألا «لعنةُ الله على الظالمين الذين يَصُدُّون عن سبيل الله ويبغونها عِوجاً». «ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس».

«الحمدلله الخلّاق العليم، المدّبر الحكيم، الذي لَهُ مقاليد السّموات والأرض وهوَ على كلّ شيء قديرٌ..

. . . .

إلى أن يقول: «يا أيّها الناس، إنّكم أصبحتم في عمياءَ مظلمة، وسوداء مدلهمّة، غامرة بفتنة تنقلكم إلى فتنة. قد أضلّتكم بأضاليها المبتدعة وشمَلتكم بأكنافها المهلكة، فأنتم عائمون في غواشيها مغرقون في مباديها، قد غُلِّقت عليكم أبوابُها، وعمَيت عليكم أسبابُها، فأعلام دينكم طامسة، وآثار نبيّكم دارسة، والمنكر فيكم ظاهر، والمعروف فيكم داثر، فأين تذهبون؟ إلى الجحيم لا محالة تُسحَبون، أَفَمُثابونَ أنتم أمْ مُعَذَبُون؟ أشكَرتُم لله نعمتَه، لأنها حُجّتُه عليكم، ما استحفظكم من أمر دينه والذبّ عن حرم نبيّه صلى الله عليه وعلى آله، الذي استنقذكم من الهلكة؟

. . . .

«اللهمّ أنصر جيوشنا وسرايانا في مشارق الأرض ومغاربها، وبرّها وبحرها، وسهلها وجبلها. اللهمّ ألعن أعداءك وأهلَ معاصيك من الأوّلين والآخرين، وقومَ نوحٍ في العالَمين، إنّهم كانوا قوماً فاسقين، وعاداً وثموداً

وأصحاب الرسّ[١]، وجبابرة بني أميّة وبني مروان، ومعاوية بن أبي سفيان الذي اتّخذ من عبادك نصيباً مفروضاً بالدنانير والدراهم وقاتل بهم المهاجرين والأنصار، والعن عمروبن العاص وعتبة بن أبي سفيان[٢]، والوليد بن عتبة[٣]، والوليدبن أبي مُعَيْط[٤]، والوزغ ابن الوزغ ـ يعني مروان بن الحكم ـ والمغيرة بن شعبة، وزياد بن سميّة[٥]، وعبيدالله بن زياد، والسلميّ[٦]، وذا الكلاع[٧]، وحوشبا[٨]، والأشعث بن قيس[٩]، وعبدالملك بن مروان، والحجّاج بن يوسف، وعبدالرحمان بن ملجم والناكثين والقاسطين، والمارقين والمخالفين والمبتدعين، والمرجئين والقاعدين عن الجهاد مع أميرالمؤمنين، اللهمّ أنصر الحقّ وطلّابه، وأذلّ الباطل وأحزابه، إنك أنت العزيز الحكيم».[١٠]

مقتطفات من أشعاره[١١] ـ القائم بأمر الله ـ بوادي صلاف قرب تاهرت في

---

١ . أصحاب الرسّ ـ والرسّ هو البئر ـ: هم القوم الكافرون الذين كذّبوا شعيباً.
٢ . عتبة بن أبي سفيان: ممّن شهدوا يوم الجمل مع عائشة وصفّين مع معاوية. وهو أخوه.
٣ . الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ولي المدينة لمعاوية عمّه وليزيد بن معاوية. وكان يضايق الحسين بن علي. وقد يكون الوليد بن عتبة بن ربيعة الذي قتله عليّ يوم بدر وهو خال معاوية.
٤ . الوليد [بن عقبة] بن أبي معيط: أخو عثمان بن عفّان لأمّه. كان سكّيراً مستهتراً بالدين. وكان ممّن يطالب بدم عثمان ويشتم عليّاً.
٥ . هو زياد بن أبيه أمير العراق، وقاتل حجربن عديّ.
٦ . السلميّ هو أبو الأعور عمروبن سفيان، من العبشمية الذين شاركوا في صفين ضدّ عليّ.
٧ . ذو الكلاع: أبو شراحيل الحميريّ. كان مع معاوية في وقعة صفّين، وفيها قُتل.
٨ . حوشب، بن طخمة الألهاني: كان أيضاً مع معاويه يوم صفين.
٩ . الأشعث بن قيس الكنديّ: حرّض عبدالرحمن بن ملجم في قتل عليّ.
١٠ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٨٨.
١١ . اليعلاوي، محمد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٩٥.

شهر ربيع الأوّل سنة ٣١٦/٩٢٨م:

سلام على آل النبيّ ورهطه
وشيعته أهلِ النُّهىٰ والفضائل
تحيّةَ من أمسىٰ بتاهِرتَ قائماً
بحقّهمُ بين الملا والقبائل
قبائل من تَيْمٍ وقيسٍ وخِندفٍ
ومن يَمَنٍ في عزّها المتطاول
وفتيانِ صدقٍ من ذُؤابة هاشمٍ
أتَوْني ببيضٍ مُرهفاتٍ قواصل
أنا ابنُ رسولِ الله جديّ وجدُّهَمَ
إذا ذُكِرَ الأقوامُ عند التفاضل
أنا ابن رسول الله والبيتِ والصفيّ
أنا ابن عليّ ذي التقىٰ والفضائل
وفاطمةُ الزهراء أمّي ومَنْ بها
سموتُ إلى العلياء أعلىٰ المنازل
ذكرتُ حُسيناً فاستهلّت مدامعي
وقلت: فإنّي لست أنسىٰ أوائلي

وازدهرت بعهد القائم الدعوة الاسماعيلية وانتشرت دعاتها في جميع الأقطار، وتبع منهم دعاة أقوياء وكتّاب عظماء كان لهم أكبر الأثر في انتشار الدعوة في ذلك العصر نذكر منهم:

الداعي الكبير ابو حاتم الرازي:

كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان واذربيجان، وقد استطاع أن يدخل امير الري في المذهب الاسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله. وله مؤلفات منها:

١ ـ «كتاب الزينة» في الفقه والفلسفة الاسماعيلية.

٢ ـ «اعلام النبوة» كتاب يبحث في الفلسفة الاسماعيلية.

٣ ـ «الاصلاح» يبحث في التأويل.

٤ ـ «الجامع» كتاب في الفقه الاسماعيلي.

وتوفي هذا الداعي سنة ٣٢٤ هجرية.

الداعي عبدالله بن احمد النسفي:

كان كبير دعاة خراسان وتركستان، اشتهر في تعمقه بدراسة فلسفة المذهب الاسماعيلي ومن أشهر مؤلفاته:

١ ـ كتاب «المحصول» في الفلسفة الاسماعيلية.

٢ ـ «كون العالم».

٣ ـ كتاب «الدعوة الناجية».

٤ ـ كتاب «اصول الشرع» يبحث في الفقه الاسماعيلي وفلسفة ماوراء الطبيعة.

توفي هذا الداعي سنة ٣٣١ هـ.

الداعي ابو يعقوب بن اسحاق بن احمد السجستاني:[١]

كان من أشهر الدعاة الاسماعيلية ومن أعظم علماء المذهب الاسماعيلي.

---

١ . غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ١٧٣ .

له مؤلفات كثيرة منها:

١ ـ اساس الدعوة.

٢ ـ كشف المحجوب.

٣ ـ تأويل الشريعة.

٤ ـ أسس البقاء.

٥ ـ الافتخار.

٦ ـ اثبات النبوة.

٧ ـ تحفة المستجيبين.

٨ ـ الينابيع.

٩ ـ سلم النجاة.

١٠ ـ المحصول.

١١ ـ العقاليد في مثال الأمر.

١٢ ـ مسليات الاحزان.

١٣ ـ الوعظ.

١٤ ـ خزانة الادلة.

١٥ ـ الكتاب القريب في مثال الكثير.

١٦ ـ تألف الارواح.

الخليفة الثالث:

المنصور بالله

ولد المنصور بالله اسماعيل في القيروان سنة ٣٠٢هـ تسلم شؤون الامامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤ هـ. وكان سياسياً عظيماً ومحارباً قديراً وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم.

مدحه الشاعر أيّوب بن إبراهيم عند إعلان تولّيه الخلافة:[١]

يا أبنَ الإمام المرتضى، وأبنَ الوصيّ المصطفى، وأبنَ النبيِّ المُرسلِ

اللهُ أعطاكَ الخلافة واهباً ورآك للإسلام أمنع معقِلِ

تلك الخلافةُ، وهي أعظمُ رتبةٍ نيلت، وليست من عُلاك بأفضلِ

في عهده تقدمت الدولة الاسماعيلية تقدماً كبيراً في مختلف النواحي، وقضى على جميع الثورات الداخلية في البلاد، فاستتب له الأمر، وانتشرت دعوته في كل من (صفاقص) و(تونس) و(قابس)، واحتلت جيوشه جزيرة صقلية بكاملها.[٢]

---

١ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ١٤٤.

٢ غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيلية، ص ١٧٥

الخليفة الرابع:

المعزّ لدين الله

توفي المنصور بنصر الله ابو الطاهر اسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيدالله المهدي نهاية شوال سنة ٣٤١هـ / ٩٥٣م، عن عمر بلغ تسعاً وثلاثين سنة. وقد قضى في خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً، وكان عَهَدَ قبل وفاته بالخلافة إلى ابنه معد (المعز لدين الله)، ودفن في قصرهِ. ولم يُعلن ولده المعز لدين الله خبر وفاته قبل السابع من ذي الحجة، حين اذن للناس، فدخلوا عليه، وسلّموا عليه بالخلافة، وله من العمر أربع وعشرين سنة.[١]

يُنسبُ إليه من الشعر قولُه:[٢]

أطلع الحسنُ من جبينك شمساً
فوق وردٍ في وجنَتيك أطلاَّ

وكأنَّ الجمالَ خافَ على الوَرْ
دِجَفافاً، فَمدَّ بالشَّعر ظلَّا

وفي عهد المعزّ لدين الله فُتحت مصر إذ سار إليها القائد جوهر فدخلها يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة ٣٥٨هـ بعد العصر وأناخ في موضع القاهرة الآن واختط موضع القصر.

واستمر دخول الجيش مدة سبعة أيام فاستقرت به الدار وجاءته الهدايا فلم

---

١ . ايوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي السياسي، ص ٣٢.

٢ . اليعلاوي، محمّد: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص ٢٥٥.

يقبل من أحد شيئاً، ووزع الصدقة على المستورين والفقراء وخطب في الجامع العتيد باسم الخليفة المعز وأمر ببناء مدينة القاهرة وضرب النقود باسم الخليفة المعز. وخصص يوم السبت من كل اسبوع لينظر في المظالم بنفسه وارسل يخبر الخليفة المعز بفتح مصر فوصلت البشارة إلى المغرب في نصف رمضان سنة ٣٥٨ هجرية فسر الخليفة سروراً عظيماً وأقيمت الافراح في جميع البلاد[١] وأنشد الشاعر ابن هانيء الاندلسي فقال:[٢]

تقول بنو العباس هل فتحت مصرُ
فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وقد جاوز الاسكندرية جوهر
تُطالعه البشرىٰ ويقدمُه النصر

والقصة بدأت من هنا حيث تطلع الخلفاء الفاطميون منذ قيام دولتهم في المغرب إلى توجيه أنظارهم إلى مصر لثرائها، وأهمية موقعها الجغرافي سياسياً وحربياً، خصوصاً وأن ولاة هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام والحجاز، فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين.

شرع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ) (٩٥٢ ـ ٩٧٥م) قبل اعداد جيوشه لفتح مصر، في نشر الدعوة الفاطمية فيها على نطاق واسع، وخاصة بعد أن أحسن كافور استقبال الدعاة الفاطميين الذين وفدوا عليه من قبل المعز، يدعونه إلى طاعته، ومال إلى المذهب الفاطمي الكثير من الكتّاب والجنود الاخشيدية والكافورية، على أن كافور راوغ في الاجابة، ولم يعط رسل المعز

---

١ ـ غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيلية، ص ١٨٧.
٢ ـ الحاجري، الدكتور محمد طه: مرحلة التشيُّع في المغرب العربي، ص ١٢٠.

إجابة شافية رغم ترحيبه بهم.

صار في مصر عدد غير قليل من أولي الرأي يرسلون بكتبهم إلى المعز ويدعونه لفتح مصر، ولم تلبث أن ساءت أحوال مصر بعد وفاة كافور سنة (٣٥٧هـ /٩٦٩م)، فقد انتشرت الفوضى، وتعددت الفتن، واضطربت الاسعار وتعذر وجود الأقوات وهلك الضعيف من الناس، وأكلوا الميتة، وكتبت جماعة من الاخشيدية، ووجوه البلد إلى المعز لدين الله، يطلبون اليه التقدم نحو مصر ليتسلمها، وضمنوا له المساعدة على أن يملك البلد بغير حرب ولا قتال.

وهكذا تهيأت الفرصة تماماً لنجاح الحملة على يد جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، الذي توجه إلى مصر على رأس جيش قوامه نحو مائة الف فارس في ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، والاستيلاء على مصر.

شرع جوهر الصقلي في بناء مدينة القاهرة، وتأسيس الجامع الأزهر، وتشييد قصر الخلافة وبدأ في إرساء قواعد الحكم الفاطمي في مصر، حيث أمر باحلال الدعوة للخليفة المعز محل الدعوة للخلفاء العباسيين في المساجد، كما ضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي، ومنع الناس من لبس السواد شعار العباسيين، وبعث بالبشارة إلى الخليفة المعز لدين الله، وصار يحثه على الرحيل إلى مصر[١].

لما عزم المعز على الرحيل إلى مصر، أجال فكره فيمن يخلفه في المغرب ممن يتوافر فيه صدق التشيع، ورسوخ القدم في الدراية بأمور هذا الأقليم، مع أنه كان يدرك أن نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب لن يدوم طويلاً لما كان يعرفه من شدة مراس البربر، وطبيعتهم الثورية.

---

١ . خضيري أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٢٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى.

وقع اختيار المعز أولا على جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي، وأسرّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب، بيد أن جعفر اشترط لقبول هذا المنصب شروطاً تجعله شبه مستقل عن مصر، فيقول للمعز: «تترك معي أحد أولادك، أو أحد اخواتك جالساً في القصر، وأنا أدبر وأعمل، وكأني أطالع من يأمرني ليتم أمري... ولا تسألني عن شيء من الأموال إذ كان ما أجبيه بازاء ما أنفقه.. واذا أردت أمراً فعلته، دون أن أنتظر ورود أمرك فيه، لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي»، فأجابه المعز غاضباً بقوله: «يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري، واستبددت بالأعمال والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك. ويستدعي الخليفه المعز بعد ذلك بلكين بن زيرى أحد رجالات الدولة من صنهاجه، وقال له: «تأهب لخلافة المغرب»، فاستعظم بلكين ذلك وقال: «يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله(ص)، ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي، وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح!! فلم يزل به المعز حتى أجاب.

خلع المعز على بلكين خلعته التي كانت عليه، ونزع سيفه فقلده إياه بيده، وسماه اسماً عربياً هو «يوسف» وكناه كنية عسكرية «أبو الفتوح»، ولقباً ملكياً هو سيف الدولة.كما أهداه أجمل خيوله، وألبسه زى قائد الجند، وقلده بسلاسل ذهبية دليلاً على التقدير السامي، وعلامة للتبعية، وكتب له سجلاً وأمر الناس بالسمع له والطاعة وأصبح منذ ذلك الحين نائباً للفاطميين في حكم بلاد المغرب وامتداداً لهم ضد زناته والخلافة الأموية في الأندلس[1].

وصل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله القاهرة في رمضان سنة ٣٦٢هـ /٩٧٣م واصبحت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية بدلاً من القيروان والمهدية.[١]

ويقال: إن جوهر لما بنىٰ القصور، وأدار عليها السور سماها: «المنصورية»، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها «القاهرة». ويقال في سبب تسميتها بالقاهرة: أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين، وعرَّفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند، وأمرهم باختيار طالع لوضع الأساس، بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم، فاختاروا طالعا لحفر السور، وطالعا لابتداء وضع الحجارة في الأساس، وجعلوا بدائر السور قوائم من خشب، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وقالوا للعمال: «إذا تحركت الأجراس أرموا ما بأيديكم من الطين والحجارة».

فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال المعلق بها الأجراس، فتحركت كلها، وظن العمال أن المنجمين حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا، فصاح المنجمون: «القاهرة في الطالع».

فمضىٰ ذلك وفاتهم ما قصدوه.[٢]

وقيل:

إنما سميت «القاهرة» لأنها تقهر كل من شذّ عنها، أو حاول الخروج على

---

١ . المصدر السابق.

٢ . المقريزي، تقي الدين أحمدبن علي: إتّعاظُ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١٨٥/١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

صاحبها، وليس بعيداً أن يكون اسم «القاهرة» مأخوذ من قول «المعز لدين الله» «لجوهر» في رسالته إليه عندما علم بوصوله إلى «الفسطاط»: «ابنِ مدينة وسمها «القاهرة» لأني سأقهر بها بني العباس».

وقيل سميت «القاهرة» لأن حروفها بحساب «الجُمل» يأتي مطابقاً لتاريخ تسلم الخليفة «المعز لدين الله» شؤون الخلافة الفاطمية وهي سنة ٣٤٢هـ فتكون هكذا:[١]

ا	ل	ق	ا	هـ	ر	هـ
١	٣٠	١٠٠	١	٥	٢٠٠	٥

ويقال: ان المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس وهو قاهر الفلك. فسموها «القاهرة».

١ ـ تامر، عارف: المُعزّ لدين الله، ص ٨٣، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م / ١٤٠٠هـ.

القاضي النعمان بن أبي عبدالله التميمي:

توفي القاضي النعمان في شهر جمادي الآخر سنة ٣٦٣ هجرية وصلّىٰ عليه الخليفة المُعزّ لدين الله.[1]

شارك القاضي النعمان في الدعوة الفاطمية في مهدها بالمغرب، وقام بتأصيل اصولها حتى أصبحت الدعوة تعتمد على النشاط الفكري للقاضي بقدر اعتمادها على النشاط السياسي للخلفاء الفاطميين.

ولدوره البارز في الدفاع عن حريم التشيّع اعتبرته المصادر الشيعية إمامياً إثنا عشرياً، بالرغم من كثرة مؤلفاته التي تعتبر مصدر عطاء للمذهب الاسماعيلي، ولا يزال أتباع المذهب الاسماعيلي يعبّرون عنه بألفاظ التجليل التي لا يصفون غيره بها، كألفاظ «سيّدنا الأوحد» و«القاضي الأجل» و«سيّدنا القاضي».

إماميّته:

ذهب جمع من أعلام الشيعة إلى أن النعمان كان إمامياً على مذهب الشيعة الاثنىٰ عشرية، وأنه تسترّ بالتقية في خدمته للفاطميين، وأظهر كونه إسماعلياً خوفاً من بطشهم.

ويعتبر العلّامة المجلسي (ت/١١١١هـ) أول من أبدى هذه الفكرة وتبعه جمع من الأعلام، قال ما نصّه: «كان مالكياً أولاً ثم اهتدىٰ وصار إمامياً، وأخبار كتابه [دعائم الاسلام] موافقة لما في كتبنا المشهورة، لكن لم يرو عن الائمة بعد الصادق عليه السّلام خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية وتحت ستر التقية أظهر الحق

---

١. غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الاسماعيلية، ص ١٩٩.

لمن نظر فيه متعمّقا وأخباره تصلح للتأييد والتأكيد».[1]

وذكر السّيد بحر العلوم (ت/١٢٢٢هـ) ما نصّه: «نقل صاحب تاريخ مصر [ابن زولاق (ت/٣٨٧هـ)] أن القاضي نعمان كان غاية في العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه [ثم عقبه السّيد بحر العلوم بقوله:] وكتاب الدعائم كتاب حسن جيّد يصدق ما قيل فيه، إلا أنه لم يرو عمّن بعد الصادق من الأئمة خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية، حيث كان منصوباً من قبلهم بمصر، لكنه قد أبدى من وراء التقية مذهبه كما لا يخفى على اللبيب»[2].

وللكاظمي (ت/١٢٣٧هـ) وصفه بأنه «من أفاضل الامامية وأنه لم يرو كتابه إلا عن الصادق ومن قبله من الائمة».

والمحدّث النوري (ت/١٣٢٠هـ) وهو أكثرهم تأكيداً وأوسعهم استدلالاً على إماميّته قال: «إنه أظهر الحقّ تحت أستار التقية لمن نظر فيه متعمّقاً، وهو حقّ لا مرية فيه بل لا يحتاج إلى التعمّق والنظر»[3].

ويظهر أن المحقّق المامقاني قدّس سرّه ظنّ تعقيب السيّد بحر العلوم تتمة لكلام صاحب التاريخ فقال «فما في معالم ابن شهرآشوب من أنه لم يكن امامياً إشتباه قطعاً، فإن أهل البيت وهم المؤروخون المذكورون أدرىٰ بما في البيت (ثم) ولا معنى لتصنيف غير الامامي كتاباً في مثالب الغاصبين للحقّ، وكتاباً آخر في فضائل الأئمة الأطهار، وكتاباً ثالثاً في الامامة، كما اعترف به هو بقوله:

١ . المجلسي، العلامة: بحار الأنوار، ١/٣٨.

٢ . بحر العلوم، العلامة: رجال بحر العلوم، ٤/٥.

٣ . النوري، العلامة المحدّث: مستدرك الوسائل، ٣/٣١٤.

وكتبه حسان».[١]

وأوضح «أغا بزرگ» العلّامة (ت/١٣٨٩هـ)اسلوب التقية المذكورة قائلاً: «ولمّا كان قاضياً من قبل الخلفاء الفاطميين المعتقدين بإمامة إسماعيل بن جعفر عليه السّلام ثم أولاد اسماعيل، كان يتّقي في تصانيفه من أن يروي عن الائمة بعد الإمام الصادق صريحاً لكنه يروي عنهم بالكنىٰ المشتركة، فيروي عن الرضا بعنوان أبي الحسن، وعن الجواد بعنوان أبي جعفر».[٢]

والشيخ محمد تقي التستري المعاصر قال: «روىٰ عن الجواد بلفظ أبي جعفر موهماً إرادة الباقر عليه السّلام به، يظهر ذلك من خبر في آخر كتاب وقف دعائمه».[٣]

فالوجوه الآنفة توحي بأن القاضي النعمان كان من أُسرة شيعية إمامية المذهب، وأنه تعاطف مع الفاطميّين فكتب لهم ما يرغبون إشاعته في المجتمع، ولم يتعدّ رغباتهم قيد أنملة، وأنه قد أفرط في الاحتماء بالتقية التي كان يعيها بأساليبها وعياً كاملاً.[٤]

مؤلّفاته:

وإليك مؤلّفاته حسب حروف التهجيّ.

١ ـ الأخبار:

يقال إنه مختصر الدعائم ويوجد المجلد الأول منه في مكتبة الوكيلي بالهند.

---

١ . المامقاني، المحقق: تنقيح المقال، ٣/٢٧٣.

٢ . الطهراني، أغا بزرگ: الذريعة الى تصانيف الشيعة، ١/٦١.

٣ . التستري، محمدتقي: قاموس الرجال، ٩/٢٢٢.

٤ . الحسينيّ الجلالي، محمّد حسين: مقدمة كتاب شرح الاخبار للقاضي النعمان، ص ٤١، المجلد الأول، منشورات دار الثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢ ـ اختلاف أصول المذاهب.

وهو كتاب اختلاف الفقهاء وجاء فيه ذكر أصحاب القياس والرد عليهم.

تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

الكتاب في ٢٣٠ صفحة.

٣ ـ الارجوزة المختارة:

هي قصيدة أو قل عنها أرجوزة ذات [٢٣٧٥] بيتاً من الشعر الرجز كتبها النعمان في مدينة «القيروان» المغربية بعهد الخليفة الفاطمي الثاني «القائم بأمر الله الذي حكم من عام ٣٢٢هـ حتىٰ عام ٣٣٤هـ.

وتعتبر فتحاً جديداً في عالم التأليف والتعبير عن التاريخ وفلسفة الأديان والعقائد، بعد ذلك يعرض النعمان إلى الحروب التي خاضها الرسول الكريم محمد(ص)، والوصي علي بن أبي طالب في سبيل توطيد وتعميم شريعة الإسلام، ثم سلسلة الأئمة وأدوارهم منذ عهد آدم حتى عهد الرسول محمد(ص) وصولاً إلى عصر الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله.

مقتطفات من الأرجوزة:

فجلسوا إليه حتى ينظروا ماذا يرىٰ في أمرهم ويأمُرُ
فجاءَهم عُمَرُ في جماعة إذْ لم يَرَوْا لمن أُقام طاعَةْ
حتّىٰ أتَوْا بابَ البتولِ فاطمَة وهْيَ لهم قاليَةٌ مُصارِمَةْ
فوقَفَتْ عن دونه تَعْذلهُم فكسر الباب لهم أوّلُهم
فاقتحموا حِجابَها فعوّلتْ فضربوا بينهم فأسْقَطتْ
يا حَسْرةً من ذاك في فؤادي كالنّار يُذكي حَرُّها اعتقادي

وقــسمتُلُهم فـــاطمةَ الزهـــراءِ أضــرَمَ حَــرَّ النـارِ فـي أحشـائي
لأنَّ فــي المشــهور عــند النـاسِ بأنَّـــها مـــاتَتْ مــن النُّــفاسِ
وأمَـــرَتْ أنْ يـــدفنوها ليْـــلا وأنْ يُـــعَمَّىٰ قـــبرُها، لكــي لا
يــحضرُها مـنهم سـوى ابـن عـمِّها ورهْـــطِهِ، ثــمَّ مَــضتْ بــغَمِّها
صــلّىٰ عــليها ربُّـها مـن مـاضيَةْ وهْـيَ عـن الأمَّـةِ غـيرُ راضِـيَةْ[١]

٤ ـ أساس التأويل:

وصفه مجدوع بقوله: «والموجود كتاب الولاية الذي جمع فيه تأويل ما أتىٰ في ظاهر قصص الأنبياء ممّن وردت أسماؤهم في كتاب الله المجيد، الى ذكر وصى نبينا محمد(ص) وقتاله اهل البصرة وفيه من الفوائد والمعارف في أثناء كل مذكور من الأخبار ما يطول ذكره، وسيقف عليها من وفقه الله تعالىٰ لمطالعته».[٢]

وقد طبع بتحقيق الكاتب الاسماعيلي عارف تامر ببيروت سنة ١٩٦٠م اعتماداً على نسختين إحداهما في السلمية والأُخرىٰ في افريقيا وذلك في ٤١٩ صفحة.

٥ ـ إفتتاح الدعوة وإنشاء الدولة:

تتناول رسالة «إفتتاح الدعوة» ـ في معظمها ـ بدء الدعوة الشيعية في جزء من المغرب سنة ٢٨٠ على يد أبي عبدالله الداعي الشيعي وتحولها هناك إلى تنظيم

---

١ . ابن حيون المغربي التميمي، القاضي النعمان: الأُرجوزة المختارة، ص ٥٥، تقديم الدكتور عارف تامر وشرح وتحقيق الدكتور يوسف البقاعي، دارالأضواء، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢ . المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول الاجيني: فهرسة الكتب والرسائل، ص ١٣٤، حققه وعلّق عليه: علينقي منزوي، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٦م.

عقائدي سياسي عسكري، عصبه النابض قبائل كتامة ومن والاها من البربر ومقره الاساسي بلد كتامة بالجزائر، ثم تحوّلها قوة تستطيع ان تهزم الجيوش وتفتح البلاد من سجلماسة غرباً حتى القيروان شرقاً، إلى ان قضت على آخر قلاع المقاومة الاغلبية والرستمية والمدرارية في افريقية والمغرب، وبذلك تمهد الامر لقدوم عبيدالله المهدي، فدخل القيروان سنة ٢٩٧، وبه بدأت الدولة العبيدية.

وقد طبع الكتاب أولاً بتحقيق وداد القاضي ببيروت ١٩٧٠م، دار المنتظر، بعنوان «رسالة افتتاح الدعوة» وثانياً بتحقيق الدكتور عارف تامر في بيروت دار الأضواء، ١٤١٦هـ بعنوان «كتاب افتتاح الدعوة»: معتمداً على نسخة مخطوطة من مدينة نجران السعودية نسخت سنة ١٢٩٥ هـ بقلم: حَمَد بن سيف الدين اليمني اليامي ونسخة أخرى كتبت في الهند سنة ١٣١٧ هـ بخط «غلام أحمد البنجابي المستعلي» من بلدة «أورنك أباد».

٦ ـ الاقتصار:

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد وحيد ميرزا بدمشق عام ١٩٥٧م ضمن منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية اعتماداً على ثلاث نسخ.[١]

وكذلك طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عارف تامر عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م في بيروت. يقول المحقق في مقدمة الكتاب: «هذا الكتاب الصغير الحجم، الكبير الفائدة المسمّى «الاقتصار» في فقه الدولة الفاطمية..... إذ نخرجه من كهف تقيته ونضمه إلى موسوعة النعمان ـ الشرعية الفقهية المستوحاة من معارف وعلوم

١ . التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار (مقدمة الكتاب)، ص ٤٦، الجزء الأوّل.

الإمام المتشرع الفقيه جعفربن محمد الصادق... نفعل ونحن في غمرة الفرح والاعتزاز لعلمنا أن العالم الإسلامي بأمس الحاجة إلى مثل هذه الذخائر التي تزيد من معارفهم، وتقربهم من الإطلاع على واجباتهم الدينية والشرعية...

إنّ كتاب الاقتصار هذا له أهمية خاصة، فالنعمان عبَّر فيه عن كثير بالقليل ـ واضعاً فيه السهولة والسلاسة والإيجاز وكل هذا في سبيل جعله في متناول الجميع مع سهولة حفظه واستيعابه، وهنا تظهر قيمة الكتاب ومكانة مؤلفه وبراعته في علم الفقه والتشريع».(١)

٧ ـ الايضاح:

إنه في ١٢٠ جزء وإنه مفقود تماماً ما عدى قطعة صغيرة في فضل الصلاة.

يقول المجدوع: «وهذا الكتاب غير موجود في خزانة الدعوة الا اليسير منه من أول كتاب الصلاة إلى أكثره أعني كتاب الصلاة».(٢)

٨ ـ تأويل الشريعة:

كتاب يشتمل على تأويل الشريعة وحقائقها. نسخة من الكتاب موجود في مكتبة الوكيلي في الهند.

٩ ـ تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن الدين:

وقد ألفه النعمان في تأويل كتابه الشهير «دعائم الاسلام».

وقد طبع بتحقيق محمد حسن الاعظمي اعتماداً على مخطوطات خمس

في القاهرة في ثلاثة أجزاء عام ١٩٦٧م.

١٠ ـ تقويم الأحكام:

نسخة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ مصورة عن اليمن.

١١ ـ التوحيد:

نقل مجدوع عن المؤلف في المقدمة قوله: «[إن] هذا الكتاب على ما قدمت ذكره في إثبات حقيقة الله ونفي التشبيه والصفات عنه لا شريك له... وابتدأت فيه بذكر خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب تعرف بالوحيدة وهي قوله: الحمدلله القديم الدائم الحيّ الأحد الصمد الذي يزل أولاً بلا توهم غاية...». واورد بعد الخطبة المذكورة وشرحها خطبته المعروفة. وهي قوله [الحمد لله الذي خلق الارواح والاجسام...].[1]

توجد من الكتاب نسخ؛ منها نسخة غير مؤرخة في مكتبة برلين الغربية برقم ٢٩٥٨.

١٢ ـ دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السّلام:

وهو من أشهر مؤلفات القاضي النعمان الفقهية. ألّفه بأسلوب جيّد في الفقه، حيث جعله في سبعة دعائم هي الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد، مع أن الولاية ليست من الأبواب الفقهية وذلك استناداً إلى حديث الدعائم السبع المروي عن الامام الصادق عليه السّلام.

---

١ ـ المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول: فهرسة الكتب والرسائل، ص١١٢.

واهتمّ كلّ من الاسماعيلية والامامية بهذا الكتاب وإن كان عناية الاسماعيلية به أشد.

والامامية تروي هذا الكتاب برواية تختلف اختلافاً فاحشاً عن الرواية الاسماعيلية.

قال العلاّمة المجلسي (ت/١١١١هـ) الذي يعتبر أول من ساند هذا الكتاب، قال عنه: «قد كان أكثر أهل عصرنا يتوّهمون أنه تأليف الصدوق، وقد ظهر لنا أنه تأليف أبي حنيفة النعمان... لم يرو عن الأئمة بعد الصادق خوفاً من الخلفاء الاسماعيلية، وتحت ستر التقية أظهر الحقّ لمن نظر فيه متعمّقاً، وأخباره تصلح للتأييد والتأكيد».(١)

يقول المحقق آصف بن علي أصغر فيضي: «كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان... أقوَم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين، وهو مقسم إلى جزأين: الأول يبحث في العبادات وهي:

(أ) الإيمان (ب) الطهارة (ج) الصلاة ويشتمل على الجنائز (د) الزكاة (هـ) الصوم (و) الحجّ (ز) الجهاد، وهذه هي دعائم الإسلام السبع عند الشيعة الفاطميين، وهذا الجزء في ثمانية كتب، وحديثه عن الصلاة والجنائز متناثر في فصوله المختلفة، ويغلب على معالجته للموضوعات الصبغة الدينية والكلامية، كما نجد بها مسائل تشريعية.

أما الجزء الثاني فهو يبحث في المعاملات، ويشتمل على خمسة وعشرين كتاباً:

(١) كتاب البيوع (٢) كتاب الأيمان والنذور (٣) كتاب الأطعمة (٤) كتاب الأشربة (٥) كتاب الطبّ (٦) كتاب اللباس (٧) كتاب الصيد (٨) كتاب الضحايا والعقائق (٩) كتاب النكاح (١٠) كتاب الطلاق (١١) كتاب العتق (١٢) كتاب العطايا (١٣) كتاب الوصايا (١٤) كتاب الفرائض (١٥) كتاب الديات (١٦) كتاب الحدود (١٧) كتاب السراق (١٨) كتاب الردة والبدعة (١٩) كتاب الغصب (٢٠) كتاب العارية (٢١) كتاب اللقطة (٢٢) كتاب القسمة والبنيان (٢٣) كتاب الشهادات (٢٤) كتاب الدعوىٰ (٢٥) كتاب آداب القضاة.

والجزء الأول قيم للباحث في علم الكلام كما يتضح من الكتاب الأول الذي يعد من أقدم النصوص في عقائد الفاطميين، فهو يبدأ بتعريف الايمان، والفرق بين الإسلام والإيمان، ثم يتحدث عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة، وواجب كل مؤمن أن يتبع الأئمة في معتقداتهم وأوامرهم. ورأى الإسماعيلية في الولاية لا ينصبّ فقط على حب الأئمة من أهل البيت، بل على الخضوع التام لأوامراهم.

وبجانب مانراه في الكتاب الأول من الجزء الأول من الدعائم، نرى في الكتاب الثاني الحديث عن وصية عليّ بن أبي طالب، وبكتاب الوصايا أهم الآراء المنسوبة إلى عليّ نفسه في توثيق عقيدة الولاية، فكتاب الإيمان وكتاب وصاية عليّ من أقدم المصادر الأساسية لبحث هذه العقيدة من عقائد الفاطميين.[١]

---

١ ابن حيّون التميمي المغربي، القاضي النعمان: دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام، والقضايا والأحكام، المجلد الأول، ص ٩، ١٠، (مقدمة التحقيق) آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

١٣ ـ ذات البيان:

رسالة في الردّ على ابن قتيبة وكتابه «عيون المعارف».

١٤ ـ الراحة والتسلي:

كتيب صغير في سبعة فصول، وبالرغم من أنه نسب إلى القاضي النعمان فإنه مشكوك، إذ أن أُسلوبه يختلف عن أُسلوب القاضي النعمان.

١٥ ـ الرسالة المذهبية في العقائد الاسماعيلية:

وهي أُولى الرسائل الخمس التي حقّقها عارف تامر في بيروت سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م بعنوان خمس رسائل اسماعيلية.

١٦ ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار:

وقد استعرض فيه النعمان النقاط الهامّة في حياة ائمة أهل البيت ـ عليهم السّلام ـ إلى الإمام جعفر الصادق ـ عليه السّلام ـ وتوسّع في ما يتعلّق بفضائل الإمام علي عليه السّلام وردّ شبهات المخالفين.

وبالرغم من المحافظة الاسماعيلية الشديدة على كتبهم فقد تمكّن عالمان من علماء الشيعة جلدان على التتبّع ـ كما يظهر من كتبهما ـ أن يقفا على هذا الكتاب وينقلا من نصوصه.

فقد وقف ابن شهرآشوب (ت /٥٨٨هـ) على الكتاب ونقل منه عدّة نصوص في كتابه «مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٣ إلى ص ٣٦٥» فيما يتعلّق بقضايا الإمام علي في عهد الخليفة الثاني، وعقبها بأحاديث رواها من النعمان وأبي القاسم الكوفي في كتابيهما.

والمجلسي (ت/١١١١هـ) من بعده، نقل تلك النصوص نصّاً عن المناقب في كتابه «بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١» ممّا يظهر أنه لم يقف على الكتاب بنفسه.

ووقف على الكتاب أيضاً المحدّث النوري (ت/١٣٢١هـ) ووصفه بقوله: «في الفضائل والمناقب وشطر من المثالب، مشتمل على سبعة أجزاء ينبىء عن سعة اطلاعه وطول باعه وفضله وكماله».[1]

وفي الآونة الأخيرة قام بتحقيق الكتاب العلاّمة السيد محمّد الحسيني الجلاليّ وطبعتها دار الثقلين في بيروت عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤هـ.

١٧ ـ الطهارات:

نسخة منه في دار الكتب المصرية مصوّرة عن اليمن ٢ ـ ٣١١.

١٨ ـ قصيدة في الإمام الحسين(ع):

وردت هذه القصيدة ضمن مجموع في الاشعار في ٢١٦ صفحة من مخطوط القرن الرابع عشر في مكتبة المعهد الاسماعيلي / لندن برقم ٨٥٦.

ومطلع القصيدة:

وإذا رأى الحسين ما قدر به   ناشدهم بالله والقرابة

١٩ ـ المجالس والمسايرات:

ويعتبر هذا الكتاب أهم مصدر إسماعيلي في تواريخ الخلفاء الفاطميّين

---

١ . النوري، المحدّث: مستدرك الوسائل، ٣/٣٢١.

التميمي المغربي، القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (مقدمة التحقيق)، ص ٧١، المجلد الأول.

وخاصّة الخليفة الرابع المعز لدين الله.

وقد طبع هذا الكتاب طباعة محقّقه وافية باهتمام إبراهيم شبوح وآخرين في المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٩٧٨م.

٢٠ ـ مختصر الآثار فيما روي عن الائمة الأطهار:

نسخة في مكتبة المعهد الاسماعيلي بلندن المجلّد الاول برقم ٧١٠.

٢١ ـ مفاتيح النعمة:

وصفه مجدوع بأنه: «رسالة... في ذكر امتحان الخلق في أنفسهم واموالهم بقوله [إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة].[١]

هناك نسخة في مكتبة الوكيلي في الهند.

٢٢ ـ المناقب والمثالب:

وصفه المجلسي بقوله: «كتاب لطيف مشتمل على فوائد جليلة».[٢]

وموضوع الكتاب هو ذكر مناقب بني هاشم ومثالب بني أميه وذكر أسباب عداوتهم.

توجد نسخة كاملة من هذا الكتاب في مكتبة الشيخ شير محمد الهمداني الجورقاني في النجف الأشرف.

٢٣ ـ المنتخبة:

هي قصيدة فقهية سمّاها «المنتخبة» لأنه انتخبها لمن أراد حفظها كما قال

---

١ . المجدوع، اسماعيل بن عبدالرسول: فهرسة الكتب والرسائل، ص ١٨٧ .

٢ . المجلسي، العلامه: بحار الأنوار، ١/ ٣٩.

في المقدمة:

سـمّيتها إذا تـمت المـنتخبة لأنـني انـتخبتها للـطلبة
من قـول أهـل البـيت إذ حـملته عـن الثـقات بـعد أن صـنّفته

وتوجد القصيدة في مكتبة المعهد الاسماعيلي بلندن.

٢٤ ـ منهاج الفرائض:

ينسب إلى القاضي النعمان، وأن نسخة منه في مجموعة فيضي ببمبي برقم ٣٩ ـ ١.

٢٥ ـ الهمّة في آداب اتباع الائمة:

جاء في الفصل الثاني من الكتاب في باب وجوب مودة الأئمة مايلي:

قال الله جل ذكره لمحمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربىٰ» فسئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: من هـم؟ فقال علي وفاطمة والحسن والحسين. وقال صلى الله عليه وعلى آله: «من أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضي» وقال: «لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق».

فكانوا يقولون ماكنا نعرف المؤمنين من المنافقين على عهد رسول الله(ص) إلا بمحبة علي ومودته وتفضيله، فنص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله على مودته من كان في عصره.[1]

---

١ ـ ابن حيون المغربي التميمي، القاي النعمان: كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئـمة، ص ١٥، تحقيق محمّد شريف علي اليمني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢٦ ـ الينبوع:

منه نسخة في دار الكتب المصريّة مصوّرة عن اليمن برقم ٤٦٢.

٢٧ ـ كتاب يوم وليلة في الصلاة المفروضة

إنه أجوبة القاضي النعمان لأسئلة فقهية سأله عنها خطّاب بن وسيم. نسخة في دار الكتب المصرية مصوّرة عن اليمن.

الكتب المفقودة:

١ ـ الآثار النبوية

٢ ـ الإتّفاق والإفتراق

٣ ـ أصول الحديث

٤ ـ الإمامة

٥ ـ البلاغ الأكبر والناموس الأعظم

٦ ـ تأويل القرآن

٧ ـ التقريع والتعنيف لمن لم يعلم العلم

٨ ـ الدامغ الموجز في الردّ على العتكي

٩ ـ الدعاء

١٠ ـ الردّ على الخوارج

١١ ـ ذات المحنة

١٢ ـ ذات المنن

١٣ ـ الرسالة المصرية في الردّ على الشافعي

١٤ ـ كيفية الصلاة على النبيّ

١٥ ـ كتاب فيما رفضته العامّة من كتاب الله وأنكرته.

١٦ ـ معالم الهدى

١٧ ـ نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل

١٨ ـ التعقيب والانتقاد

١٩ ـ الحليْ والثياب

٢٠ ـ الشروط

٢١ ـ منامات الأئمة

٢٢ ـ رسالة الى المرشد الداعي بمصر في تربية المؤمنين.

٢٣ ـ كتاب المغازي.

من المناسبات الإسلامية
في عهد المعز لدين الله

أ ـ عيد الغدير، غدير خم:

كان أول من احتفل بعيد الغدير من الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله، وذلك في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م. إذ اجتمع خلق كبير من أهل مصر الشيعة والمغاربة ومن والاهم، لإقامة الصلوات والدعاء، وذلك بجامع القاهرة. فكان هذا أول ما أقيم بمصر. وحذا حذوه كل من جاء بعده من الخلفاء، بإقامة الصلوات والدعاء للإمام علي ابن أبي طالب وأهل بيته، وإلقاء الخطب، ثم استعراض طوائف العسكر طائفة طائفة، والوزيرية، والأمراء المطوقين، وصاحب الباب ونواب الباب وسائر الحجاب، واسفهسالار العسكر، وأصحابه وأجناده ووالبي مصر والقاهرة. وبعد ذلك، يقبل الإسماعيليون على تهنئة بعضهم بعضاً، كما يجلس الوزير في مجلسه يتقبل التهاني بالعيد والخلع التي يخلعها الخليفة عليه، والرسوم المقدمة إليه برسم منديل الكم ألف دينار، ورسم الإخوة والأرقاب ألف دينار أيضاً.(١)

واهتمامُ الفاطميين بعيد الغدير وعنايتهم به دون ساير الأعياد، قد كان أكثر و أكثر سيما في عهد المعزّ لدين الله، والفائز بن الظافر بأمر الله وغيرهم من خلفاء

---

١ . رزق الله أيوب، الدكتور إبراهيم: التاريخ الفاطمي الإجتماعي، ص ٢٣٢، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

الفاطمية؛ ولهذا عيّنوا للاحتفال بهذا العيد وأمثاله إحدى قاعات البلاط الملكي؛ وسمّيت «قاعة الذهب» وسنّوا له مراسيمَ وقوانين كـإحيائهم ليـلته بـالصلاة، والصلاة في صبيحته ركعتين قبل الزوّال، ولبس الجديد وعتق الرقاب، وعمل البرّ.(١)

١ الأمينيّ، الدكتور محمد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ٦٤، مؤسسة الآفاق، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

عيد الغدير وشعراء الفاطمية:

أبو عبدالله الخصَيْبي

(المتوفّى: ٣٥٨هـ.)

إنّ يوم «الغدير» يومُ السرورِ … بيّن الله فيه فضل «الغدير»

وحبا «خمّ» بالجلالة والتفـ … ـضيل والتحفة التي في الحبور

وبالافضال والتزايد بالاء … نعام فخر يجوز كلّ الفخورِ

يوم نادَى محمّد في جميع الـ … ـخلقِ إذ قال مفصح التخبيرِ

قائلاً للجميع مِن فوق دوحٍ … جمعوه لأمره المقدور:

إنّ هذا باريكُم فاعلموه … إنّ هذا مصوّر التصويرِ

إنّ هذا إلَهُكم فاعرفوه … إنّ هذا معبودُكم في الدهورِ

إنّ هذا ربٌّ لكم وحّدوه … قد تعالى عن مشبهٍ ونظيرِ

إنّ هذا مهيمن صمد فر … دٌ و هذا خلاّق بدء الفطورِ

وهو الأوّل القديم والآ … خر هو باطن بغير ظهورِ

وهو الظاهر الذي لم يغب … قطّ عن العارف العليم الخبير

وهو المحيي المميت وهو البا … عث والوارث المكرّ الكرورِ

وهو الراحم المخلّد في الجنا … ت مُلقي عدوّه في السعيرِ

وأنا عبده الرسول إليكم … بكتاب منزّلٍ مسطورِ

قال: بلّغ عنّي عبادي فإنّي … أنا مولاهم وخير نصيرِ

فتخوّفتُ منكم أن تضلّوا … وتتوهوا في غمرة التحييرِ

فأتتني حمابةُ آية التبـ … ـليغ أنْ بلّغا بصورة جهيرِ

ولئن لم تبلِّغَنْ فما بلّـ … ـغت وحي وأنت غير نذيرِ

فكشفت الغطاء طوعاً لدين ... مظهراً كنه ذاته المستورِ
وتجلّى لكم لكي ما يُريكم ... قدرةَ القادر العليّ الكبيرِ
وسمعتم ما قلت فيه من الحـ ... ـقّ فأنفرتموا بشرّ نفورِ
فصددتم عنه ولم تستجيبوا ... وتعرّضتمُ لإفكٍ وزورِ
ثم قلتم قد قال: من كنت مولا ... ه فهذا مولاه غير نكيرِ[1]

تميم بنُ المعزِّ لدين الله

(٣٣٧ ـ ٣٧٤هـ)

وقال يردُّ على عبدالله بن المعتز في تفضيله العبّاسيّين على العلويّين في قصيدته التي أوّلها:

* أيُّ رَبْع لآل هِند ودار *

جـادك الغـيث مـن مـحلّة دارِ ... وثـوىٰ فـيكِ كـلُّ غـادٍ وسارِ
حَكّـمتْ بـعد قـاطِنِيك الليـالي ... فـي مـغاني رُبـاكِ بـالإقفار
ورمـتْكِ الخـطوبُ مـنهم بـبينٍ ... ورحـيلُ القـطين مـوتُ الديـار
فـاسقياها الدمـوع إن بخِل الغيـ ... ـثُ عسـليها بـواكـف مِـدرار
ليس للـدمع إن تأخّـر عـذرٌ ... فـدعاه فـيها خـليعَ العِـذار
يـا طـلول اللّوىٰ غـدوت رسـوما ... دارسـاتِ الأعـلام والأحـجار
بـعد مـا كـنت مألَفَ الغزّ والحسـ ... ـن و مـلهًىً لأعـينِ النـظار
وكـذاك الزمـان مـنقلب الحـا ... لِـن بـين الإقـبال والإدبـار
يـا بـني هاشمٍ ولسـنا سـواءً ... فـي صِـغار مـن العـلا أو كبار
إن نكـن نـنتمي لجـدٍّ فـإنّا ... قـد سـبقناكـمُ لكـلّ فـخار
ليس عـبّاسُكم كـمثل عـليٍّ ... هـل تـقاس النـجوم بـالأقمار؟
من لهـل الفـضل والتـقدُّم فـي الإسـ ... ـلام والنـاس شـيعةُ الكـفار؟!
من له الصِهْر والمواسـاة والنُصـ ... ـرة والحـرب تـرتمي بـالشّرار؟!
مـن دعـاه النـبيّ خِـدْناً، وسمّا ... ه أخـاً فـي الخـفاء والإظـهار؟!
مـن له قـال: أنت مِـنّي كـهارو ... ن ومـوسىٰ أكِـرمْ بـه مـن نِـجار؟!

تـم يـوم الغَـدير ما قد علمتم ... خَـصّه دون سـائر الحُضّار
مـن له قـال: لا فـتىٰ كـعليٍّ ... لا ولا مُـنْصُل سوىٰ ذى الفَقار؟!
وبـمَنْ بـاهَلَ النـبيُّ أأنـتم ... جُـهلاءٌ بـواضح الأخـبار
أبـعبد الإله أم بـحسين ... وأخـيه سُـلالة الأطـهار؟
يـا بـني عـمّنا ظَـلَمتم وطرتم ... عـن سبيل الإنصاف كلّ مطار
كـيف تـحوون بـالأكفّ مكانا ... لم تـنالوا رؤيـاه بـالأبصار
مـن تـوطّا الفـراش يخلُف فيه ... أحـمداً وهْو نحوَ يثربَ سار؟!
أين كان العبّاس إذ ذاك؟! في الهجـ ... ـرة أم في الفراش أم في الغار
ألكـم مـثلُ هـذه يا بني العبّـ ... ـاس مأثـورةٌ مـن الآثـار
ألكـم حُـرْمة بـعمّ رسـول الـ ... ـلهِ ليست فـيكم بـذات بَـوار
ولنـا حُـرْمةُ الوِلادةِ والأعـ ... ـمام والسبق والهُدىٰ والمنار
ولنـا هـجرةُ المـهاجر قِدْما ... ولنـا نُـصْرةٌ مـن الأنـصار
ولنـا الصّـوم والصّـلاة وبـذل الـ ... ـعُرفِ في عُسْرنا وفي الإيسار
نـحن أهـل الكِسـاء سادسناالرُو ... ح أمـين المـهيمن الجـبّار
نـحن أهل التقىٰ وأهل المواسا ... ة وأهـل النـوال والإيـثار
فـدعوا خُـطَّة العُـلا لذويـها ... مـن بـني بـيت أحـمد الابرار
أو فـلوموا الإله فـي أن بـرانـا ... فـوقكم واغـضبوا على المقدار
أجـعلتم سَـقْيَ الحـجيج كمن آ ... مـن بـالله مـؤمِنا (لا يـدارى)
أو جـعلتم نِـداء عـبّاسَ فـي الحر ... ب [وقـد] فَـرَّ عـن لقـاء الشِفار
كـوقوف الوصـيّ فـي غَـمْرة المو ... ت لضـرب الرؤوس تـحت الغُبار

حـــين ولّـــىٰ صَحْبُ النـبيّ فِـرارا   وهـــو يـــحمي النـــبيّ عـند الفِـرار
واَسألوا يـــسوم خـــيبرٍ واَسألوا   مكّـــة عـــن كـــرّه عـلى الفُـــجّارِ
واَسألوا يوم بَدْرَ مَـن فـارس الإسـ   ـــــلام فـــيه وطـــالبُ الأوتـــار
إسألوا كـــلّ غـــزوة لرســـول الـ   ـــــلّه عـــمّن أغـــار كـــلَّ مُـغار
يــــا بـــني هـــاشمٍ أليس عـليٌّ   كـاشفَ الكـــرب والرزايــا الكـبار
فـــبماذا مـــلكتم دونـــنا إر   ث نـــبيّ الهـــدى بـــلا اَســتِظهار؟
أبِــقرْبىٰ؟ فـــنحن أقـــرب للـــمور   وث مـــنكم ومـــن مكـان الشِـعار
أم بــــإرث ورثـــتموه؟ فـــإنّا   نـــحن أهـــلُ الآثـــار والأخـــطار
لا تُـــغَطّوا بـــحيفكم واضـــحَ الحـ   ـــق فُـــيفضي بكـــم لكـــلّ دَمـار
وأصـــيخوا لوقـــعة تـــملأ الأر   ض عـــليكم بـــجحفلٍ جـــرّار
تـــحت أعـــلامه مـــن الفـــاطميّـ   ـــن أُســـودٌ تُـدمي شبا الأظـفار
فـــاصدُروا عـن مـوارد المـلك إنـا   نـــحن أهـل الإيـراد والإصـدارِ[1]

وله أبيات أُخرىٰ تدلّ بوضوح أنه كان موضع الإكبار والتقدير لدى رجال الدولة، ومنها: أنّ الخليفة العزيز بالله كان يقلّب ثياباً مذهبّات وغيرها، فأمر الأمير تميماً أن يتخيّر له أحسنها للباسه، فلما تخيّر الأمير أمر بحملها إليه، فقال بديهاً:

أنت أهـــدى إلى المكـــارم والفـضـ   ـــل وأنـــدى مـن الغـمام المـطيرِ
وابـــنُ مَـــن بـان فـضله يـوم بـدر   واصـــطفاه النـــبيُّ «يـــوم الغـديرِ»
ولك الهـــمة التـــي عـــلت النـجـ   ـــم وزادت عـــليه فـــي التـنوير

---

١. المُعزّ لدين الله، تميم: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١٨٥، تحقيق محمد عبدالعظيم بدر، وإبراهيم عطا فرج، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

صـــانك الله للـــمكارم والمـــجـ ـــد وأبـقاك للـعلا والحـبور(١)

وقال معارضاً قصيدةَ عبدالله بن المعتز التي أوّلها:

(ألا مَـــنْ لنـــفسي وأوصـــابها ومَـــن لدمـــوعي وتَسْكـــابِها)

* * *

(إذا فـــزّع الشـــوقُ حبَّ القلوبِ كـــواهـــا بشـــدّة تَـــلْهابها
ألا قُـــلْ لمـــن ضـــلّ مـــن هـاشم ورام اللُّـــحوق بـــازْبابها
أأوســـاطُها مـــثل أطـــرافـها أأرؤُســـها مِـــثلُ أذنـــابها
أعـــبّاسها كأبـــي حَـــزبها عـــليٍّ وقـــاتِلِ نـــصّابها
وأوّلـــها مـــؤمِنّا بـــالإله وأوّلِ هـــادم أنْـــصابها
بـــني هـــاشمٍ قـــد تـعامَيْتُمُ فـــخلّوا المـــعالى لأصـحابها
أعـــبّاسكُم كـــان سـيف النـبيّ إذا أبـــدت الحـربُ عـن نـابها
أعـــبّاسكُم كـــان فـــي بَـدْره يـــذود الكـــتائب عـــن غـابها
أعـــبّاسكم قـــاتِلُ المشـركين جـــهارا ومـــالِك أسْـــلابها
أعـــبّاسكم كـــوصيّ النـــبيّ ومُـــعطى الرّغـــاب لطُـــلاّبها
أعـــبّاسكم شَـــرَح المُشكـلات وفَـــتَّح مُـــقْفَلَ أبـــوابـها
وكـــيف يـــحوز ســـهامَ البـنين بـــنو العـــمّ أفٍّ لغُـــصّابها
بـــذا أُنـــزل الله آى القُـــران أتَـــعْمَون عـــن نـــصّ إسـهابها
ونـــحن لَـــبِسنا ثـــياب النـبيّ وأنـــتم جـــذَبْتم بـــهُدّابـها
ونـــــحن بـــنوره وورّاثـــه وأهـــلُ الوِراثـــة أولى بـــها

وفـــينا الإمـــامةُ لافـــيكمُ ونـــحن أحـــقٌّ بـــجِلْبابها
ومَـــنْ لكُـــم يـــا بـــني عـــمّه بـــمثل البـــتول وأنـــجابها
ومـــالكُم كـــوصيّ النـــبيّ أبٌ فـــترامَـــوْا بـــنُشّابها
ألْســـنا لُـــبابَ بـــني هـــاشمٍ وســـاداتِكـــم عـــند نُسّـــابها[1]

---

١ ـ المُعزّ لدين الله، تميم: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٧٨، ٧٩.

ابن جبير المصري

(القرن الخامس)

يا دارُ، غادرني جديد بلاكِ رثّ الجديد فهل رثيتِ لذاكِ؟
إنَّ الصّبي ـ يا نفسُ ـ عزَّ طلابه ونهتك عنه واعظات نهاك
والشيب ضيفٌ لامحالة مؤذنٌ برداك فاتّبعي سبيل هداكِ
وتزوّدي من حبّ آل محمد زاداً متى أخصلتِهِ نجّاكِ!
فلنِعم زادٌ للمعاد وعُدّةٌ للحشر إن علقت يداك بذاكِ
وإلى الوصيّ مهمّ أمرك فوِّضي تصِلي بذاك إلى قصيّ مُناكِ
وبه ادرئي في نحر كلٍّ ملمّة وإليه فيها فاجعلي شكواكِ
وبحبّه فتمسّكي أن تسلكي بالزيغ عنه مسالك الهلّاكِ
لا تجهلي وهواه دأبك فاجعلي أبداً وهجر عداه هجر قلاكِ!
فسَواءٌ انحرف امروٌ عن حبّه أوبات منطوياً على الإشراكِ
وإذا تشابهت الأمور فعوِّلي في كشف مشكلها على مولاكِ
خير الرجال وخير بعل نساءها والأصل والفرع التقيّ الزاكي
وتعوّذي بالزّهر من أولاده من شرّ كلِّ مُضلِّلٍ أفّاكِ
لا تعدلي عنهم ولا تستبدلي بهمُ فتحظي بالخسار هناكِ
فهمُ مصابيح الدُّجىٰ لذوي الحِجىٰ والعروة الوثقىٰ لذي استمساكِ
وهم الأدلّة كالأهلّةِ نورها يجلو عمى المتحيّر الشكّاكِ
وهم الصّراط المستقيم فأرغمي بهواهمُ أنف الّذي يلحاكِ
وهم الأئمّة لا إمامَ سواهُم فدعي لِستّيمْ وغيرها دعواكِ
يا أُمّةٌ ضلّت سبيل رشادها إنّ الذي استرشدتِهِ أغواكِ

لئن ائتمنتِ على البريّة خائناً ... للنفس ضيَّعها غداة رعاكِ
أعطاكِ إذ وطّاكِ عشوة رأيه ... خدعاً بحبل غرورها دلاّكِ
فتبعتِهِ وسخيفَ دينكِ بعتهِ ... مغترَّةً بالنزر من دنياكِ
لقد اشتريت به الضّلالة بالهدى ... لمّا دعاك بمكره فدهاكِ
وأطعتهِ وعصيت قولَ محمَّدٍ ... فيما بأمر وصيِّهِ وصّاكِ
خلّفتِ واستخلفت من لم يرضه ... للدين تابعةً هوىً هوّاكِ
خِلتِ اجتهادَكِ للصَّواب مؤدِّياً ... هيهات ما أدّاك بل أرداكِ
لقد اجتريت على اجتراح عظيمةٍ ... جَعلت جهنَّم في غدٍ مثواكِ
ولقد شققت عصا النبيِّ محمَّد ... وعققتِ من بعد النبيِّ أباكِ
وغدرت بالعهد المؤكَّد عقده ... «يوم الغدير» له فما عذراكِ
أعَن الوصيِّ عدلتِ عادلةً به ... مَن لا يساوي منه شسع شراكِ
ولَتُسألِنَّ عن الولاء لحيدر ... وهو النعيم شقاكِ عنه ثناكِ
قست المحيط بكلِّ علمٍ مشكلٍ ... وعرٍ مَسالِكُه على السُّلاّكِ
بالمعتريه كما حكى شيطانه ... وكفاه عنه بنفسه من حاكي
والضارب الهامات في يوم الوغى ... ضرباً يقدُّ به إلى الأوراكِ
إذ صاح جبريلُ به متعجِّباً ... من بأسه وحسامه البتّاكِ
لا سيف إلاّ ذوالفقار ولا فتىً ... إلاّ عليٌّ فاتك الفتّاكِ
بالهارب الفرّار من أقرانه ... والحرب يذكيها قناً ومذاكي
والقاطع الليل البهيم تهجّداً ... بفؤاد ذي روع وطرفٍ باكي
أوَ ما شهدتِ له مواقف أذهبت ... عنكِ اعتراك الشكِّ حين عراكِ؟
من معجزات لا يقوم بمثلها ... إلاّ نبيٌّ أو وصيٌّ زاكي؟

كـالشمس إذ رُدَّت عـليه بـبابل ... لقـضاء فـرض فـائت الإدراكِ
والريح إذ مرَّت فقال لها: احملي ... طـوعاً وليّ الله فـوق قـواكِ؟
فـجرت رجـاء بـالبساط مطيعة ... أمـر الإله حـثيثة الإيشـاكِ
حـتّى اذا وافـى الرقـيم بصحبه ... ليـزيل عـنه مـريّةَ الشكّـاكِ
قـال: السّـلام عـليكمُ فتبادروا ... بـالردِّ بـعد الصَّـمت والإمسـاك
عن غيره فبدت ضغاين صدر ذي ... حـنقٍ لسـتر نـفاقه هـتّاكِ
والميتُ حين دعا به من صرصر ... فأجـابه وأبـيْتِ حـين دعـاكِ
لا تـدّعي مـا ليس فـيكِ فتندمي ... عـند امتحان الصِّدق من دعـواكِ
والخـفُّ والثـعبان فـيه آيـةٌ ... فـتيقّظي يـاويكِ مـن عـمياكِ!
والسَّطل والمنديل حين أتـى به ... جـبريلُ حسبكِ خدمة الأمـلاكِ
ودفـاع أعـظم مـا عَراك بسيفه ... فـي يـوم كـلِّ كـريهة وعِـراكِ
ومـقامه ـ ثـبت الجَـنان ـ بخيبر ... والخـوف إذ ولّـيتِ حشوحشاكِ
والباب حين دحى به عن حصنهم ... سـبعين بـاعاً فـي فـضادكداكِ
والطـائر المشـويُّ نـصٌّ ظـاهرٌ ... لولا جـحودكِ مـارأت عـيناكِ
والصخرة الصّما وقد شفَّ الظما ... مـنها النفوس دحـى بها فسقاكِ
والماء حـين طـغىٰ الفرات فأقبلوا ... مـا بـين بـاكـيةٍ إليه وبـاكـي
قـالوا: أغِثنا يـا ابن عمِّ محمَّدا! ... فـالماء يُـؤذننا بـوشك هـلاكِ
فأتىٰ الفراتَ فقال: يـا أرضُ ابلعي ... طـوعاً بأمـر الله طـاغي مـاكِ
فأغـاضه حـتّى بـدت حصباؤه ... مـن فوق راسخة من الأسماكِ
ثـمَّ اسـتعادوه فـعاد بأمـره ... يـجري على قَدرٍ، فـفيم مراكِ؟
مولاكِ راضيةً وغـضبىٰ فاعلمي! ... سـيّان سـخطك عـنده ورضـاكِ

يــا تـميمُ تـيّمكِ الهـوىٰ فأطـعته ... وعـن البـصيرة يـا عـديٌّ عـداكِ
ومـنعتِ إرثَ المـصطفى وتـراثـه ... ووليـتـه ظـلماً، فـمن ولّاكِ؟
وبسطت أيدي عبدَ شمس فـاغتدتْ ... بـالظلم جـاريةٌ عـلى مـغناكِ
لا تـحسبيكِ بـريئةً مـمّا جـرىٰ ... والله مـا قَـتَل الحسـينَ سـواكِ
يـا آل أحـمَد، كـم يكـابد فـيكمُ ... كـبدي خـطوباً للـقلوب نـواكـي؟
كـبدي بكـم مقروحةٌ ومـدامـعي ... مسـفوحةٌ وجـوى فـؤادي ذاكـي
وإذا ذكـرتُ مـصابكم قـال الأسـىٰ ... لجـفوني: اجـتنبي لذيـذ كـراكِ!
وابكـي قـتيلاً بـالطفوف لأجـله ... بكت السَّـماء دمـاً فـحقَّ بكـاكِ!
ان تـبكهم فـي اليـوم تـلقاهم غـداً ... عـيني بـوجهٍ مسـفرٍ ضـحّاكِ
يـا ربّ، فـاجعل حـبّهم لي جُـنَّةً ... مـن مـوبقات الظـلم والإشـراك!
واجـبر بـها الجـبريَّ ـ ربِّ ـ وبـرّه ... مـن ظـالمٍ لدمـائهم سـفّاكِ[1]

إبن قادوس (القاضي جلال الدين بن حميد الدمياطي المصري) (المتوفّى ٥٥١ هـ)

يــــا ســــيّد الخــلفاء طــرّاً بـــــدوهم والحـــــضّرِ
أن عـــظمّوا ســاقي الحــجيج فأنت ســـــاقي الكــــوثرِ
أنت الإمـــــام المـــرتضى وشــــفيعُنا فـــي المـــحشرِ
ووليُّ خـــــيرة أحـــــمدٍ وأبـــــو شـــبير وشـــبّرِ
والحـــائز القـــصبات فـــي «يـــوم الغـــدير» الأزهـــرِ
والمـــــطفىء الغـــوغابيد رٍ والنـــــضير وخـــيبرِ[1]

طلائع بن رُزِّيك (الملك الصالح سيفُ الدين المظفر)

(٤٩٥ ـ ٥٥٦ هـ.)

سقَى الحمى ومحلاًّ كنت أعهدهُ حيا بحور بصوب المزنِ أجودهُ
فإن دنا الغيث واستسقت مرابعه ربئَ فدمعي بالتّسكابِ ينجُدهُ
كما بدا الحق في آل الوصّي فأنـ ـوار الهدى لعمِّي القلب ترشدهُ

* * *

يا راكبَ الغيّ دع عنك الضلال فهـ ـذا الرشد بالكوفة الغرّاء مشهدهُ
من رُدّت الشمس من بعيد المغيب له فأدرك الفضل والأملاك تشهدهُ
و«يوم خمّ» وقد قال النبيُّ له بين الحضور وشالت عضدَه يدهُ:
من كنت مولًى له هذا يكون له مولىً أتاني به أمر يؤكّدهُ
من كان يخذله فالله يخذله أو كان يعضده فالله يعضدهُ
قالوا: سمعنا وفي أكبادهم حرق وكلٌّ مستمعٍ للقول يجحُدُهُ
وأُظلمت بسواد الحِقد أوجُهُهم وأنّه لم يزل بالفكر أسودهُ
والباب لمّا دحاه وهو في سغب عن الصيام وما يخفى تعبّدهُ
وقلقل الحصن فارتاع اليهود له وكان أكثرُهم عمداً يفنّدهُ
واسأل به مرحباً لمّا أعدّ له مشطباً غير فرّار مجرّدهُ
ألقى مهنّده في وسط قمّته فغاص في الأرض يفريها مهنّدهُ
نادىٰ بأعلى العلى جبريل ممتدحاً: هذا الوصيُّ وهذا الطُّهر أحمدهُ!
وفي الفرات حديثٌ إذ طغىٰ فأتى كلٌّ إليه لخوف الهلك يقصدهُ
قالوا: أجِرنا! فقام المرتضىٰ فرحاً بالفضل والله بالإفضال مفردهُ
وقال للماء: غِض طوعاً! فبان لهم حصباؤه حين وافاه يهددهُ

فللعفاف وللإيمان طاعته		وللقنوت وللتقوىٰ تهجّدهُ
يا قائمَ الليل تمجيداً لخالقه!		وأين مثلك قوّاماً تمجّدهُ!
يا حجةَ الله يا من يستضاء به		إلى الهداية يا من طاب مولدهُ!
ألستم أنتم أهلُ الكساء بكم		جبريل يفخر إذ فيكم نعدّدهُ؟
يا عروةً سَلِمَ المستمسكون بها		ومسلكاً بالولا فيكم يهدّدهُ!
نفوز ـ يا آل طه ـ باسمكم صلة		بعد الصلاة لمن طوعاً نوحّدهُ
جعلتكم ـ يا بني الزهراء ـ معتمدي		يومَ المعاد بما فيكمْ أُجدِّدهُ
لفظاً بإحسانكم عندي أنثّره		دراً وأفعالكم عندي أُنضّدهُ
أنا المظفرُ سيفُ الدين معتقداً		أنَّ القريض اذا ما فُهت أُنشدهُ
في مدح آل رسول الله دار غدٍ		في جنة وحساماً لي أُجرّدهُ[1]

القاضي الجليس (عبدالعزيز بن الحسين الصقلي المصري)

(المتوفّى ٥٦١ هـ.)

تصاممتُ عن داعي الصبابة والصّبىٰ
ولبّيتُ داعي آل أحمدَ إذ دعا
عَشوتُ فأفكاري إلى ضوء علمهم
فصادفتُ منه منهج الحقّ مَهْيعا
علقت بهم فليلْحُ فيذاك من لحى
تولّيتهم فلينعَ ذلك من نعا
تسرّعتُ في مدحي لهم متبرّعاً
وأقلعت عن تسركي له متورّعا
هم الصّائمون القائمون لربّهم
هم الخايفوه خشيةً وتخشّعا
هم القاطعوا الليل البهيم تهجّداً
هم العامروه سُجّداً فيه ركّعا
هم الطيبوا الأخيار والخيرُ في الورىٰ
يروقون مرئيً أو يشوقون مسمعا
بهم تُقبل الأعمال من كلّ عاملٍ
بهم تُرفع الطّاعات ممّن تطوعا
بأسمائهم يُسقىٰ الأنام ويهطل
الغمام وكم كربٍ بهم قد تقشّعا

هـــم القـــائلون الفـــاعلون تـــبرُّعاً
هـــم العـــالمون العـــاملون تـــورُّعا
أبـــوهم وصـــيُّ المـصطفىٰ حـاز عـلمَه
وأودعـــه مـــن قـبل مـا كـان أودعـا
أقـام عـــمودَ الشـرع بـعد اعـوجاجه
وســـانَد ركـنَ الدّيـــن أن يـتصدّعا
وواســـاه بـــالنفس النـفيسه دونـــهم
ولم يـــخشَ أن يـــلقى عـداه فـيجزعا
وســمّاه مـــولاهم وقـــد قـام مـعلناً
ليـــتلوَه فـــي كـــلِّ فـضلٍ ويشـــفعا
فـمن كشـف الغـمّاء عـن وجـه أحـمدٍ
وقـــد كـــرَبَت أقـــرانـــه أن يـــقطّعا؟
ومن هزّ باب الحـصن فـي يـوم خـيبرٍ
فـــزلزل أرض المشـــركين وزعـزعا؟
وفـــي يـــوم بـدرٍ مـــن أحـنّ قَـليبها
جسـومًا بـــها تـدمي وهـاماً مـقطّعا
وكـــم حـــاسدٍ أغـــراه بـالحقد فـضله
وذلك فـــــضلٌ مـــثلُه ليس يـدّعىٰ
لوىٰ غـــدره «يـــوم الغـــدير» بـحقّه
وأعـــقبه «يـــوم البـعير» وأتـــبعا

وعـــاتبه الإســـلام فـــيه فـــما وعـــى

إذا رام أن يشـــــخفي مـــناقبه جـــلت

وإن رامَ أن يُـــــطفي ســـناه تشـــعشعا

متى همّ أن يطوي شـذى المسك كـاتمٌ

أبـــىٰ عَـــرفه المـــعروف إلّا تـــضوّعا

ومنها:

أيـــا أُمّـــةً لم تـــرْعَ للـــدين حـــرمةً

ولم تـبق فـي قـوس الضّـلالة مـنزعا!

بأيّ كـــــتاب أم بأيّـــــة حـــجّةٍ

نـــقضتُم بـــها مـــا ســـنّه الله أجـــمعا

غـــصبتم وليّ الحـــق مـــهجة نـــفسه

وكـــان لكـــم غـــصب الامـــامة مـقنعا

وألجـــــمتمُ آل النـــبيّ ســـــيوفكم

تـــفرىٰ مـــن الســـادات ســـوقاً وأذرعـــا

وحـــــلّلتمُ فـــــي كـــربلاء دمـــاءَهم

فأضـــحت بـــهاهيم الأســـنّة شـــرّعا

وحـــــرّمتمُ مـــاءَ الفـــرات عـــليهمُ

فأصـــــبح مـــحظوراً لديـــهم مـــمنّعا

القصيدة ٥٦ بيتاً[١]

وله من قصيدة تناهز ٢٩ بيتاً مطلعها:

كم قد عصيت مقال الناصح الناهي ... ولذت منكم بحبلٍ واهنٍ واهِ

ويقول فيها:

حبّي لآل رسول الله يعصمني ... من كلّ إثمٍ وهُم ذخري وهم جاهي
يا شيعةَ الحقّ، قولي بالوفاء لهم ... وفاخري بهمُ مَن شئت أو باهي
إذا علقتُ بحبلٍ من أبي حسنٍ ... فقد علقت بحبلٍ في يد الله
حمى الإله به الإسلام فهو به ... يزهى على كلّ دين قبله زاهِ
بعلُ البتول وما كنّا لِنهتدينا ... أئمةٌ من نبيٍّ الله لولا هي
نصَّ النبيُّ عليه في «**الغدير**» فما ... زواه إلّا ظنينٌ دينهُ واهِ[1]

عُمارة اليَمَني

(٥١٣ ـ ٥٦٩ هـ.)

الفقيه نجم الدين أبو محمّد عُمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني.

من فقهاء الشيعة الإماميّة ومدرّسيهم ومؤلّفيهم ومن شهداء أعلامهم على التشيّع. وقد زان علمَه الكاملَ وفضله الباهرَ، أدبُه الناصع المتقارب من شعره المتألق.

وقد الفقيهُ علي مصر واتّصل بجميع الأحداث والثورات التي مرّ عليها وشاهدها منذ وزارة الملك الصالح طلائع، حتى انقراض الدولةُ الفاطميّةُ.

ولاؤك مفروضٌ على كلّ مسلمٍ
وحبُّك مفروطٌ وأفضل مغنمِ

إذا المرء لم يُكرم بحبّك نفسه
غدا وهو عند الله غير مكرَّمِ

إلى أن قال:

ورِثتَ الهدىٰ عن نصّ عيسى بن حيدر
وفاطمةٍ لا نصّ عيسى بن مريمِ

وقال: أطيعوا لابن عمّي فإنه
أميني على سرّ الإله المكتَّمِ

كذلك وصّى المصطفى، وابن عمه
إلى منجد «**يوم الغدير**» ومتهمِ
على مُستوىً فيه قديمٌ وحادث
وإن كان فضل السبق للمتقدِّمِ
ملكت قلوب المسلمين ببيعة
أمدَّت بعقدٍ من ولائك مبرمِ
وأُوتيت ميراث البسيطة عن أبٍ
وجدٍّ مضىٰ عنها ولم يتقسَّمِ
لك الحقّ فيها دون كلّ منازع
ولو أنّه نال السّماك بسُلّمِ
ولو حفظوا فيك الوصيّةلم يكن
لغيرك في أقطارها دور درهمِ[1]

ولعماره قصيدة يرثي بها أهل القصر من الملوك الفاطميين، ويشيد بالأعياد والمراسيم التي كانوا يحتلفون بها:

رميتَ ـ يادهرُ ـ كفَّ المجد بالشللِ
وجيدَه بعد حسن الحلي بالعطلِ
سعيتَ في منهج الرأي العثور فإن
قدرت من عثرات الدهر فاستقلِ
هدمتَ قاعدة المعروف عن عجلٍ
سعيتَ سهلاً أما تمشي علىٰ مهلِ
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة
لك الملامة إن قصَّرت في عذلي

بالله دُرْ ساحةَ القصرين وأبكِ معي عليهما لا على صفّين والجملِ

مررت بالقصر والأركان خاليةٌ من الوفود وكانت قبلةَ القبلِ

دار الضيافة كانت أُنسَ وافدكم واليوم أوحشُ من رسم ومن طللِ

وأول العام والعيدَين كم لكم فيهنّ من وبْلِ جودٍ ليس بالوشلِ

والأرض تهتزّ في يوم «**الغدير**» كما يهتزّ ما بين قصريكم من الأسلِ

وللجوامع من إحسانكم نعم لمن تصدّر في علم وفي عملِ[1]

---

١ ـ الاميني، الدكتور محمّد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ٧٤.

من المناسبات الاسلامية
في عهد المعزّ لدين الله

ب ـ ذكرى عاشوراء:

اتخذ الفاطميون العاشر من محرم سنة ٦١هـ / ٦٨٣م. يوم مقتل الحسين بن علي (عليه السّلام) ومن معه في كربلاء ذكرى، تحتفل بها الدولة والشعب بالمنائح والمباكي والمراثي التي يرثي بها الشعراء الحسين بن علي وسائر أهل البيت (عليهم السّلام)، والحزن باد على الجميع، من تغيير أزيائهم ولبس قماش الحزن، وتعطيل الأسواق، وخروج المنشدين والنـاحة إلى الطـرقات، وإقـامة الصـلاة الجامعة في الجامع الازهر، فيجلس الوزير في صدره، وعن جانبيه قاضي القضاة وداعي الدعاة ثم الشهود والأمراء والأعيان وقرّاء الحـضرة والمـتصدّرون فـي الجوامع، وأخيراً بقية المحتفلين، فيتلو القرّاء ما تيسر من سور القرآن بالتناوب. ثم ينشد بعض الشعراء (من غير شعراء الخليفة) أشعاراً يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت (عليهم السّلام)، وقد يصاحب الشعراء في مراثيهم ارتفاع الصراخ و الضجيج بالبكاء والعويل.

ثم يفرش في دهليز القصر «سماط الحزن» وقد وضعت فوقه ألف زبدية من العدس والمخلّلات والأجبان والألبان، وعسل النحل والفـطير والخـبز الأسـود (المصنوع من الشعير خصوصاً لهذه المناسبة) حتى إذا حان وقت الغـذاء دخـل الناس على اختلاف طبقاتهم. وقد لا يأكل البعض، فلا يجبر أحد عليه.

وكان من عادة الفاطميين النحر في يوم عاشوراء فتنحر الإبل والبقر والغنم عند مشهد الحسين بن علي (عـليهما السّـلام)، وتـوزع لحـومها عـلى الفـقراء والمساكين.

وأول ما أقيمت الاحتفالات بذكرىٰ عاشوراء في العصر الفاطمي كان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م. على عهد الخليفة المعز لدين الله أول خلفائهم بمصر. و بقيت هذه الذكرى قائمة حتى نهاية الدولة الفاطمية.[١]

١ . رزق الله أيوب، الدكتور ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٣٤.

ذكرى عاشوراء وشعراء الفاطمية:

تميم بن المعزّ لدين الله

(٣٣٧ _ ٣٧٤هـ)

قال يمدح الخليفة العزيز بالله أخاه:

إمــــامةٌ مــــهديّة اللّــــواء ودولةٌ دائــــــمةُ الـبــــقاء
مــــحفوفةٌ بـــــالعزّ والبـــــهاء عَــمَّمْتَ بــالعدل بــنى حــوّاء
لا والدّمِ الجــــاري بكـــربلاء ومَــنْ بــها مــن دائــم الثّــواء
بـــني عــليٍّ وبــني الزّهــراء ذوي التّـــناهي وذوي العَــلاء
ما حُلْتُ عن مُسْتَحْسَن الصفاء فيك، ولا عن خالص الوفاء[١]

وقال في الغَزَل:

لا والمُــــــضَرَّج ثَــــوْبُهُ فــــي كــــربلاء مـــن الدّمـــاء
لا والوَصــــــيِّ وزَوْجِـــــهِ وبـــــنيه أصـــحاب الكســـاء
أوْلا فــــــإنّي للـــــعُصا ةَ الغــــــاصبين الأدعـــياء
مـــا حُــلْتُ يـــا ذاتَ اللّــمَى عـــمّا عَــهِدْتِ مــن الوفــاء
هـــا فـــانظُريني ســـابحاً في الدّمـع مـن طـول البُكـاء[٢]

١ المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١٧.

٢ . المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٢٥.

وقال يرثي أهلَ البيت:

نأتْ بعد ما بان العزاءُ سُعادُ ... فحشوَ جفونِ المُقْلَتين سُهادُ
فليت فؤادي للظعائن مَرْبَعٌ ... وليت دموعي للخليط مَزاد
نأوا بعد ما ألقتْ مكائدها النّوىٰ ... وقدّت بهم دار وصحَّ وِدادُ
وقد تؤمَن الأحداث من حيثُ تُتّقىٰ ... ويبعدُ نُجْح الأمر حين يرادُ
أعاذِلَ! لي عن فُسْحة الصبر مَذْهَبٌ ... وللَّهْو غيري مألَفٌ ومَصَادُ؟
ثوت ليَ أسْلافٌ كِرام بِكربلا ... هُمُ لثُغُور المسلمين سِدادُ
أصابتهمُ من عبد شمس عداوةٌ ... وعاجَلَهم بالناكثين حَصَادُ
فكيف يلذُّ العيشُ عفواً وقد سطا ... وجارَ علىٰ آل النبيِّ زِيادُ؟
وقتَّلَهمْ بغياً عُبَيدٌ وكادهم ... يزيدُ بأنواع الشقاء فبادوا
بثاراتِ بدرٍ قاتلوهم ومكَّةٍ ... وكادوهُمُ والحقُّ ليس يُكادُ
فحُكِّمت الأسيافُ فيهم وسُلِّطت ... عليهم رِماحٌ للنفاق حِدادُ
فكم كُرْبةٍ في كربلاءَ شديدةٍ ... دهاهُمْ بها للناكثين كِيادُ
تحكَّم فيهم كلُّ أنْوَك جاهلٍ ... ويُغْزَون غَزْواً ليس فيه مَحادُ
كأنّهمُ ارتدُّوا ارتدادَ اميّةٍ ... وحادوا كما حادت ثمود و عادُ
ألم تُعظموا - يا قومُ - رهطَ نبيّكم؟ ... أما لكُمُ يومَ النُّشُور معادُ؟
تُداس بأقدام العصاة جُسومُهم ... وتدرسُهم جُرْدٌ هناك جِيادُ
تَضِيمُهمُ بالقتل أمَّةُ جدّهم ... سَفاهاً وعن ماء الفرات تُذادُ
فماتوا عِطاشىٰ صابرين علىٰ الوغى ... ولم يَجْبُنُوا بل جالَدوا فأجادوا
ولم يقبلوا حكمَ الدّعيِّ لأنّهم ... تسامَوا وسادُوا في المهود وقادوا
ولكنَّهم ماتوا كِراماً أعِزّةً ... وعاش بهم قبل الممات عِبادُ

وكــم بأعـــالي كـربلا مـن حـفائر ... بـــها جُــثَثُ الأبــرار ليس تــعادُ
بها مـن بـني الزهـراء كـلُّ سَـمَيْدَعٍ ... جـــوادٍ إذا أعــيا الأنــامَ جــوادُ
مـــعفّرةٌ فــي ذلك التـــرب مــنهمُ ... وجــوهٌ بــها كــان النـجاح يـفادُ
فلهفي عـلى قـتل الحسين ومُسلم ... وخــزيٌ لمــن عــاداهـما وبِـعادُ
ولهــفي عــلى زيــدٍ وبَتّاً مـردَّداً ... إذا حــان مــن بَثّ الكـئيب نـفادُ
ألا كـــبِدٌ تــفنى عــليهمْ صَــبَابة ... فــيَقْطُرَ حُــزْناً أو يــذوبَ فـؤادُ؟
ألا مــقلةٌ تَــهْمي؟ ألا أُذنٌ تـعي؟ ... أكُــلُّ قــلوب العــالمين جَـمادُ؟
تُـــقاد دمــاء المــارقين ولا أرىٰ ... دمــاء بـني بـيت النـبيِّ تُــقادُ
أليس هــمُ الهـادون والعِـترة التـي ... بها أنجابَ شِـرْكٌ وآضـمحلَّ فسـاد
تساق على الإرغام قسْـرا نِساؤهمْ ... ســـبايا إلى أرض الشآم تــــقادُ
يُسَـــقن إلى دار اللــعين صواغِـرا ... كما سِيق في عَـصْفِ الريـاح جـراد
كأنـــهمُ فَــيْءُ النــصارى وإنـــهمْ ... لأكـرمُ مَـن قـد عـزّ منه قِـياد
يــعِزُّ عـلىٰ الزهــراء ذِلَّـةُ زيـنب ... وقــتلُ حسـين والقـلوبُ شِـداد
وقـــرْع يــزيد بــالقضيب لِسِــنّه ... لقــد مَـجَنُوا أهـلُ الشآم وهـادوا
قتلتم بني الإيمان والوحي والهُـدى، ... مــتى صــحَّ مـنكم فـي الإله مُـراد
ولَــمْ تـقتلوهم بـل قـتلتم هـداكُمُ ... بـــهم، ونـــقصتم عـــند ذاك وزادوا
أمَـــيَّةُ مـــازلتم لأبــناء هـــاشِمٍ ... عِدًى فاملئوا طُرقَ النفاق وعـادوا
إلىٰ كم وقد لاحت براهـينُ فـضلهمْ ... عــــليكم نِــــفار مـنكُم وعِـــناد
متىٰ قطُّ أضحىٰ عبدُ شـمس كـهاشمٍ ... لقـد قـلَّ إنـصـاف وطـال شِـراد
مـتىٰ وُزِنت صُـمُّ الحـجار بـجوهر ... مـتىٰ شـارفت شُـمّ الجبال وِهـاد
متىٰ بـعث الرحـمنُ مـنكم كـجدّهم ... نـبيّا عـلت للــحقّ مــنه زنــاد

متى كـان يـوما صـخرُكـم كـعَليّهم ... إذا عُـــدّ إيـــمان وعُـــدّ جـــهاد
متىٰ أصـبحت هـند كـفاطمةَ الرضـا ... مـــتىٰ قـيس بـالصبح المـنير سـواد
أ آلَ رســـول الله سُــؤتمْ وكِــدْتمُ ... ســـتحيا عــليكم ذِلّــةٌ وكســـاد
أليس رســـول الله فـيهم خـصيَمكم ... إذا أشــــتدّ إيـــعادٌ وأَرمَــلَ زادُ
بكــمْ أم بـــهمْ جـاء القُرانُ مـبشّرا ... بكـــمْ أم بـــهمْ ديـــن الآله يشـــاد
سأبكـــيكمُ يـــا ســـادتي بـمدامـع ... غـــزار وحـــزن ليس عـــنه رقـــاد
وإن لم أعـــاد عـبدَ شـمس عـليكمُ ... فـلا آتـسعت بـى مـا حـييت بـلادُ
ســقى حُــفَرأً وارتكُــمُ وحَــوَتْكُمْ ... مـن المـستهلّات العـذاب عِـهاد[1]

وقال يفخر ببني هاشم علىٰ بني أمية:

واســـمُ إلى الصـفوةِ مـــن هـــاشم ... أهــــلِ مــــعاليها وتـــقديسها
إن قـــــريشا بِـــعلا هــــاشِمٍ ... تـــفخر فـــي عَـــقْوةِ عِـــرّيسها
إن يك مــــن يـــاقوتها هـــاشم ... فـــعبد شـــمس مـــن ضـــغابيسها
دع عــــبدَ شـــمس وأبـــاطيلَها ... فـــــقد بـــدا الله بـــتنكيسِها
قـــبيلة مـــــا طـــهَّر الله مَـــنْ ... شـــايعها مِـــن إثـــم تـــنجيسها
طـــافت بـــحربٍ وهـــو فِـــرعَوْنها ... طَـــوْفَ النـــصارى حـــول قسّيسِها
دم النـــبيّ المـــصطفىٰ ظـــاهِر ... يـــلوح فـــي بـــنيان تأســـيسها
سَـــقت بـــنيه بـــالردىٰ واغـــتدت ... نِســـاؤه سَـــبْيا عـــلى عـــيسها
قـــــبيلة أفـــضلها شـــرُّها ... لا شـــرفت عـــن حـــال مـــرؤسها
فـــــإنها أولىٰ بـــــإتعاسها ... ولعـــنها مـــن لعـــنِ إبْـــليسها[2]

---

١ ـ المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ١١٧.
٢ ـ المعزّ لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٢٤٦.

وقال يرثي أهله:

الحُــــرُّ لا يأتـــى الدنـــيّةْ والمــــجدُ للــنّفسِ الأبـيّةْ
ومِـــن المكــارِمِ والتُّـقىٰ حسْـنُ السَّــريرةِ والطَّـويّه
والمـــرءُ يستُر بــالسخا ء مــعايبَ النَّـفسِ السـخيّه
والحِــلمُ أعــظمُ مـا يكــو ن إذا تسـعاظَمَتِ الخــطِيّه
والعــقلُ أجـــملُ زيــنةٍ لأخـــي النَّــباهة والروِيّـةْ
والظُّــلمُ مــن لُـؤمِ الطِّــبا عِ وعــادة النـفسِ الرديّـه
والبـــغيُ يــؤذِن بَــالبَوا رِ وبــــالدَّمار وبــــالمَنيّه
أَوَ مــا تَــرى بــالبَغْي مــا أفــضَتْ إليــه بـنو أمـيّةْ
النـــاكِــبين عــن الهــدى والجــائرين عــلىٰ الرّعــيّةْ
والقـــــاسطين الواثـــبيـ ـن علىٰ أبـنِ فـاطمة الزكـية
كـــفروا بِــربِّ محمدٍ بَــغْيا فـما حَـفِظوا نـبيَّه
وشـــفَوا بسِــبْطيه الحـقُو دَ وحــاربوا ظُـلماً وصـيّه
ونَسُـــوا مــقالَ نـــبيِّهم وهـو المـعدِّل فـي القـضيّه
مــن كـنتُ مـولاه فـقد أضـحىٰ أبـو حَسَـنٍ وليّـه
جــلّتْ بسَــفْك دمِ الحُســيـ ـنِ وقــتلِهِ عـندي الرزيّـه
مـــاذا أبــيحَ بكَـــربَلا ءَ مـن النـفوسِ الهـاشميّه
مـــاذا تــخطّفتِ الصــوا رِمُ مِـــنهمُ والسَّـــمهَريّه
بكتِ الســـماءُ لفـــقدِهِمْ والأرضُ وأحـتذَتِ البـريّه
أهـــلُ الفـضائلِ والمكــا رِم والنَّـــدى والأريـحيّه

وذووا النّـــبوّةِ والهـــدا	يـــةِ والعُـــلا واللّـــوذَعيّه
قَـــتلتْ أمـــيّةُ هـــاشما	أعـــظِمْ بـــذلك مِـــن بـــليّه
بـــحُقودِ بَـــدْرٍ طـــالبو	هـــم والدّمـــاءِ المشـــركيّه
خـــذلوا النـــبيَّ بِـــقتلِهمْ	وتَـــعصّبوا للـــجاهليّةْ
هـــدموا الشـــريعة، والشـــريـ	ـــعةُ غَـــضّةُ المـــبْدا طـــريّه
لم تَـــخْفَ عـــن ربِّ البـــريّـ	ـــةِ مـــن فِـــعالِهِمُ خـــفيّه
مـــا عُـــذرهمْ يـــومَ النّشـــو	رِ إذا تـــحاكـــمتِ البـــريّةْ
وأتـــى النـــبيُّ مـــطالبا	بـــدمِ ابـــن فـــاطمة الرضـــيّه
ودمُ الحســـين عـــلى البـــتو	لِ وعـــينُها مِـــنه بكـــيه
نـــحروه غـــيرَ مُـــذمّمٍ	نَـــحْرَ الهـــدايـــا للـــضحيّه
فـــي كـــربلاءَ يـــجود بـــالنفـ	ـــس المـــعطّشةِ الصّـــديّه
حـــتّىٰ أنـــثنىٰ لســـيوفِهمْ	وسِـــهامِهم فـــيها دَريّـــه
أعـــزِزْ عـــليّ مـــجالُه	ظـــمآنَ فـــي تـــلك الثـــنيّه
وبـــنو أبـــيه حَـــوْلَه	بـــين العُـــداةِ النـــاصبيّه
قـــد جَـــرّدوا بـــيضَ المـــناصِلِ	وأســـتعدّوا للـــمنيه
حـــتىٰ تـــفانوا حـــولَه	وسُـــقُوا المـــنيّة بـــالسّويّه
والفـــاسقُ أبـــنُ زيـــادٍ الـ	ـــملعونُ يـــطلبهمْ بِـــنيّه
لا يـأتـــلي فـــي قـــتل أبـ	ـــناءِ النـــبيِّ عـــلىٰ حـــميّه
حـــتّىٰ إذا مـــا عَـــفّرو	هُ عـــلىٰ ثـــرىٰ الأرض الثـــريه
حَـــثُّوا المـــطايا للشـــآ	مِ بكـــلِّ طـــاهرة حَـــيِيّه

شـــهروا نِســـاءَ نـــبيِّهِمْ ... وتـــقاسَموا بـــالبَغيْ فَـــيّه
أســـرىٰ يُسَـــقْنَ كـــما تُســـا ... قُ المشـــركاتُ بـــلا تـــقيّه
حـــتّىٰ إذا جـــاءوا يـــزيـ ... ـــدَ بـهنّ وآحـتَضَروا نَـديّه
أَبْـــدَى الشّـــمات وقـــال ثـــا ... رات الرِجـــال العَـــبْشميه
أعـــزز عـــليَّ وقُـــوفُهُـــنّ ... ثـــوا كِـــلاً فـــوق المـــطيّه
والرأسُ مُـــلقىً وهـــو يـــقـ ... ـــرع بـالقضيب عـلى الثّـنيّه
يـــا عـــين جـــودِي بـــالدّمو ... ع علىٰ مُـصابِ الفـاطميّه[1]

---

١ . المعز لدين الله، تميم ابن: ديوان تميم بن المعزّ لدين الله، ص ٤٥٥ .

طلائع بن رُزِّيك

(٤٩٥ـ٥٥٦هـ)

أقول: ياليتني قد كنت في زمن الـ   هادي لأحضر فيه وقـعة الجـمل
ليشتفي كبدي ضرباً بذي شـطب   في الظالمين وطعناً بـالقنا الذبـلِ
وإنـــني لقــتيل الطـــف مكـتئب   إذ راحتي لبني اللـخناء لم تـطل

وقال راثياً العترة الطاهرة عليهم السلام:

لاتبكِ للجيرة السّارين في الظعنِ   ولا تعرّج علىٰ الأطلال والدِّمَـنِ
فليس بعد مشيب الرأس من غزلٍ   ولا حـــنين إلى إلف ولا سكَــنِ

إلى أن يقول:

يا حَرَّ قلبي علىٰ قتل الحسـين ويـا   لهفي ويا طول تعدادي و يا حـزني!
لهفي على الأنجم الزُّهر الـتـي أفـلت   وأبـعدَتها بـنو حـربٍ عـن الوطـن
سَبَوْا حـريمَ رسـول الله بـل طـعنوا   فـيه بـهم بأنـــابيب القـــنا اللـدنِ
لهـفي عـلى عُـصبٍ بـالطَّفِّ ظـامية   نالتْ من القتل فـيهم أعـظم المحنِ
وآلُ حرب لهـم صـفوا الفـرات ولم   يسمح لهم بشراب الآجـن الأسـنِ
قـلبي بـحبّي لأهـل البـيت مـرتهن   وبـــالطغاة، فـقلبي غـير مـرتهنِ[1]

---

١ . الأميني، الدكتور محمّد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٧٤.

القاضي الجليس

(المتوفّى ٥٦١هـ)

ومن شعره في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السّلام:

إن خـــانها الدمـــع الغـــزيرُ ... فـــمن الدمـــاء لهـــا نـــصيرُ
دعـــها تَسُـــحُّ ولا تشِـــحُّ ... فـــــرزءها رزءٌ كـــــبيرُ
لهـــفي لقـــتلى الطـــفّ إذ ... خـــذل المـــصاحبُ والعشـــيرُ
وافـــاهم فـــي كـــربلا ... يـــومٌ عـــبوسٌ قـــمطريرُ
دَلَـــفت لهـــم عـــصب الضـــلا ... لُ كأنّـــما دُعـــي النـــفيرُ
عـــجباً لهـــم لم يَـــلقَهم ... مـــن دونـــهم قـــدَرٌ مـــبيرُ!
أيـــمار فـــوق الأرض فـــيـ ... ـــضُ دم الحسـين ولا تـمورُ؟
أتـــرى الجـــبال درت ولم ... تـــقذِفْهُمُ مـــنها صـــخورُ؟
أم كـــــيف إذ مـــنعوه وِر ... دَ المـــاء لم تَـــفر البـــحورُ؟
حُـــرِم الزُّلال عـــليه لمّـــا ... حُـــلّلت لهـــم الخـــمورُ[1]

---

١. الأميني، الدكتور محمّد هادي: عيد الغدير في عهد الفاطميين، ص ١٨٨.

الجوامع والمساجد في عهد المعز لدين الله

وأنشأ الفاطميون عدد كبيراً من الجوامع، أهمها:

أ ـ الجامع الأزهر:

وضع القائد جوهر الصقلي أساس الجامع الأزهر في الرابع عشر من رمضان سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م، وانتهىٰ من بنائه بعد حوالى سنتين من ذلك، إذ أقيمت الصلاة فيه لأوّل مرة في السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م.

وقد تَمَّ توسيع بناء الجامع بمرور الزمن، حتىٰ أصبحت مساحته اليوم ضعفها عند بنائه. وكان الأزهر يضم قسماً مسقوفاً أعد للصلاة، وقسماً غير مسقوف كساحة يمكن إقامة الصلاة فيها عند الازدحام في القسم المسقوف، هذا بالإضافة إلى الملحقات، كالمنارات والميضأة وغيرها.

ويطلق علىٰ قسمه المسقوف «المقصورة»، وقد أنشأ جوهر الصقلي بها محراباً يعرف اليوم بالمحراب القديم أو «القبلة القديمة»، لإقامة محاريب غيرها بعد الفاطميين، كما نقل المنبر الذي أقامه جوهر الصقلي في هذه المقصورة إلى جامع الحاكم بأمر الله. ثم توالت في الأزهر الإضافات الجديدة من أروقة وممرات ووحدات للتدريس ومحاريب و ميضآت ومآذن و مقصورة، بتوالي الدول المتعاقبة على حكم مصر، حتىٰ أصبح الجامع القديم محصوراً في قلب الجامع الحالي. وفقد هذا الجامع بهذه الإضافات هيئته الأصلية، ووحدته الفنية، وأصبح «بمثابة متحف للعمارة والزخرفة الإسلامية».

وفي سنة ٣٧٨هـ /٩٨٨م حوّل العزيز بالله الفاطمي الأزهر إلى معهد لتدريس جميع العلوم النقلية والعقلية ؛ بناءً على نصيحة وزيره يعقوب بن كلس. وهو لذلك أمر بوجوب تأمين المأكل والمشرب والمسكن لرواده من طالبى العلم تشجيعاً لهم. ثم بنى الخليفة بجواره داراً لجماعة من الفقهاء كانوا يجتمعون فيه بعد الصلاة ظهر كل يوم جمعة لإقامة المجالس الدينية.[1]

وحافظ الفاطميون علىٰ إقامة الصلاة في أوقاتها المحددة، لهذا عينوا شخصاً للتنبيه إلى أوقات الصلاة وتذكير الناس بالصلوات، فلقب بالميقاتي. وحتى يعرف الميقاتي الأوقات الصحيحة، فقد كان ينظر إلى المزولة المقامة على أحد جدران صحن الأزهر. وكانت بقية مساجد القاهرة تتبع في الأذان أصوات المؤذنين في الأزهر.

وكان للأزهر مكتبة فيها ٦٠٠٠ مجلد، وكرتان تمثلان الأرض، وبُني مرصد فلكي، اشتغل فيه علماء من الطبقة الأولى مثل ابن يمين صاحب الزيج الحاكمي. و صحح العرب بمعارفهم الفلكية وبتدقيقات سياحهم، اكثر نظريات الجغرافيين اليونانيين.[2]

---

١ . رزق الله أيوب، الدكتور ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٥٥ .

٢ . ستو دارد، لوثروب: حاضر العالم الأسلامي، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٦٢، ترجمة عجاج نويهض، دارالفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣م.

ب ـ جامع القرافة:

بني هذا الجامع بطلب من الست «تغريد» زوجة المعز لدين الله، فقد أنفقت عليه من مالها الخاص، فكلفت الإشراف على تصميمه وبنائه، الحسن بن عبدالعزيز الفارسي، فجاء شكله رباعياً، تحيط به الأروقة من جوانبه، وحديقة غناء وبئر للماء (صهريج) من الجهة الغربية. وكان بابه ذا مصطبة كبيرة تقع تحت المنارة العالية، وهو مصفح بالحديد. ويدخل إلى مقصورة الصلاة في الجامع من أربعة عشر باباً مربعاً، أمام كل باب قنطرة على عمودين من الرخام في ثلاثة صفوف. وهذه الأبواب مجوفه (مكندجة) مدهونة بالأزرق والأحمر والأخضر. أما السقوف، فكانت ملونة بمختلف الألوان. وكان في مواجهة الباب السابع، من الأبواب الأربعة عشر، قنطرة على هيئة قوس ملونة بألوان مختلفة، يتبادر إلى ذهن الناظر إليها لأول مرة أنها شكل طبيعي، حاول الصنّاع عمل مثيل لها، فما استطاعوا ذلك.[1]

---

١ . رزق الله أيوب، ابراهيم: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٥٧ .

الفاطميون والزيريون وغيرهم

بعد أن نقل الفاطميون [الذين حكموا فترة من الوقت كل سواحل شمال إفريقيا من حدود مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي وجزيرتي صقليه وسردينيا] عاصمتهم إلى القاهرة سنة ٣٥٨ (٩٦٩م) بدأ نفوذهم يضعف في الولايات الغربية ثم انقسمت بلادهم إلى دول مختلفة.

فأعلن واليهم على المغرب يوسف بلكين رئيس بربر صنهاجة استقلاله وأقام **الدولة الزيرية** وأقام أيضاً بنو حماد دولة في بجاية من أرض الجزائر فضيقوا نفوذ الزيريين فلم يتخطَّ حدودَ تونس إلا بقليل.

وفي المغرب الأقصى أعلنت قبائل مكناسة ومغراوة وسائر قبائل البربر استقلالها واحتلوا عاصمة الأدارسة ولكنهم لم يستطيعوا أن يقيموا دولة بالمعنى الصحيح، وأخضع المرابطون هذه القبائل واحدة بعد الأخرىٰ كما استولوا على جزء كبير من بلاد بني حماد.

وكان من نصيب الموحدين بعد ذلك أن يقيموا ويحكموا في عاصمتي بني حماد وبني زيري.[1]

---

١ . سُليمان، الدكتور أحمد السّعيد: تاريخ الدّول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٤٧/١، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

بنو زيري في تونس

من سنة ٣٢٢ ـ ٥٤٣ هجري (٩٧٢ ـ ١١٤٨ ميلادي)

٣٦٢هـ	٩٧٢م	يوسف بلكين بن زيري
٣٧٣	٩٨٣	منصور بن يوسف
٣٨٦	٩٩٦	باديس بن منصور
٤٠٦	١٠١٥	المعز بن باديس
٤٥٣	١٠٦١	تميم بن المعز
٥٠١	١١٠٧	يحيىٰ بن تميم
٥٠٩	١١١٥	علي بن يحيىٰ
٥١٥ـ٥٤٣	١١٢١ـ١١٤٨	الحسن بن علي

انقرضت هذه السلسلة على يد رجار ملك صقلية والأمراء الموحدين.(١)

١ . لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الأسلام، ص ٤٣، الدار العالمية، مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.

دولة بني زيري الصنهاجيين

٣٦١ ـ ٥٤٢هـ

كانت العلاقات بين الخلافة الفاطمية وبني زيري، تتأرجح ما بين الصعود والهبوط، تبعا للظروف، ومقتضى الأحوال خلال العقود الأربعة منذ انتقال الخليفة المعز لدين الله إلى مصر وحتى خلافة الحاكم.

وكذلك كان ولاء الزيريين للمذهب الاسماعيلي يتوقف إلى حد كبير على علاقتهم بالخلافة الفاطمية، فكلما سادت المودة أمعن الزيريون في اخلاصهم وولائهم، واذا ساءت العلاقة فتر ذلك الولاء بعدم التشدد على أهل السنة، أو الاهتمام بنشر المذهب الاسماعيلي كما كانوامن قبل مما يترتب على ذلك أخطر النتائج في إمارة المعزبن باديس فقد خلف المعزبن باديس أباه بعد وفاته في أواخر ذي القعدة سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٦م، وكان عمره حوالى ثمان سنوات، ومارست عمته السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير[١].

إفتتح المعز بن باديس عهده بمذبحة الشيعة في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م وتعددت أسبابها، فيروى ابن الأثير[٢] أن المعز بن باديس خرج إلى القيروان في المحرم سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م والناس يسلمون عليه.. فمر بجماعة كانت هناك فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبابكر و عمر، فقال المعز: رضي الله عن أبي بكر و عمر، فانصرفت العامة من فورها إلى درب المعلى بالقيروان فقتلوا منهم،

---

١ . الجيلالي، عبدالرحمن: تاريخ الجزائر العام، ١/٣٣٧ ـ ٣٣٨.

٢ . ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩/٢٩٤.

وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طعماً في النهب، وكان ذلك بإغراء وتحريض عامل القيروان الذي كان يحقد على الأمير الزيري، عندما بلغه أنه يريد عزله، فأراد أن يوقع بينه و بين الفاطميين ويظهره بمظهر المتقاعس عن نصرة الدعوة وحماية أرواح المشارقة.[١]

بينما يذكر ابن عذارى[٢] أن المعز خرج في بعض الأعياد إلى المصلىٰ، وهو غلام، فكبابه فرسه، فاستنجد بالشيخين أبي بكر وعمر، فكادت الشيعة التي في عسكره تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة، ووضعوا السيف في الشيعة، فقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثة الاف، وجرى الدم غزيراً حتى غطى بقعة كبيرة من الأرض أطلق عليها فيما بعد اسم بركة الدم، ونكلوا بالشيعة في شتىٰ مدن إفريقية، ويضيف ابن عذارى أن المعز كان مدفوعاً إلى ذلك بتأثير معلمه ومربيه أبي الحسن بن أبي الرجال الذي أدب المعز منذ صغره على مذهب مالك وعلىٰ السّنة والجماعة والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان.

ويبدو أن هذه المذبحة لم تحدث أثراً سيئاً في العلاقات بين الخلافة الفاطمية وبني زيرى، فقد استمر الخليفة الحاكم في سياسة التودد والمصانعة، فتذكر المصادر أنه بعث في آخر ذي الحجة سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٧م إلى المعز بن باديس السفارات والهدايا النفيسة، ولقبه بشرف الدولة، ولم يذكر شيئاً عن الاضطهاد الدامي الذي راح ضحيته الكثير من الشيعة.[٣]

---

١ . المشارقة: إسم يطلق على الشيعة بالمغرب، نسبة إلى أبي عبدالله الشيعي، وكان من المشرق.

٢ ابن عذارى: البيان، ١/٢٩٥.

٣ . خضيري أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٥٨، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى.

وعلى الرغم من الصلات الودية بين القاهرة والقيروان، إلا أن الصعوبات والقلاقل التي واجهت الخلافة الفاطمية في عهد الخليفة الظاهر من عدم استقرار الأمور في بلاد الشام، والفتن والحروب المحلية سبباً في عدم اهتمام الخلافة بشئون افريقية وبلاد المغرب في الوقت الذي قويت فيه شوكة أهل السنة هناك بفضل انتشار تعاليم المدرسة المالكية سواء من القيروان أو تونس اللتين أصبحتا مراكز لنشر الدعاية السنية، فكان من الطبيعي أن يضعف التيار الشيعي ويشتد أزر أهل السنة.

ثم أن المعز بن باديس كان يبطن العطف على أهل السنة، بل يأخذ رأيهم في بعض الأمور كما ذكر أيضاً أن المعز بن باديس كان يسبّ بني عبيداً سراً، وانه كاتب **الجرجرائي** وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤١٨ ـ ٤٣٦هـ) يحاول الوقيعة بينهما، تمثل ذلك في بيت من الشعر نصه:

وفيك صاحبت قوماً لا خلاق لهم

لولاك ما كنت أدرى أنهم خلقوا

فهو يبجل الوزير، ويحتقر الخليفة ويغريه به، نجد أن الجرجرائي كان فطناً فقال لأصحابه يوماً: «ألا تعجبون من صبي بربري مغربي أن يخدع شيخاً عراقياً؟!».

ومن جهة أخرى ذكر أن كثيراً من أهل القيروان، قاطعوا صلاة الجمعة فكانوا يصلونها ظهراً، بسبب الدعاء للخليفة الفاطمي «واستمر ذلك حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد».[1]

وهكذا باتت مسألة الغاء هذه الدعوة الفاطمية، وبعبارة أخرى باتت مسألة

قطع العلاقات مع الخلافة الفاطمية من جانب بني زيرى بصفة رسمية أمراً متوقعاً. حيث أمر المعز بن باديس صباغي القيروان بصباغة الأقمشة البيضاء باللون الأسود وهو شعار العباسيين وأيضاً تخريب دور الاسماعيلية، ومدارسها بالقيروان، والتنكيل بالمشارقة، وتشريدهم في البلاد، هذا بالاضافة إلى لعن الفاطميين على منابر البلاد.

وهكذا انتهت التبعية السياسية والمذهبية لدولة بني زيرى بالخلافة الفاطمية الأمر الذي لم يكن بطبيعة الحال يرضى كلا من الخليفة المستنصر ووزيره اليازوري، فقد أرسل المستنصر إلى المعز بن باديس يدعوه إلى العودة إلى حظيرة المذهب الاسماعيلي[1]، يقول: «هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء، ويتوعده بارسال الجيوش بيد أن المعز كتب إليه يقول: «إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب، قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا باسيافهم».

لم تقف الخلافة الفاطمية مكتوفة الأيدي أمام هذا الإنفصال السياسي والمذهبي، بيد أن الضعف الذي أصاب دولة الخلافة، نتيجة لما انتاب مصر من فتن ومجاعات، والتخوف من مغامرة عسكرية في إفريقية غير محمودة العواقب، جعلها عاجزة عن التدخل مباشرة في شئون المغرب فلجأت إلى وسيلة أخرى.

رأى الوزير اليازُوري أن يقنع الخليفة الفاطمي المستنصر بنقل عرب بني هلال[2] إلى افريقية، وتحقيق هدفين في نفس الوقت، الأول تخليص البلاد منهم،

---

١ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص ١٨٩.

٢ . بنو هلال: ينحدر بنو هلال من عامر بن صعصعة، وأبناء عمومتهم بنو سليم من قيس بن ←

والثاني اطلاقهم على افريقية للقضاء على الدولة الزيرية، وانشاء دولة تابعة بدلا منها.

بعث الوزير اليازوري رسوله ـ مكين الدولة أبو علي الحسن بن علي بن ملهم العقيلي ـ يدور بأمر الخليفة المستنصر على الهلالية، فبدأ باصلاح ذات البين بين زغبة ورياح، وحمل إلى مشايخهم الأموال، ووصلهم بصلات سنيه، وأنعم على سائرهم ببعير ودينار لكل واحد منهم، ووعدهم بالمدد والعدد، وأذن لهم بالمسير إلى افريقية، «حيث أقطعهم افريقية والمغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون.»[١] وأنفذ اليازوري كتاباً إلى المعز بن باديس يقول فيه: «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله امراً كان مفعولا».[٢]

اجتاحت القبائل العربية بلاد برقة، وطرابلس، وافريقية، وعاثت فيها فساداً وتخريباً، على أن المعز بن باديس ما لبث أن حشد ثلاثين الفاً من قواته، وزحف بهم إلى موضع يسمى (حيدران) بالقرب من القيروان، والتقى مع قوات العرب، التي بلغ عددها ثلاثة آلاف فارس، فلما رأت العرب عساكر المعز وهم مدججين بالسلاح، والمغافر، هالهم ذلك، بيد أن قائدهم مؤنس بن يحيى الرياحي هدأ من

→

عيلان بن مضر، عمل بنو هلال في صحراء الحجاز بقطع الطريق، وبلغ من شدة عوزهم أنهم كانوا يهاجمون قوافل الحجيج، وينهبونها حتى ساءت سمعتهم، وهبط قدرهم.

١ ـ ابن خلدون: العبر، المجلد السادس، القسم الأول / ٣١.

٢ ـ المقريزي، تقي الدين احمدبن علي: إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا، ٢/٦٥، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

روعهم، وأشار عليهم ان يطعنوا في العيون، الأمر الذي أدىٰ إلى إطلاق اسم العين علىٰ هذه الحركة، وما كادت المعركة تبدأ حتى بدأ عرب الفتح بالتحيز جانباً فانضموا إلى بني جلدتهم الهلالية، فضلاً عن تخاذل الصنهاجيين، وفرارهم من ميدان القتال.

وعلى الرغم من كثرة العدد والعتاد في عسكر المعز بن باديس إلا أن الغلبة كانت للعرب، الذين هزموا عساكر المعز، وغنموا الخيل والخيام، وما فيها من الذهب والفضة والأمتعة، وتعتبر موقعة حيدران بداية النهاية للدولة الزيرية.

يتضح لنا مما سبق أن المعز بن باديس قد أخطأ في تقديره، عندما خلع طاعة الفاطميين، الأمر الذي أدىٰ إلى انحسار الدولة الزيرية، وسقوط البلاد فريسة بين جحافل العرب والنورمان، كما أن هذه الحملة البدوية، وان أضرت في اقتصاديات البلاد وخربت موارد الرزق، وأبادت نفوساً كثيرة، وعرضت المغرب لحروب صليبية من قبل الدول المسيحية، فانها قدمت عملا جليلا لعروبة المغرب، فقد عملت على تعريب المغرب، ولولا الهلاليون لما صار المغرب عربياً على الصورة التي نراها الآن.[١]

---

١ ـ خضيري أحمد، الدكتور حسن: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ص ٧١.

العقيدة الإسماعيلية

لمحة تأريخية

كانت للاسماعيلية عقيدة دينية، عملوا على نشرها في العالم بالدعاية المنظمة تنظيماً عجيباً، مما أدى إلى تقويض أركان الدولة العباسية والمجتمع العباسي القائم على أساس التعاليم السطحية الجامدة التي لا أثر فيها للانطلاق والتحرر والعلم.

لقد قام الاسماعيليون بدور خطير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدان مختلفة من العالم الاسلامي. فأسسوا أكثر من دولة لهم في البلدان الاسلامية، فكانت لهم دولة في المغرب أسسها عبيدالله المهدي سنة ٢٩٦هـ وامتدت إلى صقلية وجنوب ايطاليا، وكان لهم دولة في اليمن على يد (ابن حوشب) سنة ٢٧٠هـ. وكان لهم دولة في مصر على يد القائد (جوهر الصقلي) سنة ٣٥٨هـ. وأسسوا دولة (الموت النزارية) في بلاد فارس على يد (الحسن بن الصباح) سنة ٤٨٣هـ. وكان لهم دولة في البحرين على يد (الحسين الاهوازي، وحمدان بن الاشعث، وأبي سعيد الجنابي، وزكرويه بن مهرويه) سنة ٢٧٠هـ. وكانت لهم قلاعهم وحصونهم المستقلة المنيعة في بلاد الشام.

ومن الطبيعي أن يكون لهذه الدول أثر فعال في مجرى الحوادث في العصور الوسطى، حيث اندلعت بينهم وبين الدول المجاورة لهم وحتى البعيدة عنهم حروب عنيفة قاسية امتدت وتشعبت حتى شملت العالم الاسلامي كله.

الدراسات الإسماعيلية

كانت للدراسات التأريخية في اظهار الدعوة الإسماعيلية بمظهرها الحقيقي؛ الأثر الكبير. والتي قامت بهافتة من المستشرقين الضليعين في علوم الاسماعيلية وعلىٰ رأسهم أو بالأحرىٰ في مقدمتهم العلامة والمستشرق الروسي البروفسور (ايفانوف) عضو جمعية الدراسات الاسلامية في (بومباي) والبروفسور ماسينيون المستشرق الفرنسي والدكتور شتروطمان الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ ومسيو هنري كوربان استاذ الفلسفة الاسلامية في جامعة طهران والمستشرق الانكليزي برنارد لويس وغيرهم.

وحتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع انحاء العالم فقيرة بالكتب الاسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني (براون) بانشاء مكتبة اسماعيلية ضخمة غايتها اظهار الآثار العلمية للطائفة الاسماعيلية، ولم يقتصر نشاط اولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر بل تعداه إلى الدعاية المنظمة سواء في المجلات العلمية الكبرىٰ (مجلة المتحف الآسيوية) التي كانت تصدرها أكاديمية العلوم الروسية في مدينة (بطرسبورغ) ويشرف على تحريرها (ايفانوف) وبعض المستشرقين الروس أمثال (سامينوف) وغيره ممن نشروا المقالات الطوال عن العقيدة الاسماعيلية.

ولقد أحدثت تلك المؤلفات رد فعل في جميع الاوساط قوَّت شوكة الاسماعيليين وثبتت أقدامهم وعظم مركزهم فدوّخوا الملوك وفتحوا الحصون والقلاع وتعمقوا في العلوم فنبغ منهم فلاسفة وشعراء وأدباء وحكماء ومؤرخين كان لهم شأن عظيم في عالم التأليف حيث نهضت على كواهلهم شتىٰ العلوم في الاسلام.

الأسس التي بُنيت عليها العقيدة الإسماعيلية

ولقد تعمق دعاة الاسماعيلية في دراسة علوم ماوراء الطبيعة[١] فحلقوا فيها إلى القمة وتوصلوا إلى معرفة جوهر النفس فبحثوا عن مبدئها قبل تعلقها بالجسد وعن معادها بعد فراق الجسد وعن كيفية ثواب المحسنين في عالم الأرواح وعن جزاء المسيئين في دار الآخرة، وبحثوا أيضاً في مراتب الموجودات وقابلوها فلسفياً مع مراتب الدعوة والدين فخرجوامنها بقاعدة ثابتة على الشكل التالي:

١ ـ العقل الأول يساوي الناطق يساوي رتبة التنزيل.

٢ ـ العقل الثاني = الأساس = رتبة التأويل.

٣ ـ العقل الثالث = الامام = رتبة الأمر

٤ ـ العقل الرابع = الباب = رتبة فصل الخطاب

٥ ـ العقل الخامس = الحجة = رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً

٦ ـ العقل السادس = داعي البلاغ = رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد

٧ ـ العقل السابع = الداعي المطلق = تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية

٨ ـ العقل الثامن = الداعي المحدود = تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة

٩ ـ العقل التاسع = المأذون المطلق = رتبة أخذ العهد والميثاق

١٠ ـ العقل العاشر = المأذون المحدود = المكاسر أو المكالب ليجذب الأنفس المستجيبة.

---

١ . أمثال ابن حوشب، والكرماني، وناصر خسرو، وابن سينا، والفارابي، والنخشبي، واخوان الصفا، والرازي، والسجستاني وغيرهم

كما أنهم وجهوا اهتمامهم في الطبيعة ومنها علم العدد فقسموه على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف وقالوا بأن هذا التقسيم ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد مثل كونه أزواجاً وأفراداً وصحيحاً وكسوراً بعضها تحت بعض لكنه أمر وضعي لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها الباري مربعات مثل الطبائع الأربعة: الحرارة والرطوبة واليبوسة، ومثل الأركان الأربعة التي هي الدم والبلغم والمرّتان المرة الصفراء والمرة السوداء، ومثل الأزمان الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ومثل الجهات الأربع والرياح الأربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال، والاوتاد الاربعة الطالع والضارب ووتد السماء ووتد الأرض، والمكونات الأربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان، وعلى هذا المثال وجدت اكثر الأمور الطبيعية مربعات. وإنما صارت هذه الأمور الطبيعية مربعات بعناية الباري جل ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الأمور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية التي هي فوق الأمور الطبيعية وهي التي ليست بأجسام وذلك ان الأشياء التي فوق الطبيعة على أربع مراتب: أولها الباري جل جلاله ثم دونه العقل الكلي الفعال ثم دونه النفس الكلية ثم دونه الهيولى الأولى وكل هذه ليست باجسام وان نسبة الباري من الموجودات كنسبة الواحد من العدد ونسبة العقل فيها كنسبة الاثنين من العدد ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العدد ونسبة الهيولى الاولى كنسبة الأربعة. واعلم بان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته وألوفه أو مازاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد إلى الأربعة (١، ٢، ٣، ٤) ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها. فاذا أضيف واحد إلى أربعة كانت خمسة وإن أضيف اثنان إلى اربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة إلى أربعة كانت سبعة وعلى هذا

المثال سائر الأعداد من العشرات والمئات والألوف ومازاد بالغاً ما بلغ.

إذن فالواحد علة العدد كما ان الباري علة الموجودات وموجدها ومرتبها ومتقنها ومكملها كما ان الواحد موحد في جميع الاعداد ومحيط بها، كذلك ان الباري شاهد على كل شيء موجود ومحيط به، وكما ان كل واحد يعطي اسمه لكل عدد ومقدار، كذلك الباري أعطى الوجود لكل موجود وكم ان من تكرار الواحد نشوء العدد وتزايده كذلك من فيض الباري ووجوده نشأت الخلائق وتمامها وكمالها، وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري وكما ان الثلاثة ترتبت بعد الاثنين كذلك النفس ترتبت بعد العقل. اذن فالعقل هو اول موجود أوجده الباري تعالىٰ وأبدعه من نور وحدانيته جوهر بسيط من غير واسطة ثم أوجد النفس الكلية بواسطة العقل الفعال ثم أوجد الهيولى وذلك ان العقل قد فاض من الباري وهو باق تام كامل، والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأول جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل.

وقد نظمت الدعوة تنظيماً دقيقاً فقسم عميد الدعوة الذي هو الامام الدعاة إلى أقسام عديدة كل قسم حسب مقدرته، وضمن اختصاصه، واتخذ شكل التقسيم شكلاً هندسياً هرمياً وكان بتنظيماته وفروعه مشابهاً لتقسيمات السنة إلى فصول وأشهر، وأيام وساعات.

فالامام هو بمركز السنة والاثني عشر شهراً مثل الدعاة الذين هم في اثني عشر جزيرة التي هي العرب، الترك، البربر، الزنج، الحبشة، خزر، الصين، فارس، الروم، الهند، السند، الصقالبة. وهم رؤساء الدعوة فيها ولكل واحد من هؤلاء ثلاثون داعياً في قطره ولكل داع من هؤلاء اربعة وعشرون داعياً مأذوناً

ومكاسراً.[١]

ودعوتهم مرتبة علىٰ منازل، دعوة بعد دعوة، حتىٰ تبلغ هذه الدعوات تسعاً يبدأ الداعي أولاً باستدراج المدعو بعد أن يكون قد وقف علىٰ هذه التعاليم ومبلغ إيمانه بدينه، ويستهويه إلى هالته العقلية، ويشرع يشككه في أفكاره بأسئلة إنكارية: ما معنىٰ العدو بين الصفا والمروة؟ ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة وما بال الله قد خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنىٰ الصراط المضروب في القرآن مثلاً والكاتبين والحافظين؟ أخاف أن نكابره ونجاحده حتى أدلي العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك في القرطاس بالكتابة؟

وهكذا يستمر يلقي الاسئلة سراعاً وينفث سموم الريب في النفس، ثم يعقب علىٰ هذه الاسئلة بأسئلة الغرض منها استهواء المدعو إلى حظيرة الفلسفة والهرقطة التي كانوا يقولون بها: أين أرواحكم؟ وكيف صورها وأين مستقرها، وما أول أمرها؟ والإنسان ما هو؟ وما حقيقته؟ وما الفرق بين حياته وحياة البهائم؟ وما معنىٰ قول الفلاسفة: الانسان عالم صغير والعالم إنسان كبير؟ وأمثالها حتى إذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها، قال له حينئذٍ: لا تتعجل فإن دين الله أعلا وأجل من أن يبذل لغير أهله، ثم بعد حديث وإغواء يأخذ عليه عهداً ألا يفشي سراً، ولا يظاهر أحداً عليهم، ولا يطلب لهم غيلة، ولا يكتمهم نصحاً! ولا يوالي عدواً لهم. فإذا أعطي العهد طلب منه جعلا من المال يجعله مقدمة أمام كشفه له الأمور وتعريفه إياها.

---

١ . غالب، الدكتور مصطفىٰ: تاريخ الدّعوة الاسماعيلية، ص ١٩، بيروت، دار الأندلس، الطبعة الثانية.

وينتقل إلى الدعوة الثانية ومرماها إثبات ضرورة وجوب الإمام الذي ينصبه الله للناس، وإلى تقرير أن الأئمة السبعة آخرهم محمد بن اسماعيل بن جعفر وهو صاحب ذلك الزمان، وعنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند أحد غيره، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد إليه والتسليم له، لأن الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحيرة في العدول عنه.. ثم ينتقل إلى تعليل اعتقادهم في الأئمة والنقباء الاثني عشر.

وهنا يكون الداعي قد تمكن من نفس المدعو فيعمل على تعمير منطقة العقل ويدعوه إلى النظر في كلام أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس، وينهاه عن قبول الأخبار والاحتجاج بالسمعيات[1].

وما قاله الداعي الاسماعيلي ـ عامر بن عامر البصري ـ من القصيدة التائية هو خير دليل على ما ذُكِر آنفاً.

وتعلم ما حوًّا وكيف احتواؤها ... على مركزٍ منه بدة للإحاطة
وهل كان بدءاً خلق آدم وحده ... من الطين أم قد كان منْ دفق نطفةِ
ويعلمُ ما الذنب الَّذي جوزيا به ... هبوطاً فبانت منهما كل سوْءَةِ
وما الورق الغَضُّ الَّذي غَطيا به ... عوارهما حتىٰ اختفت كل عورةِ
أمِنْ شجرٍ قد كان أمْ مِ ملابسِ ... الجنان زها بالخضرة السندسيةِ
وكيف استواء الله من فوق عرشه ... على الماء لا ذا الماء بالأَوليَّةِ
وهل معجزات الأنبياء بظاهرٍ ... أتت أمّ بألفاظٍ لها معنويَّةِ

---

١ . خفاجي، الدكتورمحمّد عبدالمنعم: الأزهر في الف عام، الجزء الأوّل، ص ٣١، ٣٢، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

وهــلْ كـان مـعراج النـبي بـجسمه | إلى القـــدس أمْ بــالقوّة المــلكيّةِ
وجبريل شيء مـنه أمْ عـنه خـارج | كما ظنَّهُ الجـمهور مِـنْ غـير خـبرةِ
وكـــيف أتـــى لمّــا رقـى ومكـانه | كـــما كـان فـي تسـخينه بـالحرارةِ
ولم اشـبهِ الروح الأمـين وقَـدْ أتـىٰ | مـحمده بـالوحي صـورة دُحْـيةِ
ولم خصَّ تكوينَ السَّماءِ وأرضـها | بــــتةِ ايـــامٍ تــوالتْ ســويّةِ
وَهـلْ ذلك الرزق الذي عـند مـريم | رأى زكــريا كـان مـن حب حـنطةِ
ومـــريم لم صـارت لهـارون اخـته | وبـينهما فـي الدورِ أطـول مـدّة
أمْ الوحي ذاكَ الرّزق كـان أتـى بـه | إليهاابنها مِـنْ عـندِ اشـرف حـضرةِ
وهَـلْ كـان لمّـا كـلمَّ النـاس مـهده | هُوَ الجسم بـالتحقيق أمْ مـهد عـادةِ
وكم ليـلة القـدر التـي جـلَّ قـدرها | عـلى ألفِ شـهرٍ فـضلت بـمزيةِ
وما السـرُّ فـي عـيسىٰ وليس له أبٌ | ولمْ لقب المــختار امــي مكـةِ
ومـا ذلك النـجم الذي هـوى ومـا | هو الطّـارق المـنحط عشـقاً لرفـعة
ورقدة أهل الكهف فـي ظـلّ كـهفهم | ثـلاثة مـئين مـع زيـادة تسـعة
أهـل نـوم طـبع كـان بـالعادة التّـي | جرت أم غشـاه نـوع جـهل وغـفلةِ
وهَـلْ ذاكَ مـحسوب بـهذي سـنيننا | فـنـدركه أمْ بــالسنين القـديمة
وهل لَكَ علم بالجدار وقـتلة الغـلام | ومـــا المـعنىٰ بـخرق السـفينةِ
وصحبة مـوسىٰ عـبدنا واعـتراضـه | عـــليْهِ لمـــا يأتـــي بـغير رويّـةِ
وما هُوَ ذو القرنين في السـد والذي | عليْهِ غروب الشّمس في عين حمأةِ
وما هُـوَ وادي النـمل والنـملة التـي | تـخاطبهم رمـزاً بـلطفِ اشـارةِ
تقولُ ادخلوا يا أيّها النـملُ نسـلموا | مساكنكم مـن حـطم جـندٍ بـدوسةِ

وما هُوَ ذاك الهدهد الطائرُ الَّذي ... أتــى لسليمان بسرٍّ سريرةِ

وبلقيس إذْ جاءوا إليها بعرشها ... وقَدْ نكروه بَعد نقشٍ بنقشةِ

فقالوا لها هَلْ كان عرشك هكذا ... فقالت نعم يحكيه مِنْ غير ريبةِ

ومـا ذلك العفريت والقائل الذي ... له بكتابِ الله علم درايةِ

وكيفَ أتىٰ بالعرشِ قبل آرتدادِ طرفه ... وهُوَ سردقٌ عن كُلِّ فطْنةِ

وما ذلك الصرح الممرد إذ غدت ... تكشف ساقيها لديه لخوضةِ(١)

---

١ . هذه مقتطفات من تائية عامر بن عامر البصري وهي على غرار تائية ابن الفارض، ومن بحرها وقافيتها، توجد تائية لعامر بن عامر البصري، ومنها نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم ـ ٨٨٦ ـ وأخرىٰ في فيينا تحت رقم ـ ٤٨١ ـ .

عاش في القرن السابع للهجرة المحمدية، وتكاد تكون المصادر التأريخية عن حياته محدودة ومجهولة. فكل ما ذكر ان عامراً كان ينتمي إلى احدىٰ المدارس الصوفية القائمة في بلدة ـ سيواس ـ من بلاد آسيا الصغرىٰ.

ويذكر المستشرق «ماسينيون» ان بلدة سيواس كان فيها خانقاه لطريقة الشيخ نجم الدين دايا.

وجاء في تلخيص معجم الالقاب لابن الفوطي مايلي: «ابن عامر الحكيم ـ عز الدين ابوالفضل عامر بن عامر يعرف «بأوشيذر» البصري الحكيم الأديب من حكماء العصر، له رسائل في الحكمة وغيرها» ومن حديثه:

«ان المدعي «علي بن الفخر الاردستاني» لمّا ادعىٰ انه عيسىٰ صدّقه هذا الفاضل، وقال بمقاله، ولمّا أُخذ وقُتل واحرق في ليلة القدر من رمضان سنة ٦٩٦ هـ رثاه بابيات ذكرتها في التاريخ».

ممّا لا ريب فيه انّ في القصيدة اراءً اسماعيلية ظاهرة، وتعابير اسماعيلية باطنية لا تخفى على المطلعين ولعل هذا يثبت نظريتنا القائلة: بان المدرستان الاسماعيلية والصوفية كانتا متلازمتان يتأثران ببعضهما البعض بالنسبة لواقع الازمنة والاحوال.(*)

اعتبار العدد «سبعة» مقدساً

يشبه النظام الاسماعيلي الفيثاغورية القديمة من حيث اعتبار العدد «سبعة» مقدساً. وقد جعلت السبعية (الإسماعيلية) النظام الكوني والحوادث التاريخية أمراً مرتباً على هذا العدد، وهم يتبعون في حدوث الكائنات فلسفة «غنوستية» مبنية إلى حد ما على الأفلاطونية الحديثة، ويجعلون التجليّات سبعة هي:

١ ـ الله.

٢ ـ العقل.

٣ ـ النفس.

٤ ـ المادة الأصلية.

٥ ـ الفضاء.

٦ ـ الزمن.

٧ ـ عالم الأرضين والبشر.

ولهذا العالم عندهم سبعة أنبياء مشترعون، يسمى كل واحد منهم الناطق، وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم محمد التام بن إسماعيل. وبين كل نبيّيْن ناطقيْن سبعة أنبياء صامتون أولهم الأساس ومن جملة الصامتين إسماعيل وهارون وبطرس وعلي، ويوازي الصامتين طبقة أدنى منهم وهي مرتبة على أساس السبعة أو الاثنى عشر، وهم من زعماء الدعاية، ويعرف واحدهم بالحجة، ثم المبشرون العاديون ويعرفون بالدعاة.(١)

ويؤكد لنا شهاب الدين ـ أبو فراس ـ الديلمي الميثقي. أهمية العدد سبعة

---

١ ـ عكاوي، دكتور رحاب: الحشّاشون حُكّام الموت، ص ١٥، بيروت، دار الحرف العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

والأعداد الأخرى في رسالته «مطالع الشموس في معرفة النفوس» قائلاً:

اعلم أيها الأخ البار الرحيم، ان الباري عندما اراد أن يخرج النفيس من الخسيس، خلق الدر من الصدف، والذهب والفضة من الحجر، والعسل من النحل، والانسان من نطفة. وخلق السماء مدوّرة، والأرض كرويّة، والانسان طويلاً على هيئة قبة الفلك. عيناه كالشمس والقمر، واذناه كالمشرق والمغرب، ومنخراه كالجنوب والشمال، وصوته كالرعد، ولمحته كالبرق، وعدد شعره كعدد نجوم السماء. ولمّا كان في السماء اثناعشر برجاً، كان في جسم الانسان اثنا عشر خرقاً وهي: العينان والاذنان والمنخران والفم والثديان والصرة والسبيلان. ولمّا كانت السنة ثلاثمائة وستين يوماً. وافلك ثلاثمائة وستين درجة، كذلك في جسم الانسان وُجد ثلاثمائة وستين عرقاً. ولمّا كانت السموات سبع طبقات مركبة بعضها فوق بعض، كذلك في جسم الانسان سبع جواهر تماثلها في التركيب وهي: المخ والعظم والعصب والعروق واللحم والجلد والشعر. ولمّا كان في الفلك سبع قوى روحانية فعالة بذاتها، كذلك في جسم الانسان سبع قوى روحانية مماثلة لها وهي: السامعة والباصرة والشامة والذائقة واللامسة والناطقة والعاقلة. ولمّا كان في الفلك أيضاً سبع قوى جسمانية، كذلك في جسم الانسان سبع قوى مماثلة وهي: الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافقة والمصورة والفاذية والنامية.

واعلم بان نسبة النطقاء كنسبة القمر من الشمس، فنور القمر من نور الشمس بجريانه في الثماني والعشرين منزلة. كذلك النطق من نور العقل وجريانه على اللسان في ثماني وعشرين حرفاً. كل هذا لحكمة بالغة، وتقدير من العزيز الحكيم.(١)

ولقد وفقت الحركة الإسماعيلية بين جهاز الدعاية الذي نظمته خير تنظيم، وبين نظام الفلك ودورته، فجعلت العالم ـ الذي كان معروفاً في عصرها ـ مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثني عشر شهراً واذن فيجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً. وأطلق على كل قسم «جزيرة» وجعل الامام عميد الدعوة على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، هو المسؤول الأول عن الدعوة فيها، وأطلق عليه لقب «داعي دعاة الجزيرة» أو «حجة الجزيرة».

وقالوا ان الدعوة لا يمكن استقامتها إلا باثني عشر داعياً يتولون ادارتها، يقابلهم في عالم الفلك الواحد اثنى عشر برجاً هم: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت. يطابقها في جسد الانسان اثني عشر ثقباً هي: العينان، والاذنان، والمنخران، والثديان، والسبيلان، والفم، والسرة. يقابلها في عالم الحجب اثنا عشر حجاباً هم: حجاب القدرة، وحجاب العزة، وحجاب العظمة، وحجاب الهيبة، وحجاب الجبروت، وحجاب الرحمة، وحجاب النبوة، وحجاب الكربة، وحجاب المنزلة، وحجاب الرفعة، وحجاب الشفاعة، وحجاب السعادة. وقالوا أيضاً ان النبي(ص) قال: «طوبىٰ لمن حفظ الرأس وما حوىٰ، والعقل وما وعىٰ، والقلب وما دعا، وذكر القبر والبلىٰ، ولم يتأثر بالحياة الدنيا». أي طوبىٰ لمن حفظ رأس دعوة الحق والأئمة من ولده، ويقولون بأن الرسول اراد من قوله (العقل وما وعىٰ)، أي ان في العقل اثني عشر قطعة دليلاً على اثني عشر داع الذين هم في جزاير الأرض، وهم في الدنيا مشهورون: العرب، الترك، البربر، الزنج، الحبشة، خزر، الصين، فارس،

الروم، الهند، السند، الصقالبة. ولما كانت الابراج ستة قبلية، وستة شمالية، كذلك اقتضى أن تكون الثقوب ستة في الجانب الايمن، وستة في الجانب الأيسر، يطابقها أن شهور السنة على نوعين: ستة شمالية، وستة جنوبية؛ فالستة الشمالية، عدد أيامها ثلاثون يوماً، ويسمون بالاشهر الكاملة، والستة الجنوبية، عدد أيامها تسعة وعشرون يوماً، ويسمون بالأشهر الناقصة.

وباعتبار ان الشهر ثلاثون يوماً، لذا كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة، وهم قوّته التي يستعين بها في مقارعة الخصوم، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة، فهم بمثابة وزرائه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته. ولما كان اليوم مقسم إلى اربع وعشرين ساعة، اثنتي عشرة ساعة بالليل، واثنتي عشرة ساعة بالنهار، لذا جعل الامام الاسماعيلي لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعياً، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتارالشمس بالليل. وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الامام في العالم الذي كان معروفاً لديهم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً، في وقت واحد، وذلك بخلاف عدد آخر من الدعاة لا يشملهم هذا الاحصاء، وهم الدعاة الذين يكونون دائماً في مركز الدعوة الرئيسي مع عميدهم الامام، علماً بانه كان لكل فئة من هؤلاء الدعاة عمل خاص لا يتعداه حفظاً لنظام الدعوة وسريتها، فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة، وعلى عاتق المكالبين تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس، وكأنهم تلاميذ يريدون الافادة من أساتذتهم، دون أن يخالج الشك العلماء والفقهاء أو الجماهير المجتمعة للأخذ عن هؤلاء العلماء أو الفقهاء، بأن من يجادلونه

ويناقشونه مناقشة علمية عنيفة أنه من الدعاة، وفي أغلب الأحيان يظهر عجز العالم عن الجواب، الصحيح، أو تبدو منه أخطاء فيسخر منه الداعي المكالب ويتركه، وهنا تظهر عبقرية الداعي المكالب فيسرع اليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الاسئلة التي طرحها والموضوعات التي ناقش فيها العلماء، ومن الظاهر ان الداعي المكالب كان يختار اختياراً خاصاً، ولا يسمح له بالمكاسرة الا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة، ونجد في بعض الكتب الاسماعيلية الشروط الواجب توفرها عند اختيار الداعي المكالب والخصال التي يجب أن يتحلىٰ بها، من ذلك أن يكون من نفس البيئة التي سيكاسر فيها، ولد ونشأ بها، حتى يكون معروفاً عند الجمهور ويجب أن يكون حسيبا ونسيباً بين قومه، فالحسب والنسب يكسبانه بعض الاحترام، وان يكون معروفاً بالصدق والامانة والتقى والورع، فهذه الصفات تزيده احتراماً في قومه، فاذا وثق داعي الجزيرة في شخص تتوفر فيه هذه الشروط شرع في تعليمه العلوم الاسلامية حتىٰ يتبحر فيها، فاذا تم له ذلك، أخذ يلقنه مسائل اختلاف المذاهب وآراء أهل الملل والنحل كلها من فرق اسلامية وغير اسلامية، ويظهر له مواطن الضعف في كل مذهب وفي كل رأي، ثم يعلمه كيف يجادل في اختلاف هذه الآراء، وكيف يناقش أصحابهاو فاذا تم له ذلك يبدأ الداعي في تدريبه على تفهم نفسية كل جماعة من الجماعات، وكيف يخاطب كل طائفة من الطوائف حتى يستميل الناس اليه، فاذا أتقن كل هذه الأمور وتدرب عليها، ونجح فيها النجاح الملحوظ سمح له الداعي أن يكاسر ويجادل الفرق الأخرىٰ دون أن يشعر أحداً بانه اسماعيلي المذهب بل يجب أن يكتم ذلك كتماناً شديداً.

وعدا عن هذه الآراء الفلسفية والنظريات العميقة أوجدوا نظريات الهياكل

السبعة والادوار السبعة، فقالوا عن الهياكل أنها على نوعين:

سبعة مؤتلفة، وسبعة مختلفة. والنطقاء سبعة، وأسسهم سبعة، والائمة سبعة. فالنطقاء السبعة والاسس السبعة هم: آدم، وأساسه شيث، نوح وأساسه سام، ابراهيم وأساسه اسماعيل، موسىٰ وأساسه هارون، عيسىٰ وأساسه شمعون الصفاء، محمد، وأساسه علي بن أبي طالب، اسماعيل وأساسه قداح الحكمة.

والائمة السبعة هم: علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، اسماعيل، محمد بن اسماعيل، وطابقوا هذه النظرية على الاعداد ورتبوها كما يلي:

آدم: بمنزلة الآحاد ومنه السلالة.

نوح: بمنزلة العشرات وهو كالنطفة في الصورة الجسمانية.

ابراهيم: بمنزلة المئات وهو كالعلقة في الصورة الجسمانية.

موسى: بمنزلة الآلاف وهو كالعظام في الصورة الجسمانية.

عيسىٰ: بمنزلة عشرات الالوف وهو كاللحم في الصورة الجسمانية.

محمد: بمنزلة مئات الألوف وهوكالصورة التمامية.

القائم: بمنزلة آلاف الالوف وهو كالنفخة الأخيرة، قائماً بالقبول، أطلق عليه اسم اللوح المحفوظ، فكان حداً ثانياً أبدعهما الله بالكلمة القدسية (كن) فكان.[١]

---

١ . غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدعوة الاسماعلية، ص ٥٢، بيروت، دار الاندلس، الطبعة الثانية.

في الشروط التي لابد منها لصاحب الأهلية والاستحقاق

لقد ذكرنا شروط الداعي. والآن نذكر شروط المستجيب ولمن اراد الدخول في الدعوة الاسماعيلية عن رسالة لشمس الدين بن احمد بن يعقوب الطيبي؛ تحت عنوان «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور».

ينبغي ان يكون المستجيب بالغاً عاقلاً رشيداً قد كبر وبلغ في السن، ولا يكون صاحب عاهة ظاهرة في جسده. أو بشع الصورة، ولا رديء الخلقة بحيث لا يتجاوز الحد في القبح، ولا يكون فيه شيء من العلامات الرديئة التي تدل على الخبث والمكر والفساد، ممّا قد ذكر في كتب الفراسة. هذا من جهة الصورة وإمّا من جهة المعنى فيجب ان يكون حسن الاخلاق، متبرقعاً بالحياء، غير مجادل ولا مستهزىء ولا هتّاك ولا مرتاب ولا وقح ولا مستخف، ويكون متمسكاً بأوامر الدين والشريعة، معظماً للنوامس الالهية، معاديا لمن يتظاهر بمخالفة الأوامر والنواهي، مصاحباً لأهل الصلاح والدين، مجانباً لأهل الجهل والفساد. فان ظهر من بعد ما ذكرنا صدق الطلب، والرغبة بتحصيل المعرفة، والاخلاص في الادارة والالتزام. اخذ عليه العهد، من بعد ان يؤكد في تجريبه وامتحانه، ويتكشف عن دينه ومذهبه وعقيدته التي تربى فيها ونشأ عليها، ويفحص عن اقواله وأفعاله وأحواله جميعها، الظاهرة منها والباطنة. ثم اذا عرف منه السداد والرشاد فيما ذكرنا يُجرب بترك المعاصي، وعدم مواصلة من عادى أهل بيت النبوة الكرام، وخالفهم وقدّم غيرهم عليهم، ثم يمتحن بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال، في سبيل العقيدة واداء أحكامها، فان ظهر في جميع ماذكرناه محقاً في الطلب، مجداً في الرغبة، مطيعاً مستسلماً، يؤمر في الاغتسال والتطيب، فاذا اغتسل وتطيّب وصفّى خاطره وظاهره وباطنه من كل شبهة وريب وشك

وزيغ وهم وغم حتى يصير كأنه لوح ساذج يتقبل الصورة اليقينية والنفوس الالهية. عندئذ يستسلم لجماعة المؤمنين، واستسلام من يريد ان يخرج من الظلمات إلى النور، ويعلم بحق ويقين انه داخل إلى مذهب الحكماء الالهيين، وسلوك طريق العلماء الربانيين، اصحاب بيت النبوءة، وشجرة الحكمة، وملكة الامامة، وملة الرسول الاعظم، والأئمة الطاهرين ـ صلّى الله عليهم اجمعين.[١]

في ان افضل البشر هم الرسل

يقول الفيلسوف الاسماعيلي أبو يعقوب إسحاق السّجستاني:

التسخير تسخيران: تسخير طبيعي، وتسخير ارادي، امّا الطبيعي فكتسخير بعض الانواع لبعض، ولا يكون ذلك الاّ بوجود الفضل في المسخر، وعدم ذلك الفضل في المسخر له. كتسخير انواع النبات لانواع المعادن لوجود النما فيه، وكتسخير انواع الحيوان، لأنواع النبات، لوجود الحس فيه، وكتسخير نوع الانسان، لأنواع الحيوان، وأنواع النبات لوجود النطق فيه، وهذه جميعاً تسخيرات طبيعيّة، وامّا التسخير الارادي، فكتسخير شخص واحد من نوع واحد جميع اشخاص ذلك النوع، كتسخير الرسول عدداً كثيراً من اشخاص الانسانية لوجود القدس فيه، وانما قلنا ان هذا التسخير ارادي، وذلك طبيعي، لان التسخيرات انما ثبتت بثبات المسخر، وبطلت ببطلان المسخر، والتسخير لا يبطل بغيبة المسخر، بل يزيد بثباته بعد غيبته، فعلم انه ارادي، لا طبيعي، والذي له التسخير الارادي هو أفضل من الذي له التسخير الطبيعي، وأيضاً فأن فضل السائس انماهو على مقدار

---

١ . تامر، دكتور عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٥١، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

أفضل المسوس، فكلما كان المسوس أفضل، كان السائس له أفضل.

وقد أوضحنا في الفصل الذي قبل هذا الفصل، فضل البشر على سائر مواليد العالم، ولم نجد احداً دبر سياسة البشر سياسية عامة غيرالرسل، فعلم انهم أفضل الخلائق في هذا العالم الجسماني، وان شككت في هذا فانظر إلى فضل سياساتهم علىٰ سياسة الملوك، فان سياساتهم لا تشبه سياسة الملوك لان سياسة الملوك ليست على حالة واحدة ونظم واحد، بل لهم في كل طبقة من الناس سياسة، ورسم لا تشبه سياسة الطبقة الأخرىٰ، وامّا سياسة الرسل فانها سياسة واحدة، ورسم واحد لجميع الناس سواء الوضيع والشريف فيها. فان قال قائل: وما في هذا من الشرف على سياسة الملوك، بل سياسة الملوك اشرف من سياسة الرسل، لاختلاف سياسة الملوك لطبقات الناس علىٰ سائر مراتبهم، وعمومية سياسة الرسل لجميع الناس عموماً واحداً قلنا له: انما اختلفت سياسة الملوك لنقصان تدابيرهم، واتفقت سياسة الرسل لكمالهم، وتمامية قوتهم المتصلة بهم من العالم الروحاني، وانما مثل سياسة الرسل، كمثل الجلاّب، المتخذ بالسكر الطبرزي، وماء الورد والفائق يصلح لجميع المرضىٰ، ويدفع ضرر أمراضهم لاعتداله. ومثل سياسة الملوك كمثل بعض الأدوية التي تصلح لبعض الأمراض دون بعض، فاذا حدث مرض آخر مضاد لهذا المرض احتاج الى غيره من الدواء، فقد بان ان الذي يسوس الناس سياسة واحدة هو أفضل من الذي يسوسهم سياسات مختلفة، ولا خلاف ان الفاضل من كل نوع انما يظهر في زمان طويل، والذي دون الفاضل لا يخلو منه زمان، والمثل في ذلك انه قد يوجد في كل وقت في الاصداف اللؤلؤ الصغار، والوسط منها، ولا توجد اللؤلؤة الصافية المدحرجة الاّ في زمان طويل، وكذلك الياقوت الصافي، وجميع

انواع المعادن، وأنواع النبات، وأنواع الحيوان، حتى قد يضرب المثل ببعضها فيقال: كأنه دابة فلان الملك، او كأنه فلان الحكيم.

فإذاً يجب من هذه المقدمة ان يكون الرسل هم أفضل البشر، اذ وجودهم ليس في كل وقت، بل في كل الف سنة، أقل أو اكثر، يظهر الواحد منهم، وان فضائل النفس في الحي الناطق سبع على ما قدمنا القول فيه. وهي: العلم والعدل والعفة والجود والشجاعة والرحمة والصدق.[1]

---

١ ـ السّجستاني، أبو يعقوب: كتاب اثبات النبوات، ص ٣٨، حققه عارف تامر، بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م

في إثبات النبوءة من جهة الاعداد

لمّا كان العدد ينقسم إلى قسمين: هما الفرد والزوج وكان الفرد لا ينقسم في ذاته بقسمين ممّا يلي العدد بل يكون احد قسميه فرداً والآخر زوجاً والزوج ماله قسمة في ذاته وينقسم إلى قسمين مماثلين للعدد كذلك الرسالة قد انقسمت إلى شهادتين: شهادة الله المتعالي بفردانيته عن سمات المربوبين وليست له شيء ممّا اظهرته وحدته مماثلة ولا مساوية بل يكون أحد الأصلين متحداً بالوحدة اذ هو المخصوص بالأزلية والوحدة المحضة التي لم يشاركه في نيلها غيره والأصل الآخر لم ينل الوحدة بخاصيته الأولية المحضة حتىٰ اذا ازدوج بعلته الذي هو السابق فهو ابداً زوج وسابقه لنيله من جهة علته فرد والشهادة الأخرىٰ التي أوجبت من جهة الرسالة هي الشهادة لنفسه وتؤدي الشهادة لوصيه بالوصاية، والزوج ينقسم إلى قسمين مماثلي العدد اذ هما اعني الاساسين متفقان من جهة دعوتهما لان لكل ظاهر باطن ولكل حق حقيقة ثم العدد ينقسم إلى أربعة اقسام: إلى الفرد المحض وإلى الزوج المحض وإلى الفرد المركب وإلى الزوج المركب فالفرد المحض ممّا لا نظير له وهو الاثنان والفرد المركب والزوج المركب ممّا لهما نظير كثير من الاعداد بلا نهاية كذلك الرسالة قد أدّت من نفسها اولاً شهادة الفرد المحض وهي إضافة الخلقة جميعها إلى امر الله تبارك وتعالى الذي هو الواحد بالحقيقة بقوله: «وَمَا أَمْرُنا إلاّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بالبَصَرِ» ثم شهادة منها للزوج المحض الذي هو الاثنان بالحقيقة بقوله: ان اوّل ما خلق الله القلم ثم اللوح فأمره ان يكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة وشهادة منها للافراد والأزواج المركبات وهو ما يوجد في انواع الشرائع شهادة لكل عدد من الأفراد والازواج والمركبات اذ منها داران فان اقلها الثلاثة وان بعض الصلوات مبنيّة علىٰ ثلاث ركعات كالمغرب والوتر مثل

حالات الصلاة على الوجوه الثلاثة من الانتصاب والانحناء والاضطجاع كذلك الوضوء جعل كماله في ثلاث مراتب، وجعل طلاق النساء ثلاث ووجوب الصدقات في ثلاث واجناس من الحيوان والقرود الثلاثة في عدة المطلقة ثم الأربع موجودة في الفرائض الاربع من الوضوء وفي الصلوات الثلاثة من الظهر والعصر والعشاء الآخرة ونكاح الاربع من الحرائر ثم الخمسة موجودة وفي وجوب الزكاة من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والحبوب وفي عدد الأيام الستة التي خلق الله عز وجل الأرض والسموات فيها. ثم السبعة موجودة في الطواف السبع في الحج وعدد الآيات السبع في فاتحة الكتاب التي تقرأ في كل ركعة وفي عدد ابواب جهنم وفي تقسيم القرآن على سبعة اسباع سواء، ثم الثمانية موجودة في المقدار الذي يجب على الحبوب وهي الامناء الثمانون من ثمانمائة وفي الاصناف الثمانية الذي أوجب الله دفع الزكاة اليهم، وفي الأبواب الثمانية المفتوحة للجنة وفي الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش...[(١)].

---

١ . السجستاني، أبو يعقوب: كتاب اثبات النبوات، ص ١٢٩ .

الأئمة الاسماعيليون منذ بدء الخليقة

تحدث اخوان الصفاء عن بدء الخليقة وعن الأمور الالهية الروحانية وحدوثها دفعة واحدة فقالوا: «أما الامور الالهية الروحانية فحدوثها دفعة واحدة مرتبة منظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان بل بقوله (كن فيكون)، والأمور الروحانية الالهية هي:

العقل الفعال، والنفس الكلية، والهيولى الأولىٰ، والصورة المجردة. والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولا. والنفس هي نور العقل وفيضه الذي افاضه الباري منه، والهيولى الأولىٰ هي ظل النفس وفيئها، والصور المجردة هي النقوش والاصباغ والاشكال التي عمتها النفس في الهيولى باذن الله تعالى وتأييده لها بالفعل. وهذه الامور كلها بلا زمان ولا مكان بل بقوله (كن فيكون) كما قال: وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر».

وأتىٰ اخوان الصفاء على ذكر بدء الخليقة بقولهم: «لما خلق الله آدم اسكنه الجنة التي هي دار كرامته، ومحل نعمته، في جواره الأمين، وقراره المكين، مقر عبادة المصطفين من الملائكة المقربين»[١].

ولو أردنا الاتيان علىٰ ذكر كل ما قاله الدعاة والعلماء الاسماعيلية حول بدء الخليقة لاستغرق ذلك منا صفحات.. وصفحات.. لذلك نكتفي بما أوردناه ونقدم فيما يلي لمحة موجزه عن الأئمة الاسماعيلية منذ هبوط آدم كما جاءت في الوثائق السرية الاسماعيلية، وفي شجرات النسب المحفوظة لدى الاسماعيلية.

---

١ . غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الاسماعيلية، ص ٥٨.

الدور الأول:

يبتدىء هذا الدور منذ هبوط آدم، ويستمر حتىٰ ابتداء الطوفان ومدته الفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً. ويسمىٰ (دور التكوين)، وامام هذا الدور هُنيد الذي تعهد وأقام الناطق آدم. ولهذا الدور أساسان هما هابيل وشيث، الأول قتل بيد أخيه «قابيل» فاستلم منصبه بعد وفاته «شيث». وتدل المصادر التأريخية أن سبب تسمية آدم علىٰ قولين: أحدهما لأنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها، والثاني لأنه مشتق من أدمة وهي سمرة اللون، وأنزل الله عليه عشر صحائف في عشرين ورقة، وقد علمه الله الاسماء كلها، وكان لغته في الجنة العربية. فلما عصىٰ واخرج من الجنة سلبه الله العربية فتكلم السريانية، وتوفي وغسله شيث وصلىٰ عليه ودفن في جبل أبو قبيس في غار، فظل حتى استخرجه نوح يوم الطوفان وحمله معه في تابوت في السفينة فلما خرج منها رده إلى مكانه، وقيل دفن في بيت المقدس[١]، وعاشت حواء بعده سنة واحدة.[٢]

يقول الفيلسوف الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني في رسالته «أسبوع دور الستر».[٣]

واصطفىٰ بتبليغ حكمته، وابلاغ أمره، وهو على عرش التنزيه صفوةً من الأمم، سماهم المرسلين، وهم المبشرون والمنذرون والمهدون، فكان اولاً شريعة «آدم» صاحب يوم الأحد، ومبتدأ دور الستر، ومنتهى دور الكشف، فبلَّغ الرسالة،

---

١. الصحيح إنه دُفن في النجف الاشرف، ذُكر في زيارة أمرالمؤمنين عليّ عليه السلام «السّلام عليك وعلى ضَجيعَيكَ آدم ونوح»

٢. غالب، الدكتور مصطفىٰ: تاريخ الدّعوة الاسماعيلية، ص ٦٥.

٣. تامر، دكتر عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٤٢.

وادّىٰ الامانة، ولم يزل على يقين من ربه، إلى ان انـتهى دوره، صـلّىٰ الله عـليه وسلّم.

أوّل مـــن بـــارز المشـــركين وأثـبت فـي الديـن قـدم القـدم
وعـــذّب إبـــليس مـــن أجـــله وخـــلّدَ فـــي نـــارها والظـــلم
وحـــقّ عـــليه عـــذاب الإله كـــما اخـــبر الله كـــل الامـــم
ودامت شـــريعته ألف عـــام ودانت اليـــه رؤوس القـــمم

الدور الثاني:

يبدأ هذا الدور من طوفان نوح حتىٰ ولادة ابراهيم وقيل ان مدته ٧٤٢ سنة و ٧ أشهر وخمسة عشر يوماً، وقيل تسعمائة واثنتان وسبعون سنة وستة أشـهر وخمسة عشر يوماً، وقيل الف عام وأساس هذا الدور هو سام الذي عاش مـن العمر ٦٠٠ عاماً. ويعتبر ناحور هو الامام المتم للدور الثاني. ويذكر التاريخ أن نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من لادة آدم، وعندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرىٰ الطوفان الذي ابتدأ في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم، ودام الطوفان ستة أشهر وانتهىٰ في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣.

وهو أول نبي نباه الله بعد ادريس وأول نذر لأهل الأرض من الشرك، وهو من أولي العزم، وهو أول نبي عذبت أمته بدعوته، وهو أول من قرر المـواقـيت للصلاة، قال وهب كان عمره الف سنة لأنه بعث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم إلى أن مات تسعمائة وخمسين سنة.

وكان قدر ركب معه في السفينة سبعون رجلاً، وتخلّف عنه ولده «يام». أمّا أولاده سام وحام ويافث فقد ولدوا قبل الطوفان وكانوا من جملة السبعين رجلاً،

ونوح كان قد أوصى بالخلافة لولده سام ويعتبر أساسه.[١]

يقول أحمد حميد الدين الكرماني[٢]: «ثم أعقبه ـ أي آدم ـ النور المضيء، والفيض الالهي، «نوح» صاحب يوم الاثنين ذو الدرجة العالية الشريفة، والرتبة السامية المنيفة. فبسط في العالم يديه، ولم يزل لله ساجدا، وللمشركين والملحدين معانداً، إلى ان اقام الاحكام، ووطّد النظام، ودامت شريعته الفاً إلاّ خمسين عاما، صلى الله عليه وسلّم.

وبدّل أحكام من قد مضى بشرعٍ جديدٍ وعلمٍ خضم
وكان يعوقاً ونسراً له عدوّان قد فتكا في الامم
فأنقذه الله من كيدهما وأغرقهما في بحور الظلم
وجاهد بالمشركين في دينهم وردهم عن سجود الصنم

الدور الثالث:

يبتدىء هذا الدور من ولادة ابراهيم الخليل حتى ظهور موسى ومدته ألف ومائة وخمسون عاماً وقيل سبعة أشهر وثمانية أيام. وهو دور ابراهيم وصنوه النمرود بن كنعان. واسم ابراهيم سرياني ومعناه بالعربية ابُ حيم وهو نبي الله وخليله وجعله الله من أولي العزم وهو أبو الأنبياء وتاج الاصفياء وأنزل عليه عشرين صحيفة.

يقول أحمد حميد الدين الكرماني: ثم نسخ شريعته «إبراهيم» صاحب يوم

١ . تامر، الدكتور عارف: مراجعات اسماعيلية، ص ٩، دار الأضواء، الطبعة الأولى، بيروت؛ ١٤١٥/١٩٩٤م.

٢ . تامر، الدكتور عارف: اربع رسائل اسماعيلية، ص ٤٣.

الثلاثاء المتوَّج بالبقاء، ثالث النطقاء، فحذَّر وأنذر من عذاب النار، فآمن من آمن، وكفر من كفر، فأرادوا به كيداً، فجعلناهم الأسفلين.

الدور الرابع:

مدة هذا الدور ألف ومائة وست وثلاثون سنة وسبعة أشهر وثمانية وعشرون يوماً، وأساس هذا الدور هو هارون، وقد توفي بحياة أبيه فصار كفيلاً لأولاده يوشع بن النون الذي أصبح أساساً ثانياً مستودعاً، وأولاده من بعده أئمة استيداع. وناطق هذا الدور هو موسىٰ الذي نسخ شريعة ابراهيم، وتوجه إلى المغرب اقتداء بأبيه نوح. وانتقل الأمر إلى أساسه المستودع يوشع بن النون.

يقول الكرماني: ثم انبثق النور الرابع، وأشرق وعلا نوره، وكلَّم العلي الأعلىٰ، وهو «موسىٰ» صاحب يوم الاربعاء، ورابع أهل التقوىٰ، الظاهر ببرهانه على من عاند، وقد كذَّبه الكافرون، وناصبه الظالمون، كالعجل والسامري وقارون.

ولجَّ فرعون في كفره — وقال أنا ربكم في القدم
وأيَّد موسىٰ بهارونه — ويوشع ينبوع بحر الحكم
وأغرق فرعون مع قومه — ببحرٍ عميقٍ شديد الظلم
هو المرتجى عند يوم الجزاء — كفيل النفوس وباب النعم

الدور الخامس:

مدة هذا الدور خمسمائة وسبعون سنة وسبعة عشر يوماً وقيل ستمائة سنة، ومثل عيسىٰ ناطق هذا الدور كمثل آدم انتقل النور منه إلى وصيه شمعون الصفاء،

وقد بلغ هذا الدور حد الكمال والتمام فاقتضىٰ أن يكون من أربعة عشر إماماً مستقراً يقابلهم سبعة أئمة مستودعين، أي أن كل أمام مستودع كان معاصراً لامامين مستقرين، وكان لمتم الدور عمران (أبو طالب) قوة مرتبة الألف. وأن أساس الدور شمعون الصفا أو سمعان بن يونان أو بطرس الراهب هو مربي ناطق الدور عيسىٰ، وكان دعاة الامام المستودع السابع بحيرا الراهب في الجزيرة العربية هم: عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمران.

وقيل ان بحيرا الراهب قد سلم الامام المستقر وراثة الانبياء المستودعين للمقيم أبو طالب عندما جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرىٰ الشام مع النبي محمد(ص).(١)

يقول الكرماني: ثم ظهر جوهر الأب المتعالي عن صفات البريّة، بظهور الأب الأقدس، «المسيح» النفيس،صاحب يوم الخميس، فبورك في القداسة، وقد علم ذلك التأييد الخاطف من تذرَّع باليقين، وتقبل الأب تقرب القربان ممن علم منه الايمان، واجتمع الحواريون على شاطىء بحر الظلمات، فصدقوا بالرسالات، وتآزروا بالبرانيس، وضربوا النواقيس ابتهاجاً بظهور روح الله الذكي النفيس.

أقام التلاميذ عوناً له ... وأحيا الرميم وأبرا الأصم
وشمعون كان له حجة ... به قاوم جمع الأمم
وكان اميناً علىٰ سره ... والسر يحفظ عند المستم
فمن حوى العلم جاز الصراط ... ومن عرف الحق محضاً سلم

ثم ظهر الأمر الالهي! والفيض المحمدي، ذو العلا والرفعة، صاحب يوم

١ . غالب، الدكتور مصطفى: تاريخ الدّعوة الإسماعيلية، ص ٧٣.

الجمعة «محمد» ينبوع الحكمة، وممثول القلم معضداً بأخيه ولي الأولياء ـ علي بن أبي طالب، ذو الفضائل والمناقب، محجة العظماء، والشجرة المباركة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء.

وأسـرى محمد فـوق البراق ... وخـاطب مولاه بـاري النسم
وكـان قـريباً إلى ربـه ... كـقوسين أو دون هـذا التـزم
وكـان الإله مـمداً له ... وجـبريل كـان له بـدرتم
هو المرتجى عند يـوم الحساب ... وفـيه تشـيب رؤوس اللـمم

[أتى أمْرُ اللهِ فلا تستعجلُوهُ سُبحانَهُ وتعالى عمّا يُشْرِكُونَ]. [وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كان زهوقاً].

واستقر الوقت لصاحب يوم «السبت» القائم في الأرض مقام العقل في عالمه، محط رحال حملة النور، في سالف الدهور، ومقصد الراحة، وعنده تكون الاستراحة، ذو الكلمة المصونة، والجوهرة المكنونة، التي انارت الكواكب، فمن انوارها انتثرت، وغارت في البحار.

سـيأتي إلى النـاس في حقبة ... يَـبلغ فـيها مـعاني الحكـم
وعـنه غـداً تـظهر المـعجزاتُ ... وَيـظهر مـن امـره مـا كـتم
وتـملا له الأرض عـدلاً كـما ... مُـلئت من قـبل جـوراً وظـلم
وعـماً قـريب يـزول العـناء ... ويكـمل ديـناً بـه قـد خُـتم
ويـنجز وعـد الإله القـدير ... بـديع السّـماء وبـاري النسم
وصـلّوا عـلى أحـمد المـصطفى ... وآل عـليٍّ هـداةُ الأمـم(١)

---

١ ـ تامر، عارف (تحقيق): أربع رسائل اسماعيليّة، ص ٤٥، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٨م.

أخبار
الأئمة الاسماعيليين الاطهار

الامامة من الوجهة الاسماعيلية

الإسماعيليون كما هو واضح ساهموا مساهمة فعالة في التعبير عن الإمامة، فكتب دعاتهم وفلاسفتهم وعلماؤهم البحوث الطويلة واعتمدوا الأحاديث والنصوص الكثيرة التي تؤيد حق علي في الإمامة، غير أنهم سلكوا طريقاً آخر فأدخلوا الفلسفة في الموضوع، لذلك جاءت نظرياتهم الفلسفية جديدة على المجتمع الإسلامي الفكري بالنسبة لمن سبقهم من علماء الشيعة، كما أن شعراء الدعوة الإسماعيلية نظموا قصائد شرحوا فيها عقيدتهم في الإمامة، وها هو أحد دعاتهم الكبار المؤيد في الدين داعي الدعاة يقول:

وهم أولوا الأمر أئمة الهدىٰ عصمة من لاذ بهم من الردىٰ
مفروضة طاعتهم على الأمم قاطبة من عرب ومن عجم
إقرأ وأطيعوا الله والرسولا ثم أولي الأمر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة في آية واحدة منظومة

ومن الذين عالجوا قضية الإمامة علىٰ ضوء العقائد الإسماعيلية القاضي النعمان بن محمد[1] في كتابه (التوحيد والإمامة) و (الهمة في آداب اتباع الأئمة) وللفليسوف الإسماعيلي الكبير أحمد حميد الكرماني في الموضوع ذاته كتاب

---

١ . النيسابوري، أحمد بن ابراهيم: اثبات الامامة، (مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى غالب)، ص ١٣، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.

(المصابيح) ورسالة (مباشم البشارات) و(الرسالة الواعظة). وكتب الداعي أبو الفوارس بن يعقوب رسالة في الإمامة، كما ألف أبو يعقوب السجستاني كتاب (خزائن الأدلة) ويطول بنا الحديث لو أحصينا كل ما تركه الدعاة الإسماعيليون من كتب وقصائد وأبحاث ورسائل في إثبات إمامة المسلمين لأهل بيت رسول الله(ص).[١]

يقول أحمد بن ابراهيم النيسابوري، إن الفلاسفة جعلوا السياسة على ثلاثة أقسام: سياسة الخاصة، وسياسة الحامة، وسياسة العامة، فقالوا إن سياسة الخاصة هي سياسة الرجل لنفسه، وسياسة الحامة هي سياسة الرجل لأهل بيته وعياله، وسياسة العامة هي سياسته للمدن والأكوار وقالوا ان سياسة الرجل لنفسه ينبغي أن تكون بحيث يمنعها عن جميع الرذائل والموبقات ويجنبها الأخلاق السيئة والعادات البهيمية، ويبعدها عن الشهوات المذمومة، يسوسها سياسة الرجل الحازم العاقل المدرك، قيهاً قيهاً، إذا ساءت بالذم والندامة، ويثيبها إذا أحسنت بالمدح والسرور والحرص على مثلها العليا، وأخلاقها الفاضلة، وقالوا إن سياسة الحامة: هي أن يسوس الرجل أهل بيته وعياله، في حفظ صلاحهم، وحملهم على التخلق بالفضائل والأخلاص الرضية، ويعاقب من يسيء منهم بالذم وغيره، ويثيب من أحسن منهم بالمدح وغيره، وسياسة العامة: هي سياسة المدن، يسوس الرجل المدن في حفظ صلاح معاش أهلها، ويمنعهم من التخلق بالأخلاق الذميمة والقيام بالأفعال الردية، ويحفظ لكل واحد منهم منزلته، فيعاقب المسيء منهم بالذم، ويثيب المحسن منهم بالمدح، ويسوس أمور دينهم ومعادهم، وهذا الذي وضعوا عليه اسم السياسة، ولا يوجد في العالم، ولا بين المدعين الإمامة، ولا بين

---

١ المصدر السابق.

السلاطين والملوك ولا في علمائهم من تتوفر فيهم كل هذه الصفات. لأنها لا تجتمع إلا في الأئمة من آل محمد. وليس في العالم من عمل لايجادها فيهم دونهم؛ والفلاسفة مجمعون على أن من لا يقوم بسياسة نفسه، لا تكون له السياسة على حامته، ومن لا يحسن سياسة الحامة، لا يستطيع أن يوفق في سياسة العامة، لا يستطيع أن يوفق في سياسة العامة، بوجه من الوجوه. وباعتقادي أن أئمة أهل الظاهر، وملوكهم وسلاطينهم، وعلمائهم خالون من هذه الصفات مجتمعة.[1]

ونقول: إن الفضائل التي ذكرها الله تعالى، وفضل بها الناس بعضهم على بعض في ثلاثة أشياء: في العلم، والجهاد والتقوى، لقوله تعالى «فَضَّلَ المجاهدينَ علىٰ القاعدينَ أجراً عظيماً»، «دَرَجاتٍ منه» وقوله «هَلْ يستوي الذين يَعْلَمونَ والذين لا يعلمون» وقوله تعالى «إنَّ أكْرَمكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكُمْ» ولا يمكن لأحد أن يقول أن أبابكر كان أعلم الناس، وهو لم يكن يعلم من القرآن إلّا ثلاثة عشر سورة، وإذا كان لا يعرف القرآن، فكيف كان يعرف تأويله ومعانيه وأحكامه، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه و متشابهه؟ وهل يقدر أحد أن يروي لنا عنه حكمة وعلما، أو أحكاماً في حادثة، حتىٰ ولا عن عمر، ولا عن غيره، ومن يدعي ذلك فليأتنا به: وأما الجهاد، فالخاص والعام يعرفون أنهم لم يجاهدوا يوماً من الأيام بأيديهم؛ وحروب أمير المؤمنين مشهورة معروفة، ولو لم يكن لهم من المثالب في الجهاد إلّا فرارهم يوم (حنين) يوم أمر النبي ووصيه المحافظة علىٰ الجبل، لكفى، بينما النبي وأمير المؤمنين يحاربان ويقتلان من العدو حتى أهزموه. وأما التقوىٰ التي يدعونها فأين هي؟ وقد اغتصبوا حق أميرالمؤمنين، وحق أهل البيت، وإذا قالوا إنه لم يكن لهم علم بذلك، فليس هم إذاً بأتقياء، لأن التقوىٰ لا تكون لأحد

بلاعلم، ليعرف به ما يكون له وعليه؛ ويحكى عن محمدبن الحسن صاحب أبي حنيفة، انه سئل من بعض المحتسبين أن يصنف كتاباً في الزهد فصنف كتاباً سماه كتاب (البيوع) فقيل له: ما معنىٰ هذا الاسم فقال: من لا يحسن الفقه والبيع والشراء، كيف يأكل الحلال؟ ومن لا يأكل الحلال لا زهد له، فإذا صح هذا القول، وما ذكرناه من الآيات كانت الإمامة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنه كان الأسبق في الفضائل، وكان أعلمهم وأتقاهم وأكثرهم جهاداً؛ ونقول: إن هؤلاء لم يدعوا الفضل، ولا العلم، ولا التقوىٰ لأنفسهم، كما يدعيه لهم أصحابهم، وذلك أن أبابكر عندما صعد المنبر لأول مرة قال: وليتكم ولست بخيركم، فإذا كان صادقاً فيما يقول فالمدعون له كاذبون، وإذا كان لا سمح الله هو كاذباً، فالكاذب لا يكون إماماً، فإذا قالوا كان ذلك للتواضع، قلنا إن للتواضع موضعاً فإن النبي(ص) كان يذكر نفسه بما خصه الله تعالىٰ به من المنزلة والمرتبة، ولم يذم نفسه يوماً ولم يدخل ذلك في التكبر، بل كان يقول مفتخراً: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أفصح العرب ولا فخر؟ وكان أميرالمؤمنين علي يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، لو ثنيت لي وسادة وجلست عليها لحكمت لأهل التوراة بالتوراة، ولأهل الانجيل بالانجيل، ولأهل الفرقان بالفرقان، وأمثال ذلك كثير، ولم يدخل هذا القول في التكبر ولا تركه للتواضع؛ وفي قول أبي بكر: (وليتموني ولست بخيركم) دليل على أنه لم يقدمه الله عزوجل، ولا رسوله، ولا أشار اليه في أمر الصلاة، ولا إلى غير ذلك مما يدعون ويتقولون. ثم قيل إن أبا بكر قال: (إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أحسنت فأطيعوني، وإن أسأت فقوموني). وبهذا قد شهد على نفسه بالجنون، لأن من يعتريه الشيطان فهو مجنون، وقد ذكر أنه يأتي بالكبائر، فيجب عليهم أن يمنعوه ويقوموه، والمجنون الذي يعتريه الشيطان، لا يجوز أن يكون إماماً

بالاتفاق، لأنه قد يأمر المأمومين بما يوحيه اليه الشيطان، وقد أقر كذلك على نفسه بأنه قد يسيء، والإساءة هي المعصية، ويدخل فيها الارتداد، والزنى، والقتل، وكل شيء من هذا القبيل ولربما يأمره الشيطان بكل ذلك ويحسنه في عينه، كما قال الله تعالى «الشيطانُ يعِدُكُمُ الفقر ويأمُرُكُمْ بالفحشاءِ» وقد أخبر عن نفسه بأن كل ذلك متوقع عنه، لقوله: فقوّموني، فالتقويم، إنما يحتاج إليه في العظائم والكبائر، لأن الصغائر قد تسقط بالاستغفار، وأخبر أيضاً عن نفسه بأن ترفع عن الخلق طاعته، وليس له عليهم طاعة عند ظهور الإساءة عنه، وبذلك شهد على نفسه أنه قرين الشيطان، كما قال سبحانه وتعالى «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحمنِ نُقيِّضْ لَهُ شيطاناً»....

وأما عمر: فإنه لما صعد المنبر بعد أبي بكر فقال: بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وبذلك بين بطلان ما ادعاه أهل الظاهر بأن إمامة أبي بكر للصلاة، وأن البيعة أوجبت الإمامة أو كانت إشارة اليه بالإمامة، وبطلاناً لكل ما يدعون وينقلون من الروايات والأخبار[١].

في أن الإمامة بعد النبي(ص) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام من دون غيره.

البرهان الأول: لما كانت الصنائع كثيرة، وكانت كلها على تفاوتها واختلافها تنقسم إلىٰ علم وعمل، مثل الطب الذي ينقسم إلى العلم بطبائع الأدوية وعلل الأمراض، وإلى العمل الذي هو المعالجة. ومثل النجوم التي تنقسم إلى العلم بهيئة الفلك ونجومه، وطبائع الكواكب ومسيرها وتأثيراتها، وإلىٰ العمل الذي هو التسيير والحكم، ومثل السياسة التي تنقسم إلى العلم بتدبير أُمور الممالك وحفظها، وكيفية جباية الأموال وجمعهاو وحفظ نظام الأمور، وإلى العمل الذي هو التوقيع، والضرب، والحبس، والقتل، والإطلاق، والإحسان.

وكان العلم والعمل كالآلة، وكان من لاآلة له في صنعة من عمل وعلم بها مستحيل صحتها منه، وكان في أوائل العقول أن من كانت آلته في صنعته أتم، فهو بتلك الصنعة أولىٰ من غيره، مثل الرجال الذي تكون معرفته الطب وعمله به أكثر من غيره، فيكون هو أولىٰ بالطب من غيره، وكانت أحكام الإسلام من الصنائع النبوية كغيرهاو تنقسم إلى العلم بكيفية الفرائض والحلال والحرام، والحدود والأحكام، والتنزيل والتأويل، وإلى العمل الذي هو الطهارة والصلاة، والزكاة والصوم، والحج والجهاد، والضرب بالسيف، وما يجري مجراه، وكان العلم والعمل لعلي بن أبي طالب عليه السلام أكثر مما كان لمن كان بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم من الصحابة، كان من ذلك الحكم بأنه بالحكم أولىٰ، وبالأمامة أحرىٰ. إذاً الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

البرهان الثاني: لما أخبر الله تعالىٰ عن الحق أن يتبع، بقوله تعالى: «أفمن

يهدي إلى الحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون». وكان الصحابة بعد نبيهم(ص) محتاجون إلى هداية علي بن أبي طالب عليه السلام إياهم في فصل الأحكام التي التبست عليهم وجوهها، كان علي بن أبي طالب عليه السلام بقول الله تعالى بالإمامة أحق، وإذا كان أحق فهو الإمام، إذاً الإمامة لعلي بن علي عليه السّلام.

البرهان الثالث: لما قال الله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» وكان علي بن أبي طالب المعطي للزكاة في حال ركوعه، وكان الولي في اللغة هو القيم بأمور من هو وليه، والموالي لم يواليه وينصره جميعاً، وبطل أن المراد به الموالاة، لاستحالة ورود الآية على ما هي عليه من صيغة الحصر والقطع بأن يكون للأمة ولي غير الله ورسوله وعلي في معنى الموالاة. مع قول الله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» ثبت أنه نص من الله تعالى على علي(ع.م) بأنه القيم بأمور الأمة.

البرهان الرابع: لما قال الله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وكان ذلك ولاية ولاها الله إياه من المؤمنين بأن يأمرهم وينهاهم، وأخذ النبي(ص) من المؤمنين بغدير خم إقرارهم حين قال: (ألست أولى بكم من أنفسكم) بجوابهم له بلى ثلاثاً. ووصل كلامه عقب أخذ هذا الإقرار منهم بقوله: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه) وكان معنى ذلك راجعاً إلى ما أخذ قرارهم به مما ولاه الله إياه منهم من الأمر والنهي فيهم، وطاعتهم له من دون ما توجبه اللغة من المعاني الأخر التي تتضمن هذه اللفظة التي توجب أن يكون معناها، فمن كنت معتقه أو ابن عمه، أو أعاقبه أو جاره، لاستحالة جميع هذه المعاني في قوله مع ما أردفه فيه من قوله:

(فعلي مولاه).

والذي وجب أن يكون معناه: فمن كنت معتقه أو ابن عمه، كان من ذلك العلم بأن قوله فعلي مولاه بعد ما تقدم من أخذه إقرارهم بأنه مولاهم مع قوله: فمن كنت مولاه. نص علىٰ علي بن أبي طالب (ع م) بأنه ولي المؤمنين والقائم بأمر دينهم، والآمر والناهي فيهم، إذ قد أجراه مجرى نفسه فيما كان له من الولاية علىٰ المؤمنين، وإنما أردف قوله: فعلي مولاه، من قوله و دعائه (اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) تأكيداً لأمره إذ لو لم يكن قد جعل أمر الدين موكولاً إليه، ولا كان معصوماً لا يزل، ولا يخطىء فيما اعتمد فيه عليه، حتىٰ يكون يخالفه ولا ينصره ويخذله، ولا يتبع أمره عاصياً مستحقاً لما دعي عليه من الخذلان.

وعداوة الله تعالى له، لكان مع جواز التوهم فيه ما يستحق به معاداته، ويستوجب لأجله خذلانه من المناكير مثل هذا الدعاء من النبي(ص) له محالاً، لكونه ظلماً لمن يخذله ويعاديه، لارتكابه ما كان جائزاً التوهم فيه لو فعل، ولكان لا يدعو له بمثل ذلك كما لم يكن أحد من الصحابة يتعلق به من أمر الدين شيء، ولم لم يكن معصوماً لم يدع له بمثل هذا التغليظ.

ولما كان هذا الدعاء بمثل ذلك لا يجب إلا لمن يكون معصوماً، موكولاً إليه أمر الدين بعده، حتى يستحق من عصاه ما دعا به عليه النبي(ص)، كان الدعاء له وعلى من خذله حرجاً على الأمة في النكوس عن طاعته، وتضييقاً عليها للقعود عن التزام إمامته، وتأكيداً للنص عليه بالإمامة بعده، بقوله(ص): (فعلي مولاه). إذاً علي بن أبي طالب عليه السّلام، المنصوص عليه في الإمامة هو الإمام.

البرهان الخامس: لما قال الله تعالى: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وكان قول النبي (ص) بهذه الآية قائماً مقام قول الله تعالى، وقال النبي(ص): (علي مني كهارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي)، وكان لهارون من موسىٰ عليه السلام معان تجمعهما، منها كونه من أبيه وأمه، ومنها شركته معه في النبوة، ومنها خلافته عنه في قومه عند غيبته، ولم يكن لعلي (ع.م) من هذه المعاني لا كونه من أم محمد ولا من أبيه، ولا شركته معه في النبوة، كان قول محمد (علي مني كهارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي)، نسب قوله علي مني كهارون من موسىٰ إليه غير الخلافة.

ولما كان من المعاني وجب بطلان ما بطل منه من المعاني في علي (ع.م) كقوله: علي مني في الخلافة كهارون من موسىٰ، إذ لم يبق من المعاني التي توجب إلا الخلافة، وكان قول النبي(ص) إنه لا نبي من بعده عقب قوله علي مني كهارون من موسىٰ، كان من ذلك العلم بأن نفي النبوة بعده هو الدلالة علىٰ الوقت الذي فيه تكون خلافته التي أوجبها له، بقوله علي مني كهارون من موسىٰ، إذ لم يكن وقت خلافة علي عليه السلام بعده لما عقب قوله: علي مني كهارون من موسىٰ بنفي النبوة بعده، فقال: إلا أنه لا نبي بعدي. ولترك القول على جملته حتىٰ كان محمولاً على أن خلافته عنه كان في حياته كما كانت خلافة هارون من موسىٰ في حياته، فلما عقب قوله بقوله بعدي في نفي النبوة كان قوله ذلك نصاً منه(ص) علىٰ وقت خلافته وخلافة غيره من الأئمة عليهم السّلام، فلو لم يكن ذلك كذلك، فإن الفرض في قوله ذلك النص على وقت الخلافة كما نص له عليها بقوله: علي مني كهارون من موسىٰ، لكان النبي(ص) مع الموجود في نص الكتاب بأنه رسول الله وخاتم

النبيين مستغنياً عن تكلف نفي النبوة بعده، ولكان معلوماً أن النبوة بمحمد(ص) مختومة بنص الآية، وأنه لا يكون نبياً بعده إلى يوم القيامة، لا علي ولا غيره.

وإذا كان ذلك كذلك، كان منه الإيجاب أن نفي النبي(ص) النبوة بعده هو إثبات الخلافة له بعده. إذاً علي بن أبي طالب عليه السّلام، المنصوص عليه بالإمامة، وهو الإمام.

البرهان السادس: لما قال النبي صلى الله عليه وعلىٰ آله نصاً علىٰ الحسن والحسين عليهما السلام بالإمامة: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما» وكان قوله(ص) وأبوهما خير منهما عقب إشارته بالإمامة إليهما كان ذلك العلم بأن المراد بقوله: خير منهما، أن علي بن أبي طالب عليه السلام خير منهما فيما جعله صفة للحسن والحسين عليهما السلام، وهو الإمامة بقوله: إمامان. إذاً علي بن أبي طالب المنصوص عليه بالإمامة، وهو الإمام.[1]

---

١ . حميد الدين الكرماني، أحمد: المصابيح في إثبات الإمامة، ص ٨٣ ـ ٨٨، تحقيق: مُصطفى غالب، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

النزارية والمستعلية

ذكرنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة ـ الشيعة في مصر ـ أن الحركة الإسماعيلية كانت في بدء دعوتها تدعو إلىٰ إمامة إسماعيل[١] بن الامام جعفر الصادق عليه السّلام، وبعد أن أُعلنت وفاة إسماعيل رسمياً؛ ساق أتباعه الإمامة في ولده محمد[٢] بن إسماعيل الذي كان متنقلاً في فارس والعراق وبلاد الشام،

١ . وفي إرشاد الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن النعمان «وكان إسماعيل أكبر الأخوة وكان أبو عبدالله عليه السّلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه. وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له، من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً وتعويل أبيه إليه وإكرامه له فمات في حياة أبيه عليه السّلام بالمرض وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع». وروي أن أبا عبدالله عليه السّلام جزع عليه جزعاً شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافة له من بعده وإزالة الشبهة عنه في حياته[*].

٢ . قال الحسيني قال ابن خداع في كتابه: كان موسىٰ عليه السّلام يخاف ابن أخيه محمد بن اسماعيل ويبره، وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس.[**]

وقال العلامة الفخر الرازي: أما محمد وكنيته أبوالحسن فكان مع عمه موسىٰ بن جعفر يكتب له كتب السر إلىٰ شيعته في الآفاق.

فلما ورد الرشيد الحجاز سعي محمد بعمه إلى الرشيد فقال: أما علمت أن في الارض خليفتين يجيء إليهما الخراج، فقال الرشيد: ومن هذا؟ قال: موسىٰ بن جعفر، وأظهر أسراره فقبض عليه وحبسه، وكان سبب هلاكه، وحظي محمد بن اسماعيل عنده، وخرج معه إلى العراق ومات ببغداد، ودعا عليه موسىٰ بن جعفر[***] عليهما السّلام.

* ـ ظاهر، سليمان: الشيعة والإسماعيلية، ص ٦٢، تحقيق: موسى حسين صفوان، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة ←

ثم ساقوها بعده في الأئمة المستورين من عقبه (ولده). وهم

١ ـ عبدالله بن محمد

٢ ـ أحمد بن عبدالله

٣ ـ الحسين بن أحمد

في هذا العهد انفصلت القرامطة عن الدعوة الفاطمية.

١ ـ عبدالله بن الحسين المهدي بالله	توفي سنة ٣٢٢ هـ
٢ ـ محمد بن عبدالله ـ القائم بامر الله	توفي سنة ٣٣٤ هـ
٣ ـ اسماعيل المنصور بالله	توفي سنة ٣٤١ هـ
٤ ـ المعز لدين الله	توفي سنة ٣٦٥ هـ
٥ ـ نزار العزيز بالله	توفي سنة ٣٨٦ هـ
٦ ـ الحسين الحاكم بامر الله	توفي سنة ٤١١ هـ
٧ ـ علي بن الظاهر لاعزاز دين الله	توفي سنة ٤٢٧ هـ
٨ ـ معد المستنصر بالله	توفي سنة ٤٨٧ هـ
٩ ـ أحمد المستعلي بالله	توفي سنة ٤٩٥ هـ

الفرقة النزارية أسندت الامامة إلى أخيه نزار وهم المعروفون بالفرقة

←

الأولى. ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

** ـ محمد العلوي العُمَري النسابة، علي ابن: المجدي في أنساب الطالبيّين، ص ١٠٠، تحقيق: أحمد الدامغاني، مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

*** ـ الرازي، فخرالدين: الشجرة المُباركة في أنساب الطّالبية، ص ١٠١، تحقيق السيد مهدي الرّجائي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

النزارية الاسماعيلية.[١]

وبعد إعلان وفاة المستنصر بالله وقع الخلاف بين ابنيه نزار والمستعلي الذي تمكن من وضع يده على مقاليد الخلافة والإمامة بمساعدة خاله الأفضل الجمالي، وكان قائد جيش الدولة الفاطمية. وبذلك انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين.

ـ **الفرقة المستعلية**: وقد استمرّ أئمة هذه الفرقة في إدارة شؤون الخلافة في الديار المصرية. وبعد وفاة المستعلي حكم **الآمر** ثم **الطيب** بن الآمر (ويدعي أتباعه أنه دخل كهف الغيبة والستر). وفي خلال هذه الفترة استلم الحكم أربعة وكلاء (بعد غيبة الطيب) شؤون خلافة مصر وهم: الحافظ والظافر والفائز والعاضد. وفي زمن خلافة هذا الأخير استولى صلاح الدين الأيوبي على زمام الملك وتفرّق شمل الدولة والدعوة الإسماعيلية بفرقيتها المستعلية والنزارية. ومنذ ذلك الحين عُرفت فرقة المستعلية بالبهرة، والتي انقسمت بدورها إلى فرقتين: البهرة السليمانية والبهرة الداوودية.

ـ أمّا **الفرقة النزارية** فقد انتقل أتباعها إلى فارس حيث جعلوا عاصمة دولتهم في قلعة «**ألموت**» وانضم إليهم الإسماعيليون الذين كانوا مقيمين في بلاد الشام وفارس والهند والسند. وقد تسلسل من هذه الفرقة أئمة كثيرون إلى أن انقسمت في عهد إمامة شمس الدين محمد إلى فرقتين أيضاً:

ـ **الأولى**: نادت بإمامة ولد شمس الدين الأكبر قاسم شاه تنفيذاً للنص الإمامي الصحيح، ثم ساقت الإمامة بعده في ولده إلى الإمام الحالي **كريم شاه الحسيني** المعروف بـ«**آغاخان الرابع**» وسميت هذه الفرقة بـ«**الآغاخانية**».

---

١ ..... : الاسماعيلية.. من هم؟ وأين هم؟ ص ٤٢، مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤، هولندة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

ـ الثانية: ساقت الإمامة في مؤمن شاه الابن الأصغر لشمس الدين محمد، وأصبح له أتباع في بلاد الشام، ثم انقرضت الفرقة هذه بانقراض ائمتها سنة ٩٥٠ هـ بعد وفاة طاهر شاه الثالث المعروف بـ«الدكني».[١]

وثمة من يقول من النزاريين إن الحسن بن الصباح كان في مصر حين وقوع الخلاف على ولاية العهد فلم يقر ماجرئ، وكان ممن يرون أن المستنصر كان مكرهاً على تولية ولده أحمد وأن الأمر هو لنزار لا لأحمد، ففر الحسن بن الصباح من مصر داعياً إلى نزار، ثم أرسل بعض فدائييه فأحضروا ابنا لنزار إلىٰ قلعة الموت.

وفي قول آخر إنه لم يخرج من مصر حتىٰ أخرج معه ابناً لنزار واسمه في سلسلة الائمة النزاريين علي ولقبه الهادي. فأخفاه الحسن وستره.

ومهما يكن من أمر فقد أصبح الحسن بن الصباح الرجل الأول والموجه الفعلي للدعوة النزارية.

وكان المقصود من القول بخروج نزار أو أحد أولاده من مصر والتجائه مع الحسن بن الصباح إلى قلعة الموت ـ كان المقصود من ذلك ـ إظهار أن سلسلة الإمامة لم تنقطع وظلت مستمرة من نزار إلى خلفائه بعده في الموت.

ويعددهم النزاريون بهذا التسلسل:

١ ـ نزار بن المستنصر توفي سنة ٤٩٠ هـ.

٢ ـ علي بن نزار (الهادي) توفي سنة ٥٣٠ هـ.

٣ ـ محمد بن علي (المهندي) توفي سنة ٥٥٢ هـ.

٤ ـ حسن بن محمد بن علي (القاهر) توفي سنة ٥٥٧ هـ.

---

١ عكاوي، الدكتور رحاب: الحشاشون حكّام الموت... نشأتهم وتاريخهم، ص ٨٨.

على أن التاريخ لا يسجل أي نشاط لأولاد نزار هؤلاء، بل، إن التاريخ النزاري نفسه يكتفي بسرد أسمائهم دون الإشارة إلى أي ظهور لهم، مما يدعو إلى التساؤل، بل إلى الشك والريب والإنكار.

الإنحراف الخطير عن الإسلام

توفي الحسن بن الصباح سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) فخلفه من خلفه في قيادة الدعوة النزارية دون أن يعلن أحد من خلفائه عن عقيدة جديدة، حتى انتهى الأمر إلى الحسن الثاني بن محمدبن بزرگ أميد سنة ٥٥٨هـ (١١٦٤م) فإذا به يعلن التخلي عن الإسلام كعقيدة وعمل، والأخذ بمفهوم جديد للدين يتعارض كل التعارض مع مفهوم الإسلام له. معلناً: أن القيامة نوعان قيامة جسدية: وهي تكون في العالم الآخر. وقيامة روحانية وقد أعلنها على أتباعه. فكان ما كان من الإباحة على أساس أن لا محرمات بعد اليوم، وإستناداً إلى القول: (لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع).

ويصف المؤرخ علاء الدين عطاء الملك الجويني المتوفي سنة ٦٥٨هـ (١٢٥٩م) إعلان حسن بن محمد عن حلول القيامة الروحية وماجرى ذلك اليوم على الصورة التالية:

«في اليوم السابع عشر من رمضان في عام ٥٥٩ هـ (١١٦٤م) أمر حسن باقامة منبر في ساحة الموت متوجهاً نحو الغرب. مع أربع رايات كبار ذات أربعة ألوان أبيض وأحمر وأصفر وأخضر على زواياها الأربعة وجمع الناس الذين سبق استدعاؤهم إلى (ألموت) من مختلف الأقطار في الساحة ورتب الذين من المشرق على الجانب الأيمن والذين من المغرب على الجانب الأيسر والذين من الشمال من (رودبار) و(الديلم) في المقدمة مواجهين للمنبر.

ونزل حسن عند الظهر من القلعة وعليه رداء أبيض وعمامة بيضاء واقترب من المنبر من الجانب الأيمن وارتقاه بأكمل خلق وتفوه بالسلام ثلاث مرات، أولاً للديالمة ثم للذين على اليمين وبعد ذلك للذين على الشمال، وجلس هنيهة، ونهض بعدها واتكأ على سيفه وتكلم بصوت عال موجهاً خطابه لسكان الأكوان من جن وإنس وملائكة. فأعلن أن رسالة قد جاءته من الإمام المستتر مع دليل جديد.

ثم قال: «إن إمام وقتنا قد بعث إليكم صلواته ورحمته ودعاكم عباده المختارين، ولقد أعفاكم من أعباء تكاليف الشريعة وآل بكم إلى البعث».

ثم يقول الجويني:

«وأكد حسن بالتصريح بأنه كما في عصر الشريعة إذا لم يطع إنسان ولم يعبد بل تبع حكم القيامة بحجة أن الطاعة والعبادة هما أمران روحيان كان ينكل به ويرجم ويقتل، كذلك الآن في عصر القيامة إذا تقيد إنسان بحرفية الشريعة وواظب على العبادة الجسدية والشعائر فإن ذلك تعصب ينكل به ويرجم ويقتل من أجله».

ثم أكمل حسن كلامه قائلاً: «لقد أعفي الناس من تكاليف الشريعة لأن عليهم في فترة القيامة هذه أن يتوجهوا بكل جوارحهم نحو الله ويهجروا كل الشعائر الدينية وجميع العبادات القائمة. فقد وضع في الشريعة بأن على الناس عبادة الله خمس مرات في اليوم وأن يكونوا معه. وهذا التكليف كان ظاهرياً فقط. ولكن الآن في أيام القيامة عليهم أن يكونوا دائما مع الله في قلوبهم وأن يبقوا نفوسهم متوجهة دائماً نحو الحضرة الإلهية فإنها الصلاة الحقيقية».

وبالرغم مما رأينا في كلام حسن من التهديد والوعيد، والإنذار حتى بالرجم والقتل. فقد قوبل كلامه هذا بنقمة من الجموع الإسماعيلية الحاضرة، وكان

في أول الناقمين أخو زوجته. على أنه من الطبيعي أن نجد إلى جانب ذلك من يرحب بطرح التكاليف وأن يلقى حسن المذكورمن يماشيه في انحرافه، ويصف الجويني ما فعله هؤلاء تعبيراً عن انقيادهم لحسن بقوله: «... وفي ذلك اليوم الذي اقترفت فيه هذه القبائح وأفشيت فيه تلك المساوىء في **مأمون آباد** عش الكفر لعب الجميع على الجنك والرباب وشربوا الخمر بشكل مكشوف على نفس درجات ذلك المنبر وفي مكان جلوس الخطيب».

ولكن هذه المظاهر الذي يبدو جلياً أن حسناً نفسه كان قد دبرها ليصور الناس بصورة الراضين عن فعلته، وليبرز بشكل المؤيد شعبياً، كانت طلاء مكشوفاً لحقيقة شعور الإسماعيليين المؤمنين وفي طليعتهم شقيق زوجة حسن، فصمموا علىٰ التخلص من المنحرف وتعهد بذلك شقيق الزوجة، وقرروا التنفيذ بعد فشل جهودهم لوقف الإنحراف.

ففي يوم الأحد السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦م) قام شقيق الزوجة (بطعن المضل في قلعة (لمسر) وهكذا مضىٰ من هذه الدنيا إلى نار الله الموقدة...) على حد تعبير المؤرخ الجويني.

وكان الحسن الثاني بعد عام واحد من تاريخ إعلان ما أعلنه قد أدخل تطوراً آخر علىٰ الدعوة، فبعد أن كان هو ومن سبقه يقولون بأنهم يحكمون باسم الإمام المستور، أعلن هو في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ بأنه هو الإمام من نسل نزار بن المستنصر.

بين الإنحراف والإستقامة

ولكن الإنحراف لم ينته باغتيال أصله، بل بقي مستمراً على عهد خليفته ابنه (علا محمد) الذي تولى بعد أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره وتوفي سنة

٦٠٧هـ ـ (١٢١٠م). كما كانت المعارضة الشديدة مستمرة، وإذا كان قد تزعمها في عهد حسن، شقيق زوجته، فقد تزعمها الآن حفيده وسميه جلال الدين حسن إذ كان على خلاف أبيه وجده في العقيدة متشدداً في خلافه لهما كل التشدد.

وكان متفقاً مع المعارضة بأنه بمجرد وصوله إلى الحكم سيزيل الإنحراف ويعود بالحكم إلى القواعد الإسلامية، وهكذا كان، فما أن ولي بعد أبيه سنة ٦٠٧ حتى أعلن إلغاء كل ما قرره سلفاه وعنف الاخذين بمنهجهما ومنعهم بكل صرامة من الإستمرار على ذلك المنهج، وألزمهم الأخذ بأحكام الإسلام أخذاً كاملاً.

ويصف الجويني في كتابه (جهان گشاي) ماجرى قائلاً:

أمر جلال الدين بأن تحرق هذه الكتب بحضور القزوينيين وحسب رغبتهم، وتلفظ بلعنٍ لآبائه وأسلافه وطعن فيهم. ولقد رأيت كتاباً بيد أعيان وقضاة قزوين كان قد أملي من جلال الدين (حسن) تكلم فيه عن إلتزامه بالإسلام وقبوله شعائر الشريعة والتبرؤ من الإلحاد ومذهب أجداده وأسلافه. وكتب «جلال الدين» بضع كلمات بخط يده في صدر الكتاب فذكر تبرأه من مذهبهم وذلك بأن أضاف اللعنة: (ملأ الله قبورهم ناراً). (انتهى)

ولم يكتف بذلك بل اتصل بحكام الأقطار الإسلامية يعلنهم العودة إلى الإسلام ليوثق الصلاة بهم وبجمهور المسلمين بعد الذي شاع عن انحراف جده وما أعلنه من خروج على الشريعة، فراسل الخليفة في بغداد الناصر لدين الله، وخوارزم شاه، وغيرهما من الملوك والأمراء، كما أرسل والدته وزوجته إلى الحج وأمر ببناء المساجد، وقرّب إليه الفقهاء والقراء.

ومن البديهي أن لا يكون جلال الدين حسن قد استطاع استئصال جذور الإنحراف، وأن يظل له أتباعه الآخذون به شأن جميع الدعوات في كل زمان

ومكان، مهما عمل العاملون على محاربتها واضطهاد أتباعها.

على أن أمر دولة هؤلاء النزاريين لم يطل كثيراً بعد جلال الدين، فقد توفي جلال الدين سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٥م). وتولى بعده ابنه علاء الدين محمد الذي توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٦٠م) فتلاه ابنه ركن الدين خورشاه وهو الذي انتهى به ملك النزاريين بعد أن قتله هولاكو سنة ٦٥٤هـ (١٢٦١م).

على أن الدولة إذا كانت قد انتهت فإن من أخذوا بأقوال الحسن الثاني بن محمد وانحرافه لم ينتهوا، بل ظل للدعوة من يحملها من جيل إلى جيل حتى هذا الجيل وهم اليوم أتباع آغاخان، وظلوا هم وحدهم منفردين باسم «الإسماعيليين» بعد أن تبرأ من هذا الاسم من ورثوا أصحابه الحقيقيين وتسموا باسم «البهرة» كما مر.[1]

---

١ . الأمين، حسن: حقائق تاريخية عن الاسماعيليين، ص ٢٧١، ص٢٧٢، ص ٢٧٣، مجلة الثقافة الاسلاميّة، العدد التاسع عشر، دمشق، ١٤٠٨هـ.

لمحة عن سمات البهرة ونشاطها:

من مبادىء الجماعة التعليمية التي توارثوها عن الائمة الأطهار، جيلا بعد جيل: أن العلم تربية والتربية علم، وكلاهما معا على صلة وثيقة بالوجود والحياة للكائن البشري. فكل فرد من أبناء البهرة، ذكرا كان أو أنثى، يتلقى منذ نعومة أظفاره التربية الروحية والتعليم الديني على أيدي المربين والمعلمين، وذلك بالقدر الذي يتناسب مع سنه ومقدرته. وكذلك ينمو ويتدرج كل فرد منهم بالعلم والحكمة والنعمة درجة فدرجة، إلى أن يبلغ حد النضوج والكمال.

ومن ناحية أخرى، ان من التوجيه الاجتماعي للطائفة عدم التدخل في شؤون الآخرين، وكل اهتمام ذوي المسئولية في الجماعة منصرف إلى تنظيم أمور الجماعة وترقية أبنائها دينياً وعلمياً ومادياً، حتى يكونوا جميعاً أعضاء صالحين في المجتمع الذي فيه يتواجدون أو يعيشون.

وقد روى عن الامام أبي عبدالله الصادق جعفربن محمد(ع) «أن نفرا اتوه من الكوفة من شيعته، يسمعون منه ويأخذون عنه، فأقاموا في المدينة ما أمكنهم المقام، وهم يختلفون إليه ويترددون عليه ويسمعون منه ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه قال له بعضهم: أوصنا يابن رسول الله. فقال: أوصيكم بتقوى الله، والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وأداء الأمانة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين. فقالوا يابن رسول الله كيف ندعو اليكم ونحن صموت! قال: تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتناهون عما نهيناكم من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم الا على خير، فاذا رأوا ما أنتم عليه، قالوا: هؤلاء الفلانية رحم الله فلانا، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه!

وعلموا فضل ما كان عندنا وتسارعوا اليه ـ أشهد على أبي محمدبن علي(ع) لقد سمعته يقول: «كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضىٰ خير من كان فيه: ان كان امام المسجد في الحي كان منهم، وان كان مؤذن في القبيلة كان منهم، وان كان صاحب وديعة كان منهم، وان كان صاحب أمانة كان منهم، وان كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم. فكونوا أنتم كذلك، حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»[1].

فانطلاقا من هذه الفلسفة التربوية التعليمية، وسيرا مع هذا التوجيه الاجتماعي الرشيد، لم ترد طائفة البهرة احراج أي فرد، أو جماعة. فهي لا تجبر أي شخص على الدخول في مذهبها. مع أنها لا تغري أحدا على اعتناق منهجها وسلوك طريقتها. حتىٰ أنها لم تأذن بنشر عقائدها واذاعتها بين الناس، بل اتخذت لنفسها مجالس خاصة في مراكز معينة لهذه الأغراض المحددة، وذلك احتراما منها لحريات وعقائد الآخرين.

والجماعة لم تزل متمسكة بطريقتها هذه ومنهجها هذا، مع تغير مراكزها حسب تغير مراكز الأئمة الفاطميين وتغير مراكز دعاتهم في زمن الاستتار.

فبعد ما كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين للدعوة، انتقل مركزها من المدينة إلى الكوفة، ومن الكوفة عاد مركزها إلى المدينة المنورة، ومن

---

١ ـ من الذين عالجوا قضية الإمامة علىٰ ضوء العقائد الإسماعيلية القاضي النعمان بن محمد في كتابه (التوحيد والإمامة) و(الهمة في آداب اتباع الأئمة) وللفيلسوف الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني في الموضوع ذاته كتاب (المصابيح) ورسالة (مباسم البشارات) و(الرسالة الواعظة). وكتب الداعي أبو الفوارس بن يعقوب رسالة في الإمامة، كما ألف أبو يعقوب السجستاني كتاب (خزائن الأدلة) وكذلك أحمد بن إبراهيم النيسابوري كتاب (اثبات الامامة).

هناك انتقل المركز من طريق سلمية إلى شمال افريقية ثم إلى مصر. ومن مصر انتقل مركز هذه الدعوة إلى اليمن بقيام الدعاة الفاطميين بعد استتار الأئمة، سنة ٥٢٦ هـ. ومن اليمن انتقل المركز إلى الهند سنة ٩٤٦هـ ولايزال بها منذ أربع وخمسين وأربع مائة سنة.

والأمر الذي تمتاز به جماعة «البهرة» أبناء الدعوة الفاطمية، وأنه مهما تغيرت مراكزها وابتعدت من مكان مولدها، لم تزل اللغة العربية معهم لغة أولية مختارة من بين اللغات المحلية. كما لم يزل القرآن الكريم محوراً لحياتهم، فمافتئوا متمسكين، أينما كانوا، بالثقافة الاسلامية وبمعالمها باندفاع وحماسة وساعدتهم هذه الوجهة الصحيحة في نيل الشهادات العليا من الفنون والعلوم الحديثة، وتخصصوا في التكنولوجيا ودراسة اللغات.[١]

اشتهرت جماعة البهرة حيثما وجدت.. بأنها وحدة مترابطة، كما عرفت بعلاقاتها الودية مع الآخرين، انهم اسسوا المدارس والمعاهد التي تهتم بالعلوم الدينية، كالجامعة السيفية أو بالعلوم الحديثة كمعد (برهاني كولدج) وهذا الأخير فتح أبوابه لجميع الطوائف والجنسيات، ذكوراً واناثاً، فيتلقى العلوم فيه طلبة من افريقيا وسيلان والبلاد العربية، وفيه أيضاً يدرس المسلمون والمسيحيون والهندوس، ويتبع المعهد مكتبة حافلة بالكتب، بها قسم خاص للكتب العربية كما يتبعه أيضاً بيت لاقامة الطلبة وآخر للطالبات وذلك لقاء اجر زهيد. وقد حرصت هذه الطائفة التي يبلغ تعدادها أكثر من مليون ونصف المليون ينتشرون في شتى انحاء العالم على المساهمة في النهوض الصحي إلى جانب اهتمامهم بالمستوى

---

١ . الطريحي، محمد سعيد: طائفة البهرة الإسماعيلية، ص ١٧، مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤، هولنده، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.

العلمي لابنائها، فأنشاؤا «المستشفىٰ السيفي» حيث يعالج المرضى من جميع الطوائف والجنسيات، وهناك مؤسسة اجتماعية اقتصادية مهمتها مساعدة ابناء الطائفة لكي يبدؤا حياة ناجحة، فتزودهم بالمال والخبرة لاقامة المشروعات الاقتصادية الناجحة... وهكذا قضت على البطالة بين صفوفها.(١)

قلنا ـ فيما سبق ـ بعد وفاة الخليفة الفاطمي في القاهرة المستنصر بالله وقع خلاف بين ولده نزار وأخيه المستعلي الذي تمكن من الاستيلاء على الحكم والإمامة وازاحة أخيه، وقد سموا اتباع المستعلي بالمستعلية. التي عرفت بالطيبة، ومن هذه الطائفة عرفت جماعة باسم جماعة (البهرة) وهذه الأخيرة انقسمت هي الأخرىٰ فيما بعد إلى الداوودية والسليمانية.

وجماعة البهرة المنتشرة في جميع أنحاء العالم لها سلطان يعرف بسلطان البهرة وهو الدكتور محمد برهان الدين البالغ من العمر ثمانين عاماً.

بقي أن نوضح أن هذه الطائفة كانت تعرف بالاسماعيلية والفاطمية وأن كلمة بهري وبهرة التي عرفت بها جاءتها من الهند ومعناها تاجر، حيث جاء الاسماعيليون من مصر بعد انهيار دولتهم وتعرضهم للاضطهاد المذهبي، فجاءوا إلى اليمن ومنها إلى الهند واعتزلوا السياسة واتجهوا إلى ممارسة التجارة وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية عن طريق احتراف التجارة والتمسك بالدين والاخلاق ومعاملة الآخرين سواء من المسلمين أو غيرهم معاملة انسانية.

---

١ . حسني زكي، محمد: البُهرة بعث جديد في الهند لحضارة إسلامية عربية عريقة، ص ٩٠، مجلة العربي، العدد ٢٠٢، الكويت، ١٣٩٥هـ .

ملحق تاريخي

في الصفحات التالية جدول تاريخي موجز يحتوي على أسماء الأئمة الفاطميين ودعاتهم المطلقين الذين يمثلون خط سير تاريخ هذه الدعوة في الدور المحمدي بعد عهدي الرسالة والوصاية.

١ ـ عهد الرسالة

رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين (ص) انتقل إلى الأفق الأعلىٰ سنة ١٠ هـ.

٢ ـ عهد الوصاية

علي ابن أبي طالب خاتم الوصيين(ع)، استشهد عام ٤٠ هـ.

٣ ـ أسماء الأئمة الفاطميين:

١ ـ الامام الحسن بن علي(ع)	استشهد سنة ٥١ هـ.
٢ ـ الامام الحسين بن علي(ع)	استشهد سنة ٦١ هـ.
٣ ـ الامام علي بن الحسين (ع)	استشهد سنة ٩٤ هـ.
٤ ـ الامام محمد بن علي(ع)	استشهد سنة ١١٤ هـ.
٥ ـ الامام جعفر بن محمد(ع)	استشهد سنة ١٤٨ هـ.
٦ ـ اسماعيل بن جعفر	انتقل في القرن الثاني الهجري
٧ ـ محمد بن اسماعيل	انتقل في القرن الثاني الهجري
٨ ـ عبدالله بن محمد	انتقل في القرن الثالث الهجري
٩ ـ أحمد بن عبدالله	انتقل في القرن الثالث الهجري
١٠ ـ الحسين بن أحمد	انتقل في القرن الثالث الهجري

١١ ـ عبدالله بن الحسين المهدي بالله	توفي سنة ٣٢٢ هـ
١٢ ـ محمد بن عبدالله القائم بامرالله	توفي سنة ٣٣٤ هـ
١٣ ـ اسماعيل المنصور بالله	توفي سنة ٣٤١ هـ
١٤ ـ المعز لدين الله	توفي سنة ٣٦٥ هـ
١٥ ـ نزار العزيز بالله	توفي سنة ٣٨٦ هـ
١٦ ـ الحسين الحاكم بامر الله	انتقل سنة ٤١١ هـ
١٧ ـ علي بن الظاهر لاعزاز دين الله	توفي سنة ٤٢٧ هـ
١٨ ـ معد المستنصر بالله	توفي سنة ٤٨٧ هـ
١٩ ـ أحمد المستعلي بالله	توفي سنة ٤٩٥ هـ
٢٠ ـ المنصور الآمر باحكام الله	توفي سنة ٥٢٦ هـ
٢١ ـ الطيب	اختار الستر في سنة ٥٢٦ هـ

٤ ـ أسماء الدعاة المطلقين الفاطميين النائبين عن الأئمة المستترين

١ ـ ذوئيب بن موسى الوادعي	توفي سنة ٥٤٦ هـ
٢ ـ ابراهيم بن الحسين الحامدي	توفي سنة ٥٥٧ هـ
٣ ـ حاتم بن ابراهيم الحامدي	توفي سنة ٥٩٦ هـ
٤ ـ علي بن حاتم الحامدي	توفي سنة ٦٠٥ هـ
٥ ـ علي بن محمد بن الوليد	توفي سنة ٦١٢ هـ
٦ ـ علي بن حنظلة	توفي سنة ٦٢٦ هـ
٧ ـ أحمد بن المبارك	توفي سنة ٦٢٧ هـ
٨ ـ الحسين بن علي	توفي سنة ٦٦٧ هـ

٩ ـ علي بن الحسين	توفي سنة ٦٨٢ هـ
١٠ ـ علي بن الحسين	توفي سنة ٦٨٦ هـ
١١ ـ ابراهيم بن الحسين	توفي سنة ٧٢٨ هـ
١٢ ـ محمد بن سيدي حاتم	توفي سنة ٧٢٩ هـ
١٣ ـ علي بن ابراهيم	توفي سنة ٧٤٦ هـ
١٤ ـ عبدالمطلب بن محمد	توفي سنة ٧٥٥ هـ
١٥ ـ العباس بن محمد	توفي سنة ٧٧٩ هـ
١٦ ـ عبدالله بن علي	توفي سنة ٨٠٩ هـ
١٧ ـ الحسين بن عبدالله	توفي سنة ٨٢١ هـ
١٨ ـ علي بن عبدالله	توفي سنة ٨٣٢ هـ

(في عصره انفصلت الجعفرية النهروالية عن الاسماعيلية الفاطمية)

١٩ ـ ادريس بن الحسن	توفي سنة ٨٧٧ هـ
٢٠ ـ الحسن بن ادريس	توفي سنة ٩١٨ هـ
٢١ ـ الحسين بن ادريس	توفي سنة ٩٣٣ هـ
٢٢ ـ علي بن الحسين	توفي سنة ٩٣٣ هـ
٢٣ ـ محمد بن الحسن	توفي سنة ٩٤٦ هـ
٢٤ ـ يوسف بن سليمان نجم الدين	توفي سنة ٩٧٤ هـ
٢٥ ـ جلال شمس الدين	توفي سنة ٩٧٥ هـ
٢٦ ـ داؤد بن عجبشاه برهان الدين	توفي سنة ٩٩٩ هـ
٢٧ ـ داؤد بن قطبشاه برهان الدين	توفي سنة ١٠٢١ هـ

(الفرقة السليمانية أسندت الدعوة إلى سليمان ومن ثم عرفت بالسليمانية)

٢٨ ـ الشيخ آدم صفي الدين توفي سنة ١٠٣٠ هـ

٢٩ ـ عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١٠٤١ هـ

٣٠ ـ علي شمس الدين بن مولاى حسن توفي سنة ١٠٤٢ هـ

٣١ ـ قاسم خان زين الدين توفي سنة ١٠٥٤ هـ

٣٢ ـ قطب خان قطب الدين الشهيد توفي سنة ١٠٥٦ هـ

٣٣ ـ فيرخان شجاع الدين توفي سنة ١٠٦٥ هـ

٣٤ ـ اسماعيل بدرالدين توفي سنة ١٠٨٥ هـ

٣٥ ـ عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١١١٠ هـ

٣٦ ـ موسى كليم الدين توفي سنة ١١٢٢ هـ

٣٧ ـ نور محمد نور الدين توفي سنة ١١٣٠ هـ

٣٨ ـ اسماعيل بدر الدين توفي سنة ١١٥٠ هـ

٣٩ ـ ابراهيم وجيه الدين توفي سنة ١١٦٨ هـ

٤٠ ـ هبة الله المؤيد في الدين توفي سنة ١١٩٣ هـ

٤١ ـ عبدالطيب زكي الدين توفي سنة ١٢٠٠ هـ

٤٢ ـ يوسف نجم الدين توفي سنة ١٢١٣ هـ

٤٣ ـ عبد علي سيف الدين توفي سنة ١٢٣٢ هـ

٤٤ ـ محمد عز الدين توفي سنة ١٢٣٦ هـ

٤٥ ـ طيب زين الدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ

٤٦ ـ محمد بدر الدين توفي سنة ١٢٥٦ هـ

٤٧ ـ عبدالقادر نجم الدين	توفي سنة ١٣٠٢ هـ
٤٨ ـ عبدالحسين حسام الدين	توفي سنة ١٣٠٨ هـ
٤٩ ـ محمد برهان الدين	توفي سنة ١٣٢٢ هـ
٥٠ ـ عبدالله بدر الدين	توفي سنة ١٣٣٣ هـ
٥١ ـ طاهر سيف الدين	توفي سنة ١٣٨٥ هـ
٥٢ ـ محمد برهان الدين[١]	

١ . مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤، ص ٤٥.

لمحة عن سمات «الآغاخانية» ونشاطها:

رفضت جماعة اسماعيلية، بقيادة الحسن بن الصباح، الاعتراف بإمامة المستعلي، فانقسمت الاسماعيلية إلى مستعلية ونزارية.

الحسن بن الصباح الحميري[١] رجل كان يدين بعقائد الشيعة الاثنى عشرية، ثم وقع تحت تأثير أحد الدعاة الاسماعيليين، فتحول إليها. حاربه عامل الري بتلك التهمة، ففر إلى مصر حيث أكرمه داعي الدعاة هناك، واستضافه المستنصر وأمده بالمال.

بعد موت نزار ذهب إلى ألموت في إيران، لكنه بعد تأسيس الدولة مرض بشدة ومات عام ٤٩٠ هـ، ونص على إمامة ابنه علي.

---

١. ولد الحسن بن الصباح في الري عام ٤٣٠ هـ لوالد هو فقيه شيعي اثناعشري، يقال إنه علي بن محمد بن جعفر بن حسن بن الصباح الحميري. وكان مولده قد صادف دخول طغرل بك السلجوقي بغداد، في احتفال عظيم، وطردالبويهيين، وإحلال السلاجقة محلهم، والطلب من الخليفة الاعتراف به وبسلطانه والزواج من ابنته. كان صديق والد الحسن داعية اسماعيلي فارسي: فاقترح عليه إرسال ابنه إلى جامعة نيسابور، وهي مكان سني، لإبعاد الشبهات. وهناك التقى الحسن بعمر الخيام، الشاعر الشهير، ونظام الملك، وزير السلطان السلجوقي ملك شاه. وفي نيسابور تلقى الحسن علوماً كثيرة.

عاد الحسن إلى الري حيث التقى بشيخ اسماعيلي وانضم إلى الاسماعيلية بعد تردد. وغدا من تلاميذ عبدالملك بن عطاش أحد أقطاب الدعوة. نصح بالسفر إلى مصر للتعرف على الخليفة الفاطمي. فخرج إليها عام ١٠٧٦م ووصلها عام ١٠٧٨م بعد أن زار الدعاة في مختلف البلدان.

في مصر استقبله داعي الدعاة طاهر القزويني، ورحب به الخليفة المستنصر وأكرم وفادته. وقضى هناك ثمانية عشر شهراً درس خلالها أساليب الدعوة الاسماعيلية في «دار الحكمة». بعد مجيء المستعلي، ورفض الحسن أمامته، أبعد إلى سورية. ثم غادرها إلى أصفهان ومن ثمّ إلى ألموت.

الإسماعيلية النزارية يدعون ـ أيضاً ـ بالفارسية **خواجة**. وهم مسلمون منشقون يعيشون في البنجاب، السند وشرق افريقيا. وهم يدعون أيضاً مولاي أو مولاتي، كما يدعون هندوكش في غرب الهند، أفغانستان، آسيا الوسطى، جبال شرق فارس، واقليم الخليج الفارسي.

لا يدين خوجة البنجاب بالولاء لآغاخان، لكن عقائدهم تشبه خوجة بومباي، وهم كانوا في الأصل هندوساً ثم اتبعوا مذهب الخوجة. يعملون عموماً بالتجارة، فهم من البارعين بالحسابات. عاداتهم هندسية وينتسبون إلى الحاج سيد صدر الدين.

في القرن الخامس عشر الميلادي وفد على البنجاب داع اسماعيلي، بسط مذهبه للهندوس كي يلائم تقاليدهم، ووضع لهم كتاباً أسماه «دس افتار»، مازال خوجة البنجاب واتباع آغاخان، الهنود والافارقة، يستعملونه حتى الآن مع تراتيل صدر الدين، ومما كان من عقائدهم أنهم رأوا تحقق التجسد الهندوسي العاشر في امام الاسماعيلية المستتر، وفي ذلك مزج جلي بين الهندوسية والاسماعيلية.

يرتبط خوجة بومباي وافريقيا بآغاخان مباشرة. لكن في العقد السابع من القرن التاسع عشر، أعلن فريق من خوجة بومباي. وكانت محكمة بومباي قد أصدرت عام ١٨٤٧ قراراً يقول أن الشريعة الاسلامية في الميراث لا تسري عليهم، وأن نسائهم، كنساء الهندوس، محرومات من الميراث.

كان الداعية نور شاكر أو بيرست كرنور قد استن لهم سنة مشوا عليها، في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد. وفي عام ١٦٩٤ ألف الإمام آغا

عبدالسلام كتاباً بالفارسية لهداية الخوجة الهنود اسماه «بندياد جوان مردي»، يمكن مقارنته مع كتاب السيخ المقدس «كرانته صاهب».

نلمس في تقاليدهم الأثر الهندوسي واضحاً، خاصة فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق. يتم الزواج بوجود قاض مسلم. ويكتب العقد باللغة الكجراتية. وتوضع عليه اسماء أربع ملائكة: اسرافيل وجبرائيل وميكائيل ومزرائيل. يتم الطلاق باقرارالجماعة. يمكن الزواج مرة ثانية، شرط أن يودع الزوج مبلغ ألفي روبية لحساب الزوجة الأولى. عند احتضار أحدهم يقرأ الـ«دس افتار»، ويرش ماء مقدس يسمونه «سمرجهانته». الأمور المالية مركزة في آغاخان. ولكل طائفة «جماعت خان» أو ندوة أو مسجد يوكل بها إلى «مكّي» أو رئيس و«كامرية» أو أمين سر.

تشمل الهبات «الداسند» أو العشر. وقد انشقت عنهم طائفة رفضت أداء العشر أو الرسوم. تؤدي الرسوم عند المواسم: كظهور القمر، الميلاد، الزواج، الدفن...[١]

حسن علي شاه (١٢١٩ ـ ١٢٩٨هـ) هو آغاخان الأول. على عهده انتقل مقر الدعوة إلى السند بعد نزاع مع شاه إيران. جاء بعده علي شاه، فسلطان محمد شاه، فكريم خان[٢]، وهو الإمام الحالي. ولد يوم ١٣/١٢/١٩٣٦. يقيم في افاكوند شانتيبه، شمال شرق باريس بسبعين كيلومترا. وهو خريج جامعة هارفارد.

---

١ . مجلة الموسم، العددان (٤٣ ـ ٤٤)، ص ١٦٨ .

٢ . كريم بن علي بن محمد (آغاخان الرابع).

الفرق بين البوهرة والأغاخانية

واخيراً نشير إلىٰ الفرق بين البوهرة والأغاخانية في التقاليد الاسلامية، فبينما يشتد البوهرة في أداء الصلوات ورسوم العبادات، واعداد المساجد اعدادا نظيفاً جميلا، ومواصلة التعليم والتدريس في المساجد والمواسم، وفي جامعتهم الشهيرة، ومعاهدهم المتعددة، كما كانوا حريصين علىٰ أن يكون لدىٰ كل فرد منهم سجادته ومنشفته وقلنسوة صلاته، وجلباب وقبقاب صلاته، علىٰ أن يكون ذلك كله من لوازمهم في متاجرهم ومكاتبهم ومتنزهاتهم، نجد الأغاخانيين لا يهتمون بشيء من ذلك، فهم يؤدون عباداتهم ـ في مركز الجماعة الخفي المسمىٰ «جماعت خانه» حيث تجري في هذا البيت عقود الزواج والأمور الدينية الأخرىٰ كلها.

الشيعة الفاطميون والاثنا عشريون

ذكرنا ـ في الجزء الأوّل ـ الفروق الاساسية. فيما عدا امرين يقع فيهما الخلاف بينهما:

أولا: فيما يتعلق بمواقيت الصيام والفطر، فالفاطميون يكملون رمضان ثلاثين يوماً في كل عام ولا يلتزمون برؤية الهلال، بل يعتمدون على التقويم الفاطمي والحساب.

والاثنا عشريون يقيدون صيامهم اعتماداً علىٰ أحاديث صحت عندهم ـ برؤية الهلال. كأهل السنة.

ثانياً: الاثنا عشريون يجيزون زواج المتعة، أما الفاطميون فلا يجيزون

المتعة كأهل السنة.[١]

ثالثاً: الاثنا عشريون ليس لهم رموز سريه ولا تفاسير باطنية؛ فكتبهم موجودة في جميع المكتبات وحوزاتهم العلمية تستقبل طلاب الحقيقة من جميع ارجاء العالم.

واما الإسماعيلية كانوا أول من استعمل الرموز السرية في كتبهم وفي مراسلاتهم التي كانوا يرسلونها على طريق الحمام الزاجل الذي برع في استخدامه دعاة الإسماعيلية. ولهم في مجال الرموز السرية قواعد كثيرة طبقوها واستخدموها بدقة لتغطية الأمور السرية المحظور كشفها خشية الأضداد وحرصاً على عدم وقوعها في أيدي الخصوم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر، ويترصدون حركاتهم السرية والعلنية.[٢]

يفهم الاسماعيليون القرآن فهما رمزياً باطناً. وقد ورد عن الاسماعيليين أنهم يرون «أنا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أرسل إلى قوم بدو، أميين يسكنون الصحراء، ولا يدركون ما في هذه الحياة من جمال، ولا يستطيعون ادراك روحانية الحياة الآخرة. وعبارات القرآن، بما فيها من صور حسية، إنما تتناسب مع فهم أولئك القوم، وينبغي لمن هم أرقى منهم في المعارف أن يؤولوها تأويلاً ينفي عنها الصفات الحسية». فعلى سبيل المثال: يسأل السائل عن كبش اسماعيل الذي فُدى به ما هو الجواب [فيجيبه] ان اسحاق عليه السلام هو المكنّى عنه

---

١ . الأعظمي، محمد حسن: الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية، ص ١٦، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢ . منصور اليمن، جعفر: كتاب الكشف، ص ١٧، تحقيق: الدكتور مُصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

بالكبش وذلك ان ابراهيم صلوات الله عليه كان قد همّ ان يأخذ العهد على اسماعيل لاسحاق عليه السلام فاوحىٰ الله تعالى اليه أن يأخذ العهد لاسماعيل على اسحاق ويقيمه سترا عليه وحجاباً وهو مانصّه الكتاب الكريم من قوله «فلما بلغ معه السعي» يعني اسماعيل عليه السّلام «قال يا بنيّ انّي ارى في المنام أني اذبحك» أي آخذ العهد عليك لاسحاق «فانظر ماذا ترىٰ قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» أي صابراً على ما تأمرني به مسلماً لامرك إلى قوله «وفديناه بذبح عظيم» وهو م أُمر به من أخذ العهد على اسحاق لاسماعيل عليه السّلام فاسحاق المكنّىٰ بالكبش فاعلم ذلك.[1]

أو ما يقوله الداعي جعفر بن منصور اليمن: العقول إذا صفت، والنفوس إذا تهذبت، خلصت الأرواح من كدورات العالم المطبوع، واتصلت بالعالم البسيط، فعادت إلى بيتها الذي هو الجسم، فصفته من أوساخ الطبائع وكدوراتها، ونقت الدماغ من البخارات الرديئة، والأخلاط الوسخة، فصفىٰ العقل، وأنار، فقويت به مادة الروح، فعندها تؤثر في العقل نقوش العالم البسيط، كما يؤثر نقش الخاتم فيما ختم به.

فعند ذلك يخبر بجميع ما يحدث في العالم البسيط وغيرها علواً وسفلاً، باللغة الجسدانية المؤلفة من الألفاظ النطقية، فالعامة تسميه وحياً وتنزيلاً، وتسمي الوسائط الثلاثة المتصلة من العقل الكلي بالعقل الجزئي ملائكة، لموضع تمليكهم. فأما أهل الشرائع فإنهم يسمونهم جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل. وأرباب الحكمة

---

١. ......: أربعة كتب اسماعيلية، ص ١٢٨، تصحيح: ر. شتروطمان (المجمع العلمي غوتينغن)، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

وملاكها يسمونهم جداً وفتحاً وخيالاً. فالخيال، واقع على اسرافيل لأنه أول عارض يتخيل في الفكر فيكون صورة في حد القوة، إذ هو صاحب الصور والنافخ فيها النفختين المتقدم ذكرهما، نفخة الصعقة، ونفخة البعث والنشور. فالبعث هو إطلاق الدعاة في الجزائر بإقامة دعوة الحق، والنشور هو ما ينشرونه من العلوم والحكمة، والحكم التأويلية لأولاد دعوتهم، والنفخة هو اتصال المواد العالية بالمبعوث المطلق، فاسرافيل هو واقع على إمام الزمان، والصور / هو ما يتصور في نفوس أهل البصائر، فهو في حال القوة مادامت نفخة الصعقة مقيمة التي تميت كل الخلائق.

والموت هو إمساك عن الدعوة وعن المفاتحة بشيء من التأويل، وكانوا في حال إمساكهم وسكوتهم كالأموات التي لا أرواح فيها، وهي ظاهر الشريعة التي لا باطن لها، فكان لأهل الظاهر صعقتين إذ لم يكونوا للباطن معتقدين. والحد الثاني الذي سماه الحكماء ميكائيل، وهو الفتح لأنه فتح بالذكر ما صح في الفكر مما انغلق عن غيره، وإنما سمي ميكائيل لأنه إليه كيل البحار، ونزول الامطار من السحب بمقدار.

والحد الثالث جبرائيل، لأنه يجبر من يرفعه في المراتب على غيره بإلهام القلب مما يتصوره، كما قال رب العالمين: نَزلَ بِهِ الرّوحُ الأمين. على قلبك لتكون من المُنذرين. بلسانٍ عربي مُبين» إعلاماً بأن اللسان / يترجم عن القلب بما تصور فيه، فيصير صورة بالفعل، كما كانت في حال استتارها صورة بالقوة، ويسمى بالجد لأنه علوي إلهي قدسي جد لا هزل فيه، كما قال تعالى: «وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولدا» لأنه كان أمره جداً لا هزل فيه، كما قال:

«أَفَحَسِبتُم أَنما خَلقناكم عَبَثاً وأنكُم إلينا لا تُرجَعُون».

فلذلك صارت النواميس الشرعية بالجبر، والقهر، والقوة، والغلبة، وإقـامة العلوم الحكمية، والتأويلات الدينية، بـالاختيار عـند إقـامة الحـجة إلى سـبيل المحجة، بإيضاح الدلائل والبراهين.[١]

١ . منصور اليمن، جعفر: سرائر وأسرار النُطقاء، ص ٢٥، تحقيق: الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

دراسات حول الدولة الفاطمية

بدأت الدراسات التأريخية العربية الحديثة تنصف الدولة الفاطمية بعض الإنصاف، بعد أن توالىٰ علىٰ كتابة تاريخها أعدى أعدائها فعملوا علىٰ تشويه هذا التاريخ.

نقول: بدأت.. وهذه البداية وإن كانت تمشي خجولة ضعيفة، فيكفي أن تظل ماشية لا تتوقف، وهي إن فعلت ذلك فإنها ستصل إلى نتائج باهرة.

فمن ذلك ما كتبه الدكتور محمّد عمارة ردّاً على ما كتبه محمد علي القطب «إن مصر الفاطمية قليلة البضاعة في العلم والتراث، كثيرة الآثار في المباني الحجرية»[1]. فردّ عليه الدكتور محمّد عمارة قائلاً: هناك زعم يسوقه البعض مدعيّاً فيه ذبول الحركة الفكرية والأدبية في مصر علىٰ عهد الفاطميين، وانعزال القاهرة «عن تقدم الدراسات الإسلامية في القرنين، الحادي عشر والثاني عشر (الميلاديين)»، ثم ينتهي هذا الزعم إلى القطع بأنه «قلما ظهر هناك قادة في محيط الفكر أو الأدب العربي تحت الحكم الفاطمي» راجع سيرة القاهرة: ص ١١٨.

ونحن لا نريد هنا البحث عن مدىٰ الصدق ومدىٰ الزيف في هذا الادعاء، لأننا نرفضه من أساسه، ونرىٰ فيه نظرة سطحية أثمرتها عوامل عدة، كان في مقدمتها.

١ ـ ذلك التحيز الذي نجده في كتب التاريخ، التي كتبها المؤرخون السلفيون «السنيون» عن مصر والقاهرة في زمن الفاطميين. وهو موقف يجب أن يبرأ منه الباحث المعاصر، لأنه لاناقة له ولا جمل في هذه الخلافات التي فرقت

---

١ ـ القطب، محمد علي: الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ، ص ١٠٣، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.

العالم الإسلامي، فكريّاً وسياسيّاً، حيناً من الدهر، والتي زالت، منذ قرون، بواعثها وأسبابها، ولم يعد مستساغاً أن نظل في القرن الخامس عشر الهجري أسرىٰ لحزازات، ولدت أسبابها ثم ماتت.

٢ ـ إن عملية التأريخ للحياة الفكرية والأدبية، في حضارتنا العربية الاسلامية، قد أُصيبت بداء الاهتمام الأكثر من اللازم، لمجتمع العاصمة المركزية التي كانت مقرّاً للخلافة، وعلى الاخص في بغداد، وبدأ الاهمال الأكثر من اللازم لمجتمعات المدن الأخرىٰ، برغم ما حفلت به من نشاطات فكرية عَبْرَ الكثير من العصور. وعلى الرغم من أن القاهرة كانت ـ على عصر الفاطميين ـ إنما تمثل بالنسبة للعالم العربي عاصمة الخلافة الاقوى والأوسع انتشاراً، فإن انهيار هذه الخلافة علىٰ يد سلطة سلفية «سنيه» محافظة، هي سلطة الدولة الأيوبية، التي كان ولاءها للخلافة العباسية في بغداد، وكذلك كتابة تاريخ هذه الفترة من قبل مؤرخين سلفيين «سنيين»، قد جعلهم لا يعترفون للفاطميين بمرتبة الخلافة وإمارة المؤمنين، وإنما رأوا فيهم «أدعياء» مغتصبين للسلطة. بل لقد بلغت الجرأة ببلاط الخلافة العباسية ببغداد إلى الحد الذي جعل الخليفة القادر بالله يجمع فقهاء بلاطه في سنة ٤٠٢ هـ (سنة ١٠١١م) ـ ليصدروا فتوىٰ يطعنون فيها في انتساب الفاطميين إلى أهل بيت الرسول! فإذا ما جاءت سنة ٤٤٤ هـ (سنة ١٠٥٢م)، صدرت حول هذا الموضوع ببغداد وثيقة ثانية، زيد فيها أن نسب الفاطميين لا يعود إلى علي بن أبي طالب، وإنما إلىٰ اليهود أو المجوس! ومن ثم، فلقد عوملت مصر عند تأريخ الحركة الفكرية والأدبية في حضارتنا العربية الإسلامية معاملة الإقليم، وعوملت القاهرة عاصمة الإقليم، التي تغلب عليها متغلب «دعي» حيناً من الدهر، ثم عادت تخطب علىٰ منابرها للخليفة الشرعي المتربع على عرش

بغداد!

٣ ـ إن الآثار التي سجلت فيها الحركة الفكرية المصرية ثمار هذه الفترة، والكتب والمجلدات التي كان بإمكانها أن تصبح الآن ألسنة ناطقة بالأنشطة الفكرية لتلك الحقبة الزمنية، قد أصابها التلف والسلب والنهب والضياع مرتين.

أولاهما، عندما حدثت الشدة المستنصرية، التي بدأت بمجاعة سنة ١٠٦٦م (٤٥٩هـ).

وثانيتهما، عندما انتهىٰ العصر الفاطمي علىٰ يد صلاح الدين الأيوبي، وعهد بمكتبة القصر الفاطمي التي «كانت خزائنها مشتملة على قريب مائة وعشرين ألف مجلدة»، عهد بها «للأمير بهاء الدين قراقوش... وهو تركي لا خبرة له بالكتب، ولا دربة له بأسفار الأدب»، فأصبحت «كالميراث مع أبناء الأيتام، ينصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام»، مما أدّىٰ إلى ضياع هذا التراث، ذلك الضياع الذي أحدث العديد من الثغرات في العديد من الأبنية الفكرية في حضارتنا العربية الاسلامية، ما خلق وهماً شاع بين الكثيرين عن ذبول الحياة الفكرية والأدبية في مصر على عهد الفاطميين.

وثاني الأدلة التي نسوقها على عمق وأصالة الحركة الفكرية والأدبية في ذلك العصر، هو قيام المؤسسات العلمية العملاقة التي شهدتها العاصمة يومئذ وبخاصة الأزهر، كجامعة فكرية وثقافية.

أما دار الحكمة، فهي تلك الأكاديمية العلمية والفكرية التي انشأها الحاكم بأمر الله في مارس سنة ١٠٠٥م (جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ)، في المكان المواجه لمسجده (الجامع الأقمر) بدرب الخضيري بباب التبانين. ولقد ضمت هذه الأكاديمية فروعاً وأقساماً للقرآن وعلومه، وللعلوم الدينية، وللفلك، والطب،

والنحو وعلومه وعلوم اللغة المختلفة.

وثالث الأدلة التي نسوقها على عمق الحركة الفكرية وأصالتها في مصر الفاطمية، يتمثل في تلك المكتبات التي جمعها الفاطميون، وبذلوها للعلماء والمتعلمين، والتي اعتبرها المؤرخون السلفيون، المعادون للفاطميين، إحدى عجائب الدنيا في ذلك الحين، «لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة». فإذا علمنا أن قائل هذا هو المؤرخ الأيوبي المعادي للفاطميين المعروف بأبي شامة، وأنه قد قال هذا القول قبل أن يدخل التتار بغداد فيخربوا مكتباتها بما يقرب من المائة عام، علمنا عظم هذه الثروة الفكرية التي اشتملت عليها مكتبات القاهرة في ذلك التأريخ، حتى قيل إن مكتبة القصر الفاطمي وحدها، عندما حكم صلاح الدين الأيوبي، وبعد أن نُهب منها الكثير زمن الشدة المستنصرية، «كانت تحوى ألفى ألف وستمائة ألف كتاب (أي... و ٦٠٠ و ٢ كتاب).[١]

وأيضاً ما كتبه الدكتور عبدالمنعم ماجد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في جامعة عين شمس في كتابه (ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها) في الطبعة الرابعة الصادرة سنة ١٩٩٤، ص ٤٠٧.

«فهذه الدولة الفاطمية أثارة انتباه المؤرخين المحدثين بحيويتها المتدفقة التي أوجدتهافي جسم الإسلام الذي كان قد شاخ على يد الدولة العباسية، فتاريخها منذ انتقالها إلى مصر أشبه بملحمة كبرى: دعوة إلى وحدة العرب في

---

١ . عمارة، الدكتور محمد: عندما أصبحت مصر عربيّة إسلامية، ص ٤٦، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

المشرق والمغرب[١]، جهاد بضراوة على أعداء الإسلام، نشر الحضارة الإسلامية على نطاق واسع... ثم سقوط مؤثر».

وقال الدكتور خضر أحمد عطا الله في كتابه (الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي) صفحة ٦ وما بعدها.

«واهتم الخلفاء الفاطميون بالنهضة الفكرية، فكان كثير منهم على جانب كبير من العلم والثقافة، واهتموا بالمؤسسات التعليمية والفكرية وأصبحت قصورهم مراكز فكر وثقافة وضمت تلك القصور مكتبات ضخمة بذلوا المال والجهد في جمع كتبها من أرجاء العالم. وأصبحت القاهرة كعبة العلماء والأدباء والفقهاء. وكان الأزهر مناراً للعلم والثقافة. وأثر الخلاف المذهبي في الحياة الفكرية، فانصرف كثير من أهل السنة عن مخاطر الحياة السياسية إلى العلم والفكر، وانتعشت أحوال أهل الذمّة في العصر الفاطمي فكان لهم دورهم أيضاً في الحياة الفكرية إلى جانب بروزهم في مجالات السياسة والإدارة... وأدت العلاقات الدولية والاتجاهات العالمية إلى انتعاش الحياة الفكرية مرة أخرى في مدينة الاسكندرية....».

وينقل عن الدكتور حسن ابراهيم وطه شرف قولهما في كتاب (المعز لدين الله، ص ٣) عن المعز قولهما: «وقد ساهم المعز لدين الله في إنعاش الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر بماسنّة من النظم الإدارية الحازمة ولم يكتف بذلك بل نهض بالناحية العلمية والثقافية حتى أصبحت المنصورية في بلاد المغرب

والقاهرة في مصر كعبة العلماء والطلاب والمستجيبين والدعاة...».[١]

ومسك الختام عن الدولة الفاطمية نذكر قسماً من المؤلفات المهمة:

* رسائل اخوان الصفا و خلان الوفا

يحدثنا التاريخ بأن الكثيرين من الدعاة قد قتلوا لاعتقاد المأمون بأنهم من الائمة. أما أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن الامام جعفر الصادق عليه السّلام فقد غادر الديلم سراً بزي التجار قاصداً معرة النعمان في سورية، فأقام فيها بعض الوقت، ثم ارتحل عنها إلى سلمية، حيث التف حوله نخبة من كبار الدعاة والعلماء، فوضع لهم الأنظمة الخاصة بترتيبات الدعوة، وأمرهم بتأليف (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) ولقد لخص أحمد بن عبدالله هذه الرسائل برسالة واحدة سماها (الرسالة الجامعة)، واعتبرها تاج هذه الرسائل لما تضمنته من علوم ومعارف.

وجاء في فضيلة العلم: ولذلك قال الحكيم إنه من كان للعلم ألزم، وعليه أحرص وأدوم، عليه وفيه أرغب، فهو إلى كمال الإنسانية أقرب، وكذلك كل نفس كانت أعقل فعقلها يؤدي إلى حسن الاعتبار، وجودة الاختيار، ومجانبة الاشرار، ومرافقة الأخيار. ومن كان إلى ذلك أميل كان في استكمال فضائله أعدل. ومن كان أعدل فهو أفضل وأكمل وأحسن وأجمل. ومن كرمت عليه نفسه علت همته فهو أبداً يسمو بها إلى معالي الأمور [ونفيس المراتب] وحيازه [فضل العلم بكمالها] والتحلي [بأشرف حلاها]، ولم يرض لنفسه بالانحطاط إلى أسفل سافلين فإذا علت همته وزكت نفسه استوجب أن يشار إليه بالعقل ويقال فلان

١ . الأمين، حسن: الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص ٢٥٨، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

عاقل[١]....

١ ـ موسوعة رسائل اخوان الصفا ـ تأليف الدكتور عارف تامر ـ منشورات دار الريس ـ لندن ١٩٩١ ـ ٤ مجلدات.

٢ ـ موسوعة رسائل اخوان الصفا ـ تحقيق الدكتور عاف تامر ـ منشورات دار عويدات ـ بيروت ـ فرنسا ـ ١٩٩٣م ـ خمس مجلدات.

٣ ـ الموسوعة التأريخية للخلفاء الفاطميين [موسعة] ـ تأليف الدكتور عارف تامر ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ لبنان و دار المسيرة ـ لبنان.

٤ ـ الاسماعيلية ـ تأليف الدكتور عارف تامر ـ منتزع من دائرة المعارف اللبنانية ١٩٨١ بيروت ـ لبنان.

٥ ـ المراجعات الاسماعيلية ـ تأليف عارف تامر ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٤م.

٦ ـ ثلاث رسائل اسماعيلية ـ تحقيق الدكتور عارف تامر ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٥م.

٧ ـ أربع رسائل اسماعيلية ـ تحقيق الدكتور عارف تامر ـ منشورات دار الكشاف ـ لبنان ـ ١٩٥٢ ـ طبعة ثانية دار الحياة ـ لبنان ـ ١٩٦٥م.

٨ ـ خمس رسائل اسماعيلية ـ تحقيق الدكتور عارف تامر ـ منشورات دار الانصاف ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٥٦م.

---

١ . عبدالله، أحمد بن: الرّسالة الجامعة، ص ٥٧، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

دولة الموحدين

دولة الموحدين من الدول الكبرىٰ التي قامت في المغرب العربي، فانتشرت أطرافها من أقصى ليبيا شرقاً إلى مشارف المحيط الاطلسي من الاشبونة إلىٰ ما يعرف اليوم بالسنغال، ثم امتدت في الأندلس، وقامت لها جيوش جرارة قارعت الاسبان والنورمانديين، وأساطيل جبارة سادة البحر المتوسط.[1]

وكلمة الموحدين هذه هي التي حرّفها الإسبان فجعلوها (الموحاد).[2]

الموحدون فرقة من فرق المسلمين ظهروا للرد علىٰ معتقدات المشبهين والمجسمين لانهم يرتاؤن عكس ذلك وينفون التشبيه والتجسيم لذات الباري تعالىٰ.[3]

وقد قاوم ابنُ تومرت مذاهب المشبهة والمجسمة التي كانت مسيطرة في ذلك الوقت علىٰ المغرب وأعلن التوحيد حتىٰ سُميت الطائفة التي اتبعته باسم الموحدين.[4] وتفصيل ذلك أن محمد بن تُومَرْت، (المولود حوالي عام ١٠٧٥) أحد أبناء مراكش الجنوبية، كان قد سلخ عشر سنوات في الشرق الاوسط كطالب دينيّ وكمصلح مُقْبل. حتىٰ إذا نزل بين قبائل مَصْمودة في جبال الأطلس وُفّق إلى انتزاع اعجابهم بعلمه وبحماسته الدينية، فاجتمع حوله خَلْقٌ كثير ومريدون

---

١ . الأمين، حسن: دولة الموحّدين الأسلامية، ص ٦١، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م.

٢ . السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدوّل الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ١/٥٣.

٣ . لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الاسلام، ص ٤٨.

٤ . السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ١/٥٣.

متعددون. ثم إنه أسس دولة ذات صفة ديموقراطية متميزة، دولةٍ مبنيّة علىٰ أساس من الاخلاقية الاسلامية الصارمة. وليس في استطاعة المرء ان يشك البتة في عبقرية ابن تومرت كمنظِّم، أو في تفوق نظامه الحكومي علىٰ الانظمة التي سبقَتْهُ في اسبانية وفي شمالي افريقية علىٰ حد سواء.

إنه لم ينس قط، وهو في غمرة من واجباته الادارية كلها، واجبَه الرئيسي كمصلح ديني. وكان يعلق علىٰ مفهوم وحدة الله المطلقة أهميةً بالغة إلى درجة جعلته يطلق على أتباعه اسم الموحدين. وقد حرّف الاسبان هذا الاسم إلى mlmohadeالذي عُرِفت به منذ ذلك الحين ابرز اسرة من أُسَر مراكش الحاكمة.(١)

الموحدون أو الدولة الموحدية قامت علىٰ أسس شيعية إذا لم تكن واضحة كل الوضوح فهي صريحة كل الصراحة. ويمكن القول انها كانت علىٰ منهج خاص بها يمكن مماثلته بالمنهج الزيدي والمنهج الفاطمي واعتبارها واحداً من المذاهب الشيعية التي يعتبر المذهبان المذكوران مذهبين فيها. ولا يبدو التشيع عند الموحدين كما يبدو في شعر شعرائهم الذين لا يختلف عن أي شعر شيعي آخر.

ومنشيء هذه الدولة هو أبو عبدالله محمدبن عبدالله بن تومرت الملقب بالمهدي، وينسب إلى قبيلة هرغة في أقصىٰ المغرب.

وهذه القبيلة تنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب(ع).

وكان ابن تومرت نفسه يذيل رسائله بتوقيعه بهذه العبارة: «محمد بن

عبدالله العربي القرشي الحسني الفاطمي»[١].

وزعم كثير من المؤرخين ان نسبه في أهل البيت. وكان أهل بيته أهل نسك ورباط وكانت ولادته ٤٨٥هـ.[٢]

يقول عبدالواحد بن علي المراكشي (المتوفى سنة ٦٤٧هـ): ولمحمد بن تومَرت نسبةٌ متصّلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وُجِدَت بخطِّه؛ وكان قد رحل إلىٰ المشرق في شهور سنة ٥٠١ في طلب العلم، وكرّ راجعاً إلى الإسكندرية، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الطُّرْطوشيّ الفقيه؛ وجرت له بها وقائعُ في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفضتْ إلىٰ أن نفاه مُتولّي الإسكندرية عن البلاد؛ فركب البحر؛ إلى أن نزل من بلاد المغرب بِجَايَة فأظهر بها تدريس العلم والوعظ؛ واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب؛ فأمره صاحب بجاية بالخروج عنهاحين خاف عاديته؛ فخرج منها متوجّها إلى المغرب، حتّىٰ أتى مدينة تِلِمْسان، فأقام بمسجدٍ بظاهرها يعرف بالعُبّاد، جارياً علىٰ عادته؛ وكان قد وُضِع له في النفوس هيبةٌ وفي الصدور عظمةٌ. فلا يراهُ أحدٌ إلا هابه، وعَظُمَ أمره؛ وكان شديدَ الصمتِ كثيرَ الانقباض؛ إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلمّ بكلمة...

وبأمرٍ من ابن تاشفين ـ علي بن يوسف ـ خرج هو وأصحابه متوجّها إلى سُوس فنزل بموضع منها يُعْرَفُ بتين مَلَل وفي هذا الموضع قامت دعوته، وبه قبرُه؛ ولمّا نزله اجتمع إليه وجوه المصامدة، فشرع في تدريس العلم والدعاء إلىٰ

---

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة، المجلّد الثالث، الجزء الثاني عشر، ص ٣١٨، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧.

٢ . سرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دول المغرب، ص ٤١.

الخير؛ ألّف لهم عقيدةً بلسانهم: وكان أفصحَ أهل زمانه في ذلك اللسان؛ فلمّا فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له، وأُشربتْ قلوبُهم محبّتَه، وأجسامُهم طـاعتَه؛ فلمّا استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أوّلا علىٰ صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غيرَ، ونهاهم عن سفك الدماء ولم يأذن لهم فيها؛ وأقاموا علىٰ ذلك مدّة؛ وأمر رجالاً منهم ممن استصلح عقولهم بـنصب الدعـوة واسـتمالةِ رؤسـاء القبائل؛ وجعل يذكر **المهديّ** ويُشوّقُ إليه، وجَمَع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنَّفات، فلمّا قرّر في نفوسهم فضيلةَ **المهديِّ** ونَسَبَه ونَعْتَه، ادّعىٰ ذلك لـنفسه وقال: أنا محمد بن عبدالله...

وصرّح بدعوى العِصمة لنفسه، وأنّه المـهديُّ المـعصوم؛ وروى فـي ذلك أحاديث كثيرة، حتّى استقر عندهم أنّه المهديّ، وبسط يـده فـبايعوه عـلىٰ ذلك وقال: أبايعكم علىٰ ما بايع عليه أصحابُ رسولِ الله(ص) رسولَ الله.

ثمّ صنّف لهم تصانيف في العلم، منها كتاب سمّاه «أعزّ ما يُطلب» وعقائد في أصول الدين؛ وكان يُبطِن التشيُّع، غير أنّه لم يَظهر منه إلى العامّة شيء.[١]

وصنّف أصحابه طبقاتٍ؛ فجعل منهم العَشرةَ ـ وأولهم عبدالمؤمن ـ، وهم المهاجرون الأوّلون الذين أسرعوا إلى إجابته ـ وهم المسمَّون بالجامعة ـ وجعل منهم الخمسين[٢] ـ وهم الطبقة الثانية ـ وهذه الطبقات لا تجمعها قبيلة واحدة؛ بل هم من قبائل شتّىٰ؛ وكان يسمّيهم المؤمنين ويقول لهم: ما على وجه الأرض مَن

---

١ . المراكشي، عبدالواحد: المُعْجِبُ في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٣٢، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨م.

٢ . وفيه: وهم جماعة من رؤساء القبائل. والثالثة: السبعين. وسمّىٰ عامة أصحابه والداخلين في طاعته «موحدين».

يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعْنِيُّون بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفةٌ بالمغرب ظاهرين على الحقّ لا يضرُّهم من خذَلهم حتّى يأتي أمر الله»؛ وأنتم الذين يفتح الله بكم فارسَ والرومَ وَيقتلُ الدجّال، ومنك الأميرُ الذي يصلّي بعيسىٰ ابن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة؛ هذا مع جزئيات كان يخبرهم بها وَقَع أكثرها؛ وكان يقول: لو شئتُ أنْ أَعُدَّ خلفاءكم خليفةً خليفة...

فزادت فتنة القوم به، وأظهرو له شدّةَ الطاعة.

وقد نظم هذا الذي وصفناه من قول ابن تومرت في تخليد هذا الأمر رجلٌ من أهل الجزائر ـ مدينةٍ من أعمال بجاية ـ وَفَدَ علىٰ الخليفة أبي يعقوب[1] وهو بتينَمَلّ؛ فقام علىٰ قبر ابن تومَرتَ بمحضرٍ من الموحِّدين وأنشد قصيدة أوّلها:

سلامٌ على قبرِ الإمام الممجَّدِ ... سلالةِ خيرِ العالمين محمّدِ[2]
ومشبِهِهِ في خلْقه ثمّ في اسمه ... وفي اسم أبيه والقضاء المسدَّدِ
ومحيي علومِ الدين بعد مَماتها ... ومظهِر أسرارِ الكتاب المسدَّد
أتتنابه البُشرىٰ بأنْ يملأ الدُّنا ... بقسْطٍ وعدْلٍ في الأنام مخلَّدِ
ويفتتح الأمصارَ شرقاً ومغرباً ... ويملك عرباً من مغيرٍ ومنْجِد
فمِن وصفِه: أقنىٰ وأجْلىٰ وأنّه ... علاماتُه خَمسٌ تبين لمهتدي
زمانٌ، واسمٌ، والمكانُ، ونسبةٌ ... وفعلٌ له في عصمةٍ وتأيُّدِ
ويلبثُ سَبعاً أو فتسعاً يعيشُها ... كذا جاء في نصٍّ من النقلِ مُسنَدِ
فقد عاش تسعاً مثلَ قول نبيّنا ... فذلكمُ المهديُّ بالله يهتدي
وتتبعه للنصرِ طائفةُ الهدىٰ ... فأكرِمْ بهم إخوانَ ذي الصدق أحمدِ

---

١ . أبو يعقوب صاحب المغرب هو يوسف بن عبدالمؤمنين بن علي.

٢ . أي: محمد بن تومرت الذي توفي سنة ٥٢٤ هـ.

هي الثُّلّةُ المذكور في الذكرِ أمرُها وطائفةُ المهديِّ بالحقّ تهتدي
بهم يَقمَعُ اللهُ الجبابرةَ الأُلىٰ يصدّون عن حُكم من الحقّ مُرشد
ويَقطع أيّامَ الجبابرةِ التي أبادتْ من الإسلام كلَّ مشيَّدِ
فيغزونَ أعرابَ الجزيرة عُنوةً ويغزُون منها فارساً وكأنْ قدِ
ويفتتحون الرومَ فتْحَ غنيمةٍ ويقتسمون المال بالتّرسِ عن يد
ويغْدون الدَّجّال يغزونَه ضُحاً يُذيقونه حدَّ الحسام المهنَّد
ويقتله في باب لُدٍّ وتنجلي شكوكٌ أمالتْ قلبَ مَنْ لم يُوحِّدِ
وينزلُ عيسىٰ فيهم وأميرُهم إمامٌ فيدعوهم لمحرابِ مسجد
يصلّي بهم ذاك الأميرُ صلاتَهم بتقديم عيسىٰ المصطفىٰ عن تَعَمُّدِ
فيمسح بالكفّين منه وجوهَهم ويخبرهم حقّاً بعزٍّ مجدَّد
وما إنْ يزالُ الأمر فيه وفيهمُ إلىٰ آخر الدهرِ الطويل المُسَرْمدِ[1]

الحرب بين المرابطين والموحّدين

ولمّا كانت سنة ٥١٧ جهّز جيشاً عظيماً من المصامِدة جُلُّهم من أهل تينملّ، مع من انضاف إليهم من أهل سُوس وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدِّلين الذين تَسَمَّوا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المُنكَر وإحياءِ المعروف وإزالةِ البدع والإقرار بالإمام المهدي المعصوم؛ فإنْ أجابوكم فهُم إخوانكم، لكم مالهم وعليهم ما عليكم، وإنْ لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السُّنةُ قتالَهم.

وأمّر على الجيش **عبدالمؤمن بن عليّ**، وقال: أنتم المؤمنون وهذا أميركم. فاستحقّ عبدُ المؤمن من يومئذٍ اسمَ «إمْرة المؤمنين»[١].

تكاثر أتباع ابن تومرت حتى أصبح قادراً على تحدّي سلطة المرابطين. وبالتعاون مع مريده ومؤسس دولته الحقيقي، **عبدالمؤمن**، شرع يغزو أراضي دولة المرابطين المتداعية إلى السقوط. وعلى الرغم من وفاته خلال المعركة الثانية التي شنها ضدهم فقد اجتاحت الحركة الجديدة إلى عشر سنوات ليس غير للتغلب على أيما معارضة جدية لها.[٢]

---

١ . المراكشي، عبدالواحد: المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٣٥ .

٢ . لاندو، روم: الاسلام والعرب، ص ١٤٣ .

عبدالمؤمن

توفي ابن تومرت سنة ٥٢٢ هـ أي ١١٢٨م. أو [طبقاً لرواية أخرى سنة ٥٢٤] وخلفه في حكم الموحدين المصامدة صديقه العزيز وقائده عبدالمؤمن رسمياً في سنة ٥٢٤ (١١٣٠م) ومن عبدالمؤمن هذا تبدأ شجرة الأسرة، وقد بدأ عبدالمؤمن في سنة ٥٣٤ (١١٤٠م) سلسلة حروبه التي دامت طويلاً، وفي سنة ٥٣٨ (١١٤٤م) بدّد جيش المرابطين واستولىٰ في عامين اثنين علىٰ مدن وهران وتلمسان وفاس وسبته وأغمات وسلا ثم أجهز بعد ذلك على المرابطين ـ كما ذكرنا ـ باستيلائه على عاصمتهم: مراكش، وكان قد أرسل في سنة ٥٤٠ (١١٤٥م) جيشاً إلى الأندلس فأخضع كل ما كان بأيدي العرب هناك من البلاد، وبعد أن حكم الأندلس والمغرب الأقصى أخذ يوسع بلاد نحو الشرق فاستولى سنة ٥٤٧ (١١٥٢م) على دولة بني حماد بالجزائر، وفي سنة ٥٥٣ (١١٥٨م) طرد النورمان الذين كانوا قد حلوا محل بني زيري في تونس ثم ألحق طرابلس أيضاً ببلاده وهكذا دخلت في حوزته ـ بالإضافة إلى الأندلس ـ كل سواحل الشمال الإفريقي ابتداءً من الحدود المصرية إلى المحيط الأطلسي، وكان عبد المؤمن ومن جاءوا بعده يتلقبون بلقب «أمير المؤمنين» وقد كانت الحروب ضد نصارىٰ إسبانيا مثار انزعاج شديد لأخلاف عبدالمؤمن، وذلك أن انهزام الموحدين في معركة لاس ناواس Las Navas سنة ٦٣٢ (١٢٣٥م) كان إيذاناً بخروجهم من الأندلس.[1]

وعلى أثر ذهاب اسبانيا زالت قدرة الموحدين ورفعت يدهم من افريقية لأن طرابلس انتزعت منهم قبل سنة (٥٦٨ هـ ـ ١١٧٢م) علىٰ يد صلاح الدين الايوبي وممثلو الموحدين في تونس (بنو حفص) تمكنوا في سنة (٦٢٥ هـ

---

١ . السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ١/٥٣.

١١٢٨م) من تأسيس امارة مستقلة، ومثلهم (بني زيان) في مدينة (تلمسان) شكلوا امارة لهم (٦٣٣ هـ ـ ١٢٣٥م).[١]

وظهرت في مراكش الفتن والخلافات التي سببت بروز بعض القبائل ومن بينها قبيلة (بني مرين) القبيلة الجبلية التي تمكنت في سنة (٦٦٧ هـ ـ ١٢٦٩م) من القضاء على امارة الموحدين، واستولوا أيضاً على مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٦٨ (١٢٦٩م) وهكذا انقرضت دولة الموحدين.

٥١٥ ـ ٥٢٢ هـ	أبو عبدالله محمد بن تومرت	١١٢١ ـ ١١٢٨م
٥٢٤	عبدالمؤمن	١١٣٠
٥٥٨	أبو يعقوب يوسف الأول	١١٦٣
٥٨٠	أبو يوسف يعقوب المنصور	١١٨٤
٥٩٥ ـ ٦١٠	محمد الناصر لدين الله	١١٩٩ ـ ١٢١٣
٦١١	أبو يعقوب يوسف الثاني المستنصر بالله	١٢١٤
٦٢٠	أبو محمد عبدالواحد المخلوع	١٢٢٣
٦٢١	أبو محمد عبدالله العادل	١٢٢٤
٦٢٤	المأمون (يحيىٰ المعتصم)	١٢٢٧
٦٢٦	أبو العلاء ادريس المأمون	١٢٢٩
٦٣٠	أبو محمد عبدالواحد الرشيد	١٢٣٢
٦٤٠	أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله	١٢٤٢
٦٤٦	أبو حفص عمر المرتضىٰ	١٢٤٨
٦٦٥ ـ ٦٦٧	أبو العلاء الواثق بالله	١٢٦٦ ـ ١٢٦٩

١ . لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الأسلام، ص ٥٠ .

أدب الموحدين الشيعي

الشاعر **أبو العبّاس أحمد بن عبدالسّلام الجُراوي**[١]، كان من أبرز رجال الأدب والشعر في عهد الموحدين. له قصائد تبدو فيها معالم التشيع كقوله مادحاً عبدالمؤمن:

لو انــــها نــصرت عــلياً لم تــرد ... خــيل ابـن حـرب سـاحة الأنـبار
هــم أظــهروه مـع النـبي وواجب ... ان يــتبعوا الاظــهار بــالاظهار

ومن قصائده ملحمة في رثاء **الحسين** عليه السّلام وهي لا تختلف عن تلك المراثي التي يعرفها الشيعة تقرأ صبيحة يوم عاشوراء؛ لكنه عبث بها حيث بنىٰ اعجازها علىٰ اعجاز معلقة امريء القيس ونظمها للمنصور الموحدي فقال فيها:

الا يــا رسـول الله صـدري تـوهجا ... لمصرع سبط فـي الدمـاء تـضرجـا
فعطلت جيد اليأس من حلية الرجـا ... فــتعسا لا قــوام يـريدون لي نـجا

---

١ . بيئته: عاشر الجُراوي في القسم الأوّل من عهد الموحّدين. وكان من أقرب المقرّبين إلى يوسف بن عبدالمؤمن، بل كان أنيسه وجليسه كما كان بلبل قصره.
حياته: هو من اصل تادليّ، ومن بني غُفْجوم. سكن مراكش، واكثر التردّد إلى الاندلس وتوفي في اشبيلية سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م.
آثاره: له ديوان شعر؛ وكتاب «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب» يعرف بالحماسة المغربية. وهو على نسق الحماسة لأبي تمّام.
شعره: يمتاز شعره بانه حسن السَّبك، شديد اللهجة، قويّ العصب، ينقلك إلى أجواء أبي الطيب المتنبي، وانك لتلمس فيه روح الشاعر الكبير وقلبه وعنفوانه، من مهابة وزن، وتناغم ألفاظ، واندفاق قريحة، وجيشان عاطفة. والمقدرة على التصرّف بالأساليب النظميّة.[*]

---

* ـ الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ١٦٥، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

يـقـولـون لا تهـلـك أسـى وتـجمل

ويقول:

أقــول لحـزن فـي الحسـين تأكـدا تــملك فـوادي متهما فـيه مـنجدا

ولو غـير هـذا الرزء راح او اغـتدئ لنـــاديته قـــبل الوصـــول مـــرددا

عقرت بعيـري يـا أمرأ القيس فانزل

ويقول

وركب إذا جـــاراهـــم البـرق يـعثر تـــذكرت فـــيهم كـــربلاً فـــتحيروا

وغيداء لا تدري الاسئ كيف يـخطر بـثثت لهـا مـا كـنت بـالطف أضـمر

فـألـهيتـها عـن ذي تمـائم محـول

ويقول:

أمـــا لعـــهود الهـــاشميين حـــافظ الســـبط يـوم للـرسالة غـــائظ

عـلئ ثكـله قـلب الكـريم مـحافظ فيا مهجتي اني عـلى السبط فـائظ

فسـلي ثيابي مـن ثيـابك تنسـلي

ويقول:

أيـــا فـــاسقا قـاد الغـرور شكـائمه فأورد في صدر الحسين صـوارمـه

تـهيأ ليـوم الحشـر تـجرع عـلاقمه فمالك منجي مـن خـصومة فـاطمة

ومـا أن ارئ عنك العـماية تنجلي[1]

---

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة، المجلد الثـالث، الجـزء الثـاني عشـر، ص ٣٢٤.

أهم السّمات في عهد الموحّدين

١ ـ تمّ القضاء على الثورات والفتن فنعمت البلاد بحالة من الاستقرار الخيّر.

٢ ـ نشطت التجارة والصناعة، وتأثّر المجتمع المغربي بالمجتمع الاندلسي شديد التأثّر، فاشتدّت عناية الامراء بالعمران، فأنشأوا المدن والبساتين والمستشفيات والجوامع...

٣ ـ استدعى الامراء إلى المغرب جيشاً من العلماء والأدباء وشجّعوا العلم والأدب.

٤ ـ كان جيش الموحّدين من أقوى جيوش العالم وكان اسطولهم من اعظم اساطيل الدنيا، وكانت مدنهم من اجمل مدن العالم، وقد استطاعوا ان يجعلوا من ارضهم جنات وارفة الظلال، وان ينظمّوا الطُرق، ويوفّروا السعادة للناس.

٥ ـ في عهدهم ظهر ابن طفيل، وابن رشد، والشريف الادريسيّ، وعدد آخر كبير من العلماء والأدباء الذين سنقف عند بعضهم بعد قليل. وهكذا كان العهد الموحّدي عهد نضوج الثقافة العربيّة في المغرب.[١]

يقول روم لاندو: «والواقع ان كثيراً من الخدمات التي أسدتها دولة الموحدين إلى مراكش هي الثمرة المباشرة للحكم المستنير الذي عرفته البلاد في عهد المنصور وسلفه عبدالمؤمن. ويتمثل جانب من هذه الخدمات، ليس غير، في دمجه العناصر البربرية والعربية في الجيش، كما يتمثل في نظام من الادارة الاقليمية ممتاز وطد اركان الدولة ومنحها قدراً من الاستقرار، وفي بعض الروائع المعمارية، مثل الكُتُبيّة في مدينة مراكش، وبرج جيرالدا في اشبيلية. وفي ظل

١. الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ١٠٥.

الموحدين ازدهرت التجارة مع البلدان الاجنبية، ووُقِّعت معاهدة اقتصادية مع بيزا. وشجع الموحدون ابن رُشْد وابن طُفَيْل وغيرهما من العلماء الممتازين على العمل والانتاج، وفي مراكش بالذات وضع ابن رشد شروحه لكتب أرسطو، تلك الشروح المُؤذنة بانبلاج عصر جديد، والتي قدّر لها ان تخلّفِ أثراً عميقاً في الفلسفة الغربية بعامة، والسكولاستيّة Scholasticism المسيحية بخاصة».[١]

١. لاندو، روم: الاسلام والعرب، ص ١٤٤.

الموحدون والثقافة

ومن خير ما وصفت به الدولة الموحدية ما قاله محمد بن تاويت: «نهضت الدولة الموحدية على حلم عظيم أرادت أن تحققه بكل عزم وفي كل ميدان ذلكم الحلم هو الثورة على كل شيء، الثورة على الأوضاع السياسية والإجتماعية، الثورة على مناحي التفكير في العقائد والأحكام والعلوم عامة، الثورة بالتجديد في كل شيء، وباعادة صرح الدولة الإسلامية الكبرى قوياً شامخاً عظيماً مهيباً»(١).

وقال محمد عبدالله عنان في كتابه (نهاية الاندلس): «في ظل دولة الموحدين التي خلفت دولة المرابطين في حكم الاندلس، انتعشت الحضارة الاندلسية والتفكير الاندلسي. وقد نشأ الموحون كالمرابطين في جهاد الخشونة والتقشف، ولكنهم كانوا اوسع افقاً واكثر قبولاً لثمار التمدن وكان لدولتهم بالاخص صبغة علمية دينية. اذ كان مؤسسها المهدي بن تومرت من ائمة التفكير الديني وابدى خلفاؤه عبدالمؤمن وبنوه اهتماماً بالعلوم والفنون واطلقت حرية التفكير والبحث، وكانت قد صفدت في عهد المرابطين، وافرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري المشرق، وكانت قد طوردت ومنعت في ايامهم بالمغرب والاندلس.

وفي تلك الفترة بالذات اعني في اواخر القرن السادس واوائل القرن السابع الهجري، بلغ التفكير الاندلسي ذروة النضوج وتفجرت ينابيع النبوغ، وظهرت طائفة من اعظم اقطاب العلم والأدب. وكان في طليعة اقطاب العلم في هذا العصر بنو زهر الاشبيليون، وعميدهم الوزير والطبيب الاشهر ابو العلاء بن زهر، ثم ولده

عبدالملك بن زهر المتوفى سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨م) وهو المعروف باللاتينية باسم avenzoar ويعتبر ابن زهر اعظم طبيب ومشخص في العصور الوسطى بعد أبي بكر الرازي، ويعتبر ابن رشد اعظم طبيب بعد جالينوس، ويعتبر كتابه (التيسير) من اعظم مراجع الطب في العصور، وكان لمؤلفاته التي ترجمت كغيرها إلى اللاتينية في عصر مبكر، اثر عظيم في مسير البحوث الطبية فياوروبا. وظهر إلى جانب هؤلاء عدد من اقطاب الفلاسفة. مثل أبي بكر بن طفيل الوادي آشي المتوفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦م) وهو صاحب رسالة حي بن يقظان الشهيرة، والفيلسوف أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م) وازدهرت المعاهد العلمية أيام الموحدين بالمغرب والاندلس. وكانت المعاهد الاندلسية في اشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية، يومئذ مجمع العلوم والمعارف الرفيعة في تلك العصور. وكانت مقصد الطلاب من كل فج، وكانت مزودة بالمكتبات التي تضم انفس الكتب والمصنفات في مختلف العلوم والفنون.

وعني الموحدون أيضاً برعاية الفنون واقيمت في عهدهم في معظم قواعد الاندلس طائفة من المساجد والصروح العظيمة التي تمتاز بجمالها الفني. وكان يعقوب المنصور حفيد عبدالمؤمن من اشدهم شغفاً بالمنشآت الفخمة. ومن آثاره الشهيرة بالاندلس مسجد اشبيلية الجامع ومنارته العظيمة التي بقيت إلى اليوم وحولها الاسبان إلى برج الاجراس لكنيسة اشبيلية العظمىٰ التي اقيمت مكان الجامع، وهي من اروع الآثار الاندلسية الباقية، ويطلق عليها الاسبان اسم «جيرالدا».(١)

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، المجلّد الثالث، الجزء الثاني عشر،

الناقمين على الفلاسفة

١ ـ حدث في زمن المنصور يعقوب لابن رشد ما حدث من إحراق كتبه الفلسفية وسجنه، وإجباره على الإقامة بمدينة اليسانة بالقرب من قرطبة، فقد كان ذلك لأحد سببين كما علله المؤرخون. وهو أن المتزمتين وحساد ابن رشد قد أهاجوا الدهماء عليه، فرأى المنصور أن يتخذ من التدابير ما اتخذ لتهدأ الضجة، ويسكن الهياج.

وهناك من يرىٰ أن السبب في ذلك أمر شخصي محض أغضب المنصور يعقوب على ابن رشد، وذلك ابن رشد قال عنه في بعض كتبه وهو يتحدث عن الزرافة: «وقد رأيتها عند ملك البربر بمراكش» فأغضبه أن ينعته بملك البربر وهو المنعوت بأمير المؤمنين.[١]

٢ ـ بعض الشعراء كان لهم موقف متشدّدٌ من الفلاسفة؛ من امثال ابن حبّوس[٢] نراه يميل إلى المتشدّدين في أمر الدين، ولا يذهب مذهب المتبنّي وأبي العلاء اللذَيْن يجعلان الإمامة في العقل، بل يرىٰ ان العقل مقصّر في ما يتعلّق بالغيب، والعقل ينكر كل ما لا يشهد، فيما ان الشرع يخترق ستار الغيب. والدين من الله وهو فوق كل بدعة وكل إلحاد. والفلاسفة، في نظره، عصابة كذب وإفك لا تستأهل إلا ضرب الرقاب:

←

ص ٣٢٤.

١ . الأمين، حسن: دولة الموحّدين الاسلامية، ص ٧١.

٢ . محمد بن حسين عبدالله بن حبّوس، وُلد في مدينة فاس، توفي سنة ٥٧٠ هـ لُقّب بشاعر الخلافة المهديّة (الموحّدية).

... خدَعَتْ بألفاظٍ تروقُ لطافةً

فإذا طلبتَ حقيقةً لم توجَدِ

يُلغىٰ كتابُ الله بين ظُهورِهم

وجميعُ مسنون النبيّ محمَّدِ

يا قاتَلَ الله الجهالةَ إنّها

ورَقٌ لأغصانِ الشباب الأمْلَدِ

مختارات من شعر ابن حبّوس في مهاجمة الفلاسفة:

الدينُ دينُ اللهِ لَمْ يَعْبَأْ بمبـ ـتدعٍ ولم يحفِلْ بضِلّةِ مُلحدِ

قالوا بنورِ العقلِ يُدْرَكُ ماوراءَ الغيبِ. قلتُ: قَدي من الدَّعوىٰ قدِ

بالشَّرْعِ يُدْرَكَ كلُّ شيءٍ غائبٍ والعقلُ يُنكِرُ كلَّ مالم يشهدِ

من لم يُحِطْ علماً بغايةِ نفسه وهي القريبةُ، مَن له بالأَبْعَدِ

ولقد نرى الفَلَكَ المحيطَ، وعِلْمُ ما في ضِمْنه أعيا علىٰ المُتَرصِّدِ

سَعْدُ المجرَّةِ بالكواكبِ دائمٌ في زَعْمِهم، وقسيمُها لم يَسْعَدِ

من خَصَّ بالسفليّ جِرمَ البدرِ، ام من خصَّ بالعُلويّ جرمَ الفرقدِ

ما شاهِقُ الطودِ المنيفِ، وإن علا الا بمنزلة الحضيضِ الاوهد

وجوازُ عكسِ الامرِ في ذا واضحٌ للعقلِ، فازدَدْ مِنْ يقينك ترْشُد

ذاك اختصاصٌ ليس يعلمُ كُنْهَه مَنْ ليسَ يوصفُ بالبقاء السَّرمدِ

خفِّضْ عليك، أبا فلانٍ، انها نُوَبٌ تُطالِعُنا، تروحُ وتغْتدي

سالَتْ علينا للشُّكوكِ جداولٌ بعد اليقينِ بها، ولمّا تَنْفدِ[١]

---

١ ـ الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ١٦٤.

الدين والدولة في فكر المهدي بن تومرت

لم يعرف الفكر العقائدي بإفريقية والمغرب عامّة ذلك الازدهار الذي عرفه بالمشرق؛ ذلك لأن العوامل التي أدّت إلى نضجه وازدهاره هناك لم تتوفر أمثالها في الديار المغربية، إذ إن هذه الديار لم تشهد التحديات الفكرية الموجهة إلى العقيدة كتلك التي شهدها المشرق متمثلة في التّحدّي المسيحي والثنوي والبرهمي واليوناني وغيرها، فنشأ في سبيل مواجهتها وردّها وإثبات العقيدة الإسلامية علم العقيدة.

ولهذا السبب فإن الفكر العقائدي بإفريقية ظلّ دوماً في موقع التبعية والتقليد لما ينشأ في المشرق من الاتجاهات والمذاهب، وما يحدث فيها من القضايا والتطورات.

فالمعتزلة التي نشأت أوائل القرن الثاني[١] تمثل صيغة جديدة في فهم العقيدة تقوم على الحجة العقلية، بلغت في القرن الثالث أوج قوتها، حيث قد استحدثت من الأساليب والطرائق في صوغ افكارها، والبرهان عليها، ونشرها بين الناس ما حقّق لها الغلبة في ساحة الفكر العقائدي، ويكفي ان نذكر في هذا المجال أعلاماً مثل أبي الهذيل العلاف (ت ٢٢٦هـ) و إبراهيم النظام (ت ٢٣١هـ)، وبشربن المعتمر (ت ٢٢٦ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وأبي علي الجبائي (ت ٣٠٣ هـ). وقد وقع المعتزلة في شيء من التغالي في الاعتداد بالعقل والزهادة في النص، وعلى الأخص الحديث الذي سلّطوا عليه مقياساً نقدياً قاسياً أفضى إلى

رفض كثير منه، وتأويل جانب آخر بما يناسب الآراء التي ذهبوا إليها.

وفي القرن الثالث أيضاً بدأت تظهر بوادر الحركة الفلسفية المتأثرة بالفلسفة اليونانية[١]، وقد كانت نزعة تقوم على اعتبار العقل قبل اعتبار الشرع، وإخضاع النص للعقل، وبذلك كانت هذه النزعة تمثل تحدياً أشد من المعتزلة في وجه المتمسكين بالنصوص من أهل السلف.

ثم يأتي التحدي الصارخ للعقيدة الإسلامية عموماً، ولأهل السلف خصوصاً متمثلاً في تلك النزعات الدينية والفلسفية المضادة للإسلام التي كشفت عن نفسها واشتدت مصاولتها للمسلمين في القرن الثالث، وقد اشتركت في هذه الحملة اليهودية والمسيحية، وأديان فارس الثنوية، وعلى الأخص المانوية والمزدكية، وأديان الهند وعلى الأخص البراهمية، وكانت هذه الأديان قد اتخذت لما في الجدل أساليب وطرائق عقلية استقتها من المنطق اليوناني لسالف اتصالها بالفلسفة اليونانية.

اضف إلى هذه التحديات ما سقط فيه بعض النصيين من الوقوع في فهم حرفي ظاهري للنصوص أدى بهم إلى السقوط في تشبيه وتجسيم غليظين في حق الذات الإلهية، فكان ظهور الأشعرية ببغداد استجابة لتلك الضرورة حيث تقوم على الأصول التالية:

١ ـ اثبات صفات أزلية زائدة على ذات الله مثل العلم والقدرة والإدارة... وما جاء في القرآن والحديث من الصفات الخبرية الموهمة بالتشبيه والتجسيم، كالاستواء على العرش واثبات اليد والوجه، يقع تأويله بما تدل عليه من السيطرة

---

١ . من أوائل روادها الكندي (ت ٢٥٥هـ) والفارابي (ت ٣٣٩ هـ).

والقدرة والذات.[١]

٢ ـ القرآن كلام الله قديم، وهو صفة من صفات الله.[٢]

٣ ـ افعال العباد خيرها وشرها من خلق الله والإنسان يكتسبها بالقدرة الحادثة التي خلقها الله فيه.

٤ ـ رؤية الله بالابصار ثابتة في الآخرة.

٥ ـ مرتكب الكبيرة يظل مؤمناً، ولكنه ينال جزاءه عذاباً بالنار.

٦ ـ الحوض والبرزخ والميزان والشفاعة ثابتة الوجود في اليوم الآخر.

في النصف الثاني من القرن الرابع جَدَّ عنصر مهم سيكون له أثر واضح في نمو الأشعرية بالقيروان، وذلك هو ظهور القاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ببغداد، وإنما كان الباقلاني عنصراً مهماً بالنسبة للأشعرية بالقيروان لسببين:

الأول: إن الباقلاني يمثل في حد ذاته مرحلة في تطور الأشعرية فهو المؤصل الحقيقي لهذا المذهب، وهو الذي نظّر المنهج الذي وضعه الأشعري فبدأت الملامح الأساسية للأشعرية تبرز وتتضح وتنضج على يديه، وقد عبر عن هذا المعنى ابن خلدون حينما قال: «وأخذ عنهم (أي تلاميذ الأشعري) القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدّر للإمامة في طريقتهم، فهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار...[٣]

الثاني: إن الباقلاني كان مالكي المذهب ويعتبر من أعيانه، حتى إنه قال فيه

---

١ ـ الاشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٨.

٢ ـ فرق اتباع الاشعري بوضوح بين جانبين في كلام الله: المعنى النفسي، وقالوا إنه قديم، والأصوات والحروف وقالوا إنها حادثة، والقرآن قديم بالمعنى الأوّل لا الثاني انظر «الاقتصاد في الإعتقاد» الغزالي ص ٥٨ وما بعدها.

٣ ـ ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٢٩.

بعضهم: «إليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته». راجع القاضي عياض ـ ترتيب المدارك: ٤/٤٢٩.

في أواخر القرن الرابع الهجري بدأ دفق من تلاميذ الباقلاني الذين أخذوا عليه فقهه المالكي وعقيدته الأشعرية يصلون إلى القيروان، ويستقرون بها، وينشرون بها العقيدة على المذهب الأشعري.

ولكن سيطرة الشيعة سياسياً على القيروان وإفريقية في نفس الفترة التي ظهرت فيها الأشعرية وطيلة حوالي قرن ونصف بعد ذلك، أدّىٰ إلى مناهضة الشيعة من قبل الباقلاني، وقد ألف في ذلك كتاباً سماه «كشف أسرار الباطنية»، ولا شك انه كان لذلك انعكاس بالقيروان تمثل في مزيد من الضغط على الشيعة وتضييقهم.

تأخر دخول الأشعرية بصفة عميقة إلى مصر بعامل الوجود الشيعي بها بعد انتقاله من إفريقية إليها سنة ٣٦١ هـ، فقد ذكر المقريزي ان الأشعرية لم تنتشر بمصر إلا بعد منتصف القرن السادس علىٰ عهد صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ)، ذلك الذي حفظ في صباه «عقيدة ألّفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وصار يحفظها صغار أولاده»[1] وهي عقيدة أشعرية روّج لها أحد أكبر اعلام المالكية والأشعرية بالمغرب الا وهو محمد بن علي بن عمر المازري.

يمكن أن نعتبر المازري ممثلاً لمرحلة ظهرت فيها بوادر واضحة لنضج الأشعرية وعطائها بأفريقية، فقد بدت في مؤلفاته خصائص هذا المذهب واضحة المعالم، وبانت في آرائه بعمق مقولات الأشعرية في فهم العقيدة.

ففي ما وصل الينا من كتبه، وبالأخص «المعلم بفوائد مسلم» نجده في

١ ـ المقريزي: الخطط، ٢/٢٥٨.

مسائل العقيدة يقيم الحجة العقلية وهو يستعمل التأويل في النص: «... يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها لله تعالى» يقول: «الاتيان هنا عبارة عن رؤيتهم لله تعالى». فالإيمان عنده هو التصديق، ورؤية الله جائزة في اليوم الآخر.(١)!!

إلا ان أتباع هذا المنهج في العقيدة بالقيروان لم يخل لهم المجال من المعارضين لهذه الوجهة، بل وجدت بالمدينة منذ وقت مبكر وجهات مخالفة في الفهم العقائدي.

فلقد كان للمعتزلة وجود بالقيروان منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، ولعل ذلك من آثار البعثة التي أرسلها واصل بن عطاء إلى المغرب لنشر الاعتزال بها.

كما ظهر الخوارج من الصفرية والاباضية بالقيروان منذ أوائل القرن الثاني للهجرة أيضاً وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا يدخلون القيروان دعاة يمهدون لاقامة دولة لهم في مناطق نائية بعيدة عنها، إلا ان آثارهم بقي لها وجود بالقيروان بعد تكوين تلك الدول.

على ان أثقل وجود للفرق الإسلامية بالقيروان، كان وجود الشيعة التي أستطاعت ان تكون الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧ هـ، وقد ألقت هذه الفرقة بثقلها الفكري العقائدي تعززه السلطة السياسية.

إن وجود هذه الفرق كلها في مدينة واحدة، كان مفضياً إلى قيام حوار فكري عقائدي ثري، بلغ ذروته عند ابن عرفة الورغمي في كتاب ألفه في أصول الدين يعتبر من أهمّ مؤلفاته حيث أصبح مشهوراً باسم «المختصر الشامل»

لمّح ابن عرفة في مقدّمة المختصر إلى المنهج الذي سلكه في هذا التأليف:

حيث اعتمد عناصر أساسية ثلاثة هي: الجمع والعرض، والمقابلة، والتعليق.

أ ـ الجمع والعرض: في كل قضية من القضايا التي يتناولها ابن عرفة يبادر أول ما يبادر إلى جمع عدد من الآراء والأقوال فيها، فيذكر آراء أهل السنة معزوه إلى أصحابها، من أعلام الأشاعرة خاصة، ويذكر آراء الخوارج والشيعة والمعتزلة معزوّة إلى الفرق إن كانت محلّ اتفاق أو إلى العلماء إن كانت محلّ اختلاف، وقد يضيف في بعض الأحيان مع ذلك آراء الفلسفة وخاصة في الكتاب الأوّل، ويتطرق بين الحين والآخر إلى آراء المتصوفة والنصارى واليهود حتى لا ينتهي من المسألة إلا وكل ما قيل فيها أو جلّه معروض بين يدي القاريء على نحو ما جاء في مسألة نصب الامام إذ يقول فيها: «في الأربعين قال أصحابنا والمعتزلة يجب على الخلق نصب إمام وطريق وجوبه السمع إلا أبا الحسين البصري والجاحظ وأبا الحسين الخياط وأبا القاسم الكعبي قالوا: طريق وجوبه العقل. وقالت الاسماعيلية: يجب على الله نصب الإمام المعصوم ليرشد إلى معرفته. وقالت الاثنا عشرية بل يكون لطفاً في أداء الواجبات العقلية واجتناب القبائح العقلية وحافظاً للدين على الزيادة والنقصان. وقال أكثر الخوارج لا يجب نصب الامام إلا في وقت ما. وقال بعض الناس يجب عند ظهور الفتن دون وقت الأمن والعدل، ومنهم من عكس». ابن عرفة: المختصر الشامل، ص ١٩٠.

ب ـ المقابلة

ج ـ التعليق

ولابن عرفة طرق شتى في التعليق على الآراء والأدلّة، منها المعارضة الشعرية: وذلك كما جاء في الرد على شاعر الخوارج عمران بن حطان في مدح ابن ملجم لقتله علياً في قوله الشهير شعراً:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

يقول ابن عرفة معقباً على ذلك: قلت:

يا قولة من كذوب في الحديث أتى
تكذيبه قل له فالصدق برهانا
يا ضربة من شقي قد أراد بها
رب العباد سُخطاً وخسرانا
إني لأذكره حيناً فأعلمه
أشقى الخليقة جنياً وانسانا

إن هذه التعاليق المتنوعة في مختلف المواضيع والقضايا تدل على أن ابن عرفة كان قيماً على جميع الآراء التي يعرضها مهيمناً عليها.[١]

الإطار الثقافي لفكر ابن تومرت:

ولد المهدي بن تومرت بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى سنة ٤٧٤ هـ، وارتحل في مستهل القرن السادس إلى المشرق ليقضي ببغداد عشر سنوات في طلب العلم، ثم طوّف في كثير من البلاد الإسلامية في رحلة رجوعه من بغداد إلى مراكش حيث استغرقت تلك الرحلة ما يزيد على أربع سنوات.

وقد افاد ابن تومرت في رحلته هذه فوائد علمية وسياسية واجتماعية جمة هيأته ليقوم بدور المصلح السياسي الديني الفذ.

وفي الجانب السياسي والاجتماعي تمكن ابن تومرت من الاطلاع عن

كتب على أنظمة سياسية مختلفة حيث كانت له لقاءات مع العديد من الأمراء والولاة، وهو ما أكسبه معرفة واسعة بالواقع السياسي للمسلمين.

طرق إقامة الدولة على الدين:

لقد كانت تحكم بلاد المغرب في هذه الفترة التي رجع فيها ابن تومرت دولة المرابطين التي أسسها يوسف بن تاشفين، وقد قامت هذه الدولة على أساس من العلم الديني حيث كان باني قوامها الروحي أحد العلماء من فقهاء المالكية وهو عبدالله بن ياسين الذي أراد أن تحكم المغرب دولة تسوس الناس بحسب تعاليم الشريعة على مذهب مالك بن أنس.

ورغم قيام الدولة على هذا الأساس الديني، فان سياستها العامة طرأت عليها بعض الانحرافات في مجال الحكم، وفي المجال الاجتماعي، وقد وقف ابن تومرت على هذه الانحرافات بعد عودته من المشرق، وذلك أثناء تنقله المستمر بين المدن والقرى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وأثناء التقائه بالكثير من العمال والولاة وبأمير الدولة نفسه علي بن يوسف بن تاشفين.

أ ـ طريق الإصلاح:

كانت المحاولة الأولى للإصلاح متمثلة في أمر الحكام بالمعروف. ونهيهم عن المنكر املاً في ان تنصلح سياستهم بهذه الطريقة، ومما قاله في هذا النطاق مخاطباً الأمير علي بن يوسف في مجلس أحضره فيه للمناظرة: إنما انا رجل فقير طالب الآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها، غير إني آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر وأنت أول من يفعل ذلك، فانك المسؤول عنه، وقد وجب عليك إحياء السنة، واماتة البدعة، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات وفشت البدع، وقد أمرك الله

بتغييرها، وإحياء السّنة بها، إذ لك القدرة على ذلك، وأنت المأخوذ به المسؤول عنه، وقد عاب الله تعالى أمةً تركوا النهي عن المنكر فقال تعالى: «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون»[1]. وقال في نفس المجلس مخاطباً أحد القضاة انتدبه الأمير لمناظرته لما سأله: ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق، المؤثر طاعة الله تعالى على هواه، فأجاب: أما ما نقل عني فقد قلته، ولي من ورائه أقوال، وأما قولك إنه يؤثر طاعة الله تعالى على هواه، وينقاد إلى الحق، فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه، ليعلم بتعرّيه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولون له وتضرونه به، مع علمكم ان الحجة عليه متوجّهه، فهل بلغك يا قاضي أن الخمرة تباع جهاراً، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً. ولكن هذه المواعظ لم تكن لتأتي بثمارها، ولم تكن لتؤدي إلى إصلاح، بل آنهاكانت سبباً في طرده، ثم في مطاردته وطلب دمه عقاباً لما اعتبر منه إثارة للفتنة، وتشويشاً على الدولة.

ب ـ طريق الثورة:

إزاء هذا الفشل لمحاولة إصلاح سياسة الدولة بإصلاح الحكام القيمين عليها غيّر ابن تومرت في طريقته تغييراً جذرياً، وعدل عن منهج الوعظ إلى منهج الثورة على الدولة القائمة للاطاحة بها، واقامة دولة جديدة مكانها تقوم على أسس متينة تضمن لها سياسة شرعية في مختلف الميادين.

وقد قسم هذا العمل الثوري إلى قسمين متكاملين: قسم يتعلق بهدم الدولة القائمة وإزالة السياسة غيرالشرعية التي تنتهجها. وقسم يتعلق ببناء الدولة

الجديدة التي يهدف منها إلى سياسة الناس بسياسة شرعية قويمة.

اما هدم الدولة القائمة فانه ابتدأ بحملة إعلامية تبين بتفصيل مظاهر الفساد في سياسة هذه الدولة، ومواطن انحرافها عن التعاليم الشرعية مما يقوم سبباً لوجوب مناهضتها والاطاحة بها ضمن اطار ما فرض على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهؤلاء المرابطون ظهر فساد سياستهم بصفة جميلة في «انهم سعوا في هدم الدين، واماتة السنة»، وتمثل ذلك الفساد بصفة تفصيلية في أنهم «تمادوا على الفساد في الأرض وعلى العتو والطغيان، وعلى هلاك الحرث والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم، وخراب ديارهم، وفساد بلادهم وسفك دمائهم، واستباحوا أكل أموال الناس بالباطل وأخذ أموال اليتامى والأرامل، وتمادوا كلهم على ذلك، وتعاونوا عليه فرحين مسرورين، لا ناهي ولا منتهي، يجمعون الحرام، ويتمتعون بالسحت، حتى اعتادوا الاسراف والتبذير في اللذيذ من الطعام والرقيق من الثياب، والخيل الموسومة».(١)

إن هذا الانحراف السياسي في حراسة الدين، وتصريف شؤون الحكم، ورعاية مصالح الناس ليس انحرافاً على مستوى العمل فقط بل له جذور في مستوى التصور العقائدي، وفي مستوى المنهج الذي تفهم به الشريعة.

ففي مجال التصور العقائدي لم يخلص المرابطون التوحيد لله تعالى بل إنهم غلظت تصوراتهم للذات الإلهية حتى سقطوا في التجسيم، ولذلك سماهم المهدي

---

١ ـ ابن تومرت: الرسالة المنظمة، (ج ١، ص ١٠٦) (منشورة ضمن أشغال المؤتمر الأوّل لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، ١٩٧٩م.)

بالمجسمين واعتبر منهم ذلك انحرافاً في العقيدة جرت تصوراتهم عليه، وبثّوه في الناس، وشجعوا على اعتناقه.

الأسس الدينية للدّولة:

إذا لم يكتب لابن تومرت أن يعيش حتى يطيح بدولة المرابطين.ويمارس عملياً من بعدها سياسة الدولة التي خطط لقيامها، الا إنه حدد لاتباعه وتلاميذه من بعده أسس هذه الدولة ووصف لهم السياسة الشرعية التي ينبغي أن تقوم عليها، بل إنه بدأ يمارس عملياً هذه السياسة مع مجموعة من الأتباع الذين انضموا إليه واستجابوا لدعوته، فقد كون منهم مجتمعاً صغيراً في بلاد السوس، وجعل يسوسهم بحسب تلك القواعد التي سطرها في كتبه ورسائله بالقدر الذي تسمح به ظروف هذا المجتمع الصغير وأوضاعه خلال العشر سنوات التي قضاها ابن تومرت في مناهضة عسكرية مستمرة لدولة المرابطين.

أساس العلم الديني:

قد تبين لابن تومرت أن من أهم أسباب الانحراف في سياسة الحكام هو تعريهم عن صفة العلم الصيحيح بالشريعة، فجاءت سياستهم غير مهتدية بنور العلم بل مسيّرة بعوامل الهوىٰ والشهوة والمنفعة الخاصة.

ولهذا السبب فإن المهدي جعل هدفه الأول تأسيس دولة علىٰ أساس من العلم بالشريعة، وكرس كل جهده لتحقيق هذا الغرض.

إن الأساس الأول الذي وضعه المهدي لسياسة الدولة المرتقبة هو أساس عقائدي يتمثل في علم صحيح بالعقيدة الإسلامية، وعمل جاد بمقتضاها، وقد جعل محوراً لهذا الأساس العقائدي حقيقة التوحيد التي تتراجع إليها كل حقائق

العقيدة وتتبع منها كلّ مسائلها ولذلك فإنه ما فتىء منذ رجوعه يشرح حقيقة التوحيد، وأبعاده، ويقيم عليها الأدلة والبراهين ويدرسها لأتباعه أول ما يدرسهم من العلم واضعاً في ذلك رسائل جعل استيعابها أساساً لكل منتم إليه، وأصبحت فيما بعد دستوراً تنبع منه كل تصرفات الأفراد والجماعات، ومن أشهر تلك الرسائل رسالة العرشدة، ورسالة توحيد الباري، ورسالة في أن التوحيد هو أساس الدين.

وقد حدّد مفهوم هذه الحقيقة وأبعاها في قوله: «التوحيد هو إثبات الواحد، ونفي ماسواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والفكر به والتبرؤ منه».(١)

إن حقيقة التوحيد كما صورها المهدي وانتصر لها أرادها أن تكون المرتكز الأول لسياسة الدولة التي شرع في تأسيسها وهو ما تؤكده وصيته لأتباعه الذين حمّلهم مهمة إقامة الدولةمن بعده إذ قال لهم: «اشتغلوا بتعليم التوحيد، فإنه أساس دينكم حتىٰ تنفوا عن الخالق الشبيه والشريك، والنقائص والآفات، والحدود والجهات، فمن جعله في وجهة ومكان فقد جسمه، ومن جسّمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن»(٢).

وتدعيماً منه لهذا المعنىٰ فإنه سمّىٰ الحركة التي قام بها بحركة «الموحدين»، إنطلاقاً من تسمية كل من انضم إليه باسم الموحّد. وقد سمّىٰ المرابطين بالمجسّمين

---

١ . ابن تومرت: رسالة في ان التوحيد هو أساس الدين، ص ٢٧١ (ضمن مجموع أعز ما يطلب)، طبعة فونتانة، الجزائر، ١٩٠٣م.

٢ . ابن تومرت: رسالة إلى الاتباع، ص ٤، ٥، (ضمن كتاب أخبار المهدي للبيدق)، طبعة باريس، ١٩٢٨م.

إشارة منه إلى أن فساد سياسة هذه الدولة إنما هو بسبب انحراف أهلها عن الأصل الصحيح، وهو ما يظهر من ربطه المستديم بين وصفهم بالمجسمين وبين ذكر سائر أخطائهم وانحرافاتهم الأخرىٰ في مجال الحكم والاجتماع.[١]

والأساس الثاني الذي وضعه المهدي لسياسة دولته ضمن دعامة العلم هو الأساس المنهجي في فهم الشريعة، ويقوم هذا الأساس على وجود أن يحصل العلم بالأحكام الشرعية انطلاقاً من الأصول المتمثلة في نصوص القرآن والحديث. كما أننا نجده فيما يتعلق بالإمامة يميل إلىٰ بعض آراء الشيعة في القول بالمهدية خاصة، ولكنه ميل في الفكرة العامة أمّا العناصر والتفاصيل فإنها من إنشائه الخاص.[٢]

لقد كان لابن تومرت موقف سياسي عملي حيث نهض لمحاربة دولة المرابطين وتأسيس نواة لدولة جديدة هي دولة الموحّدين، فاستدعىٰ منه كل من المقاومة والتأسيس استحداث آراء وتطبيقات اقتضتها الظروف فاشتقها من الأصول الشرعية بنظر اجتهادي، وتبدو أهم هذه الآراء والتطبيقات في مجالين اثنين:

أ ـ الخروج على السلطان الجائر: تندرج هذه المسألة في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا كانت كافة الفرق الإسلامية تقرّ هذا المبدأ في عمومه فإنها اختلفت في فرع من فروعه وهو الخروج على السلطان الجائر، فذهب البعض إلى المنع وهم عامة أهل السنة، وذهب البعض الآخر إلى الجواز أو

---

١ . أنظر ما جاء في رسالة «في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين» (ضمن مجموعة أعز ما يطلب: ص ٢٥٨ وما بعدها).

٢ . عمر النجار، عبدالمجيد: فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، ص ٩٧.

الوجوب وهم عامّة الشيعة.

وقد كان لابن تومرت موقف نظري وعملي واضح في هذه المسألة حيث تبنّىٰ القول بوجوب الخروج علىٰ السلطان الجائر وعدّه من باب الجهاد وقال في الاستدلال عليه: «أجمعت الأمة قاطبة خلفها وسلفها علىٰ أن الظالم لا يعان على ظلمه، ولا تجوز طاعة في معصية الله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... وتحريم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الأمة ضرورة، ولا يحتاج فيه إلى بسط الأدلة».[١]

وعلىٰ هذا الأساس النظري تبنىٰ المهدي موقف الخروج علىٰ الحكام المرابطين وإعلان الثورة عليهم لما كان منهم على رأيه من الجور والفساد، فجهادهم «قد تعيّن علىٰ كلّ من يؤمن بالله واليوم الآخر لا عذر لأحد في تركه ولا حجّة له عند الله، فإنهم سعوا في هدم الدين وإماتة السنة واستعباد الخلق وتمادوا علىٰ الفساد في الأرض، وعلى العتو والطغيان».[٢]

إن هذا الموقف من ابن تومرت نظرياً وعملياً إذا ما وضعناه في سياق مواقف العلماء من أهل المغرب، وخاصة علماء أهل السنة فإننا نلفيه موقفاً اجتهادياً مخالفاً لذلك السّياق، حيث يذهب هؤلاء عادة إلى منع الخروج على السّلطان الجائر بعلّة اتّقاء الفتنة، وهو ما كان محلا لنقد شديد وجّهه المهدي إلى الفقهاء المغاربة المنتمين إلى المرابطين والذين دعوا الناس إلى طاعتهم والإنقياد

---

١. ابن تومرت: من رسالة بكتاب أخبار المهدي للبيدق (أبو بكر الصنهاجي)، ص ٩، طبعة باريس، ١٩٢٨م.

٢. ابن تومرت: الرسالة المنظمة، ص ١٠٥ (ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته) طبعة الجامعة التونسية، تونس.

إليهم فقال لهم: «وقالوا لهم: عليكم السمع والطاعة في كل ما أمروكم به، مع علمهم بأنهم لا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال، وهلاك الحرث والنسل. وقالوا لهم: تلزمكم طاعتهم في ذلك كلّه اتباعا لأهواء الكفرة وافتراء على الله»[١].

ب ـ الحكم بالشورى: لما كثر أتباع المهدي والمنضمون إلى دعوته وأصبحوا يشكلون مجتمعاً صغيراً، حاول المهدي أن يسوس هذا المجتمع الصَّغير بنظام شورى حفظت لنا كتب التاريخ ملامح عنه، ولكنها لم تحفظ تفاصيله وطريقة عمله.

ويقوم هذا النظام على ثلاثة مجالس شورية مترتبة في الأهمية بحسب المسائل التي تطرح فيها.

فالمجلس الأول سمّاه «مجلس العشرة» ويشتمل على عشرة رجال عيّنهم المهدي من خيرة أصحابه، والسابقين إلى نصرته والإنضمام إليه.

والمجلس الثاني سمّاه «مجلس الخمسين» وهو مجلس يشتمل على خمسين رجلاً يمثلون مختلف القبائل التي انضمت إلى دعوته.

والمجلس الثالث سمّاه «مجلس السبعين» وهو مجلس يشتمل على سبعين رجلاً من بينهم أعضاء مجلس الخمسين، وعشرون آخرون يمثلون قبائل أخرى.

ويبدو أن هذه المجالس كانت تتداول في القضايا المطروحة على الجماعة الجديدة فيما يطرأ عليها في حالة السلم وفي حالة الحرب، وطريقة العمل المتبعة في المشورة هي أنهم كانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين، فإذا جاء دون ذلك أحضروا

---

١ ـ ابن تومرت: الرسالة المنظمة (ج ١، ص ١٠٥) (ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته) طبعة الجامعة التونسية، تونس.

السبعين رجلاً، وفيما دون ذلك لا يتأخر أحد[١].

ج ـ **المؤاخاة والعدالة**: اجتهد المهدي في أن يكون المجتمع الذي أسسه تسود فيه قيم التآخي والعدالة وضلّ يرسخ هذه القيم في اتباعه باستمرار ويستحدث من الوسائل ما يجعلها واقعاً جارياً بينهم:

فكثيراً ما كان يخاطب أصحابه بوجوب التآخي والتواصل فيقول لهم ما بين ما يقول: «وتعاونوا على البرّ والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان، وائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر... وتواصلوا فيما بينكم ولا تقاطعوا وتحابوا ولا تدابروا، واتفقوا ولا تختلفوا، وتطاوعوا ولا تنازعوا»، وترسيخاً لهذه القيم كان المهدي يعقد المؤاخاة بين الأفراد والقبائل علىٰ نحو ما كان الرسول(ص) يقوم بين المهاجرين والأنصار ربطاً للمودّة وترسيخاً عملياً للأخوة، وكذلك فإنه كثيراً ما كان يحذرّهم من التظالم والتعادي فيقول لهم من بين ما يقول: «واجتنبوا المحارم، وردّوا المظالم، وتحاللوا وتغافروا فيما بينكم يغفر الله لكم... ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تخونوا ولا تغدروا».[٢]

المغرب العربي

في المجتمع المعاصر

التسمية:

عرفت أفريقية الشمالية عند اليونان باسم ليبيا. والمؤرخون الأغريق وفي مقدمتهم هيرودت Herodote وسيلاكس Sylax واسترابون Strabon يذكرون سكان افريقية الشمالية باسم الليبيين. وهذه التسمية هي التي يستعملها هوميروس أيضاً في الأوديسة. وقد ذهب بعث الباحثين إلى أن كلمة ليبيا «مشتقة من الكلمة الاغريقية» (Libis) التي كانت تطلق على الريح الجنوبية الغربية. على أن البعض الآخر، وفي مقدمتهم دوبرا Duprat يلاحظ أن الأولى أن تكون هذه الريح هي التي أخذت اسمها من ليبيا، لا العكس ـ تماماً كما كان الرومان يسمون هذه الريح نفسها بالريح الافريقية.

ولكن اعتقاد بعض المؤرخين المحدثين بأن هذه التسمية اغريقية، يرجع إلى أنهم لم يجدوها في مصادر أقدم من المصادر الأغريقية.

وهذا لا يمنع من أن يكون الأغريق قد أخذوها بدورهم عن قدماء المصريين، أو الفنيقيين، مثلاً.

وكذلك يوجد رأي يقول بأن «ليبيا» ليست تسمية اثنوغرافية، وانما هي وصف كان يطلق على طبيعة الأرض وجو البلاد المجاورة لمصر من الناحية الغربية.[١]

---

١ . العربي، اسماعيل: دولة بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية، ص ١١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

الموقع وأهم المعالم:

ليبيا ذات موقع استراتيجي هام على البحر المتوسط. وهي تعد جزءاً من الصحراء الكبرى لذلك فمراكز العمران فيها مجرد واحات متناثرة، والزراعة فيها بقع قليلة متباعدة. وأفضل الأراضي الزراعية بها تقع في إقليم طرابلس الذي يقطن فيه ٧٥٪ من السكان. والاقتصاد الليبي يعتمد اعتماداً كاملاً على البترول. ومن معالم ليبيا الهامة الآثار الفينيقية واليونانية والرومانية والاسلامية. ومنها قلعة طرابلس القديمة، ومتاحفها الثلاثة، والمدرج اليوناني الكبير، وأهرامات فزان، وجامع طرابلس وغير ذلك.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب و بربر ٩٦٪.

اللغة: العربية.

استخدام الأرض: المستزرع ١٪، والمراعى ٨٪.

أهم المحاصيل: القمح، الزيتون، التمور، والحمضيات، الفول السوداني.

أهم المعادن: نفط ـ غاز طبيعي.

أهم الصناعات: التكرير، الأغذية، النسيج، الأسمنت، الجلود.

الثروة الحيوانية: أغنام ٦/٣ مليون.(١)

---

١ ـ لَبَن، علي: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا، ص ٥٠، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

المسلمون في ليبيا قبل الاستعمار الإيطالي وبعده

أقام محمد بن علي السنوسي[1] دعوته الإصلاحية بليبيا، وأنشأ بها الزوايا لتكون مراكز لتعليم الدين والصناعة والزراعة، والتدريب على الجهاد. ثم خلفه ابنه محمد عام ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م وتوفى عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م وفي عام ١٩١١ تعرضت ليبيا للغزو الإيطالي، فقاد المقاومة الشيخ أحمد السنوسي، ومعه الشيخ عمر المختار. وعاشت ليبيا مأساة محزنة في ظل الاحتلال الإيطالي حتى عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م حيث اتبع الإيطاليون سياسة الإبادة وقد بلغ عدد القتلى الليبيين خلال السنوات العشر الأولى من الاحتلال حوالى سبعون ألف قتيل، وذلك في المدة من عام ١٩١١ إلى ١٩٢١ حين هبّ الليبييون لمجاهدة المحتل بقيادة أحمد السنوسي، وقد عومل السكان أسوأ معاملة، فألقى بكثير منهم من الطائرات، وهتكت الأعراض، كما سيق العمال والمجندون إلى الخدمة مع الجيش

---

١ . يقول الأمير شكيب ارسلان: السنوسية هي طريقة عمل بالسنة والشريعة بدون شرط ولا قصور. مؤسسها سيدي محمدبن علي السنوسي الخطابي من عيون أعيان القرن الثالث عشر للهجرة، أصله من الجزائر من قبيلة مجاهر من جهات مستغانم، جده سيدي عبدالله بن خطاب المجاهري. واطلعت لهم على نسب ينتهي إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما.

أما سيدي محمد بن علي السنوسي فقد كان عالماً عاملاً، كبيراً مجتهداً، خرج من الجزائر عندما احتلها الفرنسيون. وطاف بالبلدان وحج البيت الحرام ولقي كبار الأشياخ. ويظهر أنه رأى القطر الطرابلسي أكثر استعداداً من غيره لقبول دعوته فابتدأ بتأسيس طريقته في طرابلس وبرقة وغيرها(*).

(*) ستودارد، لوثروب: حاضر العالم الاسلامي، نقله إلى العربية عجّاج نويهض، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ١٤٠، دار الفكر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣م.

الإيطالي في الحبشة والصحراء الغربية.(١)

ولقد أبلىٰ الشعب الليبي بلاءً حسناً في الذود عن وطنه وأوقع بالإيطاليين خسائر فادحة وقلب مخططاتهم رأساً علىٰ عقب، فقد كانوا يقدرون أن يتم الغزو في أسابيع فلم يستطيعوا إتمامه إلا بعد عشرين عاماً كاملة، ولقد كانت إيطاليا تتوق ـ من كثرة الخسائر ـ إلى السلم فكانت تلجأ إلىٰ أصدقاء السيد الشريف السنوسي لإقناعه بالصلح، وكان من وسائطها لديه الخديو عباس حلمي الذي أرسل للشريف السنوسي وفداً في الجبل الأخضر سنة ١٩١٣م.(٢)

دعوة سيدي أحمد الشريف السنوسي إلىٰ جهاد الايطاليين في طرابلس الغرب وبرقه:

المنشور الذي نشره في القبائل

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما.

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السّيد علي السنوسي الخطابي الحسني الأدريسي إلى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولىٰ عليها اعداء الدين.

الحمدلله العزيز الجبار، والصلاة والسّلام علىٰ من أطال عزّ الدين بالبتّار، وعلى آله الأنصار، القائمين بواجب «قاتلوا الذين يلونكم من الكفار»، الصادقين ماعاهدوا الله عليه، الذائقين من حلاوة الشهادة ما احبوا مفارقة النعيم المقيم

---

١ . محمد مسعود، الدكتور جمال عبدالهادي: المجتمع الاسلامي المعاصر، ٢/٥٠.

٢ . سُليمان، الدكتور أحمد السعيد: تاريخ الدّول الإسلامية ومعجم الأُسَر الحاكمة، ٧٢/١، دار المعارف، القاهرة.

للرجوع إليه.

اما بعد اهدائي اطيب السلام، والدعاء لثبات الاقدام بثبات الاقدام، اعلموا «ان الله اشترىٰ من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة... فاستبشرو ببيعكم...» وجاهدوا متخذين نصره سيفاً وولايته جنة. واسمعوا ما نبهكم به علىٰ الوفاء بتسليم المبيع من الوعد بالربح الجسيم، في قوله: «هل ادلكم علىٰ تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرىٰ تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين»، واحذروا ما توعد به المماطل من العذاب والتدمير، في قوله: «مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلىٰ الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل. الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير».

واعلموا أن الاجل محتوم، فما خائض المعركة ميت الا به، ولا القصور المشيدة مانعة ملائكة الموت عن ساكنها. فما اصاب لم يكن ليخطيء وما أخطا لم يكن ليصيب، علىٰ أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب، اذ هو الحياة الحقيقة، وكما المنزلة بالرزق في مقام الحضرة الربانية. فلهذا آثره من ينفرد في الدنيا بعز الخلافة على ما هو فيه، فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الاعداء وسبيهم نسائه واولاده وما يحميه.

واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وأن الشهيد لا يجد الموت الا كالفرس لما هو به مشغوف، يجد ريح الجنة وتتراءىٰ له الحور اذا أثخن. وقد قال

أنس النضر في وقعة أحد: «واها لريح الجنة؛ اني لاجد ريحها دون أحـد»؛ ثـم انغمس في المشركين حتىٰ قتل.

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد، فان قوة الايمان يتلاشى في جنبها كل عدد، فجموعهم المعسكرة مكسرة وعزماتهم المونثة مصغرة وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة. وقد وعد الله ناصره بـالنصر والتـثبيت، والعـدو بـالتعس والتشتيت ولا ترتدوا على أدباركم لضعف من بعض أمرائكم، فان المرء لو جاهد الله وحده لصدق وعده وأعز جنده، بل جاهدوا ولو فرة وأثبتوا ولو مرة. فقد كان في الغزوات، يتداول الرايات الجماعات، كلما خبيء(؟) امير أخذها الآخر لينال المرام. وفي الحديث: الحث على الجهاد مع كل امام، فلا تنكسرن قـلوبكم لقـلة عدد ولا تجبنوا لضعف مدد، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده منتظراً بالنصر وعده. فقد قال تعالىٰ: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله».

فالله الله عباد الله، خلصوا انفسكم واعراضكم من ايدي الكفار واغسلوا يا ذوي الهمم ملابس مرؤتكم من العار، وجاهدوا بالانفس والاموال...

فلا يوجبن لكم ـ ما المسلمون فيه الآن ـ جنباً ولا تـقصيرا، «فـالله ولي الذين آمنوا»، و«كفىٰ بالله ولياً وكفىٰ بالله نصيراً». واصبروا فان الفرج قريب، واني ان شاء الله قادم اليكم عن قريب، وعليكم منا اتم السّلام.[1]

---

١. حائري، عبدالهادي: همگامى ايران و ليبي بر ضدّ امپرياليسم، (دو سند تاريخي)، ص ٢٥، ٢٦، انتشارات آموى، مشهد، ١٩٨٠م.

الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري الإيطالي في ليبيا

كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث، إذ ما كادت الدولة تتبنىٰ إعلان الجهاد، حتىٰ بادر علماء الشيعة إلى إصدار فتاواهم في وجوب الجهاد ومحاربة الاستعمار الإيطالي.

كما ساهم الشيعة إلى جانب السُنّة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب، وجمع التبرعات، حتىٰ إنّ الشيخ مبدر الفرعون رئيس آل فتلة تبرّع بمبلغ خمسمائة ليرة، وأعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم أنه كان معتقلاً، وقد أطلقت الحكومة العثمانية سراحه تثميناً لموقفه.[١]

في كربلاء عقد الأهالي اجتماعاً عاماً عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام أُلقيت فيه الخطب الحماسية، ثم جرىٰ جمع التبرعات. وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الألفين من أهالي المدينة[٢]. وشهدت مدينتا النجف الاشرف وسامراء تظاهرات جماهيرية أُلقيت فيها الخطب الحماسية، ودعا الخطباء إلىٰ نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود.[٣]

كما اهتم الشعر الشيعي بالاحتلال الإيطالي، ونظم علماء الشيعة القصائد السياسية التي تبيّن أبعاد التحدي الاستعماري وواجب المسلمين إزاء المشاريع الاستعمارية كان من هؤلاء العلماء الشيخ محمد باقر الشبيبي والشيخ علي

الشرقي والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وغيرهم من علماء وشعراء الشيعة. وأرسلت الحوزة العلمية في النجف السيد مسلم زوين وعزيز بك قائمقام النجف إلى ليبيا لدراسة إمكانية الاشتراك في الجهاد.

فتوى المرجعية في النجف الأشرف بإعلان الجهاد المقدس ضد الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب سنة ١٩١١م.

أصدر الشيخ محمد كاظم الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ علي رفيش والسيد محمد سعيد الحبوبي والسيد مصطفى الكاشاني والشيخ حسن صاحب الجواهر والشيخ محمد حسين القمشة والسّيد علي التبريزي ومحمد آل الشيخ صاحب الجواهر ومحمد جواد الشيخ مشكور والشيخ جعفر ابن المرحوم الشيخ عبدالحسن وغيرهم من العلماء، أصدروا الفتوىٰ التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المسلمين الموحدين وممن جمعتنا وإياهم جامعة الدين والإقرار لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين.

السّلام عليكم أيّها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الإسلام.

لا يخفىٰ عليكم أنّ الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام وثغوره مما قام إجماع المسلمين وضرورة الدين علىٰ وجوبه. قال الله تعالى: (اِنفِرُوا خِفَافاً وَثِقالاً وَجَاهِدُوا بِأموالِكُمْ وَانْفُسِكُمْ في سَبِيلِ اللهِ) هذه جنود إيطاليا قد هجموا علىٰ طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الإسلامية وأهمها، وخرّبوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونساءها وأطفالها. مالكم تبلغكم دعوة

الإسلام فلا تجيبون، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون؟ أتنتظرون أن يزحف العدو إلى بيت الله الحرام وحرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السّلام ويمحوا الديانة الإسلامية والدولة العثمانية عن شرق الأرض وغربها. وتكونوا معشر المسلمين أذلّ من قوم سبأ.

فالله الله في التوحيد. الله الله في الرسالة. الله الله في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين، فما بعد التوحيد إلا التثليث، ولا بعد الإقرار بمحمد(ص) إلا عبادة المسيح، ولا بعد إستقبال الكعبة إلا تعلق الصليب، ولا بعد الأذان إلا قرع النواقيس، فبادروا إلى ما افترض الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، وأجمعوا كلمتكم، وابذلوا أموالكم، وخذوا حذركم، وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم غافلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون.

فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

وأصدر السيد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب ضد الاحتلال الإيطالي ومواجهة التحدي الاستعماري الذي تتعرض له بلاد المسلمين.

وقد حاول علماء الشيعة نشر الوعي السياسي علىٰ أكبر قاعدة من الأمة الإسلامية. وذلك من خلال عرض مواقفهم في صحافة الدولة العثمانية. ولهذا المشروع الإعلامي أهميته السياسية آنذاك، نظيراً لعدم اهتمام الدولة بالشيعة، واتباعهم سياسة طائفية جعلت الشيعة بعيدين عن دورهم الحقيقي في كيان الدولة. وعلىٰ هذا فإنّ علماء الشيعة أرادوا كشف حقيقة موقفهم الإسلامي من أجل حث المسلمين كافة على التفاعل مع الدولة في مواجهة النشاط الاستعماري

الذي يستهدف المسلمين بلا تمييز. وضمن هذه الاتجاه أرسل الشيخ الخراساني والسيد إسماعيل الصدر والشيخ عبدالله المازندراني والشيخ محمد حسين المازندراني وشيخ الشريعة الاصفهاني، البرقية التالية إلى الصحف التركيّة في اسطنبول:

(ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء إيطاليا وروسيا على طرابلس وإيران، واستعباد المسلمين من أهلها وإذلالهم، وعملت الدولتان على فتح تلك الأراضي الإسلامية المقدسة.

ومهما أمعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الإسلامية إرباً إرباً، فإنّ تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيل بارجاعهما خائبتين خاسرتين).[1]

كما أرسل كل من الشيخ الخراساني، والشيخ عبدالله المازندراني، والسّيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد حسين المازندراني برقية إلى السلطان العثماني محمد رشاد في ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩هـ تدعوه إلى التصدي لمواجهة المشاريع الاستعمارية والتخلي عن سياسة المهادنة معها. وهذه البرقية تعكس قوة موقف علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، وحجم تفاعلهم مع مشاكل البلاد الإسلامية، لأنهم يشخّصون أبعاد المشروع الاستعماري بدقة، للدرجة التي يأخذون فيها على السلطان العثماني عدم اهتمامه المطلوب بالمخاطر التي يتعرض لها العالم الإسلامي نصت البرقية على مايلي:

(إلى المقام المقدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلّد الله ملكه.

---

١. فياض، الدكتور عبدالله: الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠م، ص ٢٧ ـ ٢٨ وقد نشرت هذه البرقية في جريدة (النجف الأشرف) في عددها رقم (٣٠) الصادر بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٩هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رُوعَ العالم الإسلامي نتيجة لتعرض بلادهم للغزو من جميع الأطراف. نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي إليه ثمانون مليوناً من المسلمين من سكان إيران والهند وسائر المناطق الأخرىٰ، وقد اتفقنا وحكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع والهجوم، ونرىٰ أنّ عموم المسلمين مكلفون بإراقة الدماء لصيانة دين محمد(ص)، وأنّ ذلك العمل فرض عين. ونعرض علىٰ أعتاب الملك حامل الأمانات المقدسة، وخادم الحرمين الشريفين، وخليفة الإسلام، ونطلب منه ألّا يتضايق من إعطاء لواء النبيّ(ص) إلىٰ المسلمين الذين سيتقاطرون من أنحاء العالم للدفاع عن بلادهم. وأن محافظة السياسة الأوروبية قد ولّىٰ، ونسترحم بمقتضى الشريعة وشأن الخلافة إعطاء الأمر).[1]

وفي هذا السياق، أصدر الشيخ علي آل بدر القطيفي (١٢٧٨ هـ ـ ١٣٣٤هـ / ١٨٦١م ـ ١٩١٥م) كراساً تحت عنوان (**دعوة الموحدين إلى حماية الدين**) طبع في النجف الأشرف عام ١٣٢٩ هـ(١٩١١م)، وقد تحدّث فيه المؤلف عن النشاط الاستعماري المكثف الذي تتعرض له أقاليم العالم الإسلامي في ليبيا وإيران، وأشار إلى حلقات السياسة الاستعمارية التي سيطرت فيها الدول الأوروبية علىٰ الهند والسند والأندلس وتونس ومصر والبحرين وعُمان وغيرها من بلاد المسلمين. ووجّه الشيخ القطيفي أنظار المسلمين إلى أنّ المشروع الاستعماري لم يتوقف بعد، وأنه يستهدف أقاليم إسلامية أُخرىٰ.

ودعا الشيخ القطيفي المسلمين للدفاع عن طرابلس الغرب وتحريرها من دنس الغزاة وإلى موقفه هذا أشار الشاعر الخطي بقوله:

---

١ ـ فياض، الدكتور عبدالله: الثورة العراقية الكبرىٰ سنة ١٩٢٠، ص ٢٨ ـ ٢٩.

ودعـــوتك العـصماء اسّ بسنائه ولولاك لم تـسـرفع إليـه المـنابر
قـضيّتها شـبّت بـحجرك يـافعاً وانت لهـا حـام وانت مـناصر
ولما رأيت الخصم أوغل في الحمىٰ دوىٰ صـوتك العـالي كأنك خـادر
تـرقصّ اضـلاع المـنابر داعـياً وتـبعثهم والعزم فـي القـوم خـائر
ومت شـهيد الحـق تـحت لوائـه وان لم تـوزعك القـنا والبـواتـر

ولم يكتفي المجاهد القطيفي بخطاباته الحماسية المؤثرة بل كتب الرسالة التالية يثبت فيها بالادلة الشرعية وجوب مكافحة المستعمرين الطليان وغيرهم، والحفاظ علىٰ أمن الديار الاسلامية وقد فرغ من رسالته يوم ٢٥ شوال ١٣٢٩ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يجعل للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلاً بل جعلهم ملعونين اينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً وصلىٰ الله على نـبيه الذي أرسله داعـياً للـحق ودليلاً، وعلىٰ آله الاطهار وصحبه الأخيار بكرة وأصيلا...[1]

لقد سعى علماء الشيعة إلى تصعيد حالة التصدي للاستعمار الغربي، فعقدوا مؤتمراً ضخماً في الصحن الكاظمي الشريف لتـعبئة الجـماهير ضـد التـحديات العسكرية الاستعمارية في ليبيا وإيران. ووجهت لجنة المؤتمر عدة بـيانات إلى الكثير من الشخصيات والهيئات الإسلامية تستنهض فيها المسـلمين لمـواجـهة التحدي الاستعماري، وتـدعوهم إلى العـمل المكـثف مـن أجـل حـفظ البـلاد الإسلامية. وفي بيان أصدره المـيرزا مـحمد تـقي الشـيرازي وشـيخ الشـريعة الأصفهاني والسـيد اسـماعيل الصـدر والشـيخ عـبدالله المـازندرانـي والشـيخ

---

١ . القطيفي، الشيخ حسن آل بدر: مشروعية الجهاد ضد الغزاة الايـطاليين، ص ٣٨٥، مـجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

محمدحسين المازندراني، وذلك في صفر ١٣٣٠ هـ (شباط ١٩١٢م) جاء فيه:

(نلفت أنظار جميع أهل التوحيد وكافة المسلمين بأنّ الإسلام والمسلمين لم يصلوا في أية فترة من الفترات، مثلما وصلوا إليه في هذه الفترة من الزمن. إنّ المصائب التي يمر بها الإسلام اليوم تعتبر من أشد المصائب.. وإنّ الضربات التي يتلقاها العالم الإسلامي اليوم هي من أشد الضربات...

فمن جهة امتدت يد الظلم الإيطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب، حيث تسلب أموال الأهالي ويتعرض النساء والأطفال إلىٰ القتل. ومن جهة أخرىٰ تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء والعجزة في تبريز...

واستناداً إلى ذلك وبالنظر إلى هجوم الكفار، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الأعلام من كربلاء والنجف وسامراء، وحسب مسؤوليتنا الشرعية التجمع في الكاظمية عسىٰ أن نجد حلاً لانقاذ المسلمين من ظلم الأجانب وعدوانهم، وإذا لم يتمكن المسلمون في أقطار العالم الذين يعيشون في ظل حكم الأجانب بذل النفس لمساعدة إخوتهم فبإمكانهم تقديم المساعدة عن طريق إبداء التضامن معهم...)[1]

---

١ ـ الحسني، سليم: دور عُلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ص ٦٠، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، قم، ايران، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

المساهمات الشعرية في الحرب الطرابلسية لنخبة من أعلام الطائفة وشعرائها الكبار

(١) حرب المجد والشرف ـ للشيخ عبدالمحسن الكاظمي

لا يصدق السيف ما لم تصدق الهممُ
بالساعد الفتل يمضي الصارم الخذم[١]
إذا الهمامة هبت من مكامنها
تمزق الخطب وانجابت بها الغمم[٢]

* * *

أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونى
وليس يحمد بعد اليوم معتزم
هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها
فشاطروها الأسى أو تفرج الإزم
أموالكم لم تكن تغلو وأنفسكم
جودوا بها في سبيل الله واغتنموا
لا يقعدن بكم قول المريب ألا
لا تنصروا الله إن الله منتقم

فتلك وسوسة الشيطان زينها
من مسه هوس أو مسه لمم[١]

هبوا سراعاً فأنتم في الندى دفع
من الغمام وأنتم في الوغى عصم

إخوانكم في العرى صرعى، ونسوتهم
مروعاتٌ، ولا مأوى ولا حرم

روما أفيقي فكم من سكرة جلبت
لأهلها من ضروب الخزي ما يصم

مهلاً بني الغرب لا تطغى أنوفكم
على أباة متى أنف طغى خطموا

حسبتم أن مجد الشرق محتضر
وأن فتيانه الأبطال قد هرموا

---

١ . اللمم: الجنون.

(٢) طرابلس الصامدة

للسّيد عبدالمطلب الحلي

بني العرب البيض الكرام الأطايب

نهوضاً لحرب الكفر من كل جانب

وزحفاً إلى طرد العدىٰ في كتائب

يضيق بها وسع الفلا والسباسب

أيها الغرب منك ماذا لقينا ... كل يومٍ تثير حرباً طحونا

تظهر السلم للأنام وتخفي ... تحت طيِّ الضلوع داءاً دفينا

كم دماء معصومة قد سفكتم ... وهتكتم هناك عرضا مصونا

❋ ❋ ❋

قل لإيطاليا التي جهلتنا ... بثبات الأقدام هل عرفونا

سل طرابلساً التي نزلوها ... كيف ذاقوا بها العذاب المهينا

(٣) بعد حرب الطليان والبلقان[١]

للشيخ محمدحسين كاشف الغطاء

سـل لدىٰ الحـرب ألسـن النـيران ... عـن صـنيع الانسـان بـالانسان

أفـيرجـو الاسـلام لقـيان سـلم ... (بـعد حـرب الطـليان والبـلقان)

يـتشكىٰ «المـرّاكشـي» اعـتصاباً ... وكشكـواه يشـتكي (العـثماني)

واذا ولولت (طـرابـلس) فـي الغـر ... ب أتـاها العـويل مـن (إيـران)

أيـها المسـلمون هـبوا فـليس الـ ... ـموت الا حـياتكم بـهوان

قـد دهـاكـم ويـل فـماذا التـمادي ... وأتـاكـم سـيل فـماذا التـواني

جـاءكم جـارف مـن الغـرب تـيا ... ر يـهدّ البـناوأس المـباني

❁ ❁ ❁

واذا مـا اليـدان لا تـدفع الضـيم ... فأولىٰ بـالقطع تـلك اليـدان

---

١ . مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، ص ٤٠٩، اكاديمية الكوفه، هولندا، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.

(٤) من وحي الحرب الطرابلسية

للشيخ محمدرضا الشبيبي

«من الحرب إلى الحرب»

بَكَرتْ عليك تُريك هَوْلَ الموعِدِ
حَرْبٌ تروحُ بنا وأخرى تَغتدي
ماذا يُرَجَّى من وراءِ حضارة
عَمِيَ البصيرُ بها وَضَلَّ المهتدي

«درس الام»

أبناء (رومة) مَهْلاً إنّ فعلتكم
في الشرق فعلة أنذالٍ وأقزام
هيهات لا يتخلى عن (طرابُلسٍ)
في الغرب من حرسوها وهي في الشام
يا قاذفين «طرابُلساً» بنائرةٍ
وطالبين لها تنوير أفهام
ألا حملتُمْ لها آلاتِ معرفةٍ
كما حَمَلْتُم لها آلاتِ إعْدام
ما خلف الغرْبُ فينا من حضارته
إلا بواعِثَ إرهاقٍ وإرغام

(٥) فخر ووعد ـ للشيخ محمد باقر الشبيبي[١]

فـــيا ايـــطاليا اعــتقدي بــانّا   ســـننشرها بأجـــنحة الظـــليم
ونــضرب بــالسيوف لكــم رقـابا   ونــحمي بــالدفاع حـمىٰ الحـريم

---

١ . مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، ص ٤١٦، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ .

(٦) خفق الهلال

للشيخ عبدالعزيز الجواهري

سـدّ الثـغور بـعزمة الإسكـندر
جـيش يـقاد مـن النـهىٰ فـي جـوهر

* * *

فـتيات رومـة نـظمي درر البكـا
سـمطاً يـزان بـلؤلؤ مـتنثر

وصـفى القـلائد للـرجـال مـدامـعا
وذرى تـمائمهم مكـان الجـوهر

(٧) صروف الدهر ـ للشيخ علي الشرقي

هـل واجـدٌ لصـروف الدهـر مـا أجـدُ
هـــيهات لا أحـــدٌ يـقوى ولا أُحـد[١]

(رفيف الأرواح)[٢]

كـــيف أصـــبحت أفـصحي يـا بـلادي
فـــيك مـــا يـــعقد الرطـاب الفـصاحا
أسكـــــونٌ كـــــما هـــدأت مســـاءً
أم ضـــجيجٌ كـــما انـتبهت صـــباحا
مـــلأتْ أهـــلك الفـضاء عـــجيجاً
لست أدري هَـــلا هـــلاً أم نـــباحا

* * *

ما (رومـا) فـلا اسـتوى عـرشُ رومـا
قـــتلت ذيـــلها وعـــجتْ نـــباحا
نـــطحت (بـــرقة) وبـــرقةُ واحـــاتٌ
مـــن النـــخل مـــا عـــرفن النـــطاحا
أبـــني العـــرب لا بـراح عـن الحـرب
وإلا عـــــن الفـــخار بـــــراحـــــا
ورمـــــال الصـــحراء لا تـــرهبُ
الأشـــباح إنْ جُـــلنَ جـيشه ورواحـا

---

١ . أحد الثانية ـ يقصد بها جبل أحد ـ وفي الشطر جناس.

٢ . نظمت عام ١٩١١م حين هاجم الايطاليون طرابلس الغرب وبرقة.

(٨) من كربلاء إلى طرابلس الغرب

للحاج محمدحسن ابو المحاسن الجناحي الكربلائي

المولود سنة ١٢٩٣ هـ. تسنم وزارة المعارف العراقية في ٣ كانون الأول عام ١٩٢٣م وكان من المساهمين في ثورة العشرين سنة ١٩٢٠م، توفي يوم ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ.

شارك الحاج محمدحسن ابوالمحاسن مشاركة نابضة بالحس والانفعال في معركة طرابلس وله في ذلك قصيدتان الأولىٰ نظمها سنة ١٣٣٠ هـ وعبر فيها عن نكبة العرب والمسلمين بالمأساة التي تعرضت لها البلاد الليبية فراح يذكر بأمجاد العرب وعزتهم ويحثهم علىٰ النهوض والوحدة بوجه العدو الغربي واستعرض فيها معاهدة الصلح فندد بها واعرب عن استيائه منها وهذا بعض ماجاء في قصيدته:

بكم بنى الدين حتىٰ استقام — وأصبح ركن هداه ركينا
واخضعتم فيه كل الشعوب — فرساً وروماً وهنداً وصينا
فعودوا لنصرته مثلما — بدأتم بنصرته منجدينا
وهذي طرابلس لا تزال — تكابد بالجهد حرباً طحونا
وكنتم إلىٰ صلحنا والسيوف — تأبىٰ لنا الصلح والمسلمونا
فإن طرابلس للمسلمين — جميعاً يحامونها اجمعينا

وقصيدته الأخرىٰ عنوانها «كأس العطب» فقد نظمها في رجب سنة ١٣٣١ هـ ونشرتها جريدة (الرياض) البغدادية ومما جاء فيها:[١]

---

١ . مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، ص ٤٣٣، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٩٩٠م.

شـــربت إيـطاليا كأس العـطب ... فـي طـرابـلس بأسيف العـرب
حـــــدثتها كـــذباً آمـــالها ... انـــها تـــبلغ بـــالحرب الأرب
انـــهاحرب الصـــليب انـبعثت ... فـابعثوها وهـي تـرمي بـاللهب
أيـها الشـرق انـتبه مـن نـومة ... ضـجت الأعـصر مـنها والحـقب
مـــا أراك اليـــوم إلا مـغنماً ... عـــاد مـقسوماً ونـهباً يـنتهب

→

١٤١٠هـ.

احتلال ليبيا

وفيما كان علماء الشيعة يمارسون نشاطاتهم المكثفة في تعبئة الرأي العام ضد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية، كانت الدولة العثمانية تواجه أزمة جديدة. فقد بدأت الدول البلقانية تتفق سراً لإعلان حرب جديدة ضد العثمانيين.

مما اضطر الحكومة العثمانية إلى عقد صلح مع إيطاليا تنازلت فيه عن طرابلس وبنغازي لإيطاليا، على أن يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظفين الدينيين وبعض الصلاحيات الدينية البسيطة الأخرى.[1]

لكن هذا الإجراء لم ينفع الدولة العثمانية. فقبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع إيطاليا، شرعت جيوش بلغاريا واليونان وصربيا والجبل الأسود في ١٧ تشرين الأول ١٩١٢ (٦ ذي القعدة ١٣٣٠هـ) بالهجوم على العثمانيين. وبذا بدأت حرب ضروس تعد من أبشع الحروب في ضراوتها وفي المآسي التي نتجت عنها.[2]

لم تنته متابعات علماء الشيعة للغزو الاستعماري بنتائج الحوادث والتطورات السياسية، إنما واصلوا جهودهم من أجل حث الرأي العام الإسلامي على وعي وتفهم أبعاد التحدي الاستعماري، ورصد ملامح السياسة الاستعمارية في البلاد الإسلامية بأشكالها وأنماطها المختلفة.

فلقد نظر علماء الشيعة إلى المشاريع الاستعمارية على أنها معركة حضارية

---

١ ـ الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

٢ ـ الوردي، الدكتور علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٣/١٥١.

طويلة يراد من ورائها السيطرة الشاملة على العالم الإسلامي، وليست مجرد وقائع حربية محدودة بالجغرافيا والزمن.(١)

وقد تخلصت ليبيا من الاستعمار الإيطالي ونالت استقلالها في ٢٤/١٢/١٩٥١م.

وفي عام ١٩٦٩ م قاد معمر أبو منيار القذافي انقلاباً عسكرياً حكم بعده ليبيا لمدة تزيد عن ربع قرن.(٢)

قراءات جديدة للعقيد القذافي عن الدين الإسلامي والشيعة

أ ـ الشريعة الإسلامية:

يقول العقيد القذافي في حديث له مع جمع من شيوخ القراءات عام ١٩٧٨م: «ما يسمىٰ الآن بالشريعة الاسلامية.. هذا لا يمكن أن ينسب للدين. من منكم يقول أن الكلام الخاص بالشريعة كلام المذاهب.. ان هذا الكلام ديني؟ ليس ديناً».[(١)]

«أنا أعتبر الشريعة الاسلامية مذهب فقهي وضعي، شأنه شأن القانون الروماني، قانون نابليون.. وكل القوانين الأخرى التي وضعها الفقهاء الفرنسيون أو الطليان أو الانجليز أو المسلمون».[(٢)]

«لا تريدون كتاباً أخضر.. لا تريدون كتاباً عمله واحد مسلم، لا تريدون المسلمين يأتون بحل للمشكل الاقتصادي وللمشكل السياسي، لا تريدون الشرق ينهض، لا تريدون الثقافة الاسلامية تقدم للناس حلاً في هذه المشاكل عندكم شك فينا.. طيب مزق الكتاب الأخضر نحن مشكوك فينا.. ما فيش.. مخالف للدين مزقه.. نحن نحل المشكل الاقتصادي.. يأتي واحد يقول لي: ما فيش حل

---

١ . الصادق، الدكتور عبدالله: تجربة القذافي في اطار الموازين الاسلامية، ص ٨، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م. نقلاً عن كتاب «خطب و أحاديث القائد الدينية» اصدر ادارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة. ص ٢٣١.

٢ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٣٣.

للمشكل الاقتصادي بعد الكتاب الأخضر إلّا المذهب الماركسي المبني على الالحاد. خلاص.. جيب المذهب الماركسي».[١]

«يا سيدي.. اجتهد، في كل حاجة، وقل لي هذا انتاج مادي وضعي. أنا نحترمك. ونقول الحمد لله على أن مسلماً، وثقافته اسلامية، عمل لنا حلاً مادياً، وحلاً للقضايا الوضعية، الدنيوية البعيدة عن الدين. لكن لا تقل هذا دين، أنا لا أعرف أن فيه كتاب دين إلّا القرآن».[٢]

ب ـ القرآن الكريم:

يقول العقيد القذافي في ندوة الحوار الاسلامي المسيحي في طرابلس «المصدر الصحيح في الجانب الاسلامي هو القرآن وأؤكد أن اعتقادات المسلمين لا تنطبق مع القرآن الآن؟! فهناك عدد كبير جداً من المسلمين يعتقد أن الحرب بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسلمين واليهود هي جهاد مقدس. وهذا ليس صحيح كما يقول القرآن. ذلك أن الجهاد يكون بين المؤمنين وبين الكافرين. أما بين مؤمن ومؤمن فليس هناك شيء اسمه جهاد». «ومادام المرجع الصحيح هو القرآن. فإن أول حقيقة نستطيع أن نؤكدها هنا أن الجهاد ضد أهل الكتاب، مفهوم خاطىء».[٣]

ج ـ الاجتهاد:

يقول العقيد القذافي في الخطبة الشهيرة في مدينة جادو يوم ١١ يوليو ١٩٨٠م:

---

١ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٣٩.

٢ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ٢٤٠.

٣ . خطب وأحاديث القائد الدينية، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

«القرآن يقول: «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شــيء» يعني أن الله يكلم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ويقول له الذين فرقوا دينهم... عملوا هذا شيعة وهذا سنة. هذا مذهب كذا و هذا مذهب كذا.. هذه المذاهب عبارة عن أحزاب حزب مالك، حزب أباض، حزب حنبل، وقال لهم أنت لست منهم في شيء يا محمد، هؤلاء ليسوا أتباعك ولا لك أية صلة بهم وليس لهم أية صلة بك... «ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون» هؤلاء المشركين هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.. **الشيعة** والسنة.. الخ... هذه صفات المشركين.. الله يقول هذا الكلام».[1]

د ـ التاريخ الهجري:

يقول العقيد القذافي في حديثه بمناسبة بدء العام الهجري ١٣٩٩هـ. «... هناك أحداث تاريخية، وهامة جداً تخص الاسلام.. أعتقد أنها أهم من الهجرة.. منها وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفاة الرسول هذه تماثل ميلاد عيسىٰ عليه السلام كان يجب أن يكون التأريخ، إذا أردنا أن نـؤرخ بـهذه الأحـداث. كـان الأفضل أن نؤرخ بوفاة الرسول، وأن نقول مرت كذا سنة علىٰ وفاة الرسول، فمن الأحداث الهامة وفاة الرسول حتىٰ نثبت في التاريخ، أو نسجل للبشرية تاريخاً حتىٰ بعد ملايين السنين أن هناك رسولاً هو خاتم النبيين قد توفى منذ كـذا، أو مرت على وفاته هذه السنون أو هذه القرون. وهـذه جـديرة بأن تـؤرخ وفـاة الرسول، مثلما كان ميلاد عيسى معجزة جديرة بأن تؤرخ.. وبدأ التاريخ الميلادي، أي ميلاد عيسىٰ عندما نقول ١٩٧٨م، معنى ذلك أنه قد مرّ على ميلاد عيسىٰ عليه

السّلام ١٩٧٨ عاماً.»[١]

ويستأنف العقيد القذافي حديثه في مناسبة الهجرة فيقول: «ولا أعلم كيف أقر المسلمون هذا؟ (يعني ربط التأريخ بالهجرة) وأعتقد أن عمر بن الخطاب قد فرضه فرضاً. ومعروف أن عمر بن الخطاب.. كما وصفه لنا التاريخ.. أنه ديكتاتور عادل. هو أمير. فهو الوحيد الذي سمي أميراً بمعنى أنه حاكم وأمير. وهو ديكتاتور ولكنه ديكتاتور عادل... ان عمر بن الخطاب، الذي قال هذا العام يسمىٰ عاماً هجرياً. هذا رأيه هو، لكن رأينا نحن.. نحن نرىٰ.. نقدر أن نقول: «أن الهجرة ليست مهمة لهذه الدرجة، وأن الأهم منها هو فتح مكة، وأهم منها وفاة الرسول»[٢] .. «ولذلك فانني أريد أن أفرض عليكم تاريخاً آخر هو وفاة الرسول».[٣]

رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان سماحة العلامة السيد موسى الصدر في سفره إلى ليبيا

أسباب زيارة ليبيا:

بتاريخ ١٤/٣/١٩٧٨م بدأت إسرائيل اجتياح جنوب لبنان، واحتلّ جنودها المنطقة الواقعة جنوبي نهر الليطاني. وشرّد أهالي هذه المنطقة.

وبالرغم من قرار مجلس الأمن الدولي، بتاريخ ٣٠/٣/١٩٧٨ بوجوب انسحاب إسرائيل وإحلال قوات دوليه في المنطقة لمساعدة الحكومة اللبنانية على إعادة بسط سلطتها الفعلية عليها، إلا أن الانسحاب الاسرائيلي تمّ ببطء على امتداد ثلاثة أشهر، وبقيت إسرائيل مسيطرة على طول المنطقة المحددة بعمق ١٠ كلم تقريباً، داخل ارض الجنوب اللبناني.

هذا العدوان دفع الإمام السيد موسى الصدر إلى القيام بجولة على الدول العربية يعرض فيها حقيقة الأوضاع في الجنوب، ويطلب تدخلها من أجل حفظ هذه المنطقة ومساعدة لبنان على الخروج من محنته وإبعاده عن ساحة الخلاف العربي، داعياً لعقد «مؤتمر قمة عربي مصغرّ» للبحث في مشكلة لبنان، يضم بعض الدول العربية، (كما جاء في حديثه إلى صحيفة «أخبار الخليج» البحرانية، الذي نشرته صحيفة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٤/٧/١٣٧٨).

السفر إلى ليبيا:

بعد أن تعاظمت الأخطار في الجنوب، وأصبحت تُنذر بأوخم العواقب،

ليس على لبنان وحده على على المنطقة العربية كلها، وبعد أن قام الإمام الصدر بجولة إلى بعض الدول العربية، مبتدئاً بسوريا، فالأردن فالسعودية، فالجزائر.

سافر الإمام إلى ليبيا يوم الجمعة الموافق ٢٥ آب ١٩٧٨م، يرافقه الشيخ محمد يعقوب، والصحفي عباس بدر الدين «صاحب وكالة أخبار لبنان» في زيارة رسمية متفق عليها مع السلطات الليبية.

وكان في عداد مودعيه في مطار بيروت، القائم بالأعمال الليبي محمود بن كوره، ولدى وصوله إلى مطار طرابلس الغرب، استقبله عن السلطات الليبية رئيس مكتب الاتصال الخارجي أحمد الشحاتي.

أقام الإمام الصدر ورفيقاه في فندق الشاطيء بطرابلس الغرب، ولوحظ أن وسائل الإعلام الليبية، أغفلت الإشارة الى قدوم زائرها الرسمي الإمام الصدر، لدرجة أن القائم بالأعمال اللبناني في طرابلس الغرب، لم يعلم بوجوده هناك، الا عندما اتصل به عباس بدرالدين بتاريخ ٢٨ آب ١٩٧٨م.

ومنذ وصول الامام الصدر إلى ليبيا وطيلة الأيام اللاحقة لم يرد منه أي اتصال هاتفي أو رسالة أو خبر لأحد في لبنان وذلك خلاف عادته في أسفاره. وكذلك حال رفيقيه علماً بأن الصحفي بدرالدين، صحب الإمام الصدر في هذه الزيارة من أجل تغطية أخبارها في وكالته.

بعد أن تأخرت عودة الإمام الصدر ومن معه إلى ليبيا، وبعد أن ظل الاتصال بهم منقطعاً منذ دخولهم الأراضي الليبية، وبتاريخ ١٩٧٨/٩/٦م تمّ إبلاغ القائم بالأعمال الليبي في بيروت، محمود بن كوره عن الإمام الصدر، وعدم ورود أخبار منه، أو معلومات عن وقائع زيارته للجماهرية الليبية ومكان وجوده.

وبتاريخ ١٩٧٨/٩/١٠م، أبلغ الأمر ذاته إلى رئيس الحكومة اللبنانية،

الدكتور سليم الحص، الذي استدعىٰ فوراً القائم بالأعمال الليبي في بيروت، وطلب منه معلومات رسمية علىٰ وجه السرعة. فقدم المعلومات المطلوبة في اليوم الثاني، ومفادها أن الإمام الصدر ورفيقيه غادروا ليبيا مساء ١٩٧٨/٨/٣١، علىٰ متن طائرة شركة اليطاليا (الرحلة ٨٨) متجهين إلىٰ روما.

ظهر يوم ١٩٧٨/٩/١٢ م، استوضح الرئيس الحص الرائد جلود، رئيس الحكومة الليبية هاتفياً في الموضوع، وبعد استمهال أجاب جلود مكرراً الجواب الرسمي السابق، ومضيفاً أن الإمام لم يكن راضياً، ولم يبلغ السلطة بسفره ولذا تعذّر وداعه رسمياً.[1]

تونس

كانت تونس تعرف في عهد الدولة الرومانية باسم توناس (Tunés) ومنه جاء لفظ تونس، وانتحلوا له ماشاءوا من التأويل حتىٰ أنّ ياقوت صاحب معجم البلدان حشره في المثلثّات فقال: إنّ نون تونس تُضمّ وتُفتح وتُكسر، وقد ساعدهم علىٰ ذلك جواز اعتبار لفظ تونس من مشتقّات الأنس، الأمر الذي تفاءلوا منه خيراً، ونوّه به المؤرخون والأدباء السّابقون واللآحقون، من ذلك الأبيات المعروفة التي مطلعها:

فتونس تونس من جاءها　　　　وتدركه حسرة حيث سار

وممّن أفاض القول عن نشأتها ومبادىء عمارتها وذكر خيراتها وبركاتها، الشّريف الإدريسي في كتابه **نزهة المشتاق**، ألفه سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م للملك (روجير) صاحب صقلّية.

والشريف الادريسي، هو: ابو عبدالله محمد بن الادريسي، وقد يعرف بالشريف الصقلي المولود سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ ـ ١١٠٠) والمجهول سنة الوفاة.

وإن آل الشريف الادريسي كانوا من أعقاب ادريس مؤسس دولة الأدارسة، استقروا اولاً في صقلية ثم نزح من نزح منهم إلى **سبتة** حيث كان هذا البلد منبتاً للشريف الأدريسي منه انطلق في سياحاته إلى المشرق والمغرب ثم استقر من جديد في صقلية؟

وقد عبّر عن غربته الطويلة وتنقله بين البلاد، وحياة القلق التي كان يحياها بين حل وترحال بهذه الأبيات الجميلة:

ليت شعري اين قبري؟ | ضاع في الغربة عـمري
لم ادع للعين ما تشتاق | فـــي بـــر وبــحر
وخــبرت النــاس والار | ض لدى خـــير وشــر
لم اجـــد جـاراً ولا دا | رأكما في طي صدري
فكأنــــي لم أســـر | الا بـــميت أو بـــقفر

لقد ظلت خريطة الادريسي المرجع الوحيد لكل المؤلفين في الجـغرافـيا فعليها اعتمدوا ومنها استمدوا. وهي الخريطة التي نظم اجزاءهـا وجـمع قـطعها المستشرق الالماني «كونراد ميللر» ثم طبعها لأول مرة سنة ١٩٢٨م طبعة ملونة فاخرة.(١)

تونس

تمثل الجمهورية التونسية القسم الشرقي من المغرب العربي في شمال أفريقيا. يحدها من الغرب: الجزائر، ومن الجنوب الشرقي ليبيا ومن الجنوب الغربي الصحراء. وتربطها بالجزائر سلسلة جبال الأطلس. وتبلغ مساحة تونس ١٢٥١٨٠ كيلومتر مربعاً وأهم مدنها: مدينة تونس العاصمة والقيروان وصفاقس وسوسة وبنزرت وقابس والمهدية وتوزر ومساكن والمنستير والقلعة الكبرى وماطر وباجة والسكاف.[١]

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب وبربر ٩٨٪.

اللغة: العربية.

أهم المحاصيل: قمح ـ زيتون ـ عنب ـ حمضيات ـ خضراوات ـ شوفان.

أهم المعادن: فوسفات ـ حديد ـ نفط ـ رصاص ـ زنك.

أهم الصناعات: تكرير ـ فوسفات ـ حديد ـ نسيج ـ سكر ـ زيت الزيتون ـ أسمدة.

الثروة الحيوانية: الأغنام ٦/٥ ميليون.

الموقع وأهم المعالم: موقع تونس هام بالنسبة لاستراتيجية البحر المتوسط حيث تقترب السواحل الشمالية الشرقية لتونس من جزيرة صقلية وجنوبي

---

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، ٩/١٢ .

إيطاليا في منتصف البحر المتوسط.

من معالم تونس الهامة الشواطىء الرملية، والمناخ المعتدل، والبساتين الجميلة، وجامع الزيتونة، وجامع القيروان، والجامع الكبير بصفاقس، والغابات التي بلغت مساحتها تسعة آلاف هكتار. ويبلغ عدد أشجار الزيتون بتونس حوالى ٣٥ مليون شجرة، وتنتج سنوياً حوالى ١٥٠ ألف طن فاكهة. أما مصنع الحديد والصلب هناك فينتج حوالى ٣٥٠ ألف طن سنوياً.(١)

الدولة	النفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غيرالمسلمين
تونس(٢)	٩/٦٤٥٥٩٩	١٠٠٪	مالكية	٢/٥٠٪	يوجد فيها اباضية

الوجود الشيعي في تونس

أسس أبو عبدالله الشيعي دولة الممهدين للمهدي في تونس، فانتشر التشيع في أرجائها. وفي سنة ٢٩٧هـ دخل عبدالله المهدي إلىٰ القيروان وبويع بالخلافة. ثم أخذ الفاطميون يوطدون أركان دولتهم فأسسوا عاصمتهم الجديدة في تونس سنة ٣٠٨ هـ وأسموها المهدية واستطاعوا أن يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب بعد أن قضوا علىٰ دولة الخوارج الأباضية (الرستمية) في تاهرت (الجزائر) ودولة الخوارج الأخرىٰ الصفرية في سجلماسة (المغرب الأقصىٰ). وقد ازدهرت الحضارة العربية في هذا العهد في تونس من جديد ونشطت النهضة العلمية وانتشرت المعاهد الثقافية[1]؛ لاسيما في مدينة المهدية، وهي مدينة ساحلية كانت عاصمة للبلاد في عهد الفاطميين بني مسجد في القرن الرابع الهجري، وعلى غراره بني جوهر الصقلي الجامع الأزهر بالقاهرة.[2]

وقد نزل يحيىٰ بن إدريس من ملوك المغرب بعد أن زال ملكه ببلد المهدية مختفياً في سنة ٣١٠هـ(٩٢٢م) إلىٰ أن توفيّ سنة ٣٣٢هـ(٩٤٣م) وقدم للقيروان القاسم بن محمد بن الحسن الحجّام الفقيه العلوي المشهور في سنة

١ . الأمين، حسن: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، ١٢/ ٩.

٢ . كمال حسين، محمد: انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم، ص ٨٤، دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٦م.

٣٥٠هـ (٩٦١م).[١]

وبانتقال الخلفاء الفاطميين إلى مصر صار المغرب ولاية تابعة لمصر يدير شؤونها أمير بربري اسمه بلكين بن زيري بن مناذ الصنهاجي وبذلك قامت الدولة الصنهاجية التي آل بها الأمر إلى الارتباط ارتباطاً صورياً بمقر الخلافة وبالاستقلال الكامل أحياناً.

ولقد استنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي بعبد المؤمن بن علي رأس الدولة الموحدية في المغرب الأقصى لإنقاذ تونس من أيدي الفرنج وكان عبدالمؤمن في ذلك الحين قد أخضع لسلطانه المغرب الأقصىٰ كما ضم إلى مملكته بلاد الأندلس فاستجاب لاستنجاد الصنهاجيين وسار محتلا في طريقه المغرب الأوسط و بعد أن استولىٰ على المناطق الداخلية سار إلى مدن الساحل وطرد منها النورمان فتم له أمر البلاد سنة ٥٥٥ هـ وهكذا تأسست دولة مترامية الأطراف تضم أقطار المغرب الثلاثة ودامت أكثر من سبعين سنة.

والدولة الموحدية هذه قامت على أسس شيعية واتجاه شيعي وكان أدبها أدباً شيعياً لاسيما الشعر. وما وصلنا من شعر شعراء تلك الدولة يرينا إلى أي مدىٰ كان تشيعهم عريقاً أصيلاً.

وجاء الحفصيون الذين هم فرع من فروع الموحدين وهم ينتمون إلى أبي حفص يحيىٰ بن عمر الهنتاني وهو أحد القائمين بدعوة عبدالمؤمن بن علي والمشيدين لملكه. وكما يعبر أحد المؤرخين التونسيين فقد كان لأبي حفص هذا: الصوت الأعلىٰ والمقام الأسنىٰ في دولة عبدالمؤمن وأبنائه من بعده وهو الذي

---

١. ابن الخوجة، محمّد: صفحات من تاريخ تونس، ص ١٤٧، تحقيق: حمّادي السّاحلي والجيلاني بن الحاج يحيىٰ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

رفع راية الموحدية بالأندلس وأيد سلطانهم بتلك الناحية.

فلما توفي سنة ٥٧١ هـ(١١٧٥م) تداول أبناؤه الرئاسة وتقلبوا في الإمارة بأسبانيا والمغرب وأفريقيا مع جماعة من بني عبدالمؤمن. ولما أفضت الخلافة للناصر وأخمد نار الثورة التي أوقدها يحيى الميور في نصب ـ بولاية أفريقيا ـ أبا محمد عبدالواحد الحفصي نائباً عنه سنة ٦٠٣ هـ(١٢٠٧م). واستتب من ذلك الحين أمر البلاد التونسية بيد الولاة الحفصيين إلى أن أعلنوا استقلالهم بها وانفصلوا عن المملكة الموحدية بالمغرب سنة ٦٢٦هـ(١٢٢٩م).

وقد اتسعت المملكة الحفصية حتى شملت طرابلس والجزائر ومراكش ثم شاهدت الدولة الحفصية عهداً مضطرباً دام حوالي مائة سنة. وفي أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري عادت البلاد إلى وحدتها القديمة وساد الأمن وتدعمت أركان الدولة من جديد. ولكن في أواخر القرن التاسع الهجري لم يبق في سيادة الحفصيين غير مدينة تونس وما جاورها. وقد شهد القرن العاشر ذاك النزاع الكبير بين الاسبان والأتراك للتحكم في البحر المتوسط والسيطرة عليه. وقد ابتدأ نفوذ الإسبان يمتد إلى سواحل المغرب بعد أن طردوا العرب من الأندلس. بينما ظهر في شرق البحر المتوسط بعض القواد الأتراك مثل بابا عروج واخيه خيرالدين الذين كانوا يعملون باسم السلطان العثماني. وهكذا أصبح العثمانيون والاسبان يتسابقون للاستيلاء على سواحل تونس بعد أن عجز امراء بني حفص عن رد هجماتهم وسقطت مدينة تونس سنة ٩٣٥هـ(١٥٢٩م) بيد خير الدين وخطب فيها للسلطان العثماني فأصبحت ولاية تابعة للسلطنة العثمانية وجزءاً من ممتلكاتها في شمال أفريقيا الممتدة من الجزائر حتى مصر.

وكان في جملة الأسارى المقبوض عليهم في فتح تونس الأخير الأمير

(محمد بن الحسن) الحفصي فأرسل إلى الاستانة وبقي فيها معتقلا إلى أن قضىٰ نحبه. وبموته انقطعت السلالة الحفصية بعد أن حكمت ما يقرب من ثلثمائة سنة.

وليس في أيدينا شيء عن تشيع الحفصيين سوى ارتباط أصولهم بالموحدين ارتباطاً وثيقاً ـ كما تقدم ـ مما لا يعطينا سوىٰ الاستنتاج فقط ويقول محمد بن تاويت من مقال له في مجلة دعوة الحق، متحدثاً عن الموحدين ونهاية دولتهم: «... ولكن النشاط تحول إلى تونس مرة أخرى وتجددت الدولة بالحفصيين منها. ولا نستبعد أن يكون ابن الآبار (الشيعي) كتب لهم (درر السمط) ـ وهو كتاب في رثاء الحسين ـ وهي آخر ومضة للتشيع في هذه الدولة. إلى أن كانت دولة السعديين، فعاد المنصور إلى هذه النغمة في أشعار بلاطه التي ترددت في مولديات القشتالي وعبدالواحد بن أحمد وأبي الحسن الشياظمي. وقد جازىٰ المنصور سعيد الماغوس بالآلاف علىٰ شرحه لدرر السمط...

ويقول أحمدبن أبي الضياف صاحب كتاب (إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الامان)، المولود سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م والمتوفى سنة ١٢٦١ في كتابه المذكور:

«وأهل أفريقية يدينون بحب علي وآله يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم، جبلة في طباعهم، حتىٰ ان نسوانهم عند طلق الولادة ينادون: (يا محمد، يا علي). وكان الإمام الشاذلي رضي الله عنه يقول لأصحابه: إذا اشتد عليكم كرب فقولوا: يا محمد يا علي» (انتهىٰ).(١)

بعد هذا التقرير الذي قدمناه من الوجود الشيعي في المغرب العربي وفي تونس بالذات والتي كانت لها جذور عميقة وممتدة في المجتمع المغربي

نرى الكاتب المعاصر الدكتور سعد الغراب ينكر هذا الشيء بقوله: «والجدير بالذكر أن بلاد المغرب الاسلامي وافريقية بصورة أخص وضعت نفسها على الصعيد التاريخي العام في اطار سني إذا ما استثنينا الثورات الخارجية التي اندلعت خاصة في القرن الثاني الهجري والحركة الاعتزالية والدعوة الشيعية وهذه الحركات مرتبطة بأوضاع سياسية واجتماعية وثقافية يعسر شرحها هنا لكن الرأي السائد انها رغم التباين الموجود بينها ـ لم تكن لها جذور عميقة وممتدة في المجتمع المغربي».[1]

---

١ . الغراب، الدكتور سعد: العامل الديني والهويّة التونسيّة، ص ٣٦، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

انتشار الشّرف بإفريقيّة
وظهور خطّة نقيب الأشراف
بتونس

يقول الأستاذ محمّد بن الخُوجَة: «اعلم أن الكلام على انتشار الشّرف بإفريقية، وهي البلاد التونسية، يدعو بادىء ذي بدء للتعريف كيف ظهر الشّرف بين النّاس من ذريّة الحسن والحسين ابني عليّ وفاطمة بنت رسول الله(ص). ذلك أن الخليفة الرّابع عليّاً ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، خرج بعد أن بويع له بالمدينة المنوّرة إلى الكوفة واتّخذها دار خلافته، وبها استشهد في سنة ٤٠ للهجرة، ثم كان ما كان من تنازل ابنه سيّدنا الحسن عن الخلافة ورجوعه لسكنى المدينة، وظهور نسله هنالك بالحجاز. وأمّا أخوه سيّدنا الحسين، فقد خرج أيضاً بعد بيعة يزيد إلى العراق واستشهد هناك بكربلاء.

وأمّا بنو سيّدنا الحسن؛ فكانوا ينزحون إلى المغرب، وبذلك تكاثروا به كتكاثر أبناء سيّدنا الحسين بالمشرق، وكان مقصدهم للمغرب الأقصى، إذ كان سكّانه من محض البربر، غالبة عليهم السّذاجة، وليس فيهم متعصّب لدولة، فكان من رأي إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبّط، اختيار الاستيطان بينهم في حدود سنة ١٧٢هـ، كما تكاثر فريق منهم بالأندلس شيئاً فشيئاً.

وممّا يذكر على الألسن، مع توفّر الدواعي على نقله، وجود بيوت تونسية قديمة منتسبة للشّرف، منها **بيت العواني**، أشراف القيروان. سمعت من بعض ممن

أثق بهم أنّ بيدهم رسماً عتيقاً في ثبوت شرفهم ممّن شهد فيه من علماء القيروان الشيخ أبو محمد عبدالله بن أبي زيد رحمه الله في أواسط القرن الرابع، فعلّ جدّهم وفد لإفريقية في زمن العبيديّين، لأنّهم من الأشراف الحسينيين، والنّاس مصدّقون في أنسابهم فحسبنا الاكتفاء بذلك. هذا حديث انتشار الشّرف النبّوي بطريق البضعة المطهرة في الشرّق والغرب باختصار، ولو تكلّفنا الإطالة بأكثر من ذلك لضاق عنه مجال هذه النّبذة، فلنكتف بما قدّمنا».[1]

أما نقابة الأشراف، وهي من الخطط الإسلامية ذات الشّأن، وصاحبها هو النّقيب أي العريف، تسند إليه أمورهم ويدير مصالحهم. ويشترط في صاحب النّقابة العامّة ما يشترط في القاضي، ويشترط في صاحب النّقابة المخصّصة أن يكون من أهل ذلك النّسب، وأن يكون أكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأياً، حاوياً لجميع المآثر والفضائل، جامعاً لأسباب الشرّف، سليماً من النّقائص، نجيباً، يقظاً، عالماً، نبيلاً، فهيماً، نقيّ العرض، حفاظاً للمروءة، عارفاً بالأنساب، مميّزاً لأخلاطها، وبما يجب لأهل البيت، وهذه الشروط تتضمّنها غالباً تقاليد ولايتهم، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتاب روض البلاغة، وكتاب صبح الاعشىٰ. وممّا لا خلاف فيه أنّ خطة النّقابة لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الأولىٰ، وإنّما كان حدوثها أواسط المائة الرابعة في الدّولة العباسية للمحافظة علىٰ شعائر أهل النّسب الزّكيّ كما أشار له في كتاب الأحكام السلطانية.

كان الاصطلاح في القديم شمول لفظ الشّرف لكلّ بني هاشم، وهو مسمّى الآل عند جمهور الفقهاء، ثمّ وقع الاصطلاح في مصر على تخصيص الشرّف بآل سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، من سيّدتنا فاطمة ابنة رسول الله(ص)؛

---

١ . ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، ص ١٤٦، ١٤٧.

وبه استمر اصطلاح المتأخّرين، وكانت نقابة النّقباء في بيت الشريف الزينبي، والخطة الثانية خُطّة نقيب العلويّين، ويسمىّ نقيب الطّالبيين، وجعلوا لنقيب النّقباء النظر العام في تولية نقباء البلدان، مثل نقيب البصرة، ونقيب الكوفة.(١)

وأمّا ظهور هذه الخطّة بإفريقية، يعني تونس، أنّ خطّة نقيب الأشراف كانت موجودة في الدولة الحفصية؛ إذ كانوا يكرمونهم ويغدقون عليهم بالإحسان ولاسيما في عهد السّلطان أبي عمرو وعثمان في المائة التاسعة، ولكنّ سمعتها ورسوخها إنّما كان في عصر الدّولة العثمانية بتونس ابتداء من أواخر المائة العاشرة، ناهيك أنّهم جعلوا لنقيب الأشراف مزيّة الجلوس مع شيوخ المجلس الشّرعي بمجلس الباشا عند حضورهم لفصل النّوازل بدار الباشا، تبرّكاً بالنّسب الشريف. وأوّل من عثر على اسمه مذكوراً من نقباء الاشراف في بعض الرّسوم، هو الشّريف الشيخ حسن الهندي في سنة ١٠٢٣هـ وهو الجدّ الجامع لآل بيتي الشرّيف ومحسن الموجودين لهذا الزمان بتونس. وممّن وقع الوقوف علىٰ ذكره ممّن تولّى النّقابة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، الشّريف الشيخ الحاج أبو القاسم بن محمد القرشي، كان نقيباً للأشراف في سنة ١٠٢٧ هـ ثم الشريف الشيخ محمدبن المختار في سنة ١١٠٠ هـ ثم الشريف الشيخ أبو الفضل قاسم في سنة ١١٣٦هـ وأمّا في القرن الثالث عشر، فقد سهّل الله جمع أسمائهم بطريقة مطرّدة من سنة ١٢٠٦ هـ إلى هذا اليوم، كما تراه من حلقات هذه السلسلة الذهبية:

الشيخ عبد الكبير الشريف	توفي سنة ١٢٠٦ هـ
الشيخ محمد بيرم الثاني	توفي سنة ١٢٤٧هـ
الشيخ محمد بيرم الثالث	توفي سنة ١٢٥٩ هـ

الشيخ محمد بيرم الرابع	توفي سنة ١٢٧٨ هـ
الشيخ الطاهر بن عاشور الأوّل	توفي سنة ١٢٨٤ هـ
الشيخ العربي البشيري	توفي سنة ١٣٠٤ هـ
الشيخ محمد الشّريف	توفي سنة ١٣٠٧ هـ
الشيخ أحمد الشّريف	توفي سنة ١٣٣٧هـ
الشيخ محمّد حمدة الشّريف	

كتب على ختمه بيتين من نظمه، وهما قوله:[١]

أدعوك ربّي باسمك اللّطيف ... ومن أتى بالشّرع والتّكليف

امنن برشد عبدك الضّعيف ... محمد بن أحمد الشريف

وحول منزلة الشرف والأشراف في تونس ذكر الشيخ حلول الجزيري في كتابه المسمّىٰ «الفوائد الفاخرة لزاد الدنيا والآخرة» في صفحة ٧٨ نقلاً عن تاريخ ابن ضياف أنه لما نزل الوباء بتونس اجتمع شيوخ العلم بجامع الزيتونة وقرروا أن يجمعوا أربعين شريفاً ويكون اسمهم محمد ويدعون لرفع الوباء فجمعوهم فأنقذهم الله بسببهم ورُفع الوباء.[٢]

---

١ . ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، ص ١٥٥ .

٢ ـ التيجاني السّماوي، محمّد: كُلّ الحلول عند آل الرّسول، ص ٣٢٩، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦/١٩٩٥م.

العمامة الخضراء

بتونس

من الأزياء التونسية، انتشار العمامة الخضراء المتوّجة لرؤوس الكثيرين من الشّيوخ، كناية على التحاقهم بالنّسب الزّكيّ، وعنواناً على ثبوت شرفهم في نظر العّامة.

أوّل ظهور العمامة الخضراء كان بمصر على عهد الملك الأشرف أبي المعالي زين الدين شعبان بن حسين بن حمد بن قلاوون، وكانت في البداية عبارة عن مجرّد علامة خضراء تضاف لعمائم الأشراف. قال في بدائع الزّهور للمؤرّخ محمد بن إياس: «ثمّ دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفيها رسم السلطان (شعبان بن حسين) بأن السّادة الأشراف قاطبة يجعلون في عمائمهم شطفات خضر حتى يمتازوا عن غيرهم، وتعظيماً لقدرهم، فنودي لهم في القاهرة بذلك، فامتثلوا أمره المتدارك». وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين محمدبن إبراهيم بن المزين الدّمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر كأعلام على الأشراف
والأشرف السّلطان خصّصهم بها ... شرفاً لنعرفهم من الأطراف

وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب:

عمائم الأشراف قد تميّزت ... بخضرة رقّت وراقت منظرا
وهذه إشارة أنّ لهم ... في جنّة الخلد لباسا أخضرا

لاسيما وأنّ اللّون الأخضر ممّا تنشرح له الصّدور، وهو في عرف أهل أروبا

يرمز للرّجاء وآمال الخير، وعندنا معشر المسلمين أنّه من لبوس أهل الجنان، قال تعالى: «عليهم ثياب سندس خضر».

وممّن لم يستحسن مشروعية هذه البدعة عند ظهورها الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي، وفي ذلك يقول:

جـعلوا لأبـناء النّـبيّ عـلامة ... إنّ العـلامة شأن مـن لم يشـهر

نـور النّـبوة فـي كـريم وجـوههم ... يغني الشّـريف عـن الطّـراز الأخـضر

وممّا لا خلاف فيه أنّ العمامة الخضراء كانت كثيرة الانتشار بتونس وأعمالها في القرن الثاني عشر، ولا سيما بالمدن المعروفة بكثرة الأشراف، كبلد مساكن، وعلىٰ قياسها بلد صفاقس التي لم يزل لها تعلّق وثيق بالعمامة الخضراء لهذا الزمان. أمّا في أواسط القرن الثالث عشر، كانت العمامة الخضراء بتونس من الأشياء المستلفتة للأنظار بكثرة انتشارها بين النّاس، وبالتّالي أخذ أمرها فـي التّقاصر والتّراجع إلىٰ أن صارت من اللّبوس النّادرة حتىٰ في الأوساط المعروفة بصحة النسب الزّكيّ، بحيث إنّ حامليها بتونس كانوا يعدّون علىٰ الأصابع فـي مبادىء هذا القرن الرابع عشر.

ومن أشهر بيوت الشرّف لهذا الزّمان بهذه الديار، هم آل بيتي الشـرّيف، ومحسن، أئمة جامع الزيتونة، وكان سلفهم ممّن يعتمّ بالعمامة الخضراء، وكلّهم من ذرّية الشريف الشيخ حسن الهندي الذي كان نقيباً للأشـراف بـتونس فـي سـنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م، وفيهم يقول القاضي الشيخ أحمد بن الخوجة الأول:

ألا إنّ نـور الله بـعد مـحمّد ... بنو بنته الأطهار من وصمة الحقد

وكـلّهم سـيف فـرنده لامـع ... ولكنّما الأسياف أشرفها الهندي

ويروي لنا التاريخ أنّ الفقيه أبا السّعود العمادي ممّن استحسن ابتداعها ـ أي العمامة الخضراء ـ ولقد سئل في ذلك فأجاب بما يعتمد فـي المـوضوع مـع

الفتوى بصحّة الشّرف من جهة الأمّ، وإليك نص السّؤال والجواب:

السؤال ـ هل ثبوت الشرّف من جهة الأمّ صحيح أم لا؟ وهل هو بمنزلة الشّرف من جهة الأب أم لا؟ وهل لمن شرفه من جهة الأمّ أن يضع العلامة (العمامة الخضراء) التي يتميّز بها عن العامّة أم لا؟ وما دليله وما تعليله افتونا مأجورين؟

الجواب ـ نعم ثبوت الشرّف من جهة الأمّ صحيح معتدّ به شرعاً، واجب قبوله شرعاً وعرفاً، فإن ثبت لامرأة أنها شريفة صحيحة النّسب كان أولادها لبطنها ذكوراً أو إناثاً أشرافاً ثابتاً شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم وإن كانوا أرقّاء أو عتقاء لايضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السّيادة ما ثبت لها، وتعيّن تمييزهم على غيرهم ممّن لاشرف لهم بوضع العلامة خوفاً من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامّة. فمن كان أمه شريفة ثبت الشرّف له ولأولاده ونسله وعقبه، وانتظم في سلك الأشراف، والأدلّة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الإشارة إلى بعضها، وهو أنّ جميع الأشراف الموجودين الآن (المائة العاشرة) في مشارق الأرض ومغاربها إنّما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السّيدين الجليلين، الحسن والحسين، وهما إنّما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها لا من جهة سيّدنا عليّ وإلا كان أولاده من غيرها كابن الحنفية أشرافاً، فليس خفيّا أنّ علماءنا جعلوا في ذلك قياساً منطقياً من الضّرب الأوّل من الشّكل الأوّل مركّباً من صغرى وكبرى، وبيان صغراه من عشرة أوجه، وأما كبراه فلم تحتج إلى بيان وتحرير نظمه أنّ الولد بضعة من الأمّ والأمّ بضعة من أبيها، فكيف لا يثبت له ما ثبت لها، ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين.(١)

التأثير الشيعي على الأدب التونسي

علمنا فيما مضىٰ إن التشيع حطّ رحاله في تونس من خلال الدول الشيعية التي تعاقبت عليها؛ وإن المفاهيم الشيعية الأصيلة ترسخت في أعماق الشعب التونسي ومن ضمنها التحلي بالأعمال البطوليّة التي تجعل على هامهم أكاليل المجد والعزّة والكرامة مستقاة من ذكرىٰ ثورة الأمام الحسين عليه السّلام.

ذكـراكَ ذكـرىٰ بـاقيه — عَـبْرَ الخـواطـر سـاريَةْ
ذكـراك مـجتمَعُ العـزائـمِ — فـي القُـلوبِ الواعـيةْ
ذكـراك مُـحتَشَدٌ مـن — الأمـجاد تـزخَرُ داويَـهْ
ذكـراك ذكـرى الصـبر فـي — نـارِ الكـفاح الكـاوَيةْ
فـيها نـضالٌ هـائِلٌ — فـيها مآسٍ دامَـيةْ[١]

وهذه العقيدة القربانيّة جعلت الشاعر يحتفل احتفالاً شديداً بأعمال الشهادة في سبيل الوطن فيقول:

ألا إنّ الدمَ المُـهراقَ مَـهرٌ — لكلّ كرامـة فـي الكـون تُسـدىٰ
دمُ الشـهداء إرهـاصٌ يـنادي — بأن الله للـباغي تـصدّىٰ[٢]

نعم في صخب الحياة القلقة التي تعيشها الأمم، ينبري الشعراء فيطلقون كلمة وحيهم ليوقظوا العيون الغافية، ويهتفون في أعماق تلك الأمم ليثيروا أصالتها

١ . للشاعر مصطفىٰ خريف (١٩٠٩ ـ ١٩٦٧م) ولد في نفطة ونشأ في العاصمة التونسية وأتمّ دراسته في جامع الزيتونة. آثاره: ديوان شعر بعنوان «شوق وذوق».

٢ . الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٨٨.

ونبوغها، ويفجّرون القوىٰ الكامنة في وجدان الأمّة لتنبعث منه طاقات التغيير، ومعطيات الكرامة والعزة. هذا ما فعله الشابي[١] عندما فتح عينيه على وطن يتخبّط في قيوده، وادرك ان الأرض التونسية، ان لم يزلزها صوت يحمل النبرة الحسينية، لن ترتعش فيها نبضات العزّة.

إذا الشَّعْبُ يوماً أراد الحياةَ   فلابدَّ أنْ يستجيب القَدَرْ
ولا بـدَّ لِلَّيلِ أنْ يَنْجَلي   ولابـدَّ للقَيْدِ أن يَنْكَسِرْ

إنها إرادة الشعب، فعلىٰ الشعب ان يريد الحياة، وأن يريدها حُرّةً كريمة، فيستجيب القدَر، لأنّه لا يخيّب صوت شعب يريد الحياة والكرامة... والذين لا يعشقون الحياة الكريمة يندثرون كالهباء في مهبّ الرياح.

ومَنْ لم يُعانقْهُ شوقُ الحياةِ   تبخَّرَ في جوّها واندَثَرْ
كـذلك قالت لي الكائناتُ   وحـدّثني روحُـها المُسْتَتِرْ
ومَنْ لا يُحبّ صعودَ الجبالِ   يَعِشْ أبدَ الدهر بَيْنَ الحُفَرْ[٢]

ومن هذا المنطلق يخاطب الشاعر نزار قباني تونس الخضراء قائلاً:

---

١. ابوالقاسم الشابي (١٩٠٩ ـ ١٩٣٤م)
وُلد ابوالقاسم الشابيّ في الشابيّة احدىٰ ضواحي توزر. وفي سنة ١٩٢٠م التحق بجامع الزيتونة.
آثاره: اشهر آثاره ديوانه «أغاني الحياة» كما ترك لنا كتيّباً بعنوان «الخيال الشعري عند العرب» وآثاراً أخرى لا تزال مخطوطة.

٢. الفاخوري، حنّا: تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص ٥٧٧.

تونس الخضراء

ماذا أقول؟ فمي يفتش عن فمي ... والمفرداتُ حجارةٌ وترابُ...
من أين يأتي الشعرُ.. حين نهارُنا ... قمعٌ.. وحين مساؤنا إرهاب
سرقوا أصابعَنا.. وعطرَ حروفنا ... فبأي شيء يكتُبُ الكُتّاب؟
من أينَ أدخُلُ في القصيدة يا تُرى ... فالقول فوضى، والكلام ضبابُ
فمن الخليج إلى المحيط قبائلٌ ... بطِرتْ.. فلا فكرٌ ولا آدابُ
أمشي على ورق الخريطة خائفاً ... فعلى الخريطة كلُّنا أغراب
أتكلم الفصحى أمامَ عشيرتي ... وأعيد لكنْ ما هناكَ جوابُ
لولا العباءاتُ التي التفُّوا بها ... ما كنتُ أحسبُ أنّهمْ أعراب
يتقاتلون على بقايا تَمْرَةٍ ... فخناجرٌ مرفوعةٌ وحِرابُ
قُبُلاتهم عربية.. مَنْ ذارأى ... فيما رأى، قُبَلاً لها أنياب
يا تونسُ الخضراء، كأسيّ عَلْقَمٌ ... أعلى الهزيمة تُشرَبُ الأنخاب؟
وخريطة الوطن الكبير فضيحةٌ ... فحواجزٌ.. ومخافرٌ.. وكلابُ
والعالم العربيُّ.. إما نعجةٌ ... مذبوحةٌ.. أو حاكمٌ قصّابُ
والعالم العربيُّ يخزن نفطه ... في خِصيتيه.. وربُّكَ الوهّابُ
والناسُ، قبل النفط أو من بعده ... مستنزفون.. فسادةٌ ودواب
يا تونسُ الخضراء.. كيف خلاصُنا ... لم يبقَ من كُتُب السماء كتابُ
من ذا يصدّقُ أن مصر تهوّدت ... فمقام سيدنا الحسين يَبابُ

مفكرون تونسيون خدموا التراث الشيعي

١ ـ الدكتور محمد التيجاني السماوي

من خيرة المستبصرين في القرن العشرين، يبلغ من العمر خمسين عاماً، داعية ومفكر إسلامي، ومن الذين أسسوا حركة الإخوان المسلمين في تونس خلال الستينات، أنهىٰ دراسته في جامعة الزيتونة العريقة، عمل في سلك التدريس ١٧ عاماً، وحصل على شهادة الماجستير في المقارنة بين الأديان من جامعة باريس، وعلى شهادة الدكتوراه في نهج البلاغة للامام علي عليه السّلام، وهو الآن بصدد الحصول على الدكتوراه الدولية حول أطروحته (التفكير الإسلامي في نهج البلاغة)، له عدة مؤلفات حول نهج البلاغة، ومؤلفات أخرى منها:[١]

أ ـ ثمّ اهتديتُ

«ثم اهتديت» كتاب أهل البيت. تحت هذا العنوان تحدث الدكتور التيجاني قائلاً: «إنّ لأهل البيت كرامات ملموسة حتىٰ في أيامنا وكم نسمع من هنا وَهناك بعض الشيعة يتكلمون عن الكرامات التي عاشوها أو شاهدوها بفضل أهل البيت عليهم السّلام، كيف لا وهم أئمة الهدىٰ وأعلام الورىٰ ومصابيح الدّجىٰ.

فأين الوهابيّة الجاحدة لهذه الحقائق الدّامغة وأين المسلمون الذين حجبوا أنفسهم لمعرفة هذا الحق وهذا ما يذكرني بأخذ علماء الزيتونة عندنا في تونس وهو الشيخ جلّول الجزيري رحمة الله وقد منّ الله عليه بالإستبصار عن طريقي

---

١ . آل قطيط، هشام: المُتحوِّلون حقائق ووثائق، ص ٤٠٧.

وقد كتب كتابه الأخير وذكر فيه حادثة الغدير وبيعة أميرالمؤمنين، وفضائل أهل البيت وكرامتهم على الله وحدّثني رواية أن تونس العاصمة أصابها قحط ومجاعة حتىٰ كاد يهلك النّاس ورغم أنّهم صلّوا صلاة الاستسقاء عدة مرّات ولكن منعت السّماء وجفّت الأرض فجاء النّاس يشتكون إلى أحد الصالحين وهو العلّامة الشيخ ابراهيم الرّياحي وطلبوا منه أن يدعو الله لعلّه يستجاب. فقال لهم اجمعوا لي مائة رجل من الأشراف[1] لأصلّي بهم صلاة الإستسقاء، فجاءه مائة رجل من الأشراف فصلّوا صلاة الاستسقاء فلم يكملوا صلاتهم وكان الحرّ شديداً فإذا بالمطر ينزل كأفواه القرب وتواصلت ثلاثة أيام وسالت الأودية بغزارة حتىٰ خافوا من الغرق. هذه كرامات أهل البيت في كل زمان وفي كل مكان.

وأنا بعدما اهتديتُ إليهم بحمد الله تعالىٰ وكتبتُ كتابي الأوّل «ثم اهتديت» لم أكن أتصور أنه سيلقىٰ هذا القبول وهذه الشهرة.

وبهذه المناسبة لا بأس بذكر طريفة ألفتني إليها الأخ العزيز والعالم الجليل الدكتور أسعد علي عندما زرته في بيته بالمزّة في دمشق وكنّا نتجاذب أطراف الحديث وسط مجموعة من محبّيه ومريديه وهو أديب كبير فذكرّني بأمر انشرح له صدري قال لي: قرأت كتابك «ثم اهتديت» وعرفتُ سرّ الكتاب قلتُ متعجباً وما سرّ الكتاب؟ فقال: إنّك لما دخلت لأول مرّة في ضيافة سيدنا موسىٰ الكاظم وقلت: اللهمّ ارحمه إن كان من الصّالحين فعمل هو بقول الله تعالى، وإذا حُيِّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها، فلما حييته بقولك اللهمّ ارحمه، حيّاك هو بأحسن منها فقال اللهمّ إهده، فاستجاب الله له وهداك فكان بعد ذلك هذا الكتاب

---

١. الأشراف في تونس ـ وكما ذكرنا سابقاً ـ هم السّادة من نسل الشرف الذي ينحدر من نسل النبي عن طريق علي وفاطمة الزهراء عليهما السّلام.

وهو سرّ نجاحه.

وهذه حقيقة آمنتُ بها ودخلتْ في قلبي وآمنتُ أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم السرّ وراء نجاح الكتاب بلا شك فما لقيت إنساناً إلا و أبدىٰ إعجابه للكتاب فقد طبع أكثر من عشرين طبعة وقد تُرجم إلى سبعة عشر لغة في العالم، وقد اهتدىٰ به إلى الحق آلاف من المسلمين في كل بقاع الدنيا بالخصوص في أفريقيا السوداء حيث لا يوجد هناك شيعة والمسلمون يعيشون علىٰ الفطرة بدون خلفيات مذهبيّة».(١)

وقال التيجاني معرفاً نفسه في كتابه «ثم اهتديت» تحت عنوان «دعوة أصدقاء للبحث».

كان التحوّل بداية السّعادة الرّوحية إذ أحسست براحة الضّمير وانشرح صدري للمذهب الحق الذي اكتشفته أو قل للإسلام الحقيقي الذي لاشك فيه؛ وغمرتني فرحة كبيرة واعتزاز بما أنعم الله عليّ من هداية ورشاد.

ولم يسعني السّكوت والتكتم علىٰ ما يختلج في صدري وقلت في نفسي: لابدّ لي من إفشاء هذه الحقيقة علىٰ الناس «وأمّا بنعمة ربّك فحدّث» وهي من أكبر النعم أو هي النّعمة الكبرىٰ في الدنيا وفي الآخرة، و«الساكت عن الحق شيطان أخرس»، «وليس بعد الحق» إلاّ «الضلال».

ودعوت أربعة أصدقاء من الأساتذة العاملين معي في المعهد كان إثنان منهم يُدَرّسان التربية الدينيّة والثالث يدرّس مادة العربية والرابع كان أستاذ الفلسفة الإسلامية. لم يكن أربعتهم من قفصة بل كانوا من تونس ومن جمّال وسوسة، دعوتهم إلى البحث معي في هذا الموضوع الخطير وأشعرتهم بأنّي قاصر

عن إدراك بعض المعاني وقد اضطربت وتشككت في بعض الأمور، وقبلوا المجيء إلى بيتي بعد إنهاء العمل، وتركتهم يقرأون كتاب المراجعات على أنّ مؤلفه يدّعي أشياء عجيبة وغريبة في الدّين، وقد استهوى الكتاب ثلاثة منهم أمّا الرابع الذي يدّرس اللغة العربية فقد قاطعنا بعد أربع جلسات أو خمس قائلاً: «إنّ الغرب الآن يغزو القمر وأنتم مازلتم تبحثون عن الخلافة الإسلامية».

وما أن أتممنا الكتاب خلال شهر واحد حتّى استبصر ثلاثتهم وقد أعنتهم كثيراً للوصول إلى الحقيقة من أقرب الطّرق بما تكوّن عندي من سعة الاطّلاع خلال سنوات البحث وذقت حلاوة الهداية واستبشرت بالمستقبل وأخذت أدعو في كلّ مرّة بعض الأصدقاء من قفصة والذين كانت تربطني بهم حلقات الدرس في المسجد أو العلاقات المنحرّة من الطرق الصوفية وبعض تلاميذي الذين كانوا يلازمونني وما مرّت سنة واحدة حتّى أصبحنا بحمدالله عدداً كبيراً نوالي أهل البيت، نوالي من والاهم ونعادي من عاداهم، نفرح في أعيادهم ونحزن في عاشوراء ونعقد مجالس تعزية.

وكانت أولى رسائلي التي تحمل خبر استبصاري إلى السّيد الخوئي بمناسبة عيد الغدير إذ احتفلنا به أوّل مرّة في قفصة، وقد اشتهر أمري لدى الخاصّ والعامّ بأنيّ تشيّعت وأنّي أدعو إلى التشيّع لآل بيت الرسول(ص) وبدأت الاتّهامات والإشاعات تروج في البلاد، على أنّني جاسوس لإسرائيل أعمل على تشكيك الناس في دينهم وبأنّني أسبّ الصحابة وبأنّني صاحب فتنة إلى غير ذلك.

وفي تونس العاصمة اتّصلت بالصديقين راشد الغنّوشي وعبدالفتاح مورو وكانت معارضتهما لي عنيفة جداً وفي حديث دار بيننا في بيت عبدالفتاح، قلت يجب علينا كمسلمين مراجعة كتبنا ومراجعة تاريخنا وضربت لذلك مثلاً صحيح

البخاري الذي فيه أشياء لا يقبلها عقل ولا دين.

وثارت ثائرتهما قائلين لي :من أنت حتىٰ تنتقد البخاري؟ وبذلت كل جهدي من أجل إقناعهما بالدخول في البحث العلمي الموضوعي فرفضا ذلك.

ازدادت على أثره حملة الإشاعات ضدّنا من قبل البعض وبثوا في أوساطهم إشاعات غريبة بغية إبعاد الناس عني وإحاطتي بطوق العزلة ـ سامحهم الله تعالى ـ .

وبدأت العزلة من بعض الشبّان ومن الشيوخ الّذين يتّبعون الطرق الصوفية وعشنا فترات قاسية غرباء في ديارنا وبين إخواننا وعشيرتنا ولكنّ الله سبحانه أبدلنا خيراً منهم فكان بعض الشبّان يأتون من مدن أخرىٰ يسألون عن الحقيقة فكنت أبذل قصارى ما في وسعي لإقناعهم بحقيقة منهج أهل البيت(ع) وبالواقع التأريخي فاستبصر عدد من الشبّان في العاصمة وفي القيروان وفي سوسة وسيدي بوزيد وكنت خلال رحلتي الصيفية إلى العراق مررت بأوروبا حيث التقيت بعض الاصدقاء في فرنسا وفي هولندا وتحدّثت معهم في الموضوع فاستبصروا والحمدلله.

هذا وقد تعدّدت زياراتي للنجف الأشرف ولعلماء النجف في مناسبات كثيرة، كما أعطاني السيد الخوئي الذي كنّا نقلّده وكالة للتصرّف في الخمس والزكاة وإفادة المجموعة المستبصرة عندنا بما تحتاجه من كتب وإعانات وغير ذلك، وقد كوّنت مكتبة مفيدة بها أهمّ المصادر التي تخصّ البحث وتجمع كتب الفريقين وتحمل إسم مكتبة أهل البيت (عليهم السلام) وقد أفادت الكثيرين والحمدلله.

وزاد الله فرحتنا فرحتين وسعادتنا سعادتين فقبل حوالى خمسة عشر عاماً

سخّر لنا الله الكاتبَ العام لبلدية قفصة فوافق على تسمية الشارع الذي أسكن فيه باسم شارع الإمام علي بن أبي طالب(ع)، فلا يفوتني هنا أن أشكر له هذه اللفتة المشرّفة، فهو من المسلمين العاملين وله ميل كبير ومحبّة فائقة لشخص الإمام علي وقد أهديته كتاب المراجعات، وهو يبادل مجموعتنا حبّاً وتقديراً واحتراماً فجزاه الله خيراً وأعطاه ما يتمنّى.[1]

ب ـ لأكون مع الصادقين

الكتاب الثاني للدكتور التيجاني، يقول في المقدمة: أمّا بعد فقد لقي كتابي الأول «ثم اهتديت» قبولا حسناً لدى القرّاء الأعزّاء الذين أبدوا بعض الملاحظات المهمة وطلبوا المزيد من التوضيح في المسائل التي إختلف فيها المسلمون سنّة وشيعة حتى تُرفع الحجب ولا يبقى هناك غموض لمن أراد التحقيق والوقوف على جلية الأمر.

فألّفتُ هذا الكتاب بنفس الأسلوب ليسهل على الباحث المنصف أن يصل الى الحقيقة من أقرب طُرقها كما وصلتُ اليها من خلال البحث والمقارنة وأسميته على بركة الله «لأكونَ مع الصّادقين» لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وليس هناك أصدق من محمد وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.[2]

---

١ ـ التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: ثمّ اهتديت، ص ٢٠٥، ص ٢٠٨، مؤسسة الفجر، لندن.

٢ ـ التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: لأكون مع الصادقين، ص ٢، مؤسسة البُشرى، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

ج ـ فاسئلوا أهل الذكر

يقول الدكتور التيجاني: أقدّم كتابي هذا «فاسئلوا أهل الذكر» وهو جملة من الأسئلة مع الإجابة من خلال مواقف وتعاليم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ـ عسىٰ أن يستفيد منها المسلمون في كل البلاد الإسلامية.(١)

ويضيف قائلاً: ولمّا ألهمني الله لكتابة «ثمّ اهتديتُ» ولقيتُ تشجيعاً من عديد من القرّاء والباحثين، ثمّ أردفتهُ بالكتاب الثاني «لأكون مع الصادقين» والذي لقيَ هو الآخر قبولاً حسناً، ممّا شجّعني علىٰ مواصلة البحث والتنقيب فكتبتُ الجزء الثالث «فاسألوا أهل الذكر» دفاعاً عن الإسلام وعن نبي الإسلام لإزالة الشُّبهات التي أُلصِقت بحضرته المقدّسة وكشف المؤامرة التي دُبّرت ضدّه وضدّ أهل بيته الأطهار.(٢)

د ـ الشيعة هم أهل السُّنّة

يقول الدكتور التيجاني: هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي المسلمين الباحثين، يدور في فلك الكتب الثلاثة السابقة عسىٰ أن ينتفع به بعض المثقفين والباحثين عن الحق ليعلموا أنّ الفرقة المستهدفة والتي تسمّىٰ بـ«الشيعة الإمامية» هي الفرقة النّاجية، وأنّهم ـ أي الشيعة ـ هم أهل السنّة الحقيقيّة، وأقصد بالسنّة الحقيقة السنّة المحمّدية التي صدع بها نبيّ الإسلام بوحيٍ من ربّ العالمين.(٣)

---

١ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: فاسئلوا أهل الذكر، ص ٩، مؤسسة الفجر، لندن.

٢ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: الشيعة هم أهلُ السُنَّة، ص ١٠، شمس المشرق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٣ . المرجع السابق.

هـ ـ إعرف الحقّ

مما لا شك فيه أن الإسلام طرح أتم وأكمل المشاريع الحضارية لقيادة الحياة والبشرية خاصة!

منها حرية الرأي حتىٰ في قبول الإسلام (لا إكراه في الدين)، وكذلك مبدأ الحوار السياسي الحضاري حتىٰ مع الأنبياء (عليهم السلام) ومطالبتهم بالمعجزة وأيضاً مبدأ السؤال... وغيره.

ومن خلال هذا الواقع انبرىٰ الدكتور التيجاني السماوي إلى قضية التساؤل لما يجده بين ما هو تقليد وتعصب وتطبيق لمذهب ما، حسب ما تقتضيه نظرة أصحاب ذلك المذهب، وبين واقع الإسلام فبدأ بالسؤال ومن ثم بالحوار للوصول إلى الاقتناع الحرّ![١]

و ـ إتقوا الله

هذه محاورة جرت بين الدكتور محمد التيجاني السماوي في تونس مع بعض علماء السنة.[٢]

ز ـ فسيروا في الأرض فانظروا

يقول التيجاني السّماوي: هذا الكتاب... هو عبارة عن مذكّرات جمعتها

---

١ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: إعرف الحقّ، ص ٧، دار المجتبىٰ، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

٢ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: إتقوا الله، ص ٧، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

طيلة ثلاثين عاماً فيها الخير والشر، فيها الحلو والمرّ، فيها الكرّ والفرّ وفيها الأخذ والعطاء... قسّمت الكتاب إلى جزأين تناولت في الأول رحلاتي في البلدان العربيّة وفي الجزء الثاني رحلاتي في البلدان الإسلامية والغربيّة، علماً بأن كلّ البلدان التي ذكرتها في رحلاتي زرتها أكثر من مرّة وقد تتعدّد الزيّارات إلى بعضها بالعشرات.[١]

ج ـ كلّ الحلول عند آل الرّسول

١ ـ التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: فسيروا في الأرض فانظروا، ص ٦، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢ ـ الهاشمي بن علي رمضان (التونسي)

مؤلف كتاب

الصحابة في حجمهم الحقيقي

المولد والنشأة:

ولد الأخ الهاشمي بن علي بمدينة قابس عام (١٩٨٦م) في أوساط عائلة مالكية المذهب.

يحمل شهادة الاستاذية في اللغتين الانكليزية والايطالية كما انه يحسن اللغة الفرنسية بالأضافة الى لغة الأم العربية.

له كتابات ادبية ومقطوعات شعرية.

وهو الآن يواصل علوم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما له مؤلفات بعد اعتناقه لمذهب اهل البيت(ع) هي:

أ ـ حوار مع صديقي الشيعي.

ب ـ الصحابة في حجمهم الحقيقي. مطبوع. مركز الابحاث العقائدية في قم.

كلمة لأهل السنة:

يقول: (الواقع أن هناك مسألة مهمة تلفت النظر إليها وهي خوف بعض اخواننا السنة من مطالعة كتبنا حتى ان البعض منهم يشتريها ويحرقها كما سمعت!! من يخالف من قراءة كتاب فلن يبلغ الغاية لا في الدين ولا في الدنيا إقرؤا كتبنا فإن كنا ضالين فهاتوا برهانكم وارشدونا الثواب وإن كنا على الحق فتعالوا إليه وإن كان مرا).[1]

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحوّلون حقائق ووثائق، ص ٣٣.

٣ـ أحمد الحزامي صالح

المولد والنشأة:

ولد الأخ احمد الحزامي صالح بمدينة مارث عام ١٩٧٣م في تونس. وقد نشأ معتنقا للمذهب المالكي، باعتبار أن عائلته تعتنق هذا المذهب. تجدر الاشارة إلى أنه كان مبلغا للمالكية في الضواحي التابعة لمدينته.

البداية:

يروي الأخ أحمد الحزامي صالح قصة استبصاره فيقول: (في عام ١٩٨٥م تقريباً كنت أجالس أحد المؤمنين وصادف ذلك في عشرة شهر محرم، فسخر البعض من أحد الشيعة لحزنه في هذه الايام ـ ولم أكن سمعت شيئاً في السابق عن الشيعة ـ فدفعني هذا الامر للاستفسار، فسألت أخي فقال: الشيعة هم الذين يعبدون الامام علي بن أبي طالب. فتعجبت من ذلك وتألمت وقلت في نفسي هل يوجد من يعتقد بهذه الخرافات؟! فصرت أنفر منهم وأتجنبهم.

في عام ١٩٨٧م تحسنت علاقة أخي بهذا الشيعي، ومن خلال هذه العلاقة استطاع أن يؤثر على أخي ويقنعه بأحقية مذهب التشيع خلال أشهر، وخلال تلك الفترة كنت أمارس التبليغ للمذهب المالكي فرأيت كتاب عنوانه (الخلفاء الراشدون) عند أخي، فسألته عن ذلك الكتاب، فأجابني: أنا شيعي فسخرت منه وذكرته بكلامه السابق، فأخذ يشرح لي وقائع ويعرفني بامور لم يكن هو نفسه عالما بها وبعدها أعطاني كتاب (المراجعات) وهذا الكتاب درسته بتعمق وهنا

وقعت في حيرة!!!

ثم تعرفت على شيعي آخر وحصلت منه على محاضرات اسلامية مسجلة للشيخ المالكي والشيخ الوائلي فتبلورت الفكرة في ذهني أكثر فأكثر ثم طالعت كتاب (مؤتمر علماء بغداد) فزاد يقيني ودامت هذه الفترة حدود الـ (٦ أشهر) وهكذا اعتنقت مذهب التشيع وأيقنت انه هو المذهب الحق خصوصاً في التعبديات.[١]

---

١ ـ آل قطيط، هشام: المتحوّلون حقائق ووثائق، ص ٥٣٧.

٤ ـ محمد العربي التونسي

الملقب (أبو محمد)

مواليد ١٤/٦/١٩٥١م، جرجيس (الجنوب التونسي).

الدراسة: الابتدائية في العاصمة تونس وكذلك الإعدادية والثانوية. وفيها أكمل دراسة كلية الفنون الجميلة.

نشأ نشأة صوفية وتأثر بطريقة الشيخ إبراهيم الرياحي (عبدالسّلام الأسمر في ليبيا) (برقة) حيث ينتمون إلى القطب الصوفي والكبريت الأحمر (محي الدين بن عربي).

اعتنق التشيع عام ١٩٨٠م.[١]

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحوّلون، ج ٣ / ص ٢٠٣، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ .

٥ ـ محمد أحمد القابسي التونسي

شاعر و أديب تونسي معاصر، عُني بالشعر الحديث ونظم فيه فبرز ولمع نجمه في بلدان المغرب العربي.

الكتابة بدم «الحسين»

البحر... البحر...
هل يغسل ثانية مدائنكم الخائنات
أم يظل رأس الحسين منها لا يخرج!..
الثلج
حين يهمي يأتي معه الدم
كصوت الريح
كطعم الحقد
كحد السيف
يأتي الثلج أحمر... أحمر!!
فابحثوا بينكم عن القاتل
ابحثوا تحت القمصان بين الترائب
في حوانيت القبائل
«كلكم تضعون العمامات»
فأين الخارج منكم
من «الداخل»!؟
أظل أكتب بدم «الحسين»
وأصفق للمستحيل!![١]

---

١ ـ الطريحي، محمد سعيد: أجراس كربلاء، ص ٤٥، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

الجزائر

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب و بربر ٩٩٪

اللغة: العربية ـ الفرنسية ـ لغة البربر المحلية.

أهم المحاصيل: قمح ـ عنب ـ زيتون ـ حمضيات ـ فواكه ـ تمور. وينمو الزيتون فيها برياً، ويبلغ إنتاجه نحو ٣٠٠ ألف طن سنوياً.

أهم المعادن: نفط[١] ـ غاز ـ حديد ـ فوسفات ـ ويأتي الحديد في مقدمة المعادن، وهو من النوع الجيد، ويليه الفوسفات والبترول و الغاز الطبيعي.

أهم الصناعات: صناعات خفيفة ـ غاز طبيعي ـ مناجم ـ صناعات كهربائية و كيميائية ـ تكرير ـ أغذية ـ غزل و نسيج ـ تعدين ـ حفظ الأسماك.

الثروة الحيوانية: بقر ٧/١ مليون، أغنام ٣مليون. ويحتل الرعي وتربية الماشية المرتبة الثانية في اقتصاد الجزائر.

أهم المعالم: الشواطيء الجميلة، والجبال المتوجة بالخضرة، والغابات التي تصل مساحتها إلى حوالي ثلاثة ملايين هكتاراً. وتنقسم الجزائر إلى قسمين رئيسيين، القسم الشمالي وهو يتبع البحر المتوسط، ويمتد من البحر حتى جبال أطلس، أما القسم الثاني فهو صحراوي ويمتد من جبال أطلس الصحراوية حتى الحدود الجنوبية.[٢]

---

١ . بدأت تحتل مكانة بين الدول المنتجة للبترول اعتباراً من سنة ١٩٥٧م. وصل انتاجها من الغاز الطبيعي الى ٥/١ مليون مترمكعب في اليوم الواحد تصدره كله بناقلات خاصة عبر البحر المتوسط*

إن للباطل جولة.. وللحق جولات

ثارت فرنسا ضد لويس السابع عشر، وحطمت الباستيل الذي اعتقل الظلم فيه احرار فرنسا..

ان الحقيقة المرة المؤلمة تؤكد بأن الفرنسيين قد جعلوا من الجزائر كلها «باستيلا» كبيراً اعتقلوا فيه احرار الجزائر وساموهم فيه سوء العذاب يقتلون ابناءهم ويحرقون ويهلكون الحرث والنسل فيها!! (١)

الشيعة في الجزائر

الدولة	النفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غير المسلمين
الجزائر	٣١/٧٨٧٦٤٧	٩٩٪	مالكية	٩٨/١٪[١]	١٪ مسيح ويهود، ويوجد فيها إباضية.[٢]

انتشار الشيعة في الجزائر ـ في العصر الحاضر ـ قامت على مرحلتين:

الأولىٰ ـ كانت علىٰ يد المدّرسين العراقيين الشيعة؛ حيث استبصر الكثير من أهالي الجزائر علىٰ يد المدّرسين الشيعة العراقيين والذين وفدوا إلى الجزائر للعمل في مدارسها الثانوية. وكان من المستبصرين سماحة العلامة الشيخ زاوي محمد إمام مسجد عمربن الخطاب الواقع في (٦ شارع العبان عزّالدين ـ تلمسان)، حيث أخذ الشيخ زاويي محمد ـ على عاتقه ـ وبكل نشاط بنشر المذهب الشيعي الاثنى عشري.

ولمّا علمت السلطات الجزائرية بنشاط المدّرسين العراقيين[٣] ضيّقت

---

١ . الكرباسي، محمدصادق: الحسين والتشريع الاسلامي، ٢/١٠٢، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ .

٢ . نسبة الإباضية فيها تأتي بعد عثمان.

٣ . وقد نقل لي احد المدّرسين العراقيين القادمين من الجزائر إلىٰ دمشق بان الرئيس الجزائري الأسبق احمدبن بلّه خطب مرّة في المحافظة الساحلية ومدح فيها عبدالرحمن بن ملجم المرادي قائلاً: يجب نصب تمثال من ذهب لعبد الرحمن لشجاعته إذ انه أوقف الحروب الداخلية بين العرب باغتياله علي بن أبي طالب!!

الخناق عليهم واضطرتهم إلى مغادرة الأراضي الجزائرية بإيعاز من مـوالين لأحمد بن بلّة.

الثانية ـ كانت على يد المفكّر التونسي الكبير الدكتور محمد التيجاني السّماوي ممثل آية الله العظمى السّيد الخوئي هناك.

يقول الدكتور التيجاني في الرّحلة الجزائرية: المعروف عن الجزائر أن فيها بعض القبائل العربية التي هي من الخوارج يسكنون في واد مزاب وبعضهم يسكن جزيرة جربة في تونس ويُعرفون بالأباضية، وقد حدثني بعض المسؤولين في العراق أن الرئيس الأول للجزائر أحمدبن بلّة لمّا زار العراق في الستينيّات سأل عن قبر عبدالرحمان بن ملجم الخارجي[١] الذي اغتال الإمام علي بن أبي طالب فحذّره المسؤولون العراقيون بأن الشيعة في العراق سيقتلونه لو علموا منه ذلك».[٢]

يقول التيجاني: وصلتُ مدينة **تيارت** واتجهت إلى العنوان باحثا عن منزل السّيد عبدالجواد، تعرفت على ولده سعيد والذي أعلمني بأن والده يشتغل بالتّدريس في الجامعة وركب معي في السّيارة ليوصلني إلى الجامعة، ...

وبعد نصف ساعة وصلنا إلى مدينة **المعسكر** التي تبعد عن تيارت مسافة قليلة، وما إن وصلنا إلى البيت حتى ارتفعت الزغاريد، ثم بدأت المكالمات الهاتفية والاتصالات السريّة وبدأت الوفود تأتي مثنى وثلاث ورباع وما هي إلّا

---

١. ولا عجب في ذلك وان الفضائيات كانت تعرض صور الرئيس احمد بن بلّه ـ من بغداد ـ قبل سقوط صدّام حسين وهو يشترك في تأييد صدّام عند صناديق الاقتراع: تأييداً لصدّام الذي قتل مئات الألوف من شيعة العراق.

٢. التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: فسيروا في الأرض فانظروا، ص ١٢٩، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

ساعة أو ساعتين حتىٰ اجتمع في البيت أكثر من أربعين رجلاً... وما أقبل اللّيل إلاّ ـ وقد اكتمل عدد الشباب إلىٰ سبعين أو يزيد عـرفتُ واحـدا مـنهم واسـمه الحسيني سبق أن زارني في باريس واعطيته بعضا من كتبي، وهو يملك مع بعض شركائه مطبعة ابن باديس في مدينة تيارت.

ألقيت كلمة وجيزة بالمناسبة رحبّت فيها بكلّ الحاضرين وشكرتهم علىٰ عواطفهم وحسن استقبالهم واعتذرت لهم عن الأتعاب التي سببتها لهم، ثم حمدت الله سبحانه وتعالى أن جمعنا علىٰ طاعته وقد ركـبنا سـفينة النـجاة بـموالاتـنا واقتدائنا بمحمّد وآل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في وقت كثُرت فيه البدع وأصبحنا كالغرباء وسط أهلنا وذوينا.

ثم فتحنا باب الحوار والأسئلة فسألوني عن كلّ شاردة وواردة عـن كـلّ صغيرة و كبيرة وأجبت في ما أعلم وامتنعت عمّا ليس لي به علم.

كما علمتُ من خلال الحوار بانّ اغلب الحاضرين قد استبصروا من كتاب «ثم اهتديت»، وهم ينقلون هذا الكتاب بنسخ الصور ويكـلّفهم أربـعين ديـناراً للنسخة الواحدة، وهم بأشد الحاجة إلى مزيد من الكتب لأن الشّباب المثقّف من جماعة عبّاس مدني وعلي بالحاج بدأوا يـتشيّعون لمـذهب أهـل البـيت وهـم متعطشون لقراءة «ثم اهتديت».[1]

وفي هذا الصدد كتب السّيد عامر الحلو في كتابه (وقفة مع كـتاب حـول الشيعة وما يعتقدون) في الصفحة (٣٥) حول ظاهرة تشيع بعض العلماء والمثقفين قائلاً: لقد انتمىٰ إلى مذهب الشيعة الإمامية في السنوات الماضية ولا يزال كثير من إخواننا أبناء المذاهب الإسلامية الأخرىٰ أذكر منهم علىٰ سبيل المثال:

---

١ . التيجاني السّماوي، الدكتور محمّد: فسيروا في الأرض فانظروا... ، ص ١٣٨ .

الأستاذ الدكتور **محمد المغلي** وهو ابن عم المفكر الجزائـري المـعروف مالك بن نبي صاحب كتاب الظاهرة القرآنية وغيره. وهو أستاذ علم الإجتماع في جامعة بروكسل في بلجيكا وقد إلتقيته في أحد المؤتمرات الإسلامية وحل ضيفاً عندي في داري بدمشق ثلاثة أيام وذلك عام ١٩٨٢م وقد أخبرني أنه تشيع لأهل البيت(ع) وأنه على مذهب الشيعة الإمامية.[١]

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحوّلون (حقائق ووثائق) ص ٥٥٦.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب وبربر ٩٩٪، ويهود ٠/٢٪.

اللغة: العربية ـ لهجات بربرية ـ الفرنسية.

استخدام الأرض: المستزرع والقابل للزراعة ١٨٪ و المراعي ٢٨٪، والغابات ١٢٪.

والمغرب هي أكثر بلاد الشمال الإفريقي نماء، حيث تستقبل السهول الخصبة والسفوح قدراً وافراً من الأمطار.

أهم المحاصيل: القمح ـ الحمضيات ـ الزيتون ـ الخضراوات ـ الصمغ العربي. وينمو الزيتون بكميات وفيرة تصل إلى حوالى ٨ مليون شجرة. ومن أشجار الغابات هناك الأرز والزان والبلوط والصنوبر.

أهم المعادن: كوبلت ـ منجنيز ـ فوسفات ـ رصاص ـ نفط ـ حديد ـ زنك.

وتؤلف المعادن ٤٠٪ من صادرات المغرب، وتولد الكهرباء من مجارى الأنهار الهابطة من جبال أطلس. ويوجد بالمغرب ٧٥٪ من احتياطي فوسفات العالم.

أهم الصناعات: مناجم ـ معالجة صخور الفوسفات ـ الأغذية ـ الجلود ـ نسيج.

الثروة الحيوانية: ماشية ٣/٣ مليون ـ أغنام ١٦/٥ مليون.

الموقع وأهم العالم: تتمتع بموقع جغرافي ممتاز على مفترق الطرق بين

أوربا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية والبحر المتوسط والمحيط الهندي. كما تتمتع بشبكة ممتازه من الطرق التي تربطها بالدول المجاورة.[١]

مساحته: ٦١٠/٠٠٠ كلم مربع.

عاصمته: الرّباط.

موقعه الجغرافي: شمال غرب أفريقيا.

حدوده: من الغرب المحيط الأطلنطي ومن الشرق الجزائر ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب موريتانيا.

---

١ . عبدالهادي محمد مسعود، الدكتور جمال: المجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقيا، ص٦٣.

الشيعة في المغرب

الدولة	النفوس	نسبة المسلمين	المذهب الأكثر	نسبة الإمامية	غيرالمسلمين
المغرب	٣٠/٧٥٠٦٨٦	٩٩٪	مالكية	٢/٩٧٪	١٪ مسيح ويهود[١]

يقول الدكتور التيجاني في الرّحلة المغربيّة: عرفت الشعب المغربيّ في بساطته وانفتاحه في عمق عقيدته وتمسّكه بالدّين، في صدق إخلاصه وولائه لما فيه رائحة السّلالة الطاهرة والنسل الشريف وأسماء محمّد، علي، فاطمة، حسن، حسين، قد يفوق عددها في المغرب كلّ ما هو موجود في البلدان العربيّة الأخرىٰ.

ولاحظت كذلك أن الذين يسمّون أولادهم بهذه الأسماء فإنّهم يحترمونهم فلا يسبّوهم ولا يقولون لهم كلمات بذيئة أبداً فالأشراف عندهم شيء مقدّس أكثر من كلّ الدّول العربيّة الأخرىٰ كما أن المغاربة يعظّمون شعائر الله تعظيما كبيرا فالمساجد والجوامع والزّوايا ومقامات الصالحين عندهم كثيرة جداً وهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية ويبالغون في الاحتفال بالمولد النّبوي الشريف الذي يطول كامل الشّهر، علىٰ عكس السّعوديين الذين يحرّمون الاحتفال به ويزعمون بأنّه بدعة.

والمغرب من أجل ذلك حافظ على طابعه الإسلامي السنّي في المذهب ولكنّه يقرب من الشيّعة في معتقداته فهو، لا يقدّم علىٰ أهل البيت أحدا وكذلك

يحزنون في شهر المحرّم وفي أيّام عاشوراء وخصوصاً في اليوم العاشر بالذّات تراهم لا يشتغلون ولا يتزيّنون وإنّما ترى البعض منهم يقدّمون التّعازي فيما بينهم ويذكرون مآثر أبي عبدالله الحسين سيّد شباب أهل الجنة.

والوهابيّة لم تجد في المغرب رواجاً كبيراً لحبّ المغاربة اللاّمتناهي للعترة الطّاهرة وكلّ من انحدر منهم فهم دائبون على التوسّل إلى الله وجعلهم الواسطة المنجيّة من عذاب الله.

لكلّ هذه الأسباب ترىٰ المغاربة يحبّون ملكهم جلالة الحسن الثّاني لأنّه من نسل السّلالة الطاهرة التي انحدرت من عليّ وفاطمة والحسن والحسين فالعائلة الملكيّة أصلها حسني من أولاد سيّدنا الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام.(١)

يقول الاستاذ نجيب زبيب عندما أراد تأليف كتابه «دولة التشيع في بلاد المغرب»: وعزمت على التنفيذ وبدأت في تدوين الأفكار والملاحظات وتعيين المراجع التي يمكن الاستناد إليها في هذا الموضوع وكان أول ما ذهبت إلى مكتبة الناصر في تطوان وأقولها بكل صدق أنني لازلت أشكر للأخ بن الناصر صاحب المكتبة حسن استقباله لي حيث وضع بتصرفي جميع ما عنده من كتب التراث، كما لازلت أشكر الأخوة المغاربة وأخصّ بالذكر منهم السادة الأساتذة (عبدالرحمن الزر والي ومحمد الصوردو) من أساتذة التعليم الديني هناك. كما أشكر الأخوة الجزائريين وأخص بالذكر منهم الأساتذة علي مرحوم ومحمد المقدّم علىٰ ما قدموه لي من مساعدة وما أفادوني به من معرفة وعلم وإطلاع تحصّلت على

---

١ ـ التيجاني السّماوي، الدكتور محمد: فسيروا في الأرض فانظروا.. ص ١٧٣.

معلومات كثيرةٍ كان المؤرخون والكتّاب قد أضربوا صفحاً عنها.[١]

ويقول الصحافي المغربي ادريس الحسيني في كتابه (الانتقال الصعب في المذهب والمعتقد): لدينا قرابة مع الادارسة. فهم ابناء عمنا، لأنهم «حسنيون» بينما نحن «حسينون». حظيت بولادة ميمونة، بمدينة «مولاي ادريس» وهي مدينة صغيرة، تقع قرب «وليلي» مدينة رومانية قديمة. واسم المدينة على «ادريس» وهو بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(ع)، حيث جاءها لاجئاً بعد انفلاته من قبضة العباسيين على اثر معركة «فخ»، ولم يكن المغاربة ليزهدوا في واحد يحمل شرف بيت النبوة، اذ سرعان ما تنازلوا له عن الحكم فصار حاكما للمغرب. وله الآن فيها ضريح ـ مثل ما لابنه ضريح في مدينة «فاس» ـ .

تُشدُّ إليه الرحالُ، ويُنظّمُ حولَه «البربرُ» خلال كل سنةٍ، موسماً، ملأه الأهازيج والأفراح!

ومنذ ذلك العهد، لم يكن المغرب يحمل نصبا لتراث آل البيت(ع).

إن «الشمة» العلوية انوجدت فيه مع الدولة الادريسية، ومع نفوذ الفاطميين، وحتى الموحدين.[٢]

ويجيب الصحافي المغربي ادريس الحسيني على سؤال طرحته مجلة «المنبر»: كيف هو وضع الشيعة في المغرب وما هو تاريخهم؟

يقول الحسيني: إنني أرى المغرب بلدا ذا ثقافة شيعية فالسادة الأشراف هنا

---

١ . زبيب، الأستاذ نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب، ص ٧.

٢ . الحسيني، ادريس: الإنتقال الصّعب في المذهب والمعتقد، ص ١٥ منشورات أنوار الهدى والاعتصام، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ.

مكانتهم محترمة ولأئمة أهل البيت عليهم السلام وتحديداً علي وفاطمة والحسين عليهم السلام مكانة خاصة جداً في وجدان المغاربة لا يوجد في المغرب من يناصبهم عداء إن أكبر الدول الشيعية في التاريخ الإسلامي تأسست بالمغرب لقد تأسست هناك دولة الأدارسة والفاطميين والموحدين. هل تعلم أن في التصور المغربي التقليدي أن علياً عليه السلام مرفوع إلى السماء؟ هل تعلم ان المغاربة يسمون قوس الرحمن «حزام فاطمة الزهراء» ان حكاية علي عليه السلام قاطع رأس الغول وكثير من الحكايات الشعبية في بطولة الإمام علي عليه السّلام شحن بها ذهن المغاربة منذ نعومة أظفارهم أما عن المتشيعين فإنني أراهم مغاربة والمغربي شخص منفتح ومتسامح بطبعه.[١]

---

١ ـ آل قطيط، هشام: المتحوِّلون (حقائق ووثائق)، ص ٢٥٨.

شرفاء مراكش

من ٩٥١ ـ ١٣١١ للهجرة (من ١٥٤٤ ـ ١٨٩٣ ميلادية)

«هم من أولاد فاطمة ابنة رسول الاسلام ونسل الحسن بن علي بن أبي طالب لذا لقبوا سلسلتهم بـ(الشريف) وجمعها شرفاء.» هذا ما قاله استانلي لين بول[١].

«كان يقال للحكومة التي تلي أمر المغرب الأقصى منذ منتصف القرن العاشر الهجري (سلطنة فاس) وعاصمتها التي لم تتغير منذ ذلك التاريخ هي مدينة مراكش التي حرف الأوربيون اسمها فصار Maroc، وتقع هذه البلاد في الزاوية الشمالية الغربية من إفريقية وتحدها من الشرق الجزائر ومن الجنوب المستعمرة الإسبانية المسماة رييودة أورو الواقعة بالصحراء الكبرى ويحدها البحر من الشمال والغرب وترفع الأسرة الحاكمة هناك نسبها إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه ولذلك فهم يلقبون بالأشراف وتسمى عائلتهم عموماً بالأشراف الحسنية وتنقسم الدولة الشريفة إلى شعبتين تسمى الأولى بالأشراف السعدية: وأما الشعبة الثانية فهي شعبة الأشراف الفلالية Filali أو أشراف سجلماسة وكلمة فلالية نسبة إلى واحدة «تافلالت» التي نشأوا فيها». هذا ما قاله الدكتور احمد السعيد سليمان.[٢]

---

١. لين بول، استانلي: طبقات سلاطين الاسلام، ص ٦٠.

٢. السعيد سليمان، الدكتور أحمد: تاريخ الدّول الإسلاميّة ومعجم الأسر الحاكمة، ٩٢/١.

دولة الأشراف السعديين (٩١٥ ـ ١٠٦٩هـ)

كان هؤلاء السعديون يدعون أن أصل سلفهم من ينبع النخل من أرض الحجاز وأنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم. قالوا والسبب في قدوم سلفهم من الحجاز إلى المغرب أن أهل مدينة درعه من مدن المغرب الأقصى كانت لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات كثيراً، فقيل لهم لو أتيتم بشريف إلى بلادكم كما اتى به اهل سلجماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن احمد مضاهاة لأهل سلجماسة فعادت عليهم بركته وهذا القول هو المعروف المتداول عند الكافة وأن خالفه بعضهم وأما سبب تسميتهم بالسعديين فمن قبيل التفاؤل بأيامهم لا غير.[١]

وأول ملوكهم القائم بأمر الله أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن، وكان مبدأ امره بالسوس وقت أن أحاطت به البرتغال واستولت على شواطئه وقد استحكمت شوكته وقتئذ لعدم وجود أمير تجتمع عليه كلمة الاسلام في تلك البلاد، فلذلك اجتمع الناس على أبي محمد هذا وبايعوه، فانتدبهم لمقارعة البرتغال فقاموا معه جميعاً (٩١٧) فمكنه الله من التغلب على البرتغال وطردهم من البلدان فقويت شوكته وعظم سلطانه وزادت محبة الناس فيه وعظم قدره، وكانت وفاته (٩٢٣هـ).

دولة الاشراف السجلماسيين

قال النسابون ان نسب هذه الدولة متصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان بعض العلماء يقول ماولي المغرب بعد الادارسة أصح نسبا من شرفاء

---

١ . سَرهنك، الميرالاي إسماعيل: تاريخ دُوَل المغرب، ص ٧٤.

تافيللت أي سجلماسة وأصلهم من ينبع النخل من أرض الحجاز. وكان اول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم في أواخر المائة السابعة في أوائل الدولة المرينية، وقيل ان سبب مجيئه الى سلجماسة اعلاء قدر الدولة المرينية لانها لما أتت رفعت قدر الاشراف واحترمتهم ولم يكن بسجلماسة أحد من آل البيت الكريم وكان حسن المشار اليه متصفا بالصلاح والزهد وله مشاركة حسنة في كثير من العلوم. وبقي بين أهل سجلماسة يعظهم ويهديهم إلى طريق الرشاد حتى وافته منيته ولم يخلف الا ولداً واحداً كان يدعى المولى محمد بقي مكرماً منظوراً اليه بعين الوقار والاحترام هو وأولاده من بعده إلى أن كان منهم المولى ابوالحسن علي الشريف.[١]

١ . سَرهنك، الميرالاي اسماعيل: تاريخ دُول المغرب، ص ٨٤.

الأشراف السعدية

٩١٦ ـ ٩٢٣ هـ	أبو عبدالله محمدالقائم بأمرالله	١٥١١ـ١٥١٧م
٩٢٣ ـ ٩٤٦	أبو العباس أحمد الأعرج	١٥١٧ ـ ١٥٣٩
٩٥١ ـ ٩٦٤	محمد الأوّل الشيخ المهدي	١٥٤٤ ـ ١٥٥٧
٩٦٤ ـ ٩٨١	مولای عبدالله الأوّل الغالب بالله	١٥٥٧ ـ ١٥٧٤
٩٨١ ـ ٩٨٦	مولای محمد الثاني المتوكل على الله	١٥٧٣ ـ ١٥٧٨
٩٨٣ ـ ٩٨٦	أبو مروان عبدالملك الأول	١٥٧٥ ـ ١٥٧٨
٩٨٦ ـ ١٠١٢	مولای أحمد المنصور الذهبي	١٥٧٨ ـ ١٦٠٢
١٠١٢ ـ ١٠٢٢	مولای المأمون	١٦٠٢ ـ ١٦١٣
١٠١٦ ـ ؟	زيدان ـ لوحده ـ	١٦٠٨ ـ ؟
١٠٢٢ ـ ١٠٣٣	مولای عبدالله الثاني	١٦١٣ ـ ١٦٢٤
١٠٣٣ ـ ١٠٣٦	مولای عبدالملك الثاني	١٦٢٤ ـ ١٦٢٧
١٠٣٦ ـ ١٠٦٤	محمد الثاني الشيخ الأصغر	١٦٢٧ ـ ١٦٥٤
١٠٤٠ ـ ؟	الوليد	١٦٣٠ ـ ؟
١٠٤٥ ـ ؟	محمد الثالث	١٦٣٥ ـ ؟
١٠٦٤ ـ ١٠٦٩	مولای أحمد العباس	١٦٥٤ ـ ١٦٥٩

شرفاء الفلالية

١٠٧٥هـ	مولاى الرشيد بن الشريف بن علي	١٦٦٤م
١٠٨٣	أبو النصر مولاى إسماعيل السمين	١٦٧٢
١١٣٩	أحمد الذهبي	١٧٢٧
١١٤١	مولاى عبدالله	١٧٢٩
١١٧١	محمد الأول	١٧٥٧
١٢٠٤	يزيد	١٧٨٩
١٢٠٦	سليمان	١٧٩٢
١٢٠٩	هشام	١٧٩٥
١٢٣٨	عبدالرحمن	١٨٢٢
١٢٧٦	محمد الثاني	١٨٥٩
١٢٩٠	مولاى الحسن	١٨٧٣
١٣١١	مولاى عبدالعزيز	١٨٩٤
١٣٢٦	مولاى الحفيظ	١٩٠٨
١٣٣٠ ـ ١٣٤٣	مولاى أبو المحاسن يوسف	١٩١٢ ـ ١٩٢٤
	محمد بن يوسف	
	الحسن بن محمد	

المملكة الشريفية المغربية

السلطان محمد بن يوسف سلطان المغرب الأقصى

ولد في فاس (عاصمة المغرب الأقصىٰ القديمة) ووالده السلطان يوسف بن مولاي الحسن، سليل أشراف تافيلات الحسنيين، وقد أسسوا دولتهم في المغرب الأقصىٰ سنة ١٦٦٤ وأصلهم حجازيون هاجروا من ينبع، ويلقب السلطان منهم بلقب الخلافة، ويخطب باسمه على المنابر ولم يعترفوا بخلافة العثمانيين ولم يقروها.

توفى والده السلطان يوسف يوم الخميس ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على أثر رجوعه من فرنسا بعد رحلة رسمية رحلها إليها ومرض في خلالها، وخلف ثلاثة أولاد ذكور: إدريس وهو الأكبر، وقد أوصىٰ له أبوه بولاية العهد من بعده، وحسن وحمادة وهو الأصغر.

ورأى ولاة الأمور الفرنسويون أن مصلحتهم تقضى بإصعاد حمادة الصغير إلى العرض. فأخذوا له البيعة من العلماء ورجال الدوله والأمراء وفي جملتهم الأميران حسن وإدريس وذلك يوم الجمعة ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢٧ وتسمىٰ السلطان الجديد باسم محمد الثالث. وأذاع الفرنسويون على أثر ذلك أنهم أيدوه لأنه يعرف اللغة الفرنسوية ويحب فرنسا.[1]

---

١ . محمد سعيد، أمين: ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، ص ٤٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

كان عمره آنذاك سبع عشرة سنة[١] وكان ليناً على مايبدو، خجولاً، لا يحتمل أن يكون صعب المراس، ولكن اتخاذه غير المرتقب للقرارات وتفكيره الثاقب حولت الشاب الوديع إلى رجل حازم، وجعلت وداعته الفرنسيين يتوهمون أنه الرجل الذي يبحثون عنه للدور الغامض كعاهل في ظل الحماية فشرعوا يوجهون له الإطراء. ولم يتوقع أحد ان الرئيس الفرنسي سوف يدعوه بعد عشرين سنة إلى نقض المعاهدة التي كانت سبباً في إجلاسه على العرش وإثارة أخطر نزاع عرفته بلاده في تاريخها الحديث. حيث بدأت بوادر الحماية مع توقيع اتفاقية ١٩٠٤م من لدن فرنسا وبريطانيا والتي تتمتع هذه الأخيرة بمقتضاها بحرية التصرف في مصر، على أن تحذو فرنسا في المغرب حذوها، ثم لم تلبث هذه الأخيرة أن وقعت مع اسبانيا اتفاقية مماثلة تضمن لاسبانيا مصالحها في المغرب.

وعندما عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في ١٩٠٦م ضمن بعض الحقوق المغربية ولكنه جعل استيلاء الاستعمار الفرنسي على المغرب أمراً لا مناص منه.[٢]

ومع ما عرفته سنوات الاستقلال من انشقاق سياسي ومن كثرة المشاكل حاول الملك أن يظل وفياً لمبادئه الأساسية فرفض الإصغاء لنصائح أصدقائه بمواجهة الحملات التي كانت تشنها بعض العناصر اليسارية ويقول دائماً: «لقد كنت مقتنعاً فيما مضىٰ بخطأ الفرنسيين وبأنني على صواب في مطالبتي

١. كان همّ المغاربة في تلك الظروف أن يكون السلطان من الأسرة الملكية وسليل الرسول(ص).

٢. لاندو، روم: محمّد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته، ص ١٢، تعريب: ليلىٰ أبو زيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

بالاستقلال، وبما أن الحق كان إلى جانبي فقد انتصر الحق كالعادة. وأنا اليوم موقن بأن الذين يحاولون القضاء على النظام الملكي على خطأ كبير وانني غيرمخطيء بوجودي على رأس هذا النظام وبما أمنحه للمغاربة من حرية في الرأي، وسيظهر الحق مرة أخرىٰ ويعلم هؤلاء أنهم كانوا على ضلال.

ومع ذلك فإنني لن أحارب أي مغربي إلا إذا خرق القانون لأن المغاربة أبنائي».

وحين التحق محمد الخامس بالرفيق الأعلىٰ في ١٩٦١م أدرك الجميع ما كان له من مزايا عظيمة. أدركوا تقواه وإنسانيته وعدله وحزمه في الشؤون العامة وعاطفته الجياشة في حياته الخاصة. لقد صنع استقلال المغرب لهذا وضعه القدر في صفوف العظماء، وأحله في قلوب شعبه مكانة لم يحتلها غيره فيما مضى[١].

وخلفه ابنه الملك الحسن الثاني ومن ثم عبدالله.

نقل لي الأستاذ المرحوم الدكتور صلاح الصاوي نقلا عن صديقه المغربي الأستاذ المرحوم علال الفاسي بأن جلالة الملك محمد الخامس كان يحضر مجالس العزاء للأمام الحسين عليه السلام عند قبر إدريس الأوّل.

---

١. توفي محمد الخامس يوم الأحد ٢٦ فبراير ١٩٦١م على أثر عملية جراحية أجريت له في مصحة القصر الملكي بالرباط لاستئصال الجدار الأنفي.

حركة المجاهدين في المغرب

سألت الصحافية الفرنسية «كريسيتين أوكرانت» (Christine O'krent) في برنامج تلفزيوني بعنوان «ساعة الحقيقة» الملك الحسن الثاني:

ـ ما رأيكم في الشيعة يا جلالة الملك؟

وأجاب على الفور: كنّا نحن والشيعة أخوة طيلة أربعة عشر قرناً ولم يعكّر صفو هذه الأخوّة إلّا حركة المجاهدين في المغرب.

حركة المجاهدين في المغرب:

تعتبر حركة المجاهدين في المغرب إحدىٰ الفصائل المتطرفة للحركة الدينية المسلحة، والتي نشطت في أواخر الستينات في إطار الردّ علىٰ تنامي الحركة الوطنية والديمقراطية المغربية المعارضة للنظام، وطبقاً لما تدعيه صحافة حركة المجاهدين، فإن الحركة تأسست في أواخر عام ١٩٧٠م على أيدي عبدالعزيز النعماني وآخرين من «الإسلاميين»، الذين ظهرت أسماؤهم في ملف قضية اغتيال عمر بن جلون أحد قادة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في المغرب عام ١٩٧٥م.

ويبدو أن حركة المجاهدين قد مارست نشاطاتها تحت أسماء مختلفة وأحياناً بدون أن تعلن نفسها مما تسبب في تداخل سياساتها وممارساتها مع سياسات وممارسات المنظمات الإسلامية الأخرىٰ، وبخاصة منظمة الشبيبة الإسلامية التي يقودها عبدالكريم مطيع.

وفي السنوات الأخيرة أخذ اسم حركة المجاهدين وزعيمها عبدالعزيز النعماني يتم تداولهما بشكل منفصل عن المنظمات الإسلامية الأخرى وقياداتها، وبالخصوص بعد أن أخذت الحركة تصدر مجلتها «السرايا» اعتباراً من

عام ١٩٨٤م، حيث كشفت عن اتجاهاتها وتحالفاتها الإقليمية والدولية. واستناداً إلى ما أعلنته الحركة، فإن برنامجها السياسي يمكن تلخيصه في نقطتين: أولاهما، الإطاحة بالنظام الملكي. وثانيتهما، إقامة جمهورية إسلامية على النمط الإيراني، وبطبيعة الحال، فإن المنظمة ترتبط بعلاقات وثيقة مع إيران والجزائر، ويشار إلى أن الأخيرة تقوم بتدريب وتسليح عناصر حركة المجاهدين وتسريبهم إلى المغرب للقيام بعمليات إرهابية وقد تمّ بالفعل اعتقال عدة مجموعات إرهابية تابعة لحركة المجاهدين في المغرب، وقد أعلن عن اعتقال أهم هذه المجموعات في آب / أغسطس ١٩٨٦م، حيث تمّ تقديم ثلاثة عشر معتقلاً إلى المحاكمة، كما تم تقديم تسعة آخرين اعضاء المنظمة الفارين خارج البلاد أمام المحكمة ذاتها، وذلك استناداً إلى التهم التالية:

ـ العمل على قلب نظام الحكم الملكي واستبداله بجمهورية إسلامية على النمط الإيراني.

ـ توزيع منشورات من مجلة «السرايا» تحثّ على الفوضى.

ـ المسّ بشخص الملك.

ـ تنظيم خلايا والحث على التظاهرات مما يمسّ بالنظام والمعتقدات.

ـ تزوير وثائق واستعمالها.

واستناداً إلى هذه التهم، فقد حوكم المعتقلون والأعضاء الفارون لحركة المجاهدين وفقا لمنطوق المادة (٢٠١) من القانون الجنائي المغربي أمام غرفة الجنايات في محكمة الاستئناف بمراكش، التي أصدرت أحكاماً بالسجن تتراوح ما بين عام وثلاثين عاماً على ستة عشر شخصاً.

وكانت السلطات المغربية قد اعتقلت في آذار / مارس ١٩٨٤م اثنين من

«المسلمين المتطرفين» هما محمد حاجي ومحمد العوان اللذين اعترفا بانتسابهما إلى حركة المجاهدين التي يقودها عبدالعزيز النعماني المقيم في باريس، كما كانت السلطات قد اعتقلت آخرين من أعضاء الحركة في سنوات سابقة دون الكشف عن حقيقة انتمائهم للحركة أو الإعلان عن انتمائهم إلى منظمة الشبيبة الإسلامية ومحاكمتهم على هذا الاساس وقد كشفت الاعتقالات التي تمت لأعضاء حركة المجاهدين أن غالبية أعضاء الحركة من العناصر الشابة من الفئات العمالية والشعبية في المدن المغربية، بمن فيهم الذين أدينوا باغتيال عمر بن جلون عام ١٩٧٥م.

تصدر الحركة مجلة «السرايا» الناطقة باسمها، وتشن «السرايا» حملات عنيفة على السلطة المغربية وخصوصاً على الملك الحسن الثاني، وتتهمه باغراق البلاد بالفساد والظلم والقمع، وتدين من خلال تحليلاتها السياسية الموالية للغرب التي ينتهجها النظام وتدعو للإطاحة به.

يقود الحركة عبدالعزيز النعماني الذي كان يشغل وظيفة مفتش في جهاز التعليم المغربي، ويقيم في المنفى، وهو محكوم بالإعدام في قضية بن جلون، ويشارك في قيادة الحركة النكادي محمد.[١]

مفكرون مغربيون
خدموا التراث الشيعي

١ ـ السّيد ادريس الحسيني المغربي

مؤلف كتاب (لقد شيّعني الحسين عليه السّلام)

السيرة الذاتية:

الكاتب والصحافي: إدريس بن محمد بن احمد بن قدور العشاقي الحسيني الإسماعيلي. أصوله اسماعيلية تنحدر من إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

من مواليد نكسة ١٩٦٧ بمدينة مولاي إدريس وهي مدينة صغيرة من عمالة مكناس سميت بهذا الاسم نسبة إلى ادريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام.

نشأ وترعرع في ثلاث مدن في المغرب: القصر الكبير ـ مكناس ـ الرباط. ويعزي هذا الانتقال المتعدد إلى ظروف والده الموظف في وزارة الفلاحة.

متزوج ولم يرزق حتى الآن. تلقىٰ دراسته الابتدائية والاعدادية والثانوية بالمغرب قبل الانتقال إلى مذهب التشيع تاركاً مذهب التسنن وقبل السفر إلى المشرق العربي حيث الالتحاق بالحوزة العلمية بالشام.

له عدة مؤلفات:

أ ـ لقد شيّعني الحسين عليه السّلام.

ب ـ الخلافة المغتصبة.

أ ـ لقد شيّعني الحسين عليه السّلام

يقول السّيد ادريس الحسيني المغربي في كتابه «لقد شيّعني الحسين(ع)»: ما إن خلصت من قراءة «مذبحة» كربلاء، بتفاصيلها المأساوية، حتىٰ قامت كربلاء في نفسي وفكري ومن هنا بدأت نقطة الثورة، الثورة على كل مفاهيمي ومسلماتي الموروثة، ثورة الحسين داخل روحي وعقلي. يومها ناديت، وقد انسكبت من عيني دمعة حزينة، حزينة ورقيقة، قلت والقلب تتمزقه الأحزان:[1]

عـظمت فـانت عـظيم المـقام   عـظيم فأبشـر بـنصر السـما
عـلوت فـصرت بـافق الجـلال   عـظمت فـخافت جسـور الوغـا

ب ـ الخلافة المغتصبة (أزمة تأريخ أم أزمة مؤرخ؟)

ويقول السّيد الحسيني: لو كانت احداث كربلاء وحدها لكفت في فضح حقيقة الفكر الاموي، ولأبانت عن طبيعة النفاق الذي بقي ردحا من الزمن يتفاعل داخل نفوس بني أمية يترقب لحظة الانتصار، ليعبر عن قسوته وخشونته ضدالبيت العلوي... ولم يعد بعد واقعة كربلاء ما من شأنه أن يضبب الرؤية، ويعتم الطريق.. فالدماء التي أهرقت في الطف كافية لإعطاء صورة حقيقية لمن شاء ان يعتبر... ولم يبق بعد ذلك من شك في الأمر الا عند من طبع الله على قلبه، وأرداه في غواية النواصب وتجار الخلافة.[2]

---

١ . الحسيني، إدريس: لقد شيّعني الحسين(ع)، ص ٣١٣.
٢ . الحسيني، إدريس: الخلافة المغتصبة، ص ١٨٥ .

٢ ـ السّيد محمد الكثيري المغربي

مؤلف كتاب

(السّلفية بين أهل السّنة والإمامية)

اكتوىٰ المؤلف الكثيري وهو باحث مغربي مختص في علم الاجتماع الديني بنار الاختلافات التي شغلت ابناء الصحوة الإسلامية وأدت إلى تخبط عقائدي وفقهي تمثل في أزمة من مظاهرها الانقسام وتكاثر الفرق والتكفير فعقد العزم على مواصلة مسيرة البحث لمعرفة اسباب هذه الأزمة ونتائجها وقرر السفر إلى الشرق حيث يجد المراجع والمصادر الخاصة بالمذاهب الإسلامية.

فألف كتابه من قسمين كبيرين:

القسم الأوّل يبحث في السلفية

والقسم الثاني يبحث في (أهل السنة والإمامية في مواجهة السلفية).[1]

---

١ . آل قطيط، هشام: المتحوّلون (حقائق ووثائق) ص ٩٧

شعراء شيعة من المغرب

١ ـ صفوان بن إدريس المرسي

هو صفوان بن إدريس المرسي، انه شاعر من بلاد المغرب اشتهر برثائه للحسين(ع) كان شاعراً بارعاً وناثراً بليغاً، له قصائد مشهورة ومأثورة في حق الحسين(ع) وأهل البيت(ع) وعرف عنه انه قال: لو مدحت آل البيت(ع) لبلغت أملي. فكان أن تصدّى لهذه المأثرة العظمىٰ فعكف علىٰ مدحهم ورثائهم وله عاطفة متدفقة لا توصف وصفاء فطرة وسلامة معتقد، حيث ارتشف منهله العذب الرقراق من محيطه (المغرب) المحيط الذي ساقه الحب والولاء لآل البيت وقلّما تجد في تلك المناطق من لا يكنّ لأهل البيت(ع) قداسة وتكريماً.

وللشاعر ابن باديس قريحة سيالة وشاعرية متوقدة حسينية حيث يقول:

ايه حمامة خبريني، انني ... أبكي الحسين، وانت ما أبكاكِ
أبكي قتيل الطف فرع نبينا ... أكرم بفرع للنبوة زاكي
ويل لقوم غادروه مضرجاً ... بدمائه نضوا صريع شكاك
أيزيد لو راعيت حرمة جده ... لم تنتقص ليث العرين الشاكي
أتروم ويلك شفاعة من جدّه ... هيهات لا ومدبّر الافلاك
ولسوف تنبذ من جهنم خالداً ... ما الله شاك ولات حين فكاك

ويقول راثياً الحسين(ع):

أومض ببرق الأضلع ... واسكب غمام الأدمع
واحزن طويلا واجزع ... فهو مكان الجزع

وانـــثر دمـــاء المـــقلتين | تألمـــاً عـــلى الحســين
وابك بـــدمع دون عـــين | إن قـــلّ فـــيض الادمـــع
قـــضى لهـــيفاً فـــقضى | مـــن بـــعده فـــصل القـــضا
ريـــحانة الهـــادي الرضـــا | وابـــن الوصـــي الأنـــزع

ولد سنة ٥٦٠ هـ و توفي سنة ٥٩٨ هـ ولم يبلغ الاربعين وله بيتين رائعين في طلب الشفاعة من الرسول(ص):

يـقولون لي لمّـا ركـبت بـطالتي | ركوب فـتى جـمّ الغـوايـة مـعتدي
أعندك ما ترجـو الخـلاص بـه غـدا | فـقلت نـعم عـندي شـفاعة أحـمد

وله تصانيف ومؤلفات كثيرة.[1]

٢ـ ابن جبير المغربي

وزاد ابن جبير عليه سناءً بذكر أسماء أهل البيت عليهمالسّلام مسوقة بحب حبيب الله ومصطفاه حين قال:

أحب النـبي المـصطفىٰ وابـن عـمّه
عـلياً وسـبطيه وفـاطمة الزهـرا
هم أهل بـيتٍ أذهب الرجس عـنهم
وأطلعهم أفـق الهـدىٰ أنـجماً زُهـرا
موالاتـهم فـرض عـلىٰ كـلّ مسـلم
وحبهم أسنىٰ الذخـائر للأخـرىٰ[2]

---

١ . ... : من كل قطر شاعر للحسين، ص ٤، صحيفة عاشوراء، السنة الثالثة عشر، محرم الحرام ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

٢ . مجلة رسالة الثقلين، ص ٦، العدد الثاني، السنة الأولىٰ.

موريتانيا

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

القوميات: عرب ـ بربر ـ سود.

اللغة: العربية ـ الفرنسية ـ توكوليور ـ فولا.

أهم المحاصيل: حبوب ـ خضراوات ـ تمور ـ صمغ عربي

أهم المعادن: حديد ـ يورانيوم ـ صخور معدنية ـ وصادرات الحديد تمثل ٩٥٪ من الدخل. ويعد اليورانيوم من أهم الخامات المعدنية. بالإضافة للبترول الذي اكتشف حديثاً.

الثروة الحيوانية: أغنام ٩/٦ مليون، ماشيه: مليون رأس.

الموقع وأهم المعالم: تقع موريتانيا في إقليم الساحل الصحراوي؛ لذلك فإن الزراعة فيها مقصورة على الواحات المتناثرة، ووادي السنغال، الذي هو شريط ضيق، لا يزيد عرضه عن ٥٠ كم، ويقدم هذا الوادي ٨٠٪ من الإنتاج الزراعي. ويعمل ٩٠٪ من السكان بالرعي، وتعتبر موريتانيا همزة الوصل التاريخية بين العرب وإفريقيا. ومن معالم موريتانيا الإسلامية: مدينة شنقيط العريقة بمبانيها وتاريخها، ومسجدها القديم، والمتحف والمكتبة التي تحتوى على أندر المخطوطات، وأطلال دولة المرابطين في أوزوعى، كما أن لموريتانا شاطئها العظيم برماله الناعمة، ومناخه المعتدل، وبها حوض «آراعين» للطيور المائية.[1]

الازهر والحوزات في قم ومشهد والنجف
مسؤولة عن حل المشاكل المذهبية

حول التحديات التي تواجه العالم الاسلامي، والهوية الثقافية لبلدانه حاورت «العالم» وزير الثقافة الموريتاني الاستاذ محمد سالم محمد علي الذي مثل بلاده في المؤتمر العالمي للدعوة الذي عقد في القاهرة اخيراً:

❊ ماتقييمكم لاعمال مؤتمر الدعوة؟

المؤتمرات تعتبر فرصة هامة للتعارف بين أبناء العالم الاسلامي يتم فيها تبادل المعلومات وتدارس قضايا المسلمين وطرح مشكلاتهم وتلمس الحلول لها. ولكنها، للأسف الشديد، تحولت إلى بؤر للتوتر وبدلا من الوصول إلى رأي واحد تنقسم الآراء وتقوم الاطراف المشاركة في المؤتمرات بعمل محاور خارج قاعات المؤتمر وتترجم إلى مواقف مضادة لبعضها البعض.

❊ وقضية تكفير طائفة من المسلمين اليس لك رأي فيها خصوصاً وأنهااثيرت في المؤتمر؟

هذه القضية من المهاترات السياسية التي تحدث وستحدث في المؤتمرات فنحن نعرف جميعا ان **الشيعة** مسلمون وان الخلافات معهم في الفروع لا الاصول مثل اختلافات مذاهب اهل السنة انفسهم وكم عانينا من تلك الخلافات بين الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية حتى وصلت الامور إلى ان الزواج كان يتوقف على المذهب. والآن ندفع من جديد إلى خلافات مذهبية لا تفيدنا بل

ستفيد اعداء الاسلام أنفسهم. ألم نقرأ التاريخ الاسلامي ألا نريد ان نتعظ من الماضي كيف نكفر ثلث الامة وكيف تحولنا السياسة الى وحوش مفترسة نلتهم بعضنا البعض والعدو يتربص بنا من كل جانب. كيف ندعو للاسلام ونحن لم نصلح من امورنا أنفسنا؟

ولا أدري كيف يردد البعض من العلماء نصوصا املاها عليهم الساسة. فالاجدر بنا ان نترك الامور إلى اهلها ان الخروج من هذا المأزق في يد كل من الازهر كرمز لأهل السنة والحوزات العلمية في قم ومشهد والنجف الاشرف فان لها من التأثير الروحي ما يحل كل المشاكل المذهبية.

* مصداقا لكلامكم فقد قام الازهر في الستينات في عهد شيخه المرحوم محمد شلتوت باصدار فتوى تؤكد ان الشيعة من المسلمين وان الخلافات بينهم وبين اهل السنة في الفروع مثل التي بين مذاهب السنة. بل كانت هناك لجان للتقريب في الازهر.

هذا ما يؤكد وجهة نظري ان مفتاح حل القضية في يد الازهر وقم ومشهد والنجف الاشرف وعليها التحرك لحل تلك القضية الخطيرة.[١]

---

١ . محمدعلي، محمد سالم: موريتانيا لم تصحُ.. لانها لم تغفُ، ص ٣٢، مجلة العالم، العدد، ٢١٧، لندن، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

زوالة: هي زويلة، مدينة بالقطر التونسي على نحو ثلاث مراحل من صَفاقُس وهذه المدينة بناها بنوا عبيد حين بنوا المهدية، فخصوا المهدية لانفسهم وحشمهم واعيان جندهم واسكنوا زويلة هذه سائر الناس، ولما ارتحل المعزّ إلى مصر بعد فتحها ارتحلت معه طائفة من أهل زويلة هذه فاليهم ينسب الباب والحارة التي بالقاهرة اليوم.[١]

المهدية: وقد أنشأها عبيدالله المهدي ـ وبه سميت ـ على ساحل البحر، وانتقل إليها من رقادة التي كانت مقر الدولة الأغلبية. ومنذ خلفت المهدية رقادة صارت مقر الدولة ومركز السلطان، وبقيت محتفظة بهذه الصفة إلى أن حلت محلها مدينة تونس في عهد الموحدين، وقد أخرجت المهدية طائفة من الشعراء والأدباء ذكر بعضهم ابن رشيق في كتابه «الروضة الموشية في شعراء المهدية».[٢]

فهرس المحتويات و المندرجات

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ اتّعاظُ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق محمّد عبدالقادر أحمد عطا، الجزء الأوّل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢ ـ إتقوا الله: الدكتور محمد التيجاني السماوي، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

٣ ـ اثبات الامامة: أحمد بن ابراهيم النيسابوري، (مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى غالب) دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

٤ ـ أجراس كربلاء: محمد سعيد الطريحي، المجموعة الأولى، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

٥ ـ احتمالات نهاية الكون: قسم التأليف والترجمة، مؤسسة الإيمان ودار الرشيد، بيروت، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

٦ ـ الأحزاب والقوى السياسية في المغرب: فايز سارة، الناشر رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن.

٧ ـ أخبار فخّ: أحمدبن سهل الرازي (القرن الرابع)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

٨ ـ أخبار فخّ وخبر يحيى بن عبدالله(ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع): أحمدبن سهل الرازي، تحقيق عبدالرقيب مطهر حجر، منشورات مركز أهل البيت(ع)

للدراسات الاسلامية، صعدة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.
٩ ـ أخبار المصلوبين وقصص المعذّبين في العصرين الأموي والعباسي: عبدالأمير مهنّا، دار الفكراللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٠ ـ الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١١ ـ أربع رسائل اسماعيلية: عارف تامر، دار ومكتبة الحياة، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٨م.
١٢ ـ أربعة كتب اسماعيلية:؟، تصحيح ر. شتروطمان (المجمع العلمي غوتينغن)، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٣ ـ الأُرجوزة المختارة: القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تقديم الدكتور عارف تامر وشرح وتحقيق الدكتور يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.
١٤ ـ الأزهر في الف عام: الدكتور محمّد عبدالمنعم خفاجي، الجزء الأوّل، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.
١٥ ـ الاسلام والعرب: روم لاندو، نقله إلى العربية مُنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
١٦ ـ الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي: حسن الأمين، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٧ ـ الأُصول من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، المجلد الأوّل، دار صعب ودار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.
١٨ ـ الأطلس الاقتصادي للعالم الاسلامي: الدكتور عبدالرحمن حميدة، دار

الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٩ ـ إعرف الحق: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، دار المجتبىٰ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٢٠ ـ الأغالبة: محمود عبدالرزاق، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، ١٩٧٢م.
٢١ ـ الأغالبة نظامهم الإداري والسياسي: محمد المسعود الشامي، الدار التونسيّة، ١٩٧٠م.
٢٢ ـ الإمام السّيد موسى الصدر، الإخفاء: حسين شرف الدين، مركز الإمام موسىٰ الصدر للابحاث والدراسات، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٣ ـ الامام المهدي (محمّد أحمد بن عبدالله ١٨٤٤ ـ ١٨٨٥م): الدكتور محمد سعيد القدّال، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٤ ـ الامام المهدي عند أهل السّنة: مهدي الفقيه ايماني، الجزء الأوّل، مكتبة اميرالمؤمنين(ع) العامة، اصبهان، ايران، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٢٥ ـ انتشار الاسلام في افريقيا: محمد علي الهمشري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.
٢٦ ـ إنتشار الاسلام في إفريقيا في العصور الوسطىٰ: الدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
٢٧ ـ انتشار الاسلام وأشهر مساجد المسلمين في العالم: محمد كمال حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٦م.
٢٨ ـ الإنتقال الصَّعب في المذهب والمعتقد: ادريس الحسيني، منشورات أنوارالهدىٰ والاعتصام، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.
٢٩ ـ بصائر الدرجات الكبرىٰ: محمدبن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي،

طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤.

٣٠ ـ بنور فاطمة اهتديت: عبدالمنعم حسن، دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣١ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٣٢ ـ تاريخ الأدب في المغرب العربي: حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٣ ـ تاريخ الجزائر العام: عبدالرحمن الجيلالي، الجزء الأوّل، دار الثقافة، بيروت، طبعة سادسة، ١٩٨٣م.

٣٤ ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك الهلالي الميلي، الجزء الثاني، مكتبة النهضة الجزائرية، ١٣٥٠ هـ.

٣٥ ـ تاريخ الدّعوة الإسماعيلية: الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

٣٦ ـ تاريخ الدّول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة: الدكتور أحمد السّعيد سُليمان، الجزء الأوّل، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.

٣٧ ـ تاريخ دُوَل المغرب: الميرالاي إسماعيل سرهنك، دار الفكر الحديث، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٣٨ ـ التاريخ الفاطمي السياسي: الدكتور إبراهيم رزق الله أيوب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٩ ـ التاريخ الفاطمي الاجتماعي: الدكتور إبراهيم رزق الله أيوب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤٠ ـ تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر: الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، الجزء الثاني، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤١ ـ تاريخ العالم العربي المعاصر: الدكتور إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٢ ـ تاريخ العرب السياسي في المغرب: الدكتور سعدون نصرالله، دارالنهضة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م.

٤٣ ـ تجربة القذافي في اطار الموازين الاسلامية: الدكتور عبدالله الصادق، الطبعة الاولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٤ ـ التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار: لابن غلبون (المتوفى ١١٥٠هـ)، مؤسسة الكتب الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥ ـ تطوّر الفكر التربوي الأباضي في الشمال الإفريقي (من القرن الأوّل حتى القرن العاشر الهجري): الدكتور عبدالرحمن عثمان حجازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٦ ـ تنبؤات نوستر اداموس: نوستر اداموس، ترجمة جميل حمادة، وزارة الثقافة والاعلام، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان.

٤٧ ـ ثمّ اهتديت: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، مؤسسة الفجر، لندن.

٤٨ ـ ثورات العلويين وأثرها في نشوء المذاهب الاسلامية: مهدي عبدالحسين النجم، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٤٩ ـ الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات: أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (ت: ٦٩٧هـ)، مطبعة حجرية، القاهرة، ١٨٨٤م.

٥٠ ـ حاضر العالم الأسلامي: لو ثروب ستو دارد، ترجمة عجاج نويهض، المجلد

الأول، الجزء الثاني، دارالفكر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٣م.

٥١ ـ الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية: محمود إسماعيل، دار القلم، بيروت.

٥٢ ـ الحسنيون في التاريخ: محمد الساعدي، الجزء الأول، مطبعة النجف، النجف الاشرف، ١٣٧٥ هـ.

٥٣ ـ الحشّاشون حكّام الموت: دكتور رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

٥٤ ـ الحضارة المغربية عبر التاريخ: الحسن السائح، الجزء الأوّل، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ١٩٧٥م.

٥٥ ـ الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٥٦ ـ حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر: المحامي أحمد حسين يعقوب، دار الملاك، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٥٧ ـ حقيقة مصحف فاطمة(ع) عند الشيعة: أكرم بركات العاملي، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة: حسن الأمين، المجلّد الثالث، الجزء الثاني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٥٩ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، الجزء الرابع، بيروت، ١٣٩٣هـ.

٦٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين، المجلد العاشر.

٦١ ـ دائرة المعارف الحسينية (الحسين والتشريع الاسلامي): محمدصادق

الكرباسي، الجزء الثاني، المركز الحسيني للدّراسات، المملكة المتحدة، لندن، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٢ ـ دراسات في تاريخ بلاد المغرب (من الفتح العربي حتىٰ أواخر القرن الثاني الهجري): دكتورة سامية توفيق عبدالله، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٦٣ ـ دراسة في الفكر الإباضي: عمر بن الحاج محمد صالح، مكتبة الاستقامة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٦٤ ـ دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام: القاضي النعمان ابن حيّون المغربي، المجلد الأول، (مقدمة التحقيق) آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٦٥ ـ دماء في المغرب العربي: يونس بَحري، دار النشر للجامعيين، بيروت.

٦٦ ـ دور عُلماء الشيعة في مواجهة الاستعمار: سليم الحسني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ايران، الطبعة الأُولىٰ، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٧ـ دولةُ بني حمّاد ملوك القلعة وبجاية: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠م.

٦٨ ـ دولة التشيع في بلاد المغرب: الأستاذ نجيب زبيب، دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الأُولىٰ، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦٩ ـ دولة مالي الاسلامية: الدكتور إبراهيم على طرخان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

٧٠ ـ دولة الموحّدين الاسلامية: حسن الأمين، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١م.

٧١ـ الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.
٧٢ـ ديوان تميم بن المعزّ لدين الله: تميم المُعزّ لدين الله، تحقيق محمد عبدالعظيم بدر وإبراهيم عطا فرج، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م.
٧٣ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغابزرگ الطهراني، الجزء ٢١، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية.
٧٤ـ رسالة افتتاح الدّعوة: القاضي النعمان ابن محمد، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.
٧٥ـ الرّسالة الجامعة: أحمد بن عبدالله، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.
٧٦ـ الرسالة المنظمة: ابن تومرت (منشورة ضمن أشغال المؤتمر الأوّل لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسيّة، ١٩٧٩م.)
٧٧ـ سرائر و أسرار النُطقاء: جعفرمنصور اليمن، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.
٧٨ـ السودان والنيل بين مطرقة الانفصال والسّندان الإسرائيلي، عايدة العَلي سَريّ الدِّين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.
٧٩ـ الشجرة المُباركة في أنساب الطّالبية: فخرالدين الرازي، تحقيق السّيد مهدي الرّجائي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.
٨٠ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار (مقدمة الكتاب): القاضي النعمان التميمي المغربي، الجزء الأوّل.
٨١ـ الشيعة والإسماعيلية: سليمان ظاهر، تحقيق موسىٰ حسين صفوان، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٨٢ ـ الشيعة هم أهلُ السنة: الدكتور محمّد التيجاني السّماوي، شمس المشرق، بيروت، الطبعة الاولىٰ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٣ ـ صفحات من تاريخ تونس: محمّد ابن الخوجة، تحقيق حمّادي السّاحلي والجيلاني بن الحاج يحيىٰ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولىٰ، ١٩٨٦م.

٨٤ ـ طبقات سلاطين الاسلام: استانلي لين بول، الدار العالمية، مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م.

٨٥ ـ الطريقة الختمية في السودان ١٨٨١ ـ ١٩٥٥: طارق أحمد عثمان، الطبعة الاولىٰ، دار مطبعة جامعة افريقيا العالمية للطباعة، ١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـ.

٨٦ ـ طلوع الشمس من مغربها علم للساعة: فريد قبطني، دار البراق، بيروت، ١٩٩٩م.

٨٧ ـ ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظل إمامة المهدي المنتظر(عج): الميرزا محسن آل عصفور، مكتبة الريف الثقافية، البحرين، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ هـ.

٨٨ ـ العالم في المستقبل (جهان در آينده): محمد حسن الموسوي الكاشاني، قم المقدسة، الطبعة الاولىٰ، ١٩٩١م.

٨٩ ـ العامل الديني والهويّة التونسيّة: الدكتور سعد الغراب، الدار التونسيّة للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٩٠ ـ عبيدالله المهدي: الدكتور عارف تامر، دار دمشق ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م ـ ١٤٠٠هـ.

٩١ ـ عِقدُ الدُّرر في أخبار المنتظر: يوسف المقدسيّ الشافعي، تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، انتشارات مسجد مقدس جمكران، قم المقدسة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

٩٢ ـ علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب: الدكتور حسن خضيري أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى.

٩٣ ـ عندما أصبحت مصر عربيّة إسلامية: الدكتور محمد عمارة، دارالشروق، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٤ ـ عيد الغدير في عهد الفاطميين: الدكتور محمد هادي الأميني، مؤسسة الآفاق، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.

٩٥ ـ الغدير في الكتاب والسّنة والأدب: عبدالحسين أحمد الأميني، الجزء الرابع، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٩٦ ـ فاسئلوا أهل الذكر: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، مؤسسة الفجر، لندن.

٩٧ ـ الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ: محمد علي القطب، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.

٩٨ ـ الفتن: نُعيم بن حمّاد الخُزاعي المروزي، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.

٩٩ ـ فِتنٌ في عصر الظُّهور الشريف: عبدالحليم الغِزّي، الناشر، المؤلف، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ.

١٠٠ ـ الفرق الاسلاميّة في الشمال الأفريقي: آلفرد بل، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار المغرب الإسلامية، طبعة ثانية، ١٩٨١م.

١٠١ ـ فسيروا في الأرض فانظروا: الدكتور محمد التيجاني السّماوي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٠٢ ـ فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب: عبدالمجيد عمر النّجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

١٠٣ ـ فهرسة الكتب والرسائل: اسماعيل بن عبدالرسول الاجيني المجدوع، حققه وعلّق عليه: علي نقي منزوي، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٦م.
١٠٤ ـ في تاريخ المغرب والأندلس: الدكتور أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت.
١٠٥ ـ في ظلال القرآن: سيّد قطب، المجلد الثاني، الجزء الخامس، دار الشروق، بيروت / القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٠٦ ـ قصص الانبياء: علي محمد علي دخيّل، دار المرتضىٰ، بيروت، الطبعة الاولىٰ، ١٩٩٩م.
١٠٧ ـ قصة النهاية وعلامات الساعة الصغرىٰ والكبرىٰ: عمارة محمد عمارة، مكتبة ابن كثير، الكويت، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الاولىٰ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٠٨ ـ قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم: مؤلف: مجهول، الجزء ١٩ ـ ٢٠.
١٠٩ ـ قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب: عادلة علي الحمد، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.
١١٠ ـ الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمدبن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.
١١١ ـ كتاب اثبات النبوّات: أبو يعقوب السّجستاني، حققه عارف تامر، بيروت، دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
١١٢ ـ كتاب افتتاح الدّعوة: القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، دار

الأضواء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٣ ـ كتاب الاقتصار (مقدمة الكتاب): القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تحقيق الدكتور عارف تامر، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٤ ـ كتاب الكشف: جعفر منصور اليمن، تحقيق مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٥ ـ كتاب نبذة العصر في اخبار ملوك بنى النصر، مطبعة الفنون المصورة، بوسكا، العرائش، (المغرب) ١٩٤٠م.

١١٦ ـ كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمة: القاضي النعمان ابن حيون المغربي التميمي، تحقيق محمد شريف علي اليمني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

١١٧ ـ كُلّ الحلول عند آل الرّسول: محمد التيجاني السماوي، دار المجتبى، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٨ ـ كلمة الإمام المهدي (عج): السيد حسن الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٩ ـ لأكون مع الصادقين: الدكتور محمد التيجاني السماوي، مؤسسة البشرى، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

١٢٠ ـ المتحولون (حقائق ووثائق): هشام آل قطيط، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٢١ ـ المجتمع الاسلامي المعاصر. (ب) أفريقيا: الدكتور جمال عبدالهادي، دارالوفاء، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٥م.

١٢٢ ـ المجتمع المغربي مقوماته الاسلامية والعربية: الدكتور إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

١٢٣ ـ المجدي في أنساب الطالبيين: علي بن محمد العلوي العُمري النسابة، تحقيق أحمد الدامغاني، مكتبة المرعشي النجفي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.

١٢٤ ـ محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته: روم لاندو، تعريب: ليلىٰ أبو زيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

١٢٥ ـ المخلّص بين الاسلام والمسيحية: باسم الهاشمي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢٦ ـ مراجعات اسماعيلية: الدكتور عارف تامر، دارالأضواء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

١٢٧ ـ مرحلة التشيُّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية: الدكتور محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين المسعودي، الجزء الثالث، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢٩ ـ المسيح في الاسلام: ميشال الحايك، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

١٣٠ ـ المسيح المنتظر ونهاية العالم: عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، دارالسّلام، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣١ ـ المسيح الموعود(ع) والمهدي المنتظر(ع): يوسف محمد عمرو، دار المؤرّخ العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٣٢ ـ المصابيح في إثبات الإمامة: أحمد حميد الدين الكرماني، تحقيق مُصطفى غالب، دار المنتظر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.
١٣٣ ـ مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال: عبدالرحمن الرافعي بك، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢م.
١٣٤ ـ المُعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبدالواحد بن علي المراكشي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٨٨م.
١٣٥ ـ المُعزّ لدين الله: عارف تامر، دارالجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٣٦ ـ مقدمة كتاب شرح الاخبار للقاضي النعمان: محمّد حسين الحسينيّ الجلالي، المجلد الأول، منشورات دارالثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٣٧ ـ ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم: أمين محمد سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٣٨ ـ الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر(عج): ابن طاووس الحسني الحسيني، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م.
١٣٩ ـ من شيخ أزهري إلى شيخ الأزهر (الأزهر إلى أين؟!)، دار الاعتصام، القاهرة.
١٤٠ ـ النظام العالمي الجديد والقرن ٢١، فريدا عزيز، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.
١٤١ ـ نهاية صراع الأديان بظهور المهدي آخر الزمان: محمد محمود المندلاوي، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٤٢ ـ نهاية العالم متى وكيف؟ ميشال مراد، دار المجاني، بيروت.

١٤٣ ـ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

١٤٤ ـ الوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية: محمد ماهر حمادة، الجزء السابع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٤٥ همگامي ايران وليبي بر ضدّ امپرياليسم: عبدالهادي حائري، (دو سند تاريخي)، انتشارات آموي، مشهد، ١٩٨٠م.

١٤٦ ـ اليوم الآخر ونهاية الزمان: الدكتور خالد صناديقي، منشورات علاء الدين، دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠١م.

١٤٧ ـ يومُ الخلاص: كامل سليمان، مؤسسة انصار الحسين(ع) الثقافية، طهران، ١٩٩١م.

١٤٨ ـ اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني: محمد الصدر، الجزء الرابع، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

المجلات والصحف

١٤٩ ـ أساس الدعوة في الإسلام، مجلة العالم، العدد ٣٢٥، لندن، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥٠ ـ الاسماعيلية.. من هم؟ وأين هم؟ ، مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤، هولندة، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

١٥١ ـ اغتيال العلامة السيد مهدي الحكيم في الخرطوم، مجلة العالم، العدد ٢٠٦، لندن، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٥٢ ـ الأمام الصادق من ائمة المسلمين: متفكر احمد، مجلة الهادي، العدد الأول، السنة الثالثة، قم، ايران.

١٥٣ ـ أهل البيت (عليهم السّلام): تراث المسلمين في السودان، مجلة أهل البيت، العدد (١)، بيروت، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥٤ ـ البُهرة بعث جديد في الهند لحضارة إسلامية عربية عريقة: محمد حسني زكي، مجلة العربي، العدد ٢٠٢، الكويت، ١٣٩٥هـ.

١٥٥ ـ تراث المسلمين في السودان: الطيب أحمد حسن، مجلة أهل البيت، العدد(١)، بيروت، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥٦ ـ حركة التشيع في المغرب ومظاهرها: الدكتور عبداللطيف السعداني، مجلة الموسم، العدد التاسع عشر، هولندا، ١٩٩٤م ـ ١٤١٤هـ.

١٥٧ ـ حقائق تاريخية عن الاسماعيلين: حسن الأمين، مجلة الثقافة الاسلامية، العدد التاسع عشر، دمشق، ١٤٠٨ هـ.

١٥٨ ـ دولة الأدارسة العلوية في بلاد المغرب: علي الشمري، مجلة النبأ، العدد ٣٦، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥٩ ـ شيعة العراق وقضية القومية العربية: الدكتور وميض جمال عمر نظمي، مجلة المستقبل العربي، ١٩٨٢م.

١٦٠ ـ الشيعة نواة التصوف: أحمد محمد كاني، مجلة العالم، العدد ٢٠٩، لندن، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦١ ـ طائفة البهرة الإسماعيلية: محمد سعيد الطريحي، مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤، هولندة.

١٦٢ ـ علي في الوجدان الشعبي السوداني: محمد حسن قرشي، مجلة الموسم،

العدد (٢ـ٣)، هولندا، ١٩٨٩م.

١٦٣ ـ قبيلة الركابية بالسودان: الدكتور محمد عثمان علي، مجلة الموسم، العدد الخامس عشر، هولندا، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٤ ـ قراءة في كتاب: الامام المهدي من المهد إلى الظهور: أحمد البغدادي، مجلة النبأ، العدد (٥١)، السنة (٦)، ١٤٢١هـ.

١٦٥ ـ مشروعية الجهاد ضد الغزاة الايطاليين: الشيخ حسن آل بدر القطيفي، مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

١٦٦ ـ مقالات غير منشورة للأفغاني: حسن الشامي، مجلة العالم، العدد ٧٨، لندن، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٦٧ ـ من الثورة المهدية إلى الاستقلال: محمد الحسيني، مجلة العالم، لندن، العدد ١٣٠، ١٤٠٦هـ.

١٦٨ ـ من كل قطر شاعر للحسين، صحيفة عاشوراء، السنة الثالثة عشر، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

١٦٩ ـ موريتانيا لم تصحُ.. لانها لم تغفُ: محمد سالم محمد علي، مجلة العالم، العدد ٢١٧، لندن، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٠ ـ المهدي المنتظر كونية العدالة وعدالة التكوين: محمد محسن العيد، مجلة النبأ، العدد (٥١) السنة (٦) شعبان ١٤٢١هـ.

١٧١ ـ نصوص غير منشورة: حسن الشامي، مجلة العالم، العدد ٧٧، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.

١٧٢ ـ الوهم المنتظر: محمد عبدالخالق، مجلة «الأهرام العربي»، العدد ٢١١،

القاهرة، السنة السادسة، ١٤٢٤هـ.

١٧٣ ـ هل آن الأوان لظهور المهدي(ع): فتح الله الحيفاوي، مجلة الجذور، العدد التاسع عشر، شركة الجذور لنشر الصوتيات والمرئيات، نيقوسيا، قبرص، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٤ ـ مجلة العالم، العدد (٣)، لندن، ١٤٠٤هـ.

١٧٥ ـ مجلة العلم، العدد ٣٥٤، لندن، ١٤١١هـ.

١٧٦ ـ مجلة الموسم، العدد السادس، المجلد الثاني، اكاديمية الكوفة، هولندا، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.

١٧٧ ـ مجلة الموسم، العددان ٤٣ ـ ٤٤.

١٧٨ ـ مجلة رسالة الثقلين، العدد الثاني، السنة الأولى.

١٧٩ ـ مجلة رسالة الثقلين، العدد الرابع، السنة الأولى.